

## القرايين البشرية والذبايح التلمودية





# القرابين البشرية والذبائح التلمودية

عند  
الوثنيين واليهود

للدكتور

فتحي محمد الزغبى

أستاذ العقيدة والفلسفة الإسلامية

ورئيس قسم أصول الدين بجامعة الأزهر والشارقة





## الإهداء

إلى بناتى الحبيبات: شياء، زهراء، إسراء

إلى ابنى الحبيين: محمد، أحمد

أهدى هذا الكتاب، مع الدعاء لهم بالتوفيق والرشاد فى القول والعمل.



## بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ  
شُرَكَاءُهُمْ لِيُرْذُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا  
يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧].

﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى  
اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [الأنعام: ١٤٠].

ويقول سبحانه للذين آمنوا: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٦٨﴾  
وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾  
[النساء: ٢٩ - ٣٠].

ويقول تعالى عن اليهود: ﴿فِيمَا نَقُضُهُمْ مِيثَاقَهُمْ لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَسِيَةً﴾  
[المائدة: ١٣].

ويخاطبهم بقوله: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً  
وَإِنْ مِنْ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنْ مِنْهَا لَمَا يَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنْ  
مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].





## مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

وبعد،

فإن فكرة الكتابة في موضوع القرابين البشرية قد نبتت في رأسي وجالت بخاطري، إبان دراستي لنيل درجة العالمية (الدكتوراه) حيث كان موضوعها "تأثير اليهودية بالأديان الوثنية القديمة"<sup>(١)</sup>.

وبينما كنت أبين مظاهر هذا التأثير<sup>(٢)</sup>، راعني ما اطلعت عليه من أن اليهود في اندفاعهم الأهوج نحو الوثنية، وضعفهم الشديد أمام طقوسها، قد بلغ بهم تقليدهم للوثنيين، وتأثرهم بهم، أن قذفوا بأبنائهم وبناتهم أفلاذ وفلذات أكبادهم إلى نيران الآلهة الوثنية، حيث كانوا يقومون بإحراقهم، ويقدمونهم قرابين بشرية لآلهة الوثنيين من الشعوب<sup>(٣)</sup> الذين كانوا محيطين بهم ومجاورين لهم، والذين خالطوهم واتصلوا بهم، وانصهروا فيهم، وانغمسوا في مستنقعات وثنييتهم، ومارسوا طقوسهم، وعبدوا آلهتهم.

- 
- (١) رسالة دكتوراه بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا أغسطس ١٩٨٧م. وتم نشرها في كتاب بعنوان: تأثير اليهودية بالأديان الوثنية دار البشير للثقافة والعلوم الطبعة الأولى ١٩٩٤م.
- (٢) قمت ببيان مظاهر تأثير اليهودية بالأديان القديمة في تأليف الأسفار وتدوين الكتب وفي القصص الديني والأساطير وفي العقائد (راجع الباب الثالث من الرسالة المذكورة ص ٤٥١ - ٧٠٢).
- (٣) لمعرفة هؤلاء الشعوب الوثنية وأديانهم ومدى اتصال اليهود بهم وتأثرهم بوثنييتهم راجع الباب الأول والثاني من الرسالة المذكورة.

والعجيب أننى وجدت نصوص أسفارهم، تحرم عليهم تقديم هذه القرابين، وتحذرهم من ممارستها، وتتوعدهم بغضب الرب سبحانه وسخطه عليهم إن أقدموا على ارتكابها، وتبين لهم أن من يفعل ذلك يكون قد عصى الرب، ويستحق أن تنفذ فيه عقوبة القتل حيث يقوم الناس برجمه والقضاء عليه.

لكن اليهود - كما ورد في أسفارهم أيضًا - قاموا بارتكاب جريمة القرابين البشرية وخاصة في عصر الانقسام واشترك في ذلك الملوك والشعب على السواء - متأثرين في هذا بالوثنيين ومقلدين لهم.

من أجل هذا فإننى بعد أن اختمرت الفكرة في ذهنى، وأردت أن أكتب عن القرابين البشرية عند اليهود، وجدت أنه لا بد أن أتحدث عنها أولاً عند الوثنيين الذين تأثروا بهم أو ببعضهم فخصصت الباب الأول لبيان نشأة ومظاهر تقديم القرابين البشرية عن الوثنيين، وجعلت الباب الثانى لدراسة القرابين البشرية والذبائح التلمودية عن اليهود.

ولما كان موضوع القرابين البشرية غير مألوف لكثير من القراء والباحثين، وجدت أنه من الضرورى أن أتحدث باختصار عن القرابين بشكل عام في مدخل الكتاب للتفريق بين القرابين البشرية وغيرها من القرابين الحيوانية والنباتية.

ففى هذا المدخل بينت معنى قربان فى اللغة، والمقصود بها ورد منه فى القرآن الكريم، ثم تحدثت عن اعتقاد الوثنيين أن الآلهة تنال وتتغذى من قربانهم، وضربت أمثلة على ذلك بما كان يحدث فى بلاد الرافدين ومصر القديمة، ثم تحدثت عن اعتقاد اليهود أن الله - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً - ينال من قربانهم وخاصة المحرقات منها، ويتعش من رائحة الدخان الذى يتصاعد من حرقها.

وكان لا بد لنا أن نبين كيف قضى الإسلام على هذه المعتقدات الفاسدة وأن نبرز بوضوح وإيجاز صورة الأضحية فى الإسلام.

وأما الباب الأول فهو بعنوان "نشأة القرابين البشرية ومظاهر تقديمها عند الوثنيين وموقف الإسلام منها".

ويشتمل هذا الباب على ثمانية فصول:

فى الفصل الأول تحدثت عن نشأة القرابين البشرية ومظاهر تقديمها عند الوثنيين، فتعرضت للآراء المختلفة التى بحثت فى نشأة هذه القرابين، وخاصة التى ترى أن الإنسان بدأ حياته التعبدية بتقديم القرابين البشرية، ثم بعد أن تهذبت طباعه، ورقت مشاعره، استبدل بها القرابين الحيوانية والنباتية.

فبينت فساد هذه النظرة وخطأ القائلين بها، واعتمادهم فيها على نظرية التطور فى العقائد والشعائر، ثم بينت بعض المظاهر والطقوس التى كان يتم بها تقديم القرابين البشرية واختلافها باختلاف الشعوب والمناسبات.

ومن الفصل الثانى إلى الفصل السابع تحدثت عن القرابين البشرية عند الوثنيين: فى الفصل الثانى عند السومريين والبابليين وفى الثالث عند المصريين القدماء، وفى الرابع عند الهنود القدماء، وفى الخامس عند الكنعانيين والعمونييين والمؤابيين، وفى السادس عند اليونانيين والرومانيين، وفى السابع عند العرب فى الجاهلية.

وأما الفصل الثامن والأخير فقد بينت فيه موقف الإسلام من نذر وتقديم القرابين البشرية من خلال فتاوى الفقهاء من الصحابة والتابعين وغيرهم ممن نذر أن ينحر نفسه، أو يذبح ابنه، مستشهداً على غلط تحريم قتل النفس من آيات القرآن الكريم والأحاديث النبوية الشريفة، ومبيناً ارتباط هذه الفتاوى برؤيا الخليل إبراهيم ذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام، ثم نسخه الله عنه بالفداء العظيم.

وبينت التحقيق فى مسألة نسخ الحكم قبل التمكن من فعله، والحكمة فى

ذلك وكيف أن الله أمر بالذبح ولم يرد وقوعه، ومدى ارتباط ذلك بالقضاء على ظاهرة القرايين البشرية التي كانت منتشرة في عصر الخليل إبراهيم عليه السلام<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الكتاب كما هو واضح من عنوانه ينقسم إلى قسمين:

قسم عن القرايين البشرية، وقسم عن الذبائح التلمودية.

فالقرايين البشرية مشتركة عند الوثنيين واليهود وأما الذبائح التلمودية فهي خاصة باليهود ومقصورة عليهم.

ولذلك جاء الباب الثانى بعنوان "القرايين البشرية والذبائح التلمودية عند اليهود في العهد القديم وفي عصر التلمود".

ويشتمل هذا الباب على ستة فصول:

الفصل الأول: عن العهد القديم وتحريم القرايين البشرية، حيث تحدثنا عن المراد بالعهد القديم، ومتى أطلق، واختلاف اليهود والنصارى في تقسيم وترتيب وعدد أسفاره، ثم تحدثنا عن تحريم التوراة التي بأيدي اليهود للقرايين البشرية.

والفصل الثانى: عن ارتكاب اليهود لجريمة القرايين البشرية، وتنديد أنبياء العهد القديم بهم، فتحدثت عن قيام أحد قضاتهم (يفتاح) بذبح ابنته وتقديمها قرباناً بشرياً للرب، وعن قيام ملوك وشعوب يهوذا وإسرائيل (مملكتى الجنوب والشمال) بتقديم القرايين البشرية مقلدين للوثنيين ومتأثرين بطقوسهم، وعن قيام أنبياء العهد القديم بالتنديد بهم والنعى عليهم، والتحذير لهم من غضب الرب وانتقامه لارتكابهم هذا الجرم الشنيع.

---

(١) كان التعرض لقصة الخليل عليه السلام ضرورياً في هذا البحث حيث أجمع الفقهاء على أن من نذر نحر نفسه أو ذبح ابنه إنما يعد ذلك معصية ينبغي الاستغفار منها والتكفير عنها، فكان لابد من الإجابة على هذا السؤال: ما هى الحكمة من أمر الله لل خليل أن يذبح ابنه رغم أن ذلك فى حق غيره يعد معصية.

وفي الفصل الثالث تحدثت عن التلمود ودوره في قيام الذبائح التلمودية من خلال ما فيه من حث اليهود على ذبح الآدميين من غيرهم واستنزاف دمائهم ومزجها بعجين فطائرهم في أعيادهم ومناسباتهم الدموية المقدسة.

وفي الفصل الرابع تحدثت عن مراسم وطقوس وطرق استنزاف اليهود للدم البشرى من غيرهم في مناسباتهم الدينية والدنوية.

وفي الفصل الخامس تحدثت عن أشنع الحوادث، وأبشع الجرائم التي ارتكبتها اليهود في استنزاف دماء غيرهم من خلال أشهر ما سجله التاريخ عن الذبائح التي وقعت في الغرب والشرق وركزت على حادثتين من أشنع هذه الحوادث.

الأولى حادثة مقتل الطفل "هنرى عبد النور" سنة ١٨٩٠م وقيام حبيب فارس بتأليف كتابه "صراخ البرىء في بوق الحرية والذبائح التلمودية" ونشره عام ١٨٩١م والذي رجعت إليه ونقلت عنه تصويره لهذه الحادثة وتعليقه عليها ومتابعته لها ورصده لكثير من الذبائح التلمودية في الشرق والغرب.

والحادثة الثانية الخاصة بمقتل الأب توما وخادمه المسلم إبراهيم عمار التي وقعت في دمشق عام ١٨٤٠م والتي اتهم فيها ستة عشر شخصاً وقدموا لمحاكمة شهيرة نصوصها موجودة في سجلات المحاكم بوزارة العدل بدمشق ونقل وقائعها كاملة عدد من المؤرخين الغربيين ونقلت كثيراً من نصوصها عن كتاب شارل لوران في القسم الثانى من كتاب "الكنز المرصود في قواعد التلمود" الذى طبع سنة ١٨٩٩م بالقاهرة ثم نفذت نسخه وأصبحت في حكم المخطوط النادر حتى قامت دار القلم بدمشق بطبعه سنة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

وقد تضمنت هذه المحاكمة اعترافات عدد من الخاخامات وغيرهم من المتهمين عن هذه الجريمة وعن أسرار استنزاف اليهود للدم البشرى، وسيرى القارىء

كيف أن المحكمة أصدرت حكمًا بإدانة المتهمين وإعدام عدد منهم، لكن هذا الحكم حيل دون تنفيذه، وكان ذلك في عهد محمد علي باشا وسيتبين لنا دوره في ذلك.

وفي الفصل السادس تعرضت لمحاولة اليهود إنكار هذه الجرائم وإبطال هذه المحاولة وبيان مدى ثبوت هذه الجرائم عليهم من خلال آراء العلماء والباحثين، واعترافات الحاخامات والمؤرخين.

وفي نهاية الكتاب أثبت نص كتاب "إظهار سر الدم المكتوم" للحاخام ناوفيطوس الذى تحول إلى المسيحية وألف هذا الكتاب ليفضح فيه أسرار اليهود، ويهتك أستارهم، فى كشف طريقة استنزاف دماء الأطفال الجارية عندهم.

والحقيقة أن موضوع هذا الكتاب مثير للغاية. ويبعث فى نفس قارئه مزيجًا من الأحاسيس والمشاعر: ما بين دهشة وتعجب، وغضب وتألم، ورفض واستنكار، وحزن واستياء، ولا أريد فى هذه المقدمة أن أفرض على القارئ شعورًا معينًا، وإنما أدعه يقدم على قراءته مباشرة دون تدخل منى، حيث أمسكت عن إبداء مشاعرى الخاصة واكتفيت ببيان الخطوط الأساسية والمعالم العامة.

ونظرًا لجدة البحث فى هذا الموضوع من ناحية، وغرابته على القارئ وعدم إلفه له من ناحية أخرى فإننى أعتقد أنه يستوجب بعض النظر والتدقيق، ويحتاج إلى شىء من الإضافة والتنقيح، وأرجو أن يتيسر لى ذلك فى الطبعة القادمة بإذن الله، على ضوء ما يتسنى لنا الرجوع إليه، وعلى أمل الانتفاع بنصائح وتوجيهات أساتذتى العلماء، والاستفادة من آراء القراء ونقود الزملاء الباحثين.

وأحمد الله أولاً وأخيراً وأسأله سبحانه أن يتقبل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم.

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت.  
وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنبت.  
إنه نعم المولى ونعم النصير.

**فتحي محمد الزغبى**

طنطا فى جمادى الأولى ١٤١٠هـ

ديسمبر ١٩٨٩م





## المدخل

ويشتمل على:

\* معنى القربان في اللغة والمقصود بما ورد منه في القرآن الكريم.

\* القرابين عند اليهود.

\* اعتقاد الوثنيين أن الآلهة تنال وتتغذى من قربانهم.

\* اعتقاد اليهود أن الله ينال من قربانهم.

\* قضاء الإسلام على معتقدات الوثنيين واليهود.



## معنى القربان فى اللغة والمقصود بما ورد منه فى القرآن الكريم

### معنى القربان فى اللغة:

القرايين جمع مفرده قُربان وجاء فى القاموس المحيط أن القربان بالضم هو ما يتقرب به إلى الله تعالى، تقول تقرب تقربًا وتقربًا (بكسرتين) أى طلب القرية به<sup>(١)</sup>.  
وورد فى لسان العرب أن القربان هو ما قرب إلى الله عز وجل وتقربت به تقول: قربت لله قُربًا وتقرب إلى الله بشيء أى طلب به القرية عنده تعالى.  
ونقل عن الليث قوله إن القربان هو ما قربت إلى الله تبتغى بذلك قرية ووسيلة<sup>(٢)</sup>.

### ورود كلمة قربان فى القرآن الكريم والمقصود منها:

يذكر الراغب الأصفهاني أن القربان هو ما يتقرب به إلى الله وصار فى التعارف اسمًا للنسيكة التى هى الذبيحة<sup>(٣)</sup>.

وقد وردت كلمة "قربان" فى القرآن الكريم ثلاث مرات فى ثلاث آيات<sup>(٤)</sup>: ففى الآية الأولى يقول الله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا

(١) القاموس المحيط طبعة الحلبي ١٩٥٢ ج ١ ص ١١٨ - ١١٩.

(٢) لسان العرب لابن منظور ج ٥ مادة قرب طبعة دار المعارف.

(٣) المفردات فى غريب القرآن ص ٣٩٩ باب القاف طبعة مصطفى الحلبي تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني ١٣٨١هـ / ١٩٦١م.

(٤) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضع محمد فؤاد عبد الباقي دار ومطابع الشعب وانظر أيضًا معجم ألفاظ القرآن الكريم طبع مجمع اللغة العربية - القاهرة.

فَتُقْبَلُ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿١﴾.

لقد بين الله سبحانه أن ابني آدم<sup>(٢)</sup> قدما قرباناً وأن أحدهما قد تقبل منه ولم يتقبل من الآخر، دون أن يكون هناك نص صريح في سبب التنازع والخلاف بينهما ولذلك فإن للمفسرين في سبب وقوع المنازعة بين ابني آدم قولين أحدهما:

أن هابيل كان صاحب غنم، وقايل كان صاحب زرع، فقرب كل واحد منهما قرباناً فطلب هابيل أحسن شاة كانت في غنمه وجعلها قرباناً، وطلب قايل شر حنطة في زرعها فجعلها قرباناً، ثم تقرب كل واحد بقربانه إلى الله فنزلت نار من السماء فاحتملت قربان هابيل ولم تحمل قربان قايل، فعلم قايل أن الله تعالى قبل قربان أخيه ولم يقبل قربانه فحسده وقصد قتله.

والقول الثاني: ما روى أن آدم عليه السلام كان يولد له في كل بطن غلام وجارية وكان يزوج البنت من بطن بالغلام من بطن آخر، فولد له قايل وتوأمته، وبعدهما هابيل وتوأمته، وكانت توأمة قايل أحسن الناس وجهاً، فأراد آدم أن يزوجه من هابيل، فأبى قايل ذلك وقال أنا أحق بها، وهو أحق بأخته، وليس هذا من الله تعالى وإنما هو رأيك، فقال آدم عليه السلام لهما: قرباً قربانا فأيكما قبل قربانه زوجتها منه، فقبل الله تعالى قربان هابيل بأن أنزل الله تعالى على قربانه ناراً، فقتله قايل حسداً له<sup>(٣)</sup>.

ونقل ابن كثير القول الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما وبين أنه يقتضي أن

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) سنفرّد بإذن الله وعونه لقصة ابني آدم بحثاً خاصاً بها حول ورودها في سفر التكوين وبيان القول الحق فيها من القرآن الكريم.

(٣) راجع تفسير الفخر الرازي المسمى بمفاتيح الغيب جـ ١ ص ٢٠٣ - ٢٠٤، الطبعة الثالثة، دار إحياء التراث العربي بيروت.

تقريب القربان كان لا عن سبب ولا عن تدارئ في امرأة كما تقدم، وهو ظاهر القرآن (إذ قربا قربانا فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر قال لأقتلنك. قال إنما يتقبل الله من المتقين)، فالسياق يقتضى أنه إنما غضب عليه وحسده بقبول قربانه دونه<sup>(١)</sup>.

ثم إن المشهور - كما يقول ابن كثير أيضًا - عند الجمهور أن الذى قرب الشاة هو هابيل وأن الذى قرب الطعام هو قابيل وأنه تقبل من هابيل شاته حتى قال ابن عباس وغيره إنها الكبش الذى فدى به الذبيح وهو مناسب والله أعلم ولم يتقبل من قابيل، كذلك نص عليه غير واحد من السلف والخلف وهو المشهور عن مجاهد أيضًا، ولكن روى ابن جرير عنه أنه قال الذى قرب الزرع قابيل وهو المتقبل منه وهذا خلاف المشهور ولعله لم يحفظ عنه جيدًا والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

وفي الآية الثانية يقول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا يَفْتُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

في هذه الآية يبين الله تبارك وتعالى أن الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة أى اتخذوهم شفعاء متقربا بهم إلى الله حيث قالوا (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وقالوا (ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى) هؤلاء الذين فعلوا ذلك وأهلكهم الله هلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين عبدوهم واتخذوهم من دون الله آلهة وزعموا أنهم متقربون بعبادتهم إلى الله ليشفعوا لهم بل ضلوا عنهم أى غابوا عن نصرتهم وذلك إشارة إلى أن كون آلهتهم ناصرين لهم أمر ممتنع.

ثم قال تعالى (وذلك إفكهم) أى ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم إثر إفكهم الذى هو اتخاذهم إياهم آلهة وثمره شركهم وافتراءهم على الله الكذب ثم

(١) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤٣ دار التراث - القاهرة.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الأحقاف: ٢٨.

قال (وما كانوا يفترون) والتقدير وذلك إفكهم وافتراؤهم في إثبات الشركاء لله تعالى<sup>(١)</sup>.

وفي الآية الثالثة يقول الله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عَهْدَ إِلَيْنَا إِلَّا نُؤْمِنُ بِرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِينَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِي بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

يذكر المفسرون أن هذه الآية نزلت في بعض اليهود حين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا له: أتزعم أن الله أرسلك إلينا وأنه أنزل علينا كتاباً عهد إلينا فيه ألا نؤمن لرسول يزعم أنه من عند الله حتى يأتينا بقربان تأكله النار، فإن جئتنا به صدقناك<sup>(٣)</sup>.

يذكر الطبري أنهم قالوا "حتى يأتينا بقربان تأكله النار" لأن أكل النار ما قربه أحدهم لله في ذلك الزمان كان دليلاً على قبول الله منه ما قرب له، ودلالة على صدق المقرب فيما ادعى أنه محق فيما نازع أو قال<sup>(٤)</sup>، ونقل عن بعض الآثار أن الرجل كان إذا تصدق بصدقة فتقبلت منه، بعث الله ناراً من السماء فنزلت على قربان فأكلته<sup>(٥)</sup>.

وقد رد المفسرون على هذا الادعاء الوارد في الآية الكريمة من اليهود بقولين:

الأول: أن ما ورد في التوراة كان "من جاءكم يزعم أنه نبي فلا تصدقوه حتى يأتيكم بقربان تأكله النار إلا المسيح ومحمدًا عليهما السلام، فإنهما إذا أتيا فآمنوا بهما فإنهما يأتيان بغير قربان تأكله النار"<sup>(٦)</sup>.

(١) راجع تفسير الفخر الرازي جـ ٢٨ ص ٣٠ وتفسير أبي السعود جـ ٨ ص ٨٧ نشر دار المصنف بالأزهر - القاهرة.

(٢) آل عمران: ١٨٣.

(٣) تفسير الفخر الرازي جـ ٩ ص ١٢١ تفسير القرطبي جـ ٤ ص ٢٩٥ نشر دار الكتاب العربي نسخة مصورة عن دار الكتب المصرية ١٩٦٧ م.

(٤) تفسير الطبري جـ ٧ ص ٤٤٨ نشر دار المعارف تحقيق وتعليق محمود محمد شاكر الطبعة الثانية.

(٥) المصدر السابق جـ ٧ ص ٤٤٩ تفسير الفخر الرازي جـ ٩ ص ١٢١ تفسير الألوسي جـ ٤ ص ١٤٤ نشر دار التراث بالقاهرة.

(٦) تفسير القرطبي جـ ٤ ص ٤٩٥ التفسير الكبير جـ ٩ ص ١٢١.

الثانى: أنه قيل إن أمر القرابين كان ثابتاً إلى أن نسخت على لسان عيسى بن مريم، فقد بقيت قائمة إلى مبعثه فلما بعث ارتفعت وزالت<sup>(١)</sup>.

ورد الله عليهم فقال تعالى لنبيه ﷺ [قل يا أيها النبى للقائلين: إن الله عهد إلينا] ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار قد جاءكم رسل من قبلى بالبينات، يعنى: بالحجج الدالة على صدق نبوتهم وحقيقة قولهم = وبالذى قلتهم "يعنى: وبالذى ادعيتهم أنه إذا جاء به لزمكم تصديقه والإقرار بنبوته، من أكل النار قربانه إذا قرب لله دلالة على صدقه = فلم قتلتموهم وأنتم مقرون بأن الذى جاءوكم به من ذلك كان حجة لهم عليكم = "إن كنتم صادقين، فى أن الله عهد إليكم أن تؤمنوا بمن أتاكم من رسله بقربان تأكله النار حجة له على نبوته"<sup>(٢)</sup>.

وبذلك فقد ظهر سقوط شبهة الطاعنين فى نبوته ﷺ والذى يقولون فيها إن الله عهد إلينا أن لا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار، وأنت يا محمد ما فعلت ذلك فوجب أن لا تكون من الأنبياء، وثبت أن هذا القول دعوى من اليهود، إذ كان ثم استثناء فأخفوه، أو نسخ، فكانوا فى تمسكهم بذلك متعتين، ومعجزات النبى ﷺ دليل قاطع فى إبطال دعواهم وكذلك معجزات عيسى، ومن وجب صدقه وجب تصديقه<sup>(٣)</sup>.

وإذ كان المفسرون قد ذكروا أن اليهود فى قولهم "ألا نؤمن لرسول حتى يأتينا بقربان تأكله النار" إنما أرادوا شيئاً كان شائعاً عندهم، وهو أن يذبح القربان من النعم أو غيرها فيوضع فى مكان معين فتأتى نار بيضاء من السماء لها دوى فتأخذه أو تحرقه، إذا كانوا قد ذكروا ذلك فإن الشيخ محمد رشيد رضا يرى أن هذا من الإسرائيليات وأن اليهود كانوا يلقون إلى المسلمين أخباراً من خرافاتهم أو

(١) المصدران السابقان.

(٢) تفسير القرطبى جـ ٧ ص ٤٤٩ روح المعانى جـ ٤ ص ١٤٤.

(٣) راجع تفصيل ذلك فى التفسير الكبير جـ ٩ ص ١٢٠ - ١٢٣ وتفسير القرطبى جـ ٤ ص ٢٩٦.

مخترعاتهم ليودعوها كتبهم ويمزجوها بدينهم، وأنهم كانوا يوقدون النار بأيديهم ويحرقون بها المحرقات<sup>(١)</sup>.

وينقل عن الإمام محمد عبده تعليقه على ما قاله المفسرون بقوله: ويجوز وهو الأظهر أن يكون معنى (حتى يأتينا بقربان تأكله النار) أن يفرض علينا تقريب قربان يحرق بالنار فقد كان من أحكام الشريعة عندهم أن يحرقوا بعض القربان، وقد أمر الله تعالى نبيه أن يرد عليهم فقال (قل قد جاءكم في زعمكم أنكم لا تؤمنون بى لأنى لم آمر بإحراق القرابين، أى إنكم لم ترضوا بعصيان أولئك الرسل فقط بل قسوتهم عليهم وقتلتموهم<sup>(٢)</sup>).

وهذا يقتضينا أن نشير إلى القرابين عند اليهود ونتعرف عليها من خلال أسفارهم.

---

(١) راجع تفسير المنار جـ ٤ ص ٢١٨-٢١٩ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٢) المصدر السابق ص ٢١٩-٢٢٠.



## القرايين عند اليهود

جاء في قاموس الكتاب المقدس أن القربان كان جزءًا هامًا من عبادة العبرانيين بل إنه رافق عبادتهم منذ نشأتها وأن أول عبادة ذكرت في التوراة كانت بالقرايين وهى عبادة قابيل وهايل<sup>(١)</sup>.

ويذكر زكى شنوده أن تقديم القرايين كان طقسًا رئيسًا في عبادة اليهود فكانوا يقدمونها لله تعبيرًا عن اعترافهم بخطاياهم، أو تكفيرهم عنها، أو توبتهم عن ارتكابها، أو شكرهم لله، أو تكريس أنفسهم لخدمته، أو غير ذلك من الأسباب والأغراض<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد في بعض الأسفار الخمسة نظام مفصل لتقديم القرايين، وقصر اليهود تقديمها على الكهنة وحدهم ويعاونهم اللاويون في بعض الأمور<sup>(٣)</sup>.

وكانت قراييتهم تشمل المحرقات والذبائح والرفائح والعشور والندور، وكانوا

---

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٢١ تأليف نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين بإشراف الدكتور بطرس عبد الملك وآخرين منشورات مكتبة المشعل في بيروت ١٩٨١ م.

(٢) المجتمع اليهودى ص ١٨٥ نشر مكتبة الخانجي بالقاهرة.

(٣) راجع أسفار الخروج، اللاويين، العدد، التثنية، والفرق بين الكهنة واللاويين أن الكهنة كانوا من نسل هارون فقط، وأما اللاويون فهم من نسل أو سبط لاوى بن يعقوب والذى منه موسى وهارون وكان اللاويون متوسطين بين الكهنة وسائر الشعب فلم يكن يجوز لهم كالكهنة أن يقدموا الذبائح وإنما كانوا مختصين بمساعدتهم في الخدمة الدينية.

راجع تفاصيل ذلك في قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩١ - ٧٩٤، ٨٠٦ - ٨٠٨ المجتمع اليهودى ص ١٢٧ - ١٦١.

يقدمونها من الحيوانات المستأنسة الطاهرة ومن الحبوب كالقمح والشعير، ومن بعض السوائل النباتية كالزيت والخمر<sup>(١)</sup>.

وكان من الذبائح نوع يقدم كله إلى الله، ونوع آخر يخصص قسم منه لله، والقسم الآخر للكهنة وحدهم، أو بالاشتراك مع العابدين الذين يقدمونها.

فكان النوع الأول الذى يقدم كله لله هو المحرقات جاء فى سفر اللاويين:

إذا قرب إنسان منكم قربانا للرب من البهائم فمن البقر والغنم تقربون قرايينكم إن كان قربانه محرقة من البقر... وإن كان قربانه من الغنم..... ويوقد الكاهن الجميع على المذبح محرقة وقود رائحة سرور للرب<sup>(٢)</sup>.

وكان الشحم من كل الذبائح يقدم لله، جاء فى سفر اللاويين "ويقرب من ذبيحة السلامة وقوداً للرب الشحم الذى يغشى الأحشاء وسائر الشحم الذى على الأحشاء والكليتين والشحم الذى عليهما الذى على الخاصرتين.

ويوقد بنو هارون على المحرقة التى فوق الحطب الذى على النار وقود رائحة سرور للرب<sup>(٣)</sup>.

وكان النوع الثانى هو الذبائح التى يقدمها الشعب احتفالاً بالعيد، كذبيحة السلامة، إذ كان الكاهن يأخذ منها الصدر فيرده أمام الله، والساق اليمنى التى يسمونها ساق الرفيعة، وأما الذى يتبقى من الذبيحة فيأخذه أصحابها الذين قدموها<sup>(٤)</sup>.

هذا وقد قضت شريعة اليهود بتقديم القرابين بأنواعها المختلفة، لتذكير اليهود بخطاياهم، وللتكفير عنها إرضاء لقداسة الله التى ترفض الخطيئة، ولكن اليهود

---

(١) راجع المجتمع اليهودى ص ١٨٥ - ١٨٦ قاموس الكتاب المقدس ص ٧٢١.

(٢) راجع سفر اللاويين: الاصحاحات الثلاثة الأولى الخاصة بالمحركات من القرابين الحيوانية والنباتية.

(٣) اللاويين ٣: ٣ - ٥.

(٤) المجتمع اليهودى ص ١٨٨.

اتخذوها على العكس مبررًا لارتكاب الخطايا، ما داموا يستطيعون بالقرايين التكفير عنها واجتناب القصاص الذى تستوجهه، ناظرين إلى هذه الطقوس من ناحيتها الشكلية فحسب، معتقدين أن مجرد القيام بها يغنى عن الحكمة المقصودة من ورائها، ومن ثم أهملوا كل الواجبات الروحية والأدبية والإنسانية التى هى جوهر الدين<sup>(١)</sup>.

وحينما أخذ الكهنة وعامة الناس ينظرون إلى القرايين من الناحية الطقسية فقط ويظنون أن الدين مجرد طقوس، قام الأنبياء المذكورون فى العهد القديم ينددون بهذا النقص<sup>(٢)</sup> من أمثال صموئيل وأشعيا وهوشع وعاموس.

فهذا صموئيل يقول: لشاول الملك: هل مسرة الرب بالمحرقات والذبائح كما باستماع صوت الرب، هو ذا الاستماع أفضل من الذبيحة والإصغاء أفضل من شحم الكباش!! لأن التمرد كخطية العرافة والعناد كالوثن والترفيم<sup>(٣)</sup>، لأنك رفضت كلام الرب رفضك من الملك<sup>(٤)</sup>.

ويقول أشعيا "لماذا لى كثرة ذبائحكم يقول الرب. أتخمت من محرقات كباش وشحم مسمنات. وبدم عجول وخرفان وتيوس ما أسر،..... لا تعودوا تأتون بتقدمة باطلة. البخور هو مكرهة لى،..... لست أطيق الإثم والاعتكاف. رءوس شهوركى وأعيادكم بغضتها نفسى، صارت على ثقلًا، مللت حملها، فحين تبسطون أيديكم أستر عيني عنكم، وإن كثرت الصلاة لا أسمع، أيديكم ملآنة دمًا، اغتسلوا تنقوا اعزلوا شر أفعالكم من أمام عيني كفوا عن

---

(١) زكى شنوده: المجتمع اليهودى ص ١٩٩.

(٢) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٧٢٣.

(٣) تطلق الترافيم على أصنام أو آلهة البيت وتكون صغيرة جدًا لسهولة حملها فى الهروب بسرعة ويمكن إخفاؤها، راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٢١٤ - ٢١٥.

(٤) صموئيل الأول ١٥: ٢٢ - ٢٣.

فعل الشر، تعلموا فعل الخير، اطلبوا الحق، انصفوا المظلوم، اقصوا لليتيم، حاموا عن الأرملة<sup>(١)</sup>.

ويقول هوشع "إنى أريد رحمة لا ذبيحة ومعرفة الله أكثر من محرقات" ويقصد هوشع - كما يقول متى هنرى - بالرحمة الصلاح والتقوى والطهارة فهى تمثل كل التدين العملى<sup>(٢)</sup>.

وجاء فى سفر عاموس "بغضت كرهت أعيادكم ولست ألتذ باعتكافاتكم إنى إذا قدمتم لى محرقاتكم وتقدماتكم لا أرتضى، وذبائح السلامة من مسمناتكم لا ألتفت إليها، أبعد عني ضجة أغانيك ونغمة ربابك لا أسمع، وليجر الحق كال مياه والبر كنهر دائم"<sup>(٣)</sup>.

فقد تحدث عاموس فى سفره كثيرًا عن أعياد اليهود ومحافلهم المقدسة وعن المحرقات والتقدمات وذبائح السلامة والأغانى ونغم الرباب ورأى عاموس تدينًا كثيرًا فى كل مكان ذهب إليه، بينما التجار يستعملون موازين الغش فى الأسواق، والقضاة يأخذون الرشوة وأصحاب الأراضى يتقسمون على حساب العمال، وقد انتزعت المحبة والرحمة تمامًا، ولأجل ذلك كانت ديانتهم باطلة بل كانت تمردًا وعصيانًا ضد الله<sup>(٤)</sup>.

وهكذا كان اليهود يجعلون للطقوس الدينية - والقرايين بشكل خاص - الأهمية الأولى فى عبادتهم لله، مكتفين بناحيتهما الشكلية، مع أن المقصود منها - فيما يقول زكى شنوده - أن تكون مجرد رموز أو مظاهر للعبادة الحقيقية، التى فى جوهرها اتجاه الروح نحو الله وحبها له، وخضوعها لمشيئته، ونزوعها إلى عفوه وغفرانه وتطلعها إلى درجة من الطهارة والقداسة تتيح لها أن تكون مستحقة لأن تقترب منه وتنال رضاه.

(١) أشعياء ١: ١١ - ١٧.

(٢) تفسير هوشع ص ١٦٦ دار الثقافة ١٩٨٠ م.

(٣) عاموس ٥: ٢١ - ٢٤.

(٤) القس عاموس عبد المسيح دراسة فى عاموس ص ١١٩ - ١٢١ - نشر دار الثقافة ١٩٧٩ م.

ولكن اليهود قنعوا بالمظهر دون الجوهر، لأنهم اعتقدوا أن استيفاء المظهر كاف لتبرير خطاياهم وإعفائهم من عواقب آثامهم، وقد كانت الخطايا والآثام عزيزة عليهم بحيث كانوا عاجزين عن اجتنابها أو التخلي عنها، ولو أدى بهم ذلك إلى إغضاب ربهم، بل وإلى تجنبهم إياه وتخليهم عن عبادته، ولهذا السبب كانوا في كل أطوار تاريخهم لا يعبدون الله وإنما يعبدون الأصنام<sup>(١)</sup>.

---

(١) المجتمع اليهودي ص ٢١٦. ولمعرفة الاتجاه الوثني عند اليهود ومدى تأثيرهم بالوثنيين في عقائدهم وعباداتهم راجع رسالتي للدكتوراه "تأثر اليهودية بالأديان القديمة" فهي تحتوى على اتصال اليهود بالشعوب الوثنية، وعوامل تأثيرهم بالوثنية، ومظاهر هذا التأثير المتمثلة في العقائد والقصص الديني والأساطير، وتدوين الكتب وتأليف الأسفار.



## اعتقاد الوثنيين أن الآلهة تنال وتتغذى من قربانهم

هذا، وقد كان يعتقد قديمًا أن الآلهة المتقرب إليهم يستفيدون ماديًا من الضحايا والقرايين، حيث ساد الاعتقاد عند بعض الأمم أن الآلهة تتفعل في غذائها بلحوم الأضاحي أو بلحوم بعض أعضائها.

ولذلك يحرم عند هذه الأمم أكل الناس منها جميعًا أو بعضها، واعتقد بعض الشعوب التي كانت تقدم الضحايا الإنسانية والقرايين البشرية قربانًا للآلهة والموتى أن المتقرب إليهم يتخذون من هذه الضحايا وتلك القرايين عبيدًا وخدمًا لهم يسخرونهم في قضاء حاجاتهم.

ووصمت بعض الأمم آلهتها بصفات القسوة وحب الدماء والتلذذ بمنظر إزهاق الروح. فكانوا يقدمون إليها الضحايا أو القرايين تهديّة لهذه الميول وإتقاء لشرها وتأمينًا على حياة الجماعات، كما يقدم صاحب القطيع بعض أفراد قطيعه للسبع لينجو هو ببقية أفراد القطيع<sup>(١)</sup>.

ففى بلاد الرافدين قديمًا نجد أن كثيرًا من الآلهة كانت تسكن المعابد فى سومر حيث يقرب لها الوثنيون القرايين من مال وطعام وأزواج، وتنص ألواح جوديا على الأشياء التى ترتاح لها الآلهة وتفضلها عن غيرها، ومنها الثيران، والمعز، والضأن،

---

(١) راجع د/ على عبد الواحد وافى غرائب النظم والتقاليد والعادات ص ٨٠ دار نهضة مصر للطباعة والنشر للطباعة، بحوث فى الإسلام والاجتماع ص ١٢٠ دار نهضة مصر.

واليمام، والدجاج، والبط، والسمك، والبلح، والتين، والخيار، والزبد، والزيت، والكعك.

ويستدل ول ديورانت من هذا الثبت على أن الموسرين من أهل البلاد كانوا يتمتعون بالكثير من أصناف الطعام وأن الكهنة قد أثروا ثراء ضخماً من هذه القرايين حتى أصبحوا أكثر الطبقات مالا وأعظمها قوة في المدن السومرية، وحتى كانوا هم الحكام المتصرفين في كل الشؤون<sup>(١)</sup>.

ويذكر موسكاتي أن طقوس أرض الرافدين كانت بالغة التعقيد، حيث كانت تشمل على تفصيلات محددة في صرامة ودقة، وأن تقديم القرايين كان أشيع هذه الطقوس الدينية وأغلبها في الاستعمال.

ويذكر أن القرايين كانت تقدم في الغالب من الحيوانات والسوائل وكان الحمل والجدى أكثر الحيوانات استعمالاً في هذا الصدد، وكان النبيذ والجة واللبن والعسل والزيت أكثر السوائل استعمالاً، وكان القربان من الأضاحي أو غيرها يوضع على مذبح أمام تمثال الإله أو الآلهة، ويبدأ الحفل الديني بالصلوات تصحبها بعض الطقوس العملية والرش بالماء المقدس، وكان أجزاء معينة من القرايين، مخصصة للإله أو الآلهة تحرق (أو تسكب) تكريماً له أو لها، وكانت أجزاء أخرى تؤول إلى الكهنة<sup>(٢)</sup>.

وكانت تقدم للتماثيل الإلهية - عند البابليين - وجبتان من الطعام كل يوم في معبد أورك، تقدم الوجبة الأولى الرئيسة في الصباح عند فتح المعبد، وتقدم الوجبة الثانية في المساء، واشتملت كل وجبة على وجبتين من الطعام هما "الرئيسة" و"الثانوية" ويبدو أنهما اختلفتا بالكميات المقدمة وليس بمحتوياتهما.

---

(١) راجع الشرق الأدنى ص ٢٩ الجزء الثاني من المجلد الأول من قصة الحضارة ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧١ م.

(٢) راجع سبتينوموسكاتي. الحضارات السامية القديمة ص ٨٠ - ٨١ ترجمة د/ السيد يعقوب بكر نشر دار الرقي بيروت ١٩٨٦ م.

وتظهر رسمية وطبيعة وعدد أواني وجبة الإله التي اتصفت بها تماثيل آلهة بلاد ما بين النهرين نفس قدرات الإنسان<sup>(١)</sup>.

وكانت توضع منضدة أمام تماثيل الإله، ويقدم ماء الغسيل في إناء، وتوضع عدد من الأواني على المنضدة بترتيب وهي تحتوى على سائل وشبه سائل، إضافة إلى وضع أوان تحتوى على شراب، وتقدم شرائح اللحم كوجبة رئيسية. ثم تجلب الفاكهة إلى الداخل، ثم يتم حرق البخور لتشتت رائحة الطعام، وعند الانتهاء من وجبة الطعام الرئيسية تنظف المائدة وترفع من الغرفة ويقدم ماء موضوع في إناء إلى تماثيل الإله لتنظيف الأصابع<sup>(٢)</sup>.

وبالتطلع إلى القربان من وجهة النظر الدينية - كما يقول ليوا وينهايم - يكون هناك اقتراب نحو مركز نقطة خطيرة أخرى في ذلك النظام المتداول واقتراب نحو استهلاك وجبة الطعام القربانية من قبل الإله، واقتراب نحو الاعتقاد الدينى لتلك التقديرات للمادة التي قدمت لذلك المصدر ذى القوة والسلطة والتي اعتقد بأن الإله بحاجة إليها<sup>(٣)</sup>.

ولقد تطور نمط طقوسى متميز في بلاد ما بين النهرين لكى يوضح الطبيعة الخفية لعملية تمثيل الطعام من قبل تماثيل الإله، حيث كانت تحاط المائدة التي يوضع عليها الطعام، وكذلك يحاط تماثيل الإله بستائر من الكتان ترفع في الوقت الذى يفترض فيه أن يأكل الإله ما كان يقدم إليه، وترفع الستائر بعد انتهاء الوجبة ثم تسحب مرة أخرى عندما يغسل الإله أصابعه - وكان أى اتصال بين العالم المادى وعالم الإله مخفياً عن عيون البشر<sup>(٤)</sup>.

---

(١) راجع ليوا وينهايم: بلاد ما بين النهرين ص ٢٣٥ ترجمة سعدى فيضى عبد الرازق دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٦ م.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٥ - ٢٣٦.

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٩.

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٠.



وكان تقريب القربان في بابل من الطقوس المعقدة التي تتطلب خدمات كاهن خبير بشؤونها، وكانت التقاليد المتوارثة تقرر كل عمل يعمل، وكل لفظ يقال، فإذا أقدم على هذا العمل شخص هاوٍ غير أخصائي فيه، ثم حاد قيد شعرة عن المراسم المقررة، فقد يكون معنى هذا أن تأكل الآلهة الطعام ولا تصغى للدعاء<sup>(١)</sup>.

وفي مصر القديمة كانوا يحتفلون بتقديم القرابين: فوجبة الصباح التي تقدم للإله كانت تعد في وقتها المحدد فترى الخدم ينطلقون في المجاز إلى جانب القدس وبأيديهم صحاف رصت عليها ألوان الزهر والفاكهة، وفوق رؤوسهم المرتفعة في اتزان دقيق أحمال ثقيلة من الخبز أو اللحوم التي يشتهيها الإله، وجرار الجعة أو النبيذ التي سوف تروى ظمأه.

ويمضي ذلك الموكب متقدماً إلى القدس يقوده كاهن يرتل بعض الأناشيد وتفتح أبوابه واحداً بعد الآخر، وعند تقديم الطعام إلى رب المعبد ترتفع الأصوات داعية إياه أن يتقبلها.

وحين يبلغ الموكب رحبة المذبح التي تتوسط المعبد بالقرب من قدس الأقداس، يتوقف هذا المسير فيضع الخدم الصحاف على الموائد والمذابح، وينزلون جرار الشراب على حوامل تبلغ في ارتفاعها النصف الأسفل من أجسادهم النحيفة ناثرين بين القرابين المتنوعة ألواناً من الزهر والنبات الغض.

وينسحب حاملو القرابين، فيأخذ الكهنة في تطهيرها يرشونها بالماء، ويحرقون من حولها البخور<sup>(٢)</sup>.

وتظل القرابين موضوعة فوق المذابح إلى أن يرضى الإله فيقبل الاستمتاع بها، وهنا يجيء الكاهن فيرفع صحيفة الأمس الموضوعة في القدس، ثم يمضي ليملاؤها من قاعة المذبح بالخبز والفطائر الحلوة الطازجة.

(١) ول ديورانت الشرق الأدنى ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

(٢) سيرج سونيرون: كهان مصر القديمة ص ٨٨ ترجمة زينب الكردى مراجعة د/ أحمد بدوى، نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م.

وكانت تلك المجموعة الرمزية فقط هى التى تقرب من الإله لتمثل مجموعة اللحوم والحلوى والخضر والفاكهة التى تغص بها الموائد<sup>(١)</sup>.

وحين يخال القوم - بعد وقت محدد - أن الإله قد شبع وشبعت معه أرباب أخرى من بلاطه فى معبده، توضع القرابين على المذابح أمام تماثيل ذوى المقامات العلامن حظوا بشرف إقامة تماثيلهم داخل النطاق المقدس، ثم ترد بعدئذ إلى المعامل حيث توزع طبقاً لنظام محدد بين مختلف كهان المعبد.

وهكذا كان يعيش السدنة الدينيون من تلك القرابين المخصصة للإله مستمتعين بحقيقتها المادية بعد ما شبعت روح الإله وأرواح الموتى فى زعمهم بجوهرها الروحي<sup>(٢)</sup>.

ويذكر ول ديورانت أن الكهنة فى مصر القديمة كانوا يحصلون على طعامهم وشرابهم من القرابين التى كانت تقدم للآلهة، كما كانت لهم موارد عظيمة من إيرادات طيان الهياكل، ومن صلواتهم وخدماتهم الدينية، وقد تطلب الدين المصرى الكثير التعقيد أن تقوم عليه طبقة بارعة فى فنون السحر والطقوس الدينية لا يمكن الاستغناء عن قدرتها وبراعتها فى الوصول إلى الآلهة، ومن ثم أصبحت طبقة الكهنة على مر الزمن أعظم ثراء وأقوى سلطاناً من أمراء الإقطاع ومن الأسرة المالكة نفسها<sup>(٣)</sup>.

---

(١) المصدر السابق ص ٩١ - ٩٢.

(٢) المصدر السابق ص ٩٢.

(٣) الشرق الأدنى ص ١٦١.

## اعتقاد اليهود أن الله ينال من قرابينهم

وإذا كان الكهنة قد تمكنوا من خداع الناس في هذه الديانات الوثنية حتى أوهموهم بأن الآلهة تأكل وتشرب وتحتاج إلى طعام وشراب ولا بد من إمدادها بالغذاء بشكل مطرد ومنظم، ثم تفرغ هذه الأطعمة الكثيرة وتلك الأشربة المتنوعة التي أشرنا إليها آنفاً في بطون هؤلاء الكهنة الدجالين.

إذا كان هذا قد تم في الديانات الوثنية فإنه أيضاً قد وقع من اليهود في الفترات التي كانوا يجاورون فيها الوثنيين ويتأثرون بوثنيتهم ويارسون طقوسهم، وتغلب عليهم طبيعتهم المادية ويسود لديهم اتجاههم الوثني المنبعث من تكوينهم الداخلي وبما جبلوا عليه من ميل إلى الشرك والوثنيات وضعفهم أمام الشعوب الوثنية وسرعة تأثرهم بهم وسهولة تقليدهم.

فالقرايين والضحايا كما وردت أحكامها في كتب التوراة والتلمود - فيما يذكر الأستاذ العقاد - تحمل في أطوارها كل بقايا التضحية للأرباب، في الأديان التي قامت على عبادة الظواهر الطبيعية، ولا سيما ظواهر الفصول ومواسم الزراعة، فالقربان عندهم يكون تارة من بواكير الزرع وتارة من بواكير الحيوان في مواسم الحصاد أو التناج<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع عباس محمود العقاد: الضحية في مقارنة الأديان بحث منشور بمجلة منبر الإسلام ص ١٥ عدد ذى الحجة ١٨٣٢هـ / مايو ١٩٦٣م.

بل يكون القربان الأكبر أحياناً طعاماً مقدماً إلى الإله لأنه يستسيغه ويشعر بالسرور لاشتغاله، ويكون في كل حال هدية منتقاة من أطيب الذبيحة لكهان الهيكل وخدامه والمنتسبين إليه<sup>(١)</sup>.

فتوارتهم المزعومة تنص على أن الضحايا "المحرقة" (وهي التي تحرق أجزاؤها في المذبح تحت إشراف الكهنة ومعهم اللاويون) (وقد سبق أن تحدثنا عنهم)، يرتاح لها الإله ويفيد منها ويتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها، وإنه يغضب كل الغضب إذا لم تقدم إليه أو إذا قدمت إليه في صورة غير الصورة في شريعتهم، وأنه قد يصب حينئذ سوط عذابه على المقصرين فيرسل عليهم ناراً تحرقهم، كما فعل مع ولدين من أولاد هارون لم يحسنا تقديم الأضحية إليه.

ومن ثم كانت طريقة حرق الأضحية وتصاعد دخانها هي الطريقة المقررة لديهم في معظم أنواع الأضحية والقرايين، حتى في قرايين النبات وما يصنع منه كالفطائر وما إليها<sup>(٢)</sup>.

ويرى لبوا وينهايم أن حرق القرايين كان بهدف تبديلها من ناحية واحدة - ناحية الوجود المادى - إلى أخرى التي أصبح الطعام فيها قابلاً للامتصاص من قبل الإله عن طريق رائحته<sup>(٣)</sup>.

ويذكر العقاد أن سفر اللاويين الذى خصوه بمراسم الهيكل والذبائح وحقوق الأحرار والكهان حافل بالتفصيلات التى تعرض لبيان أغراض القربان وأجزاء الذبيحة التى يرتضيها الرب ومقادير اللحم والشحم التى تفضل

---

(١) المصدر السابق.

(٢) د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص ٣٩ دار نهضة مصر للطباعة والنشر الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ٣٠ - ٣١ دار نهضة مصر.

(٣) بلاد ما بين النهرين ص ٢٤٠.

على غيرها ولا تحل لأحد غير الكهنة أو غير الإله يتوسط الكهنة في تقديمها إليه<sup>(١)</sup>.

ويرى أن معنى القربان - البدائي والوثني - ظاهر من هذه المراسم وهذه الخصائص التي ترتبط بالكهانة وبقايا الوثنية<sup>(٢)</sup>.

---

(١) هذا ويطلق الكاهن في اصطلاح الكتاب المقدس على الشخص المخصص لتقديم الذبائح وكان من أهم واجبات الكهنة تقديم القرابين والذبائح اليومية والأسبوعية والشهرية والسنوية والخدمة في الاحتفالات الدينية والتطهر، والعناية بالآنية المقدسة والنار المقدسة، والمنازة الذهبية، وغيرها - وكانوا - حسب ما ورد في شريعة الأسفار الخمسة - يستولون على عشر الأعشار المقررة للقرابين، ولهم فداء الأبقار والرفائع، وباكورات المحصولات، وجزء من غنيمة الحرب، وخبز الوجوه ولحم التقدّمات المقدمة أثناء خدمتهم في الهيكل، وبالرغم من كل الامتيازات التي قررتها الشريعة لهم لم يلبثوا أن أهملوا واجباتهم الكهنوتية، بل لم يلبثوا أن انحرفوا عن الأخلاق القويمة والصفات الكريمة التي ينبغي أن يتحلوا بها، فضربوا أسوأ الأمثال للشعب متخذين من مهمتهم سبيلاً إلى إشباع جشعهم وطمعهم وإرضاء شهواتهم الجسدية ونزواتهم البهيمية بعد أن أصبحت لهم ثروات عظيمة من وراء كل الامتيازات المعطاة لهم والمنافع المخصصة لطائفتهم بل لقد تركوا الله وعبدوا الأصنام جاعلين من أنفسهم كهنة لها، راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٧٩١ - ٧٩٥ زكى شنوده: المجتمع اليهودي ص ١٣٨ - ١٥٥.

(٢) الضحية في مقارنة الأديان ص ١٥ - ١٦.

## قضاء الإسلام على معتقدات الوثنيين واليهود

وحينما جاء الإسلام قضى على جميع هذه الأساطير وتلك الخرافات التى أشرنا إليها والتى شاعت عند الوثنيين، ففضى على جميع مظاهر الانحراف فى نظام الأضحية والقرايين وما التصق به من عقائد فى الملل والنحل السابقة له وبخاصة عند اليهود والعرب فى الجاهلية.

فقد جعل الإسلام الأضحية مجرد مظهر من مظاهر تقوى الله وامتنال أوامره وشكره على نعمائه التى أسبغها على عباده، وبخاصة على ما رزقهم من بهيمة الأنعام، وفرصة للإحسان والتوسعة والبر بالفقراء والمساكين.

وفى هذا يقول الله تعالى مبيناً بعض مناسك الحج وما ينحر فيها من ضحايا ﴿وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَّعْلُومَةٍ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْبَاسِ الْفَقِيرِ ﴿٢٨﴾﴾<sup>(١)</sup>.

ويقرر الإسلام أن الله تعالى لا يناله شىء من لحوم الأضاحى ولا من دمائها فيقول سبحانه ﴿وَالْبُدْنَ جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا حَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ الْقَانِعِ وَالْمُعْتَرِّ كَذَلِكَ سَخَّرْنَاهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ

(١) الحج: ٢٧- ٢٨.

يَنَالُهُ الْقَوَىٰ مِنْكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰكُمْ ۚ وَبَشِّرِ  
الْمُحْسِنِينَ ﴿١﴾.

وفي هذا رد صريح على ما كان يزعمه اليهود وغيرهم من الوثنيين من أن الرب أو الإله يفيد من الضحايا لحومها ودمائها ويتعش من رائحة الدخان المتصاعد من حرقها وأنه لذلك لا يصح أن يأكل الناس منها حتى تكون خالصة له (٢).

فإذا ما قورنت مراسم التضحية اليهودية وطقوسها بما يقابلها من مناسك التضحية الإسلامية تبين منها كل ما هنالك من الفوارق الشاسعة بين صفة القربان ومعناه في الديانتين.

فليس القربان في الإسلام ثمنًا للغفران متعلقًا بواسطة الهيكل وكهانه وليس القربان الإسلامي طعامًا للرب ولا طعامًا لأحد من الوسطاء بين العبد وربّه باسم الدين (٣).

وليس في التضحية الإسلامية معنى من معانى التقريب للظواهر الطبيعية في مواسمها المعروفة للحصاد أو للنتاج.

وآيات القرآن الكريم الواردة في هذا الشأن صريحة في بيان أغراض التقريب ومراسمه وتنزيه الإله عن النيل منه طعامًا أو شميمًا يرتاح إليه سبحانه وتعالى (٤).

---

(١) الحج: ٣٦-٣٧.

(٢) د/ على عبد الواحد وافي: بحوث في الإسلام والاجتماع ص ١٣٠ اليهودية واليهود ص ٣٩ - ٤٠ الأسفار المقدسة ص ٣١.

(٣) يذكر العقاد أن عبادات الإسلام قد امتازت بين عبادات الأديان بمزية لا نظير لها في أرفعها وأرقاها بالنظر إلى حقيقتها أو بالنظر إلى جماهير المتدينين بها، وتلك ميزته البيئة التي يرمى بها استقلال الفرد في مسائل الضمير رعاية تتحقق لها في نظام حياة، فالعبادات الإسلامية بأجمعها تكليف لضمير الإنسان وحده لا يتوقف على توسيط هيكل أو تقرب كهانه (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه ص ١٠١ دار نهضة مصر للطبع والنشر.

(٤) الضحية في مقارنة الأديان ص ١٦.

يذكر ابن كثير أن الله تعالى يقول إنما شرع لكم نحر هذه الهدايا والضحايا لتذكروه عند ذبحها فإنه الخالق الرازق لا يناله شيء من لحومها ولا دمائها فإنه تعالى هو الغني عما سواه وقد كان العرب في جاهليتهم إذا ذبحوا لآلهتهم وضعوا عليها من لحوم قرابينهم ونضحوا عليها من دمائها فقال تعالى (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها)، ونقل عن ابن جريج قوله إن أهل الجاهلية كانوا ينضحون البيت بلحوم الإبل ودمائها فقال أصحاب رسول الله ﷺ فنحن أحق أن ننضح فأنزل الله (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم) أى يتقبل ذلك ويجزى عليه كما جاء في الصحيح "إن الله لا ينظر إلى صوركم ولا إلى ألوانكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم"<sup>(١)</sup>.

ويقول الفخر الرازى "لما كانت عادة أهل الجاهلية على ما روى في القرابين أنهم يلوثون بدمائها ولحومها الوثن وحيطان الكعبة بين تعالى ما هو القصد من النحر فقال (لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم).

فبين أن الذى يصل إليه تعالى ويرتفع إليه من صنع المهدى من قوله ونحره وما شاكله من فرائضه هو تقوى الله دون نفس اللحم والدم، ومعلوم أن شيئاً من الأشياء لا يوصف بأنه يناله سبحانه فالمراد وصول ذلك إلى حيث يكتب يدل عليه قوله تعالى (إليه يصعد الكلم الطيب).

وارتضى الرازى ما استدل به المعتزلة من هذه الآية على أن الذى ينتفع به المرء فعله دون الجسم الذى ينتفع بنحره وأنه سبحانه غنى عن كل ذلك، وإنما المراد أن يجتهد العبد فى امتثال أوامره<sup>(٢)</sup>.

فالقربان الإسلامى أو التضحية فى الإسلام بعيدة غاية البعد عن مراسم الوثنية وشعائر الكهانة، وليس على المسلم أن يقربها إلى الله ثمناً للغفران ولكنه

(١) تفسير القرآن العظيم جـ ٣ ص ٢٢٣ - ٢٢٤.

(٢) تفسير الفخر الرازى جـ ٢٣ ص ٣٧.



شكر الله وإحسان إلى الجياع والمحرمين وبرهان على التقوى والصلاح وهما كل ما يطلبه الإله من عبده تنزهه سبحانه وتعالى أن يطلبه سرورًا برأئحته أو فرحًا بمنظر الذبائح في دمائها واستثارة بالطيبات منها لمن يدعون الوساطة عنده والشفاعة لديه<sup>(١)</sup>.

وليس في الإسلام إلا طريقة واحدة للأضحية وتقديمها، وهى ذبحها ذبحًا شرعيًا وذكر اسم الله عليها، ثم التصديق بها أو بمعظمها أو ببعضها على الفقراء والمساكين وذوى الحاجة<sup>(٢)</sup>.

وأحل للمضحى أن يأكل من كثير من أنواع الأضاحى بل حث على ذلك ورغب فيه، وحرم الإسلام تحريمًا باتًا جميع الطرق الأخرى التى كانت متبعة عند اليهود والنحل الأخرى من قبله كالخرق والخنق وغيرهما<sup>(٣)</sup>.

قال تعالى "حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به والمنخنقة"<sup>(٤)</sup> والموقوذة<sup>(٥)</sup> والمتردية<sup>(٦)</sup> والنطيحة<sup>(٧)</sup> وما أكل السبع إلا ما ذكيتم وما ذبح على النصب"<sup>(٨)</sup>.

---

(١) الضحية في مقارنة الأديان ص ١٦.

(٢) راجع الحديث عن الأضحية في الإسلام في كتب الفقه مثل المغنى لابن قدامة والمحلى لابن حزم وبداية المجتهد لابن رشد وغيرهما من كتب المذاهب وراجع أيضًا كتب التفسير فى الآيات الواردة بشأنها كتفسير القرطبي وأحكام القرآن لابن العربى.

(٣) د/ على عبد الواحد وافى: بحوث فى الإسلام والاجتماع ص ١٣١.

(٤) المنخنقة هى التى تموت خنقًا، وهو حبس النفس سواء فعل بها ذلك آدمى أو اتفق لها ذلك فى جبل أو بين عودين ونحوه.

(٥) الموقوذة هى التى ترمى أو تضرب بحجر أو عصا حتى تموت من غير تذكية.

(٦) المتردية هى التى تتردى من العلو إلى السفلى فتموت قبل أن تذكى أو فى بئر ونحوه.

(٧) النطيحة هى الشاة التى تنطحها أخرى أو غير ذلك فتموت قبل أن تذكى.

(٨) المائدة: ٣ راجع تفاصيل الأحكام الواردة فى هذه الآية ومذاهب العلماء فى تفسيرها فى كتب الفقه والأحكام وكتب التفسير كتفسير القرطبي ج ٦ ص ٤٨ وما بعدها وتفسير ابن كثير ج ٢ ص ٦ وما بعدها.

وقد حرم الله من الذبائح ما أهل لغير الله به وما ذبح على النصب لأن الله سبحانه أوجب أن تذبح مخلوقاته على اسمه العظيم فمتى عدل بها عن ذلك وذكر اسم غيره من صنم أو طاغوت أو وثن أو غير ذلك من سائر المخلوقات فإنها حرام بالإجماع<sup>(١)</sup>.

ولذلك فإن الإسلام يقرر أن الله وحده هو الذى يتقرب إليه المؤمن بأصحيته ففضى على العقائد والتقاليد التى كانت تتجه لغير الله بالضحايا كالتقرب للطواغيت أو لأرواح الموتى<sup>(٢)</sup>، أو لأرواح القديسين والأولياء أو التزلف للأرواح الشريرة، وتهديتها حتى لا تصيب الأحياء بأذى أو للكواكب أو قوى الطبيعة.. وما إلى ذلك، وأزال بذلك رواسب الشرك التى كانت يتخبط فيها العالم قبل ظهوره<sup>(٣)</sup>.

يقول الله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ۚ فَإِلَهُهُمُ إِلَٰهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾<sup>(٤)</sup>.

فالله سبحانه يذكر أن الذبائح شعيرة معروفة فى شتى الأمم، لكن الإسلام يوجهها الوجهة الصحيحة حين يتوجه بها إلى الله وحده دون سواه.

ذلك لأن الإسلام يوحد المشاعر والاتجاهات، ويتوجه بها كلها إلى الله، ومن ثم

---

(١) راجع ابن كثير: تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٨ - ٩.

(٢) لقد انتشرت عادة التقرب للموتى بالضحايا ابتغاء مرضاتهم وخشية غضبهم على الأحياء عند طائفة كبيرة من الأمم الإنسانية قديمها وحديثها، وبخاصة عند قدماء المصريين ومن الغرب - فيما يقول الدكتور على عبد الواحد وافي - أن آثار هذه العبادة قد ظلت باقية إلى عصرنا الحاضر. فكثير من المصريين عوامهم وخواصهم فى عصرنا الحاضر يرى من الضرورى أن تذبح ضحية أو ضحايا من العجول أو الخراف أو كليهما تحت نعش الميت عقب خروجه من منزله إلى حيث يوارى التراب، وهذا أثر من آثار الشرك يتعارض كل التعارض مع مبادئ ديننا الحنيف، ومجانب لقواعد الإسلام وتعاليمه، وراسب من رواسب عبادة الموتى والتقرب لأرواحهم.

(راجع غرائب النظم ص ٧٩ - ٨٠ بحوث فى الإسلام والاجتماع ص ١٣٢).

(٣) بحوث فى الإسلام والاجتماع ص ١٣١ - ١٣٢.

(٤) الحج: ٣٤.

يعنى بتوجيه الشعور والعمل، والنشاط والعبادة، والحركة والعادة، إلى تلك الوجهة الواحدة، وبذلك تصطبغ الحياة كلها بصبغة العقيدة.

ومن هذا المنطلق حرم من الذبائح ما أهل لغير الله به، وحتم ذكر اسم الله عليها حتى ليجعل ذكر اسم الله هو الغرض البارز، وكأنما تذبح الذبيحة بقصد ذكر اسم الله<sup>(١)</sup>.

وجاء في تفسير المنار أن المراد بما أهل لغير الله به ما ذبح على ذكر غير الله تعالى من المخلوقات التي يعظمها الناس تعظيمًا دينيًا، ويتقربون إليها بالذبائح، وكل ما يذبح ويقدم للأصنام أو غيرها مما يعبد، والتحريم في ذلك لسبب ديني محض لحماية التوحيد، لأنه من أعمال الوثنية، فكل من أهل لغير الله على ذبيحة فإنه يتقرب إلى من أهل باسمه تقرب عبادة، وذلك من الإشراك والاعتماد على غير الله تعالى ويدخل فيما أهل لغير الله ما ذكر عند ذبحه اسم نبي من الأنبياء أو ولى من الأولياء<sup>(٢)</sup>.

---

(١) سيد قطب: في ظلال القرآن جـ ١٧ ص ٢٤٢٢ - ٢٤٢٣.

(٢) راجع الجزء الثانى ص ٨٠ والجزء السادس ص ١١٣.



# **الباب الأول**

## **نشأة القرايين البشرية ومظاهر تقديمها**

### **عند الوثنيين وموقف الإسلام منها**

ويشتمل هذا الباب على ثمانية فصول:

الفصل الأول: نشأة القرايين البشرية ومظاهر تقديمها.

الفصل الثاني: القرايين البشرية عند السومريين والبابليين.

الفصل الثالث: القرايين البشرية عند المصريين القدماء.

الفصل الرابع: القرايين البشرية عند الهنود القدماء.

الفصل الخامس: القرايين البشرية عند الكنعانيين والعمونيين والمؤابيين.

الفصل السادس: القرايين البشرية عند اليونانيين والرومانيين.

الفصل السابع: القرايين البشرية عند العرب في الجاهلية.

الفصل الثامن: موقف الإسلام من نذر وتقديم القرايين البشرية. والتحقيق في رؤيا الخليل بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام.



## الفصل الأول

### نشأة القرابين البشرية ومظاهر تقديمها

تمهيد:

إذا كنا قد تحدثنا في المدخل عن القرابين الحيوانية والنباتية فإن هناك قرابين من نوع آخر قدمها الإنسان إلى آلهته، إنها من نوع لا تشمله كلمة خروف أو شاة أو بقرة أو ثور أو حمل، من نوع آخر لا تشمله أية تسمية من هذه التسميات التي تطلق على هذه الحيوانات التي يأكلها الإنسان في العادة، إنها ذبائح وقرابين بشرية قدمها الإنسان إلى آلهته لاعتقاده - فيما يقول الدكتور جواد على - أنها زلفى محبة إلى نفوسها وأنها ستفيد المجموع وتنقذه من كثير من الأوبئة والأمراض وأنواع الشر والضرر.

ويقول أيضًا "إن كان الإنسان الحديث يتبرأ منها في الزمن الحاضر ويتنكر لها ويحاول تبرئة الأجداد من ممارستها قبل مئات من السنين فالتاريخ لا يستطيع أن يجد دليلاً يثبت تبرئة أكثر أديان شعوب العالم القديمة من تقديم هذا النوع من القرابين<sup>(١)</sup>.

يذكر ول ديورانت أن التضحية بالبشر قد أخذ بها الإنسان في كل الشعوب تقريباً، حيث ظهرت ها هنا يوماً وهنالك يوماً. فقد تم العثور في جزيرة كارولينا في خليج المكسيك على تمثال كبير معدني أجوف لإله مكسيكى قديم، ووجد فيه

(١) الفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٦ ص ١٩٨.

رفات كائنات بشرية لاشك أنها ماتت بالحرق قرباناً لهذا الإله<sup>(١)</sup>، وكلنا يسمع عن "مُلُخ"<sup>(٢)</sup> الذى كان الفينيقيون والقرطاجينيون، وغيرهما من الشعوب السامية حيناً بعد حين يقدمون له القرابين من الإنسان.

ويذكر ول ديورانت أن عصرنا الحاضر قد شهد هذه العادة قائمة في روديسيا<sup>(٣)</sup>.

وجاء فى دائرة المعارف للبستاني أن أكثر شعوب الأرض القديمة قد قاموا بتقديم القرابين والذبائح البشرية، من أمثال الفينيقيين والمصريين وعرب الجاهليين والكنعانيين والصوريين والقرطاجيين والفرس والأثينيين والقدمونيين ويونان الجزائر والقارة والرومان، فكل هؤلاء وغيرهم سقطوا جميعاً فى إثم ذبح البشر فى عباداتهم<sup>(٤)</sup>.

### نشأة القرابين البشرية وبداية تقديمها:

ويرجع كثير من العلماء بداية تقديم الإنسان للقرابين البشرية إلى عصر موغل فى القدم، وإن كان لا يعرف على وجه التحديد الشعب الوثنى الذى ابتدأ هذه العادة البربرية المتوحشة.

---

(١) وجاء فى جريدة الأهرام تحت عنوان "مقبرة للقرابين البشرية" أن علماء الآثار بجامعة شيكاغو الأمريكية قد اكتشفوا مقبرة جماعية بمدينة تيواناكو الجبلية فى بوليفيا والتى كانت عاصمة لإمبراطورية كبيرة ازدهرت بين عام ٣٠٠ ق. م وحتى ١٢٠٠ م، ويرجح العلماء أن هذه المقبرة كانت تستخدم لتقديم القرابين من البشر لإرضاء الآلهة ويرجع تاريخها إلى عام ٦١٠ ميلادية (أهرام الاثنين ١٣/١١/١٩٨٩ م).

(٢) هو إله الكنعانيين والذى كان يسمى (مولك)، أيضاً وستحدث عنه عند ذكرنا للقرابين البشرية عند الكنعانيين فى الفصل الخامس.

(٣) نشأة الحضارة ص ١١٣ - ١١٤ الجزء الأول من المجلد الأول من كتاب قصة الحضارة ترجمة د/ زكى نجيب محمود.

(٤) دائرة المعارف لبطرس البستاني المجلد الثامن ص ٣٠٢.



يذكر البستاني أن الأمة البائدة بهذا الفعل القبيح لا تزال مجهولة<sup>(١)</sup>.

كل ما هنالك أن بعض العلماء يربطون بين هذه العادة وبين عادة أكل لحوم البشر، يقول ول ديورانت "وربما كان منشأ هذه العادة - عادة تقديم القرابين البشرية - أكل البدائيين للحوم البشر فظنوا أن الآلهة تستمرئ من الطعام ما يستمرئون، ولما كانت العقيدة الدينية أبطأ تغيراً من سائر العقائد، ثم لما كانت الشعائر الدينية أبطأ تغيراً من العقائد نفسها، فقد امتنع الإنسان عن أكله للحوم الإنسان وبقي التقليد قائماً بالنسبة للآلهة"<sup>(٢)</sup>.

وهناك من يربط بين هذه العادة وبين طقوس الزراعة أو ما يعرف بالبذار.

يذكر السيرج. ج. فريزر أن من أعجب الأعاجيب ومن أعظم الحقائق أهمية في نماء المجتمع الإنساني أن فكرة البذار الإنسان كانت مشتبكة اشتباكاً لا تفصم عراه في ذهن الوثني في العصور القديمة مع فكرة التضحية الإنسانية، حيث كانت

---

(١) المصدر السابق، وإن كان البستاني يعود فيقول إن بعض الكتب الوثنية القديمة تذكر أن زحل أول من ذبح بشراً قرباناً وفي بعضها أنه ليكون المصدر السابق نفس الصفحة.

(٢) نشأة الحضارة ص ١٤، ويذكر الدكتور على عبد الواحد وافي أن من البواعث على أكل لحوم البشر اعتقاد الأكل أن تنتقل إليه البركة التي يتلبس بها من يقدم قرباناً إلى الآلهة من الأدميين، فعند السكان الأصليين فلوريدا (أمريكا الشمالية) لا يؤكل لحم البشر إلا في مناسبات تقديم القرابين البشرية، ولا يؤكل لحم إنساني إلا من هذه القرابين، وفي جزر هوايا (بولينزيا) لا يعد الإنسان من الحيوانات المأكولة للحوم، ولا يتناول الناس اللحم البشري في غذائهم العادي، وإنما يفعلون ذلك في المناسبات الدينية فحسب، فيتناولون قطعاً من الأضحية الإنسانية التي تقدم للآلهة بقصد التبرك بها والإفادة مما تلبست به في أثناء تقديمها من قوى وخصائص وصفات وفي نيحيريا كانت طقوس التضحية البشرية التي تقدم إلى الآلهة لا تعد كاملة إلا إذا أكل منها الرؤساء الدينيون وبعض طوائف الشعب. وفي عشائر الأرتك (السكان الأصليون للمكسيك) كانت تؤكل من كل أضحية بشرية الأجزاء التي انبثق منها الدم في أثناء تقديمها في المذابح الدينية.

وقد جرت العادة لدى السكان الأصليين لنيكارجوا (بأمريكا الوسطى) أن توزع الأضحية البشرية التي تقدم إلى الآلهة بنظام خاص على طبقات العامة ليطعموا منها: فيعطى قلبها لكبار رجال الدين، وأطرافها للملك، وفخذاها لمن أسرها، وأمعائها لمن يدقون طبول الحرب، ويفرق ما بقي منها على طبقات الشعب الأخرى غرائب النظم والتقاليد والعادات ص ١٧٢ - ١٧٣.

خليطاً معقداً في ذلك العقل الذى كان يصنع الخرافات، ففي ذلك العالم القديم قبل عشرة آلاف من السنين كانت تقدم أضحية إنسانية كلما حان أوان البذر<sup>(١)</sup>.

ويذكر هـ. ج. ولز أن هذه التضحية الإنسانية أو بعض الآثار الباقية منها كانت تبدو في كل مكان بلغ فيه الإنسان بدايات الزراعة أو تخطاها ويستشهد على ذلك من خلال دراسته لهنود أمريكا أو سكان أمريكا الأصليين فيذكر أن الحياة الدينية لهذه الشعوب الأمريكية تظهر نفس الترابط بين فكرة البذر وبين التضحية بالإنسان وهو الترابط الذى عم حقبة كاملة بأسرها في تاريخ العالم القديم، ويرى أن هذه المجتمعات كالمدينات البائدة من أمد بعيد في العالم القديم يتجلى فيها ترابط وثيق بين التضحية بالإنسان وبين عمليات أوان البذر والمحصول<sup>(٢)</sup>.

وينتهى في كتابه "موجز تاريخ العالم" إلى أنه كان من عادة ذلك العالم السحيق قبل اثنتى عشر ألفاً من السنين إلى عشرين ألفاً من السنين خلت أنه كلما دارت الأيام دورتها وحل أوان البذر على شعوب العصور الوثنية القديمة حلت معه تضحية بشرية<sup>(٣)</sup>.

ويفسر ول ديورانت هذا الارتباط بأن الرجل كان يضحي به في وقت البذر حتى تخصب الأرض بدمائه<sup>(٤)</sup>.

---

(١) نقلاً عن هـ. ج. ولز في كتابه معالم تاريخ الإنسانية المجلد الأول (نشأة الكون والإنسان والحضارات) ص ١٠٨ ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد الطبعة الثالثة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٧ م.

(٢) المصدر السابق ص ١٠٨ - ١٣٧ - ١٧٦.

(٣) موجز تاريخ العالم ص ٥١.

(٤) نشأة الحضارة ص ١١٣ ويذكر ول ديورانت أن صورة الرجل الذى كان يضحي به في وقت البذر حتى تخصب الأرض بدمائه قد خفت بعض الشيء، فاكتمى بذبح الحيوان قرباناً - حتى إذا ما حل موسم الحصاد فسروه بأنه بعث للرجل الذى مات ضحية، فكانوا يخلعون عليه قبل موته وبعده جلال الآلهة، ويرى أن من هذا الأصل نشأت الأسطورة التى تروى في ألف صورة مختلفة كيف يموت الإله في سبيل شعبه، ثم يعود إلى الحياة بعدئذ ظافراً، ثم عمل الشعر على زخرفة السحر حتى يحوله ضرباً من اللاهوت، واختلطت الأساطير تروى عن الشمس بشعائر الزراعة اختلاطاً فيه تناسق وانسجام، بحيث أصبحت الأسطورة التى تروى عن موت الإله وعوده ولادته لا يقتصر =

ويفسره ويلز بأن الناس كانوا يذبحون رجلاً وينصرفون تاركين إياه ليحرس المحصول<sup>(١)</sup>.

ويذكر الدكتور على عبد الواحد وافي أن عشائر الهنود الحمر بمناطق الإكوادور كانوا يقدمون الأضاحى الإنسانية لآلهة النبات ليشبعوا نهمها لتبارك الأرض وتعمل على غزارة الغلات، وكذلك قبائل الأزتك وهم السكان الأصليون للمكسيك كانوا يقدمون معظم ضحاياهم الإنسانية<sup>(٢)</sup> لنبات الذرة الذى يتألف منه غذاؤهم الرئيسى بعد أن يهشم جسم كل ضحية منها بحجرين ثقيلين يصوبان ضرباتهما المتتالية السريعة إلى ظهر الضحية وصدرها.

وقد جرت العادة لديهم أن تكون الضحية فى مرحلة من العمر تشبه مرحلة نبات الذرة فى الوقت الذى تقدم فيه، فتكون وليدًا عقب ظهور النبات، ورجلاً بعد تمام نموه، وطفلاً أو مراهقاً أو شاباً فيما بين ذلك. ويعتقدون أن هذا التناسب بين سن الضحية والمرحلة التى يجتازها النبات يجعل لها أكبر الأثر فى نموه وغزارة محصوله<sup>(٣)</sup>.

ولقد كان من عادة الناس فى جبال كانجارا فى البنجاب أن يقدموا كل عام

---

= مدلولها على موت الشتاء وعودة الحياة إلى الأرض فى الربيع بل جاوزت ذلك إلى الانقلابين الآخرين: الصيفى والخريفى وما يعقب ذلك من قصر النهار وطوله، ذلك لأن حلول الليل لم يكن إلا جزءاً من هذه المسألة - فى تصورهم - فإله الشمس يموت كل يوم مرة ويولد كل يوم مرة، فكل غروب له بمثابة الاستشهاد على الصليب، وكل شروق هو بعث له ونشور ص ١١٣ فعقيدة صلب المسيح وأنه ضحية فداء وخلاصاً للبشر ترجع إلى أصول وثنية.

وقد بين زميلنا الدكتور أحمد عجيبة هذه الأصول الوثنية فى العقائد المسيحية بالتفصيل فى رسالته للماجستير "الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه" ١٩٨٥م ورسالة الدكتوراه "تأثر المسيحية بالأديان الوضعية" ١٩٨٧م كلية أصول الدين بطنطا.

(١) معالم تاريخ الإنسانية جـ ١ ص ١٥٤.

(٢) كانت هذه القبائل تقدم الضحايا الإنسانية بوفرة وفى مناسبات كثيرة حتى لقد بلغ ما يقدم منها لديهم زهاء خمسين ألفاً كل عام (غرائب النظم والتقاليد والعادات ص ٨١ دار نهضة مصر).

(٣) غرائب النظم والتقاليد والعادات ص ٨١.

إحدى فتياتهم قربانا لإحدى أشجار الأرز العتيقة، وكانت الأسر في القرية تتناوب فيما بينها تقديم هذه الضحية، ولكن هذه الشجرة قطعت - كما يقول فريزر - منذ سنوات قليلة<sup>(١)</sup>.

وكانت قبائل الهند والهند الصينية وبورما يقدمون الضحايا البشرية بقصد التأثير في نمو النبات وغزارة الغلات، فقبائل شأن وناجاس كانت تدس السم للضحايا وتوارى جثثها أراضى الحقول<sup>(٢)</sup>.

لكن الشعوب الوثنية القديمة لم تكن تقصر تقديم القرابين البشرية على وقت البذار فقط وإنما كان الناس يقدمونها في مناسبات أخرى.

بل إن ولز نفسه يذكر أنهم كانوا يقدمون الزوجات والأرقاء قربانا عند دفن رؤسائهم وأنهم كانوا يقتلون الرجال والنساء والأطفال كلما ألت بهم بعض محن الدهر ظانين أن الأرباب ظماء عطاش<sup>(٣)</sup>.

ويذكر موسكاتى أن القرابين الآدمية أو البشرية عند الوثنيين كانت تقدم في الكوارث العامة الهائلة على أنها أعظم قربان يمكن أن يقدمه الإنسان إلى الآلهة<sup>(٤)</sup>.

ويذهب الدكتور رشيد الناضورى إلى أن تقديم تلك التضحيات البشرية كان يغلب في حالة تواجد أخطار قاسية تهدد كيان مجتمع المدينة<sup>(٥)</sup>.

وبذلك فإنه ليس من اللازم أو من الضرورى أن يرتبط تقديم القرابين البشرية بفكرة البذار أو بمرحلة الزراعة.

---

(١) الغصن الذهبى ج ١ ص ٣٩٣ ترجم بإشراف الدكتور أحمد أبو زيد نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١ م.

(٢) غرائب النظم والتقاليد والعادات ص ٨١ - ٨٢.

(٣) معالم التاريخ الإنسانية المجلد الأول ص ١٢٦.

(٤) الحضارات السامية القديمة ص ١٢٩.

(٥) المدخل في التطور التاريخي للفكر الدينى ص ١٤٢ دار مكتبة الجامعة العربية بيروت.

بل إن الدكتور وافي يذكر أن ظهور الزراعة كان له أثر كبير في القضاء على القرايين البشرية فيرى أنها هذبت كثيرًا من أخلاق الإنسان وطباعه فبفضلها كثرت كميات غذائه النباتي وقل مقدار استهلاكه من اللحوم، فزالت وحشيته واعتدل مزاجه وهدأت طباعه ورقت مشاعره، واستبدل بكثير من تقاليده الدموية وعقائده الوحشية نظامًا أخرى أدنى إلى الإنسانية وأقرب إلى مقتضيات العمران.

ويرى أنه بظهور الزراعة أخذت القرايين الإنسانية والحيوانية تقل شيئًا فشيئًا وأن القرايين النباتية المؤلفة من سنابل الغلال والخبز والفطائر وما إلى ذلك أخذت تحل محلها فأصاب غذاء الآلهة وطباعها من أسباب التهذيب والرقى ما أصاب غذاء الأناسى وطباعهم<sup>(١)</sup>.

ولعل هذا الكلام متأثر إلى حد ما بالتفسير التطورى للعقائد والشعائر حيث يرى أصحاب هذه النظرة التطورية أن الإنسان قد ترقى في عقيدته من التعدد والوثنية إلى التوحيد والإيمان وترقى أيضًا في ممارسته للشعائر والعبادات حيث بدأ بتقديم القرايين البشرية ثم ارتقى إلى تقديم القرايين الحيوانية والنباتية.

بدليل أن الدكتور وافي يفسر كلامه هذا بقوله: "غير أن ارتقاء التفكير الدينى، وإصلاح ما علق به في مراحل الأولى من خطأ في فهم الآلهة وصفاتهم وما يتطلبه رضاهم، ونزعة المجتمعات إلى تنزيه معبوداتها عن القسوة والتشفى وعن الحاجة إلى ما يقدمه إليهم بنو الإنسان وجعلهم أغنياء عن العالمين، واتساع نطاق العلوم وانتشار الشرائع السماوية والكتب المقدسة... كل أولئك قد عمل على احترام الحياة الإنسانية ففضى على هذا الشكل الوحشى من التضحية واستبدل به أشكالاً أخرى لا تنبؤ عن الخلق الصحيح، ولا تتنافر مع مقتضيات العمران، فظهرت حينئذ التضحية ببعض أنواع الحيوان كالبقرة والغنم والماعز، وبعض أنواع الطيور كالدجاج والأوز والبط، وظهرت أنواع أخرى من القربان لا تقتضى إهراقاً للدم

(١) غرائب النظم ص ٧٧ بحوث في الإسلام والاجتماع ص ١٢٠ - ١٢١ دار نهضة مصر.

كالتقرب بما يستخرج من الحيوانات والتقرب بالنبات كالحنطة وسنابل القمح والدقيق الممزوج بالزيت والتقرب بما يصنع من النبات كالحبز والفطير<sup>(١)</sup>.

ويذكر ول ديورانت أن الشعائر الدينية قد تغيرت بفضل تطور الأخلاق، بحيث طقق الآلهة يقلدون عبادهم في الزيادة من اصطناع الرقة، واستسلموا للوضع الجديد. فقبلوا لحم الحيوان طعامًا بدل لحم الإنسان، ثم مضى الزمان في تقدمه، فحُرمت الآلهة حتى هذا الحيوان لأن الكهنة آثروا أنفسهم بالطعام الشهى، وأخذوا يأكلون كل ما يمكن أكله من الضحية المقدمة، ثم يهبون الآلهة على مذبح القربان أمعاء الضحية وعظامها<sup>(٢)</sup>.

فأصحاب هذه النظرة التطورية يريدون أن يتوصلوا من خلال نظرية التطور إلى أن تقديم القربان البشرية بدأ مع الإنسان وأن هذه القربان تمثل المرحلة الأولى من مراحل تقديم القربان إلى الإله أو الآلهة وأن كلا من القربان الحيوانية والقربان النباتية جاءت في مرحلة تالية لها أو مرحلة متأخرة عنها وأنها كانت بديلاً لها.

فالقائلون بتطور العقائد يرون أن الإنسان قد ترقى في العقائد كما ترقى في العلوم والصناعات، فكانت عقائده الأولى مساوية لحياته الأولى، وكذلك كانت علومه وصناعاته، فليست أوائل العلم والصناعة بأرقى من أوائل الأديان والعبادات، وليست عناصر الحقيقة في واحدة منها بأوفر من عناصر الحقيقة في الأخرى<sup>(٣)</sup>.

بل إنه ينبغي - فيما يقول العقاد - أن تكون محاولات الإنسان في سبيل الدين (هكذا) أشق وأطول من محاولاته!! في سبيل العلوم والصناعات<sup>(٤)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ٧٦ - ٧٧.

(٢) نشأة الحضارة ص ١١٤.

(٣) راجع عباس محمود العقاد: الله كتاب في نشأة العقيدة الإلهية ص ١٣ الطبعة السادسة دار المعارف بمصر ١٩٦٩م.

(٤) المصدر السابق.

وواضح سواء من رأى العقاد نفسه أو مما نقله من آراء علماء الدين المقارن<sup>(١)</sup> أن البشر هم الذين ينشئون عقائدهم بأنفسهم ومن ثم تظهر فيها أطوارهم العقلية والعلمية والحضارية والسياسية، وأن التطور من التعدد إلى الثنية إلى التوحيد تطور زمنى مطرد على الإجمال.

وهذا واضح تمامًا من العبارة الأولى في تقديمه لكتابه "الله" حيث يقول: "موضوع هذا الكتاب نشأة العقيدة الإلهية، منذ اتخذ الإنسان ربا إلى أن عرف الله الأحد، واهتدى إلى نزاهة التوحيد"<sup>(٢)</sup>.

والذى لاشك فيه أن الله سبحانه يقرر في كتابه الكريم، تقريرًا واضحًا جازمًا، شيئًا آخر غير ما يقرره صاحب كتاب "الله" متأثرًا فيه بمنهج علماء الأديان المقارنة، وأن الذى يقرره الله - سبحانه - أن آدم وهو أول البشر عرف حقيقة التوحيد كاملة، وعرف نزاهة التوحيد غير مشوبة بشائبة من التعدد والثنية، وعرف الدينونة لله وحده باتباع ما يتلقى منه وحده، وأنه عرف بنيه بهذه العقيدة، فكانت هناك أجيال فى أقدم تاريخ البشرية لا تعرف إلا الإسلام دينا وإلا التوحيد عقيدة، وأنه لما طال الأمد على الأجيال المتتابة من ذرية آدم انحرفت عن التوحيد.. ربما إلى الثنية وربما إلى التعدد.. ودانت لشتى الأرباب الزائفة.. حتى جاءها نوح عليه السلام بالتوحيد من جديد.. وأن الذين بقوا على الجاهلية أغرقهم الطوفان جميعًا، ولم ينج إلا المسلمون الموحدون الذين يعرفون "نزاهة التوحيد" وينكرون التعدد والثنية وسائر الأرباب والعبادات الجاهلية<sup>(٣)</sup>.

والذى لاشك فيه أيضًا أن هذا شىء، والذى يقرره علماء الأديان المقارنة ويتابعهم فيه مؤلف كتاب "الله" شىء آخر.. وبينهما تقابل تام فى منهج النظر

(١) راجع المصدر السابق من ص ١٣ - ٤٠.

(٢) المصدر السابق ص ٥.

(٣) راجع سيد قطب: فى ظلال القرآن ج ١٢ ص ١٨٨٤ - ١٨٨٥ دار الشروق الطبعة العاشرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.

نظريات يعارض بعضها بعضاً، فهي ليست الكلمة النهائية في مباحث البشر  
الفانين<sup>(١)</sup>!

فالاستدلال على ديانة الإنسانية الأولى بديانة الأمم المنعزلة المتخلفة عن ركب  
المدنية، مبنى على افتراض أن هذه الأمم كانت منذ بدايتها على الحالة التي وصل  
إليها بحثنا، وأنها لم تمر بها أدوار متقبلة، وهو افتراض لم يقم عليه دليل، بل الذي  
أثبتته التاريخ واتفق عليه المتقبون عن آثار القرون الماضية، هو أن فترات الركود  
والتقهقر التي سبقت مدنياتها الحاضرة كانت مسبقة بمدنيات مزدهرة، وأن هذه  
المدنيات قامت بدورها على أنقاض مدنيات بائدة، قرية أو بعيدة، في أدوار تتعاقب  
على البشرية، كما تتعاقب الفصول السنوية على الطبيعة بحيث يصبح من العسير أن  
نحكم بصفة قاطعة بأيها بدأت دورة الزمان وليس تعيين أحد الأمرين للابتداء  
الحقيقي بأثبت تاريخياً من مقابله<sup>(٢)</sup>.

فكذلك الأمر - كما يقول الدكتور محمد عبد الله دراز - في شأن العقائد الدينية:  
حيث إنه من الممكن أن تكون الخرافات القديمة بداية ديانات كما يمكن أن تكون  
نتيجة تحلل وتحريف لديانة صحيحة سابقة، مزقت أهلها الحروب، أو أفسدتهم  
الآفات الاجتماعية، فقلت عنايتهم بأصول دينهم، وتلقوا بالتسليم والقبول كل ما  
سمعوه من أفواه الأدعياء والدجالين. وشاعت بينهم هذه الروايات وتوارثوها  
حتى أصبحت سنناً مقدسة<sup>(٣)</sup>.

وليس المجال هنا الرد على التطوريين وغيرهم من الباحثين في نشأة الأديان وإنما  
سنفرد لذلك بحثاً مستقلاً إن شاء الله<sup>(٤)</sup>.

---

(١) المصدر السابق ص ١٨٨٥.

(٢) د/ محمد عبد الله دراز: الدين بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان ص ١١٤ مطبعة السعادة  
١٣٨٩هـ / ١٩٦٩م.

(٣) المصدر السابق.

(٤) نقوم بتوفيق الله بكتابة بحث مستقل حول نظريات الغربيين ومذاهبهم في مفهوم ونشأة الدين  
وموقف الإسلام.



وإنما نكتفى هنا بأن نشير إلى تلك الحقيقة، حقيقة أن أول عقيدة عرفت في الأرض هي الإسلام القائم على توحيد الدينونة والربوبية والقوامة لله وحده. تقودنا إلى رفض كل ما يخطط فيه من يسمونهم "علماء الأديان المقارنة" وغيرهم من التطوريين الذين يتحدثون عن التوحيد بوصفه طوراً متأخراً من أطوار العقيدة. سبقته أطوار شتى من التعدد والتثنية للآلهة. ومن تأليه القوى الطبيعية وتأليه الأرواح، وتأليه الشمس والكواكب.. إلى آخر ما تخطط فيه هذه "البحوث" التي تقوم ابتداء على منهج موجه بعوامل تاريخية ونفسية وسياسية معينة، يهدف إلى تحطيم قاعدة الأديان السماوية والوحي الإلهي والرسالات من عند الله، وإثبات أن الأديان من صنع البشر، وأنها من ثم تطورت بتطور الفكر البشرى على مدار الزمان<sup>(١)</sup>!

وإذا كان هذا فيما يتعلق بالعقائد فكذلك الأمر فيما يتعلق بالعبادات والشعائر.

حيث إن الله سبحانه إذا كان قد أهبط آدم عليه السلام إلى الأرض وأنزل معه العقيدة التي يؤمن بها فإنه أيضاً أنزل معه العبادة التي يعيش عليها فعلمه كيف يتعبد ربه ويتقرب إليه بمثل ما علمه كيف يؤمن به ويوحده ولا يشرك به شيئاً.

وليس هناك نص في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية يفيد من قريب أو من بعيد بأن الله قد أوحى إلى آدم أو إلى غيره من الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم جميعاً، وطلب منهم أن يقدموا له قرباناً من البشر، فيما عدا الخليل إبراهيم حينما أمره ربه أن يذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام لكن ذلك لم يتم واقتداه ربه بذبح عظيم<sup>(٢)</sup>.

بل إن ابني آدم حينما قص علينا القرآن الكريم نبأهما بالحق بين لنا أنهما قدما لله قرباناً ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقْبِلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ

(١) في ظلال القرآن جـ ١٢ ص ١٨٨٢.

(٢) سنفصل القول بإذن الله في هذا الموضوع في الفصل الأخير من هذا الباب.

مِنَ الْآخِرِ»<sup>(١)</sup>، ومع أن القرآن الكريم لم ينص صراحة على نوعية هذا القربان إلا أن نصوصه تنفى تمامًا وتستبعد نهائيًا أن يكون هذا القربان من البشر، فهما ابنا آدم لصلبه وهذا القتل كان أول حادث قتل على وجه الأرض والمقتول كان أول من تزهق روحه ويسفك دمه من بنى الإنسان ويتجلى هذا في حيرة القاتل وجهله وعدم معرفته كيف يدفن أخاه ويوارى سواته حتى بعث الله له الغراب.

يقول تعالى: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُورِي سَوْءَ أَخِيهِ ۖ قَالَ يُورِيكَ أُعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوْرِي سَوْءَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ﴾<sup>(٢)</sup>.

أخرج عبد بن حميد، وابن جرير عن عطية قال: لما قتله ندم فضمه إليه حتى أروح وعكف عليه الطير والسباع تنتظر متى يرمى به فتأكله وكره أن يأتي به آدم عليه الصلاة والسلام فيحزنه، وتخير في أمره إذ كان أول ميت من بنى آدم عليه السلام، فبعث الله تعالى غرابين قتل أحدهما الآخر وهو ينظر إليه ثم حفر بمنقاره وبرجله حتى مكن له ثم دفنه برأسه حتى ألقاه في الحفرة، ثم بحث عليه برجله حتى واره<sup>(٣)</sup>.

ويذكر القرطبي أن ابن آدم هذا كان أول من قتل، وأن في بعث الله للغراب حكمة، ليرى ابن آدم كيفية المواراة، وهو معنى قوله تعالى "ثم أماته فأقبره" فصار فعل الغراب في المواراة سنة باقية في الخلق، فرضا على جميع الناس على الكفاية، من فعله منهم سقط فرضه عن الباقيين وأخص الناس به الأقربون الذين يلونه، ثم الجيرة، ثم سائر المسلمين<sup>(٤)</sup>.

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) المائدة: ٣١.

(٣) الألوسى: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني ص ١١٥ - ١١٦ نشر مكتبة دار التراث القاهرة.

(٤) الجامع لأحكام القرآن ج ٦ ص ١٤١ - ١٤٣.

وبهذا يكون ابن آدم الذى قتل أول مقتول من بنى الإنسان حيث إنها ولداه لصلبه، ولا عبرة بما يقال من أن ابنى آدم هذين كانا رجلين من بنى إسرائيل فهو قول ضعيف ومخالف لقول الجمهور: فقد روى عن الحسن البصرى والضحاك أنهما قالا إن ابنى آدم اللذين قربا قربانا ما كانا ابنى آدم لصلبه، وإنما كانا رجلين من بنى إسرائيل. وأن الله ضرب بهما المثل فى إبانة حسد اليهود - وكان بينهما خصومة فتقربا بقربانين ولم تكن القرابين إلا فى بنى إسرائيل وكان آدم أول من مات<sup>(١)</sup>.

وعلق ابن كثير بأن هذا غريب جداً وفى إسناده نظر ونقل عن عبد الرزاق عن معمر عن الحسن قوله قال رسول الله ﷺ "إن ابنى آدم عليه السلام ضربا لهذه الأمة مثلاً فخذوا بالخير منهما" ورواه المبارك عن عاصم الأحول عن الحسن قال قال رسول الله ﷺ "إن الله ضرب لكم ابنى آدم مثلاً فخذوا من خيرهم ودعوا شرهم<sup>(٢)</sup>".

وقال ابن عطية: إن ما روى عن الحسن والضحاك وهم، فكيف يجهل صورة الدفن أحد من بنى إسرائيل حتى يقتدى بالغراب؟ والصحيح أنها ابناه لصلبه، هذا قول الجمهور من المفسرين وقاله ابن عباس وابن عمر وغيرهما<sup>(٣)</sup>.

وقال الفخر الرازى: إن القول بأنهما ابنا آدم لصلبه هو الذى اختاره أكثر أصحاب الأخبار، وفى الآية أيضاً ما يدل عليه لأن الآية تدل على أن القاتل جهل ما يصنع بالمقتول حتى تعلم ذلك من عمل الغراب، ولو كان من بنى إسرائيل لما خفى عليه هذا الأمر، وهو الحق والله أعلم<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع تفسير الفخر الرازى ج ١١ ص ٢٠٤ تفسير القرطبى ج ٦ ص ١٣٣ تفسير ابن كثير ج ٢ ص ٤٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤٦.

(٣) تفسير القرطبى ج ٦ ص ١٣٣.

(٤) التفسير الكبير ج ١١ ص ٢٠٤.

وذكر ابن كثير أن المفسرين متفقون على أن هذين ابنا آدم لصلبه كما هو ظاهر القرآن وكما نطق به الحديث: فقد روى الإمام أحمد في مسنده عن عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ "لا تقتل نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل"<sup>(١)</sup>.

هذا بالإضافة إلى إجماع المفسرين على أن أحدهما كان راعياً صاحب غنم فقرب أكرم غنمه وأسمنها وأحسنها، طيبة بها نفسه، وأن الآخر كان صاحب حرث قرب أشر حرثه، غير طيبة بها نفسه، فتقبل من الأول ولم يتقبل من الآخر<sup>(٢)</sup>.

معنى ذلك أن قربان الأول كان حيوانياً وقربان الثانى كان نباتياً ولم يذكر واحد من المفسرين بل لم يدر بخلده أن يذكر أن أحدهما قرب قرباناً من البشر.

كذلك فإننا نستأنس بما ورد في سفر التكوين في هذا وإن كنا لا نثق بتوراة اليهود على وجه العموم لكن هذا لا يمنع من إيراد وقبول ما لا يتعارض مع القرآن الكريم والسنة النبوية والإجماع.

جاء في سفر التكوين "وعرف آدم حواء امرأته فحبلت وولدت قايين، وقالت اقتنيت رجلاً من عند الرب، ثم عادت فولدت أخاه هابيل، وكان هابيل راعياً للغنم وكان قايين عاملاً في الأرض وحدث من بعد أيام أن قايين قدم من أثمار الأرض قرباناً للرب، وقدم هابيل أيضاً من أبكار غنمه ومن سمانها، فنظر الرب إلى هابيل وقربانه ولكن إلى قايين وقربانه لم ينظر"<sup>(٣)</sup>.

(١) وقد أخرجه الجماعة سوى أبى داود من طرق عن الأعمش، وروى عن عبد الله بن عمرو أنه كان يقول إن أشقى الناس رجلاً لابن آدم الذى قتل أخاه ما سفك دم في الأرض منذ قتل أخاه إلى يوم القيامة إلا لحق به منه شر وذلك أنه أول من سن القتل، راجع تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ٤٥ - ٤٦ نشر دار التراث القاهرة.

(٢) راجع التفاسير المشار إليها آنفاً في هذه النقطه.

(٣) تكوين ٤: ١ - ٥.

وبناء على ذلك فإن الرأى الذى يذهب إلى أن الإنسان قد ابتدأ عبادته بتقديم القرابين البشرية إلى الإله هو قول غير صحيح ولم يستند أصحابه إلى دليل.

والرأى الذى نرجحه ونستريح إليه من خلال ما عرضناه آنفاً وما سنعرضه فى هذا الكتاب بشأن نشأة القرابين البشرية وبداية تقديمها هو أن هذه القرابين قد عرفت لدى كثير من الشعوب الوثنية القديمة، وشاع تقديمها إلى الآلهة التى عبدها الإنسان من دون الله سبحانه، وذلك فى الفترات التى كانت ترتكس فيها البشرية إلى الشرك والوثنية، وترتد عن التوحيد والإيمان، وتتيه فى ظلمات الجهل وتنغمس فى مستنقعات الضلال، بعد أن يتقادم عهد الناس بالنبوة، ويطول أمدهم برسالة السماء، فينحرفون عن الوحي الصحيح إلى خرافات الكهان، وضلالات الشيطان.

### مظاهر تقديم القرابين البشرية

كانت القرابين البشرية تقدم على اختلاف فى أنواعها باختلاف الأمم والشرائع وتبعاً للأحوال المحيطة بهذا القربان والأسباب الداعية إليه، فقد كانت هذه القرابين - كما سنرى - أحياناً من الإناث وتارة من الأطفال، وتارة من الشبان والشيوخ.

غير أنه يظهر من استقراء هذه الحالات عند مختلف الأمم وفى شتى مراحل التاريخ - كما يقول الدكتور وافي - أن معظم الضحايا الإنسانية أو القرابين البشرية كانت تقدم من طائفتين: من الأطفال ذكورهم وإناثهم ولاسيما أول من يولد منهم لأبويه، ومن البنات الأبقار.

ويظهر كذلك أن معظم من كان يضحي به من غير هاتين الطائفتين كان يؤخذ من أسرى الحرب والرقيق المذنبين، إلا أنه فى أحوال غير قليلة كانت الضحايا تقدم

من طبقات راقية من الشعب<sup>(١)</sup> فكثيرًا ما قدمت أمم ملوكها أنفسهم قربانًا لمعبوداتها<sup>(٢)</sup>.

ففى الغابات النائية فى كمبوديا كان يعيش ملكان غامضان يعرفان باسم ملك النار وملك الماء، وكانت شهرتهما قد طبقت الآفاق فى جنوب شبه جزيرة الهند الصينية، وكانا يعيشان فى سبعة أبراج تجثم فوق سبعة جبال بحيث ينتقلان بينها كل عام واحدًا بعد الآخر، ويأتيهما الناس فى خلصة ويلقون بين أيديهما كل ما يحتاجون إليه من قوت، ويستمر تولى الملك لهذا المنصب سبع سنوات وهى الفترة اللازمة للعيش فى الأبراج السبعة واحدًا إثر الآخر، ولكن الكثيرين منهم كانوا يموتون قبل أن تنتهى مدتهم، وكما هو الحال بالنسبة لكثير من الملوك المقدسين، كان لا يسمح لملك النار أو ملك الماء أن يموت أحدهما ميتة طبيعية لأن ذلك يحط من شأنه وقدره.

وعلى ذلك فحين يقع أحدهما فريسة مرض عضال، يجتمع كبار السن من الرجال للتشاور حتى إذا تأكد لهم أنه لن يبرأ من علته، طعنوه حتى الموت، ثم تحرق جثته ويجمع الرماد المتخلف بخشوع وورع، ويقدسه الناس لأعوام خمسة، ولكنهم يعطون لأرملته قدرًا من هذا الرماد، تحتفظ به فى أنبيق (وهو عبارة عن قارورة صغيرة مزخرفة ومقدسة يحفظ فيها رماد جسد الميت بعد حرقه حسب التقاليد عند

---

(١) كانت الديانة الفارسية الأولى (أو الشعبية القديمة) فى أول أمرها تأمر بتضحية أفراد بنى الإنسان للتقرب من الآلهة وقد تحدث هيرودوت عن هذه الشعيرة فذكر أن الملكة "أميسترس" حين صارت عجوزًا أمرت بدفن أربعة عشر طفلًا من أبناء (النبلاء) أحياء ليكون ذلك قربانًا عنها، ليقربها من الآلهة، ولكن يظهر أن هذه القسوة قد تلطفت فاستبدلت تضحية الإنسان بتضحية بعض الحيوانات كالثيران والكباش على أن يكون ذلك على يد جمعية مؤلفة من رجال الدين تنعقد للإشراف على الضحايا (د/ محمد غلاب الفلسفة الشرقية ص ١٨١ نشر مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثانية، د/ نجيب ميخائيل حضارات الشرق القديم (العراق وفارس، ص ٤٣٢ - ٤٣٣ الطبعة الثانية ١٩٦٧ م دار المعارف.

(٢) غرائب النظم والتقاليد ص ٧٦.

بعض الشعوب) يتعين عليها أن تحمله فوق ظهرها كلما ذهبت لتبكي زوجها  
الراحل على قبره<sup>(١)</sup>.

فلم يكن الأمر إذن تضحية بأى شخص وضع أو منبوذ بل كان كما جرى  
العرف تضحية بشاب مختار أو فتاة مختارة، وكان المختار في غالب الأحيان فتى  
يعامل باحترام عميق وتبجيل عظيم حتى ساعة التضحية به، وكان يعد في غالب  
أمره "ملكاً ربا" كتبت عليه التضحية، ثم أصبحت كل تفاصيل قتله من بعض  
الطقوس المقدسة، التى يقوم عليها الكهول (العارفون) ويقرها ما جرى عليه  
العرف المتكرر على امتداد العصور<sup>(٢)</sup>.

فالسكان الأصليون لأفريقيا الوسطى وغربى أفريقيا كانوا يقدمون  
ضحاياهم البشرية في الغالب من البنات العذارى اللاتى كن يربين لهذا  
الغرض في منازل الملوك والرؤساء ويتعهدهن رجال الدين ويتولون تقديمهن  
للآلهة<sup>(٣)</sup>.

وفي أفريقيا أيضاً كانت الضحية في الغالب شخصاً أشقر اللون (عدو الشمس)  
وهو اللون الذى يفضلهُ الإله (فارو) لقبيلة (البامبارا) كانت تعد الوليد الأشقر  
اللون نجساً وكانوا في العصور الأولى يذبحونه قرباناً في الأعياد الكبيرة، وفي فناء  
البيت كان يوضع الكرسي الخاص برب الأسرة مرتكزاً على جثة شخص  
أشقر<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع جيمس فريزر: الغصن الذهبى جـ ١ ص ٣٧٨ - ٣٨٠.

(٢) معالم تاريخ الإنسانية، المجلد الأول ص ١٠٨.

(٣) د/ على عبد الواحد وافي، غرائب النظم والتقاليد والعادات ص ٨١.

(٤) الديانات في أفريقيا السوداء ص ٥٦ - ٦٠ نقلاً عن أستاذى الكبير الدكتور/ بركات عبد الفتاح

دويدار: دراسة في الأديان ص ٦٦ طبعة ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

كما كانت العادة عند قبائل (الدوجون) قديمًا أن يضحوا بشخص أشقر اللون في احتفالهم الديني بتجديد الكون<sup>(١)</sup>.

وفي قبائل كودولو كانوا يشترون ضحايا من الرقيق ولكنهم يتعهدونهم بأحسن أنواع المأكّل والمشارب وتقدم لها جميع ما تتوق إليه نفوسهم حتى تسمن وتزكو جسومهم فتقربها عين الآلهة وتشبع نهمها<sup>(٢)</sup>.

وقد يعود المرء بالذاكرة إلى أوان سحيق يتجاوز فجر التاريخ قبل ٣٠٠٠ أو ٤٠٠٠ سنة خلت - كما يقول ولز - في مرتفعات "ويلتشر" في وقت السحر من أحد أيام منتصف الصيف وقد أخذت نيران المشاعل في الشحوب أمام الضوء المتزايد ثم تطوف بخيال الإنسان فكرة غامضة عن موكب يسير في الطريق الحجري، موكب من كهنة ربما كانوا في ثياب غريبة المنظر من الجلود والقرون وأقنعة منقوشة نقوشًا مروعة، وفي الموكب رؤساء في جلود مزينة بعمود من الأسنان وهم يحملون الرماح والبلطات وعلى رؤوسهم شعر أثيث غزير تمسكه دبائيس من العظم، وفيه أيضًا نساء يكتسبن بالجلود أو ثياب الكتان، وجمهور عظيم من رجال ذوى رؤوس كثة الشعور وأطفال عراة.. واجتمعوا من أماكن كثيرة سحيقة، ويعم الجميع ضرب من الجذل الذى يحسه الناس في الأعياد.

ومن بين صفوف هذا الجمهور العظيم تسير الضحايا البشرية ذليلة كسيرة تقاد ولا معين لها وهى ببصرها شاخصة إلى المذبح البعيد المتصاعد منه الدخان، الذى عنده يقضى عليها لكى تجود المحاصيل وتتكاثر القبيلة<sup>(٣)</sup>.

وإذا لاحظنا أن المناسبات التى كانت تقتضى تقديم القرابين البشرية كانت كثيرة الحدوث والتكرار وأن الإحجام عن التضحية عند وجود ما يقتضيه كان فى نظر

---

(١) المصدر السابق.

(٢) غرائب النظم ص ٨٢.

(٣) معالم تاريخ الإنسانية ج ١ ص ١٢٦.



الوثنيين شيئاً إذا تنفطر منه السماوات ويثير غضب الآلهة ويصيب نكاله جميع أفراد المجتمع الذى حدث فيه التقصير<sup>(١)</sup>.

إذا لاحظنا هذا كله سهل علينا أن ندرك كيف كانت القرابين البشرية عامل إجرام ودمار وكيف جرت هذه العبادة الدموية على بنى الإنسان كثيرًا من المصائب والويلات<sup>(٢)</sup>، فكم أثلكت أمهات ويتمت أطفالاً وأيمت نساء وكم ذهبت فى سبيلها أرواح بريئة طعمة للنيران وغذاء للسّمك وكم حملت الآباء على تقديمهم أولادهم قرباناً للآلهة، وإزهاق أرواحهم بأيديهم، وكم دعتهُم إلى وأد بناتهم أو إغراقهن ابتغاء مرضات المعبودات<sup>(٣)</sup>.

وقد كانت مراسم التضحية تتغير حسب الظروف ففى أفريقيا مثلاً كانت هكذا:

---

(١) من بين الاعتقادات التى جعلت الوثنيين يقدمون القرابين البشرية إلى آلهتهم ذلك الاعتقاد الذى اعتقده الأفريقى وهو أن إنهاء حياة يكون سبباً فى امتداد حياة أخرى، فكلمة قربان فى لغة "الدوجون" مشتقة من كلمة معناها "إعادة الحياة" فالمرض وارتكاب المحرمات تسبب فقدان بعض تلك القوى، ولا يمكن استعادتها إلا إذا سال دم الضحية، وصبغ به المحراب، أو سكب عليه خبيصة مطبوخة من الذرة، وبهذه الوسيلة يستعيد المتعبد تلك القوى التى ضاعت منه، كما تستعيد سلامة قواهم، لأن القرابين والضحايا تحدث شركة روحية بين الأحياء والأموات. والمثل السائر بينهم هو (أن كل فرد يمنح الجميع ويأخذ من الجميع).

والأفريقى تبعاً لعقيدته هذه كما يقول أستاذى الدكتور بركات عبد الفتاح دويدار - لم يخل بشيء فى سبيل هذا الهدف فلم يقف بالتضحية عند الحيوان، بل نرى التضحية بالبشر كانت شائعة. وكان المضحى به يتقبل ذلك عن طيب خاطر اعتقاداً منه أن روحه ستحل بعد قتله فى جسم شخص خطير المكانة، وبذلك فإن هذا الاعتقاد قد جعل التضحية بالنفس والولد شيئاً سهلاً فى سبيل إرضاء الآلهة أو الجماعة وطمعاً فى حياة أفضل بعد مفارقة هذه الحياة. راجع دراسة فى الأديان ص ٦٥ والديانات فى أفريقيا ص ٥٣ نقلاً عنه.

(٢) حسبنا دليلاً على ذلك أن قبائل الأرتك وحدها (وهم السكان الأصليون لبلاد المكسيك) كانت - كما يقول الدكتور وافي - إلى عهد غير بعيد تقدم من الضحايا الإنسانية ما يبلغ عدده زهاء خمسين ألفاً كل عام.

(٣) راجع غرائب النظم ص ٧٥-٧٦.

١ - في المشاكل الخاصة بالحكم كان الشخص يشطر عرضاً إلى شطرين بحبل يشد حول بطنه وذلك في حضور الملك الذي يفرض عليه أن يحتفظ بسكونه، دون أن يبدى حراكاً، ثم يحمل الشطر الأسفل فيلقى في النهر قرباناً للإله (فارو) وأما الرأس فتدفن تحت عرش الملك.

٢ - وفي الأزمات المالية يغرز في حلق الشخص عصا من الغاب الهندي فتنفذ إلى بطنه.

٣ - وفي حالة موت عدد كبير من أسرة واحدة يتقدم رب الأسرة إلى الملك ليحصل منه على إذن بتضحية شخص أشقر، فإذا ذبح هذا أخذ لسانه وأنفه وعينه لتأكلها الأسرة، وأما الجمجمة فتدفن في فناء المسكن<sup>(١)</sup>.

### **تقديم القرابين البشرية إلى الآلهة البشرية:**

هذا وكانت القرابين البشرية تقدم إلى الآلهة من بنى البشر الذين اعتقد الناس أن روح الله تجسدت فيهم، ف بجانب ما كان يقوم به الوثنيون من تقديم القرابين البشرية لأصنامهم وأوثانهم من الحجارة والتماثيل، أو غيرها ممن زين لهم الشيطان أنهم آلهة وتصورها في صورة الحيوان أو النبات أو الماء أو الهواء أو الشمس أو القمر أو الشجر.

بجانب ذلك كانوا في نفس الوقت يقدمون لمن اعتقدوا ألوهيتهم من بنى الإنسان قربانين بشرية.

---

(١) الديانات في أفريقيا السوداء ص ٥٦ نقلاً عن دراسة في الأديان ص ٦٥ - ٦٦، ويذكر الدكتور وافي أن من طرق تقديم تقديم القرابين البشرية طريقة الوأد وهي دفن الضحية حية، واتبعت هذه الطريقة عند شعوب كثيرة منها بعض قبائل العرب في الجاهلية، وطريقة إغراق الضحية في الأنهار المقدسة (كما جرت العادة عند قدماء المصريين) وطريقة خنقها، وطريقة سد فمها بالطين، وطرق تعذيبها بمختلف الوسائل، وطريقة إلقائها من شاهق، وطريقة انتحارها عن اختيار منها بترديها من قمة عالية إلى غير ذلك من الطرق (غرائب النظم ص ٧٩).

ففى جزر الماركاس مثلاً وجزر واشنجتن كما يقول جيمس فريزر - كانت توجد فئة من الناس يتمتعون بصفات الألوهية والقداسة أثناء حياتهم، وكان المظنون أنهم يملكون بعض القوى الخارقة التى يستخدمونها للسيطرة على الطبيعة، وأنه باستطاعتهم على هذا الأساس أن يملأوا الأرض بالمحصول الوافر أو يحيلوها إلى صحراء خاوية جرداء مجدبة، أو أن يسلطوا المرض والموت على الناس.

ومن أجل ذلك كانوا يقدمون لهم القرابين البشرية لدرء خطر نقمتهم ولعتهم، ولم تكن هناك أعداد كبيرة منهم وإن كان يوجد واحد أو اثنان على الأكثر فى كل جزيرة، وكانوا يعيشون فى عزلة غامضة، وكانت سلطتهم فى بعض الأحيان - ولكن ليس دائماً - سلطة متوارثة<sup>(١)</sup>.

وقد قدم أحد المستشرقين وصفاً لأحد هؤلاء الآلهة البشرية عن طريق الملاحظة الشخصية فذكر "أن ذلك الإله كان رجلاً طاعناً فى السن، يعيش فى منزل كبير، يحيط به سياج مرتفع، وقد أقام له داخل المنزل مذبحاً غريباً، كما كانت تتدلى من أعمدة البيت ومن الأشجار التى تحيط به هياكل بشرية، نكست رءوسها نحو الأرض، ولم يكن يسمح لغير الأشخاص المعينين لخدمة ذلك الإله أن يتخطوا أسياج البيت، وإن كان يسمح للناس العاديين بالدخول فى المنزل فى الأيام التى تقدم فيها الأضحيات والقرابين البشرية.

لقد كان نصيب ذلك الإله البشرى من القرابين يفوق نصيب غيره من الآلهة، وكثيراً ما كان يجلس على ما يشبه الأريكة ويطلب تقديم اثنتين أو ثلاثاً من الأضحيات البشرية فى وقت واحد، ولم يكن ثمة مفر من إحضارهم فى كل مرة.

---

(١) الغصن الذهبى ج ١ ص ٣٤٣.

ذلك الإله الذى يبيت فى نفوس الناس أقصى درجات الرعب، ولذا كان على كل سكان الجزيرة أن يتقربوا ويتزلفوا إليه، ويأتوا من كل حدب وصوب لتقديم الهدايا والقرايين<sup>(١)</sup>.

---

(١) المصدر السابق ص ٣٤٣ - ٣٤٤.

## الفصل الثانى

### القرايين البشرية عند السومريين والبابليين

استدل العلماء من خلال الكشوفات العلمية الحديثة على قدم الضحايا البشرية فى العادات التى سبقت عهد الساميين بوادى النهرين وبقاع الهلال الخصيب وأنها بقيت إلى ما بعد وفود الشعوب السامية إلى تلك البقاع<sup>(١)</sup>.

وتدل الأحافير بمدينة (أور) على قدم تلك العادة فى عبادة الملوك خاصة، إذ كان الملوك يدفنون معهم حاشيتهم ووزراؤهم ولا يبدو من هيئة جثمانهم أنهم ماتوا على الرغم منهم، فليس منهم من وجدت جثته وفيها أثر الذبح أو الخنق أو القتل بالضرب العنيف، ولهذا يعتقد (وولى) فى كتابه "أور الكلدانيين" أنهم كانوا يتجرعون باختيارهم عقارًا سامًا يخردهم ويميتهم، لإيمانهم بالانتقال مع الملوك الأرباب إلى حالة فى السماء كحالتهم فى الحياة الأرضية<sup>(٢)</sup>.

ووجدت على بعض أختام الطين صور آدميين يلبسون قناعًا يشبه رأس الحيوان، والمظنون - كما يقول هوك - أن هذا الزى كان مقدمة للذبح الرمزي وإجراء الشعائر مجرى التمثيل المقدس<sup>(٣)</sup> فى الاحتفالات العامة ولا سيما بعيد رأس السنة<sup>(١)</sup>.

---

(١) وفد السومريون على وادى النهرين وبعدهم الأكديون وهم ليسوا من الساميين، أما الشعوب السامية التى عاشت فى العراق القديم فهم البابليون والآشوريون والكلدانيون، ولمعرفة هؤلاء الشعوب (ساميين وغير ساميين) راجع الفصل الخاص بالديانات الوثنية القديمة فى رسالتى الدكتوراه (تأثر اليهودية بالأديان القديمة) كلية أصول الدين بطنطا ١٩٨٧ م.

(٢) عباس العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء ص ١٧١ - ١٧٢ منشورات المكتبة العصرية - بيروت ١٩٨١ م.

(٣) ويذكر العقاد أنه وجد فى حفائر (أور) تمثال جدى مربوط مقيد فى شجرة لعله رمز لاستبدال =

وقد كان العثور على المقابر الملكية بمدينة أور من أهم الكشوفات التي قام بها المنقبون في أطلالها وظهر جلياً أن السومريين في ذلك الوقت (حوالي ٣٠٠٠ ق.م) كانوا يدفنون مع ملوكهم عدداً كبيراً من حاشيتهم يقتلون في نفس اليوم وتوضع جثثهم في المقبرة للقيام على خدمة كاهلهم.

ومن أهم هذه المقابر مقبرتان في حالة حفظ جيدة الأولى للملك والثانية لزوجته، وقد امتلأت كل مقبرة بأفخر الحلى وأدق الأدوات المصنوعة من الذهب الخالص، وتكدست في كل من المقبرتين جثث أفراد الحاشية الذين لا بد أنهم قتلوا عمداً لينالوا فخر الانضمام إلى عاهلهم وزوجته في الدنيا الثانية.

ومن الغريب أنه قد اتبع نظام دقيق في ترتيب وضع كل جثة بحيث يقرب صاحبها أو يبعد عن جثة الملك طبقاً للوظيفة التي كان يشغلها في الدنيا، ونجد أنواعاً شتى من أصحاب الوظائف المختلفة فمن حرس ملكي تزين كل منهم بخوذته النحاس، وتسليح بحرته الطويلة، إلى سيدات البلاط وقد اصطحبت كل منهم حليها الفخمة، ومغنيات احتفظت كل منهن بآلاتها الموسيقية بجانبها

---

= الضحية الحيوانية بالضحية البشرية، وتاريخه في تقدير (وولي) سابق لعصر الخليل بألف وخمسمائة سنة (إبراهيم أبو الأنبياء ص ١٧٢) فهناك نوع غريب من التضحية يسمى بالتضحية الصورية أو التمثيلية: كالتضحية بالتمائيل والصور الإنسانية (وقد انتشرت هذه العبادات عند كثير من الأمم القديمة والحديثة)، وكاهراق الدم من عضو من أعضاء الضحية دون القضاء على حياتهم (وقد اتبع هذا النظام في كثير من معابد الإغريق) وبخاصة (الإله أرتميس) وكالاكتفاء بأعمال تمثيلية تشير إلى ما كان يعمل قديماً (فعند قبائل الهنود الحمر مثلاً كان يكتفى في التضحية عقب وفاة الزوج بأن يؤتى بكومة حطب وتشعل النار فيها، ويؤتى بـ زوجة المتوفى وتمد على هذه الكومة وتظل كذلك حتى يقرب اللهب منها، ومن أنواع التضحية التمثيلية التضحية بخيال الإنسان، فبعض شعوب البلغار عندما يشرع الواحد في بناء جديد يتربح أول مار بجوار البناء فيقيس ظله بخطط ويضع هذا الخط تحت أول حجر يوضع في العمارة ويعتبر هذا تضحية، ويزيد لديه هذا الاعتبار قوة أنه يعتقد أن صاحب هذا الظل لا بد أن يموت عما قليل وهذا هو أغرب أنواع التضحية. (د/ على عبد الواحد وافي غرائب النظم والعبادات ص ٧٧-٧٨).

(١) أصول الشعائر السامية الأولى نقلاً عن عباس محمود العقاد: إبراهيم أبو الأنبياء ص ١٧١ - ١٧٢.

إلى عدة من سائقي العربات استلقوا بجانب عرباتهم التي تجرها الثيران والحمير<sup>(١)</sup>.

ومن الصعب - فيما يقول د/ إيفارليسner - أن يتصور المرء شعور من يكتشف مثل هذه المقابر التي لم تمتد إليها يد البشر حيث يرقد الموتى في أمان وما انفك خدمهم داخل القبر والجنود يحرسون المدخل، بينما يمسك السياس بأجمة حيواناتهم والموسيقيون يحتضنون آلاتهم الموسيقية والوصيفات يتجمعن في خشوع بالقرب من الغرفة الملكية، أى أن هذه كانت عملية دفن جماعية لحاشية ملكية تذهب في ولائها لسيدها إلى حد الموت<sup>(٢)</sup>.

وقد وصف لنا الدكتور إيفارليسner ما شاهده علماء الآثار فذكر أن الملكة قد وجدت طريحة على ظهرها، وأن الجثة لم تتعرض لأكثر من مدها ببساطة فوق ركيزة من الخشب وعند رأسها جثة خادم بينما وجدت رفات خادم أخرى عند قدميها، لقد ماتت هاتان الخادمتان موتاً قرباناً حيث تم إغلاق غرفة الدفن ووضع الخاتم عليها في احتفال رسمي.

ففى السرداب المفضى إلى الغرفة كان يسير موكب يضم أفراد الحاشية والجنود وغيرهم من النابغين ذكوراً وإناثاً، وكانت الإناث ترتدين ملابس مزركشة وتزين أنفسهن بزينات الشعر والأقراط الذهبية والأكاليل المرصعة بالأحجار الزرقاء النفيسة وورق الأشجار الذهبى ودبابيس الشعر الفضية، والأمشاط الجميلة والعقود ومشابك كبيرة للملابس، واتخذ الجميع أماكنهم حول حفرة القبر تتبعهم عربات تجرها الثيران والحمير، وكان كل رجل وامرأة يمسك بين يديه وعاء صغيراً من الحجر أو الخزف أو المعدن بينما يتوسط القبر إناء كبير من النحاس.

(١) راجع د/ عبد المنعم أبو بكر - العراق القديم تاريخه وحضارته ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم، ص ٢٨٠ - نشر مكتبة مصر القاهرة بدون تاريخ.

(٢) د/ إيفارليسner الماضى الحى ص ٣٠ ترجمة شاكراً إبراهيم سعيد نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م.

ويبدو أن الأقداح قد ملئت سماً وشرب كل شخص منه، فقد عثر على جثث للضححايا في صفوف منتظمة يبدو عليها الهدوء التام ولم تتبين أية بادرة تدل على العنف أياً كان حتى إن تصنيفات شعور النساء لم تتعرض لأى تشعث، ولعل الجميع لقوا حتفهم وهم في وضع مائل أو وهم جالسون كما لو كانوا قد قرروا فجأة ودونما صخب الانسحاب من الحياة، بل إن "وولى" قد استنتج أن الموسيقيين ظلوا دون شك يعزفون حتى النهاية<sup>(١)</sup>.

ويذكر ول ديورانت أنه قد عثر في الخرائب السومرية على لوحة نقشت عليها بعض الصلوات وجاءت فيها هذه العبارة "إن الضأن فداء للحم الآدميين، به افتدى الإنسان حياته".

ويستنتج من ذلك أن السومريين كانوا يقدمون لأهتهم في بادئ الأمر القرابين البشرية ثم استعاضوا عنها بلحوم الحيوان<sup>(٢)</sup>.

وقد بقيت القرابين البشرية قائمة بعد السومريين:

ففى العهد البابلي الحديث<sup>(٣)</sup> كما يقول وينهايم عثر على وثائق إدارية تثبت أن أبوين ضحيا بأطفالهم وذلك بتقديم قرابين إلى المعبد في سبيل انقاذ حياتهم أثناء فترات المجاعة، وهناك إشارات تؤكد على حدوث ذلك في عهود قديمة<sup>(٤)</sup>.

وتذكر كاثرين هنرى أن البابليين كانوا يعبدون آلهة كثيرة وأن أور كانت مركز عبادة القمر وقد جرت عادة القوم أن يقدموا لهذا المعبود "القمر" ضحايا بشرية<sup>(٥)</sup>.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٨ - ٢٩.

(٢) الشرق الأدنى ص ٢٩ الجزء الثاني من المجلد الأول من قصة الحضارة.

(٣) حدد المؤرخون هذا العصر من سنة (٦٢٦ - ٥٣٩ ق. م).

راجع الحديث عن البابليين وديانتهم في رسالتى للدكتوراه تأثير اليهودية بالأديان القديمة - كلية أصول الدين بطنطا ١٩٨٧ م.

(٤) بلاد بين النهرين ص ١٣٢ ترجمة سعدى فيضى عبد الرازق - بغداد ١٩٨٦ م.

(٥) التاريخ في الكتاب ص ٧ وهو خلاصة كتابين باللغة الإنجليزية تلخيص حبيب سعيد - دار التأليف والترجمة والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر.



ويرى حبيب سعيد أن البابليين وغيرهم من الساميين الذين استوطنوا بلاد ما بين النهرين أخذوا عادة تقديم الذبائح البشرية عن الأكاديين الذين كانوا يقطنون هذه البقعة قبل دخول الساميين إليها<sup>(١)</sup>.

وتذكر أبقار السقاف أن عادة التضحية بالقرايين البشرية وإحراقها كان ولا جدال في ذلك طقساً دينياً منذ القدم وخاصة في بلاد النهرين حيث كان الأرباب القساة عند البابليين يغالون في مطالبهم فيطلبون أحياناً تقديم الضحايا البشرية من القرايين.. ولقد بز الرب "أداد" الأرباب طرا في قسوته إذ كان التماس رضائه يستلزم التضحية بالابن البكر وحرق جثمانه<sup>(٢)</sup>.

هذا وقد بقي تقديم القرايين البشرية إلى آلهة بابل قائماً حتى السبي الأشوري للإسرائيليين<sup>(٣)</sup>.

جاء في سفر الملوك الثاني أن السفروايمييين كانوا يحرقون بنيهم بالنار لأدرملك وعنملك إلهي سفروايم<sup>(٤)</sup>.

والسفر وايمييون هم أهل سفروايم وهي كلمة عبرانية في صورة المثنى فهي اسم لبلدتي سفارة اللتين تقعان على ضفتي نهر الفرات جنوب غرب بغداد، وكان أهلها يحرقون أولادهم للآلهة الوثنية ومنها أدرملك وعنملك<sup>(٥)</sup>.

---

(١) خليل الله في اليهودية والمسيحية والإسلام ص ١٠ دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ١٩٥٩ م.  
(٢) إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة ص ١٢٢ نشر عالم الكتب الطبعة الأولى ١٩٦٧ م.  
(٣) وقع السبي الأشوري لإسرائيل عام ٧٢٢ ق.م، وقد طرد الآشوريون سكان السامرة عاصمة مملكة إسرائيل وأحلوا محلهم أقواماً آخرين منهم السفروايمييون (ملوك ثان ١٧: ٢٤) راجع الفصل الخاص بفترات السبي والاضطهاد التي تعرض لها اليهود في تاريخهم القديم في رسالتي للدكتوراه "تأثر اليهودية بالأديان القديمة".

(٤) ملوك ثان ١٧: ٣١.

(٥) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦٩ وحبيب سعيد: خليل الله ص ١٠.

## الفصل الثالث

### القرايين البشرية عند المصريين القدماء

يعتبر المصريون القدماء من الأمم الوثنية التى ظهر فيها تقديم القرايين البشرية إلى معبوداتهم المختلفة وألهتهم الكثيرة المتنوعة.

يقول ول ديورانت إننا لا نجد فى بلد من البلاد - إذا استثنينا بلاد الرومان والهند - ما نجده من الآلهة الكثيرة فى مصر<sup>(١)</sup>.

فقد أخذت الديانة المصرية القديمة حين نشأتها وفى مراحل طويلة من تاريخها بتعدد المعبودات شأنها فى ذلك شأن مثيلاتها من الديانات الوضعية القديمة، ولكنها ظلت أغنى من غيرها فى وفرة نصوصها، ووضوح قضاياها، ورد المصريون الأوائل كل ظاهرة حسية تأثرت دنياهم بها إلى قدرة علوية أو علة خفية تحركها وتتحكم فيها، وتستحق التقديس من أجلها، الأمر الذى أفضى إلى تعدد ما قدسوه من العلل والقوى الربانية المتكلفة بالرياح والأمطار، وبجريان النيل وتعاقب الفيضانات وتجدد خصوبة الأرض ونمو النبات<sup>(٢)</sup>.

من أجل هذا كان المصريون يقدمون ضحاياهم وقرايينهم البشرية إلى آلهة النبات ليجود محصول الأرض، وجرت العادة أن تحرق هذه الضحايا وتشر رفاتها فى

---

(١) راجع قصة الحضارة ج ٢ ص ١٥٥ - ١٥٦.

(٢) د/ عبد العزيز صالح: الشرق الأدنى القديم مصر والعراق ص ٣٢٩ - نشر مكتبة الأنجلو المصرية - الطبعة الثالثة.

الحقول، وأن تختار من بين الرجال الصفر الشعور تفاؤلاً بهذا اللون الذى يحاكي لون النبات فى مراحل نضجه وقرب حصاده<sup>(١)</sup>.

وحينما كان المصريون يعبدون الإله "رع" أخذوا يتوسلون إليه بأن يقدموا له قرابين بشرية ليزول غضبه المزعوم<sup>(٢)</sup>.

وكذلك كانوا يقدمون القرابين البشرية إلى الإله "أوزوريس" فى معابده التى كانت منتشرة فى كثير من بلاد مصر القديمة، ويقدمونها كذلك لأرواح الموتى ولخدمتهم فى قبورهم، وكانت هذه الضحايا الأخيرة تختار عادة من بين رقيق الميت وحشمه<sup>(٣)</sup>.

ويذكر الدكتور أحمد فخرى أن عادة دفن الأتباع مع أسيادهم وملوكهم بجانب وجودها فى سومر<sup>(٤)</sup> - كانت متبعة أيضاً فى مصر حيث عثر على جثث كثير من أتباع إحدى الأميرات فى مقبرتها فى سقارة، وحينما مات الحاكم المصرى "زفاحعبى"<sup>(٥)</sup> بالسودان ضحى معه بأكثر من مائتى شخص (وربما كانوا نحو ٢٧٠) من خدمه وأتباعه ودفنوه فى الممر المؤدى إلى قبره.

ولكنه يعود فيذكر أن هذه العادة كانت متبعة فى مصر فى عهد ما قبل الأسرات، وأنها بقيت معروفة أيضاً فى الأسرة الأولى لكنها اختفت فيما بعد وإن ظلت متبعة فى السودان خلال العصور الفرعونية، وظلت فى النوبة حتى ظهور المسيحية بعدة قرون<sup>(٦)</sup>.

---

(١) د/ على عبد الواحد وافي. غرائب النظم والتقاليد والعادات ص ٨٢.

(٢) سليمان مظهر: قصة الديانات ص ٧ - نشر دار الوطن العربى - بيروت.

(٣) غرائب النظم والتقاليد ص ٨٢.

(٤) وقد أشرنا إلى ذلك فى حديثنا عن القرابين البشرية عند السومريين.

(٥) زفاحعبى هو صاحب هذه المقبرة الشهيرة فى أسيوط راجع د/ أحمد فخرى: مصر الفرعونية هامش ص ٢٣٠.

(٦) راجع: مصر الفرعونية ص ٢٢٩ - ٢٣٠ نشر مكتبة الأنجلو ١٩٨٣ دراسات فى تاريخ الشرق القديم ص ٣٣ - ٣٤ - نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٤ م.

ومن بين الآلهة التى عبدها المصريون وقدسوها أيضًا إله النيل بل إن النيل والسماء - فيما يقول ول ديورانت - ظلا أكبر أرباب المصرى القديم إلى آخر أيامه<sup>(١)</sup>. حيث تصور معبوداته من خلال طبيعة أرضه وسمائه، وحينما تأمل الخصب الدائم الممنوح لأرضه اعتبر أن صانع كل ذلك - جهلاً ووثنية - هو النيل والشمس<sup>(٢)</sup>.

يذكر أدولف أرمان أن المصرى قد أفسح لخياله المجال نحو تقديس النيل ورأى فيه القوة التى تأتية بالأعجوبة السنوية والتى تهيمن على حياته فقام بتأليهه، بل جعله واحداً من بين آلهته العظمى ولقبه المصريون بأبى الآلهة وقدموا له القرابين واعتبروه رب الماء الذى يجلب الخضرة<sup>(٣)</sup>.

وكانوا يحتفلون بموت وبعث أوزير (إله النيل المبارك) فى كل عام وكانوا يرمزون بموته وبعثه لانخفاض النيل وارتفاعه ولعلهما كانا يرمزان أيضًا لموات الأرض وحياتها<sup>(٤)</sup>.

وجاء فى قاموس الكتاب المقدس أن المصريين القدماء كرموا النيل اعترافاً بقيمته حيث اعتقدوا أنه أنقذ بلادهم من أن تكون تنمة للصحراء الكبرى، وجعلوه إلهًا، وكانوا يقدمون له الذبائح فى المناسبات والأعياد الخاصة به وكانوا يقدمونها فى يوم وفائه (أى فى الاحتفال بفيضانه) لعله يرضى فلا يؤذيهم<sup>(٥)</sup>.

ومن بين هذه الذبائح والقرابين كان المصريين يقدمون له - باعتباره من أكبر آلهتهم - بتتا عذراء، يقذف بها فيه لترضى بها نفسه فيغمر البلاد بخيره وفيضانه، وكانت الضحية تختار عادة من بين أسرات الأشراف حتى يتناسب مقامها مع مقام الإله المقدم له<sup>(٦)</sup>.

---

(١) الشرق الأدنى ص ١٥٦.

(٢) سليمان مظهر: قصة الديانات ص ١٣.

(٣) ديانة مصر القديمة ص ١٧ - ١٨ نشر عيسى الحلبى - القاهرة.

(٤) ول ديورانت: قصة الحضارة ج ٢ ص ١٥٩.

(٥) قاموس ص ٩٩.

(٦) د/ على عبد الواحد وافي: غرائب النظم ص ٨٢ بحوث فى الإسلام والاجتماع ص ١١٧.

وقد ورد في كتب التاريخ الإسلامي أن هذه العادة ظلت قائمة في مصر حتى تم فتحها على يد عمرو بن العاص ففضى عليها الإسلام وأبطلها أمير المؤمنين عمر بن الخطاب.

يذكر ابن كثير أنه لما افتتحت مصر أتى أهلها عمرًا بن العاص حين دخل بؤونة من أشهر العجم - فقالوا: أيها الأمير، لنيلنا هذا سنة لا يجرى إلا بها. قال، وما ذاك؟ قالوا إذا كانت اثنتا عشرة ليلة خلت من هذا الشهر عمدنا إلى جارية، بكر من أبويها فأرضيناها وجعلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها في هذا النيل، فقال لهم عمرو: إن هذا مما لا يكون في الإسلام، إن الإسلام يهدم ما قبله، قال: فأقاموا بؤونة وأيبب ومسرى والنيل لا يجرى قليلاً ولا كثيراً، حتى هموا بالجللاء. فكتب عمرو إلى عمر بن الخطاب بذلك فكتب إليه: إنك قد أصبت بالذى فعلت، وإنى قد بعثت إليك بطاقة داخل كتابى، فألقها في النيل، فلما قدم كتابه أخذ عمرو البطاقة فإذا فيها "من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل أهل مصر، أما بعد فإن كنت إنما تجرى من قبلك ومن أمرك فلا تجر فلا حاجة لنا فيك وإن كنت إنما تجرى بأمر الله الواحد القهار وهو الذى يجريك فنسأل الله تعالى أن يجريك".

قال ابن كثير "فألقي البطاقة في النيل فأصبحوا يوم السبت وقد أجرى الله النيل ستة عشر ذراعاً في ليلة واحدة وقطع الله السنة عن أهل مصر إلى اليوم"<sup>(١)</sup>.

وإذا كان ابن كثير يذكر أن هذه السنة وتلك العادة قد انقطعت إلى عهده فإنها قد تركت في مصر رواسب كثيرة تتمثل فيما كانوا يسمونه عروس النيل وهى - كما يقول الدكتور وافي - تمثال بنت يقذف به في النيل في إبان فيضانه رمزاً للأضحية الأولى التى كانت تقدم إليه من العذارى، وظل هذا التقليد معمولاً به إلى عهد قريب<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع البداية والنهاية الجزء السابع ص ١٠٢ - ١٠٣. نشر دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة الرابعة ١٩٨٨ م.

(٢) غرائب النظم ص ٨٢ - ٨٣ بحوث في الإسلام والاجتماع ص ١١٧ - ١١٨. - ٧٧ -

وقد نشرت جريدة الأهرام بتاريخ ٦/٨/١٩٨١م في باب المرأة تحت عنوان:  
لأول مرة منذ آلاف السنين (مسابقة لاختيار ملكة جمال النيل، وعودة الاحتفالات  
بوفاء النيل بعد توقفها ١٢ عامًا ما خلاصته):

أن قدماء المصريين كانوا يقومون باختيار أجمل فتاة عذراء في مصر ويلبسونها  
أفخر الثياب ويزينوها بأعلى الحلى، ثم يسIRON بها في موكب بحرى كبير في النيل،  
ويلقونها في الماء ليتزوجها النهر الخالد إرضاء له وشكرًا على فيضانه، وعندما جاء  
العرب استبدلوا العروسة البشرية بتمثال لعروس النيل، وفي هذا العام يتخذ  
الاحتفال مظهرًا أكثر حيوية، ويفتح المجال أمام الفتيات من سن ١٥ إلى ٢٥ سنة  
للاشتراك في مسابقة ملكة جمال النيل التحكيم التي ستعقد لاختيارها، وأن  
العروس الفائزة بلقب ملكة جمال النيل ستنتقل يوم ٢٤ أغسطس الجارى من أمام  
الميرديان في موكب داخل مركب فرعونى، ثم مركب بها ٤٠٠ أربعمئة مدعو من  
مختلف الهيئات الدبلوماسية ومن ورائهم ٥٠ خمسون مركبًا شراعيًا، حيث يسير هذا  
الموكب من فندق الميرديان إلى كوبرى قصر النيل، حيث يتوقف الموكب وتبدأ  
المراسم المتبعة في ذلك، ويلقى محافظ القاهرة الوثيقة، وتطلق الصواريخ وتقفز  
العروس في النيل.

وجاء في الفتاوى الإسلامية أن صاحب الفضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق  
مفتى جمهورية مصر العربية<sup>(١)</sup> قد أصدر بيانًا في مقال نشرته جريدة الأهرام<sup>(٢)</sup>  
نقدًا لهذا الاتجاه تحت عنوان (أوقفوا اليوم فورًا هذا العبث باسم وفاء النيل) قال  
فيه:

"كان للأمم الغابرة عادات يرونها حسب معتقداتهم من لوازمهم، ولقد جرت

---

(١) تولى فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق مشيخة الأزهر الشريف في ٢٢ جمادى الأولى ١٤٠٢هـ  
الموافق ١٧/٣/١٩٨٢م، محمد كمال السيد: الأزهر جامعًا وجامعة ص ٣٤٤ - نشر مجمع البحوث  
الإسلامية ١٩٨٦م.

(٢) بتاريخ ٩ شوال ١٤٠١هـ الموافق ٩/٨/١٩٨١م.  
- ٧٨ -

بعض قبائل العرب في الجاهلية على وأد البنات، إما للفقر أو خشية عارهن إذا انحرفت بهن الحياة أو انحرفن بها، وجاء الإسلام وقال لهم القرآن (وإذا الموءودة سئلت، بأي ذنب قتلت) فخشعت قلوبهم لما نزل من الحق، وارتفع القرآن بحواء وأبان مكانتها، أما وزوجا وبتنا وأختا، وكشف عن واقعها في الحياة، فلها ذمتها ولها حركة حياتها في نطاق النظام العام الإسلامي.

ولم يكن العرب وحدهم هم وأدة البنات، بل شاركهم في ذلك المصريون القدماء، فقد روى التاريخ أن المصريين كانوا يحتفلون بيوم وفاء النيل في شهر توت أو مسرى من كل عام، وقد كان هذا الحفل ينتهي بإلقاء عروس في النيل - أى والله عروس فتاة من بنى الإنسان يلقيون بها في النهر وقت فيضانه، وفي أمواجه الهادرة في غرينه وطميه، عقيدة منهم أن النهر يرضى عنهم إذا زوجه تلك العروس، فيفيض دائمًا ولا يغيض!!

ولما دخلت مصر في الإسلام، وارتفع في سمائها نداؤه ودعاؤه، وعلمت أن الله وحده هو واهب النيل إلى مصر، وهو سبحانه الذى فجر هذا النهر حتى فاضت جنباته عيونًا من الأرض وأنهارًا من السماء أوقف حاكم مصر المسلم وأد البنات فيها، وأجرى فيها حكم الله، وتلا عليهم قوله: (وإذا الموءودة سئلت، بأي ذنب قتلت) وأعلمهم بأن الله سبحانه هو صاحب هذه النعمة، نعمة هذا النهر الجارى بإذنه وأمره حتى شق الفيافي والقفار، واجتاز بلادًا وحدودًا ليروى كنانة الله فى أرضه، مصر، ويهبها الحياة، واستبدل عروسهم التى يئدونها فى النيل، بكلمة الله ألقاها فى مياهه التى فاضت وقال: أيها النيل إن كنت تجرى باسم الله ومن الله، فإن الله مجريك، وإن كنت لا تجرى إلا بهذه العروس فلا تجر، لأن الله مرسل الرياح ومجرى السحاب قال جل شأنه (وهو الذى مد الأرض وجعل فيها رواسى وأنهارًا) وقال أيضًا (والله الذى أرسل الرياح فتثير سحابًا فسقناه إلى بلد ميت).

ثم يقول صاحب الفضيلة:

فهل يجوز بعد أن مضى على وأد هذه العادة المصرية الجاهلية قرابة أربعة عشر قرناً من الزمان أن نعود إليها ونخالف حكم الله؟؟

فقد طالعت قبل أيام خبراً يتحدث عن النية إلى إقامة مسابقة لاختيار ملكة جمال النيل، وعودة الاحتفالات بوفاء النيل بعد توقفها ١٢ عاماً، يا هول هذا الخبر وما حواه من استعراض لأجساد فتياتنا من سن ١٥ إلى سن ٢٥.

أعوذُ إلى سوق النخاسة والرقيق الأبيض؟

وهذا المهرجان يدعو إلى حفل زفاف عروس النيل الذى تشهده الدولة رسمياً وتنظمه، بل وتدعو إليه الهيئات الدبلوماسية في مصر، مصر الأزهر، مصر التى وضعها العالم رائدة وقائدة للعرب والمسلمين، تترد إلى جاهلية عمياء، لا تفرق فيها بين الحلال والحرام.

أى وثيقة هذه التى يلقيها المسئول الكبير فى النيل مع العروس التى اشترط أن تحيد السباحة وأن تلتقطها فرق الإنقاذ، أى خدش، وأى إهانة للأئمة التى كرمها الله وحرّم وأدها، بل وحرّم لمسها لغير محارمها أو زوجها.

أى وثيقة تلك وماذا تحوى؟ هل تحوى جريان النيل باسم الله وبلوغ مياه الفيضان القدر المقرر لتحصيل الضرائب إظهاراً للعدل فى الرعية وشكراً لنعماء الله؟.

أو تحوى تزويج هذه العروس للنيل والعودة إلى وثيقة محاها الإسلام؟ (ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب).

ثم توجه صاحب الفضيلة إلى المسئولين قائلاً: إلى المسئولين عن تنظيم هذا المهرجان أسوق الحديث. إن مصر لا تروج فيها هذه المهرجانات، ولا ينبغى أن تقام فيها.



أيها المسئولون جميعاً: إليكم أوجه الرجاء والنداء: أوقفوا هذه المهازل إنا ندعو المسئولين جميعاً بالتدخل لوقف هذه المهرجانات الفاسدة، والله يهدي إلى الحق وإلى صراط مستقيم<sup>(١)</sup>.

هذا ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أن ظاهرة قيام المصريين القدماء بزفاف إحدى الفتيات كعروس للنيل كانت شائعة بين عدد من الشعوب الوثنية القديمة كنوع من التزيوج للآلهة في تصورهم.

يذكر جيمس فريزر أن عادة تزويج الآلهة من التماثيل أو البشر الأحياء كانت شائعة بين الشعوب القديمة، ولقد بلغت الأفكار التي تقوم عليها هذه التقاليد القديمة من البساطة درجة لا تجعلنا نتردد - فيما يقول فريزر - في القول بأن الشعوب المتحضرة القديمة كالبابليين والمصريين القدماء والإغريق ورثوها عن أسلافهم المتبربرين أو الهمج، ويقوى من هذا الافتراض وجود شعائر مماثلة عند كثير من الشعوب الدنيا<sup>(٢)</sup>.

وفي كثير جداً من الأحيان لم تكن "زوجة الإله" مجرد لوح من خشب ولم تكن تمثالاً من الطين بل كانت امرأة حية بالفعل.

فالمعروف مثلاً عن سكان إحدى قرى بيرو من الهنود الحمر أنهم كانوا يزوجون فتاة جميلة في الرابعة عشر من عمرها لتمثال منحوت من الحجر على شكل إنسان ويعتبرونه أحد آلهتهم وكان جميع سكان القرية يشتركون في حفل الزواج الذي كان يستمر ثلاثة أيام مليئة بالضجة والعريضة.

---

(١) راجع المجلد العاشر من الفتاوى الإسلامية رقم ٣٠ من ص ٣٥٨٣ - ٣٥٨٦ الصادرة من دار الافتاء المصرية بالتعاون مع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية القاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

هذا وقد نشرت جريدة الأهرام بعدها الصادر بتاريخ ١٠ / ٨ / ١٩٨١م في باب أخبار الصباح ما يلي: عزيز قاسم مدير عام الميرديان بالقاهرة ألغى مسابقة وفاء النيل، كما نشرت جريدة الجمهورية بعدها الصادر بتاريخ ١٠ / ٨ / ١٩٨١م ما يلي: الميرديان يلغى المسابقة ويعتذر لـ ٧٠ فتاة.

(٢) الغصن الذهبي جـ ١ ص ٤٨٤.

وكان يقضى على الفتاة أن تظل عذراء بقية حياتها وأن تهب نفسها لهذا الصنم من أجل سعادة الناس الذين كانوا يعاملونها بأبلغ آيات الإجلال وينظرون إليها على أنها كائن مقدس<sup>(١)</sup>.

ومما يستحق الذكر هنا أيضًا أن الكائن الخارق للطبيعة الذى كانت تزف إليه النساء هو فى الأغلب أحد آلهة (أو إحدى أرواح) الماء على غرار ما كان يفعل المصريون لإله النيل).

فقبائل الباجندا مثلاً يقدمون بعض الفتيات العذارى إلى موكاسا إله بحيرة فيكتوريا - على أنهن زوجات له بقصد استرضائه حين يزمعون القيام برحلة طويلة. وتبعد قبيلة أكيكويو فى شرق أفريقيا البريطانية الثعبان الذى يعيش فى نهر معين هناك، ولذا فإنهم يزوجون ذلك الإله الثعبان مرة كل بضع سنين من عدد من النساء وبخاصة من الفتيات الصغيرات<sup>(٢)</sup>.

ومما يحكى أن سكان كايبلى فى بورو - وهى إحدى جزر الهند الشرقية - تعرضوا ذات مرة للخطر والدمار نتيجة لهجوم جحافل كبيرة من التماسيح ورددوا تلك الكارثة إلى الشوق الشديد الذى يقاسى منه أمير التماسيح نحو إحدى فتياتهم، فأجبروا أباهما على أن يهيئها فى ملابس الزفاف ويقدمها طائعاً إلى مخالب التمساح العاشق<sup>(٣)</sup>.

ومن مفاخر الإسلام أنه قضى على عادة من هذا النوع نفسه كانت منتشرة فى جزر المالديف قبل أن يعتنق السكان هناك الإسلام.

وقد وصف الرحالة العربى الشهير ابن بطوطة هذه العادة وطريقة القضاء عليها، فلقد ذكر له الكثيرون من الثقات من أهل الجزيرة - ذكر الكاتب أسماءهم -

(١) المصدر السابق ج ١ ص ٤٨٦.

(٢) جيمس فريزر: الغصن الذهبى: دراسة فى السحر والدين ج ١ ص ٤٨٨ - ٤٨٩.

(٣) المصدر السابق ج ١ ص ٤٨٩.

أنه في الوقت الذي كان الناس هناك يعبدون الأوثان كانت تظهر لهم في كل شهر روح شريرة من الجن تأتي عبر البحار على شكل سفينة مليئة بالمشاعل الملتهبة وكان الشغل الشاغل للناس حين يرونها هو البحث عن فتاة عذراء صغيرة يزينونها ثم يسوقونها إلى معبد وثني على الساحل وله نافذة تطل على البحر فيتركون الفتاة هناك طول الليل، وعندما يعودون إليها في الصباح كانوا يجدون أنها فقدت بكارتها وفارقت الحياة.

وكان الناس يجرون (القرعة) في كل شهر، فمن وقعت عليه (القرعة) وجب عليه أن يتنازل عن ابنته لجن البحر، وظل الحال كذلك حتى جاء رجل صالح من البربر وأمکنه أن يخلص آخر فتاة قدمت بهذه الطريقة إلى ذلك العفريت وأن يطرد العفريت ذاته إلى البحر بتلاوة القرآن الكريم عليه<sup>(١)</sup>.

وهذه القصة التي يحكيها ابن بطوطة عن الجنى العاشق وعرائسه الأدميات تشبه شبيهاً قوياً نوعاً معيناً من القصص الشعبي الشائع والذي يتخذ صوراً وأشكالاً مختلفة من اليابان وأنام في الشرق إلى سينجامبيا واسكنديناوة واسكتلاندة في الغرب.

وتختلف القصة في التفاصيل من شعب لآخر ولكنها في عمومها - كما عرضها جيمس فريزر - تتخذ الشكل التالي.

"كانت هناك بلد يهددها ثعبان (أو تنين أو أى وحش آخر) له عدة رءوس وينذر أهلها بالدمار إن لم يقدموا له على فترات معينة ضحية من البشر تكون في العادة فتاة عذراء".

وفي لقي عدد كبير من الفتيات الضحايا حتفن نتيجة لذلك إلى أن جاء الدور على ابنة الملك لتكون هي الضحية، وألقى بالفتاة إلى الوحش، وهنا يظهر بطل

---

(١) راجع الغصن الذهبي ج ١ ص ٤٨٩ - ٤٩٠.

القصة - وهو في العادة شاب صغير من أصل متواضع - فيتدخل لإنقاذها ويقتل الوحش وينال يد الأميرة جزاء له على عمله.

وفي كثير من القصص يسكن الوحش (الذي يوصف أحياناً بأنه ثعبان) في ماء البحر أو البحيرة أو أحد الينابيع، أو قد يظهر في بعض القصص الأخرى على أنه يسيطر على ينابيع الماء فلا يسمح للماء بالانسياب كما لا يسمح للناس باستعماله إلا بعد أن يقدموا له ضحية آدمية<sup>(١)</sup>.

وقد يكون من الخطأ أن نرفض هذه القصص على مجرد أنها أوهام اخترعها الرواة، والأحرى بنا أن نفترض أنها تعكس بعض العادات الحقيقية التي كانت تقوم على تضحية الفتيات أو النساء بتزويجهن لروح الماء التي كان الناس يتصورونها في الأغلب على شكل ثعبان أو تنين كبير<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المصدر السابق ص ٤٩٠ - ٤٩١.

(٢) المصدر السابق ص ٤٩١.

## الفصل الرابع

### القرايين البشرية عند الهنود القدماء

يذكر ول ديورانت أن أعظم الطقوس الجماعية في الديانة الهندية القديمة هي تقديم القرايين، فالقربان عند الهندي ليس مجرد صورة خاوية، لأنه يعتقد أنه إذا لم يقدمه للآلهة طعمًا تموت جوعاً.

وكان من أنواع القرايين في الهند كما في غيرها من بلاد العالم القديم القرايين والضحايا البشرية، وكانت "كالي" تحب أن يكون قربانها رجالاً، ثم فسر البراهمة هذا بأنها إنما تحب أن تأكل رجالاً من أهل الطبقات الدنيا وحدها<sup>(١)</sup>.

والإلهة "كالي" تعد زوجة الإله "شيفا" الذي كانت عبادته من أقدم وأعمق وأبشع العناصر التي تتألف منها الديانة الهندية، وكلمة "شيفا" لفظة أريد بها التخفيف من بشاعة الإله، فمعناها الحرفي "العطوف" مع أن شيفا في حقيقة الأمر - عند الهنود - إله القسوة والتدمير قبل كل شيء آخر، هو تجسيد لتلك القوة الكونية التي تعمل واحدة بعد الأخرى، على تخريب جميع الصور التي تبدى فيها حقيقة الكون<sup>(٢)</sup>.

وهذا الإله الذي يرمز للتدمير، يمثل كذلك للعقل الهندي تلك الدفعة الجارفة نحو التناسل الذي يتغلب على موت الفرد باستمرار الجنس.

---

(١) الهند وجيرانها ص ٢٢٥ الجزء الثالث من المجلد الأول من قصة الحضارة ترجمة د/ زكي نجيب محمود لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٨ م.

(٢) المصدر السابق ص ٢٥٠.

وهذه الحيوية الخلاقة الناسلة (شاكتى) التى يبدىها شيفا تتمثل فى بعض جهات الهند، وخصوصاً فى البنغال، فى صورة زوجة شيفا، واسمها "كالى" وهى موضع عبادة فى عقيدة من العقائد الكثيرة التى تأخذ بمذهب "الشاكتى" هذا<sup>(١)</sup>.

ولقد كانت هذه العبادة حتى القرن الماضى - كما يقول ول ديورانت - وحشية الطقوس حيث كانت تتضمن فى شعائرها تضحية بشرية.

وقد ارتكبت جمعية "الغادرين" (وهى جمعية سرية عجيبة تكاد تكون طبقة اجتماعية) فى القرنين الثامن عشر والتاسع عشر آلاف الجرائم الشنيعة، وذلك - كما قالوا - بغية تقديم هؤلاء الضحايا قرايين للإله "كالى"<sup>(٢)</sup>.

وصورة هذه الإلهة عند عامة الناس شبح أسود بضم مفغور ولسان متدل، تزدان بالأفاعى وترقص على جثة ميتة، وأقراطها رجال موتى، وعقودها سلسلة من جماجم، ووجهها وثديها تلطخها الدماء، ومن أيديها الأربعة يدان تحملان سيفاً ورأساً مبتوراً، وأما اليدان الأخريان فممدودتان رحمة وحماية، لأن "كالى - بارفالى" هى كذلك إلهة الأمومة كما أنها عروس الدمار والموت، وفى وسعها أن تكون - حسبما يتصور الهنود - رقيقة الحاشية كما فى وسعها أن تكون قاسية، وفى مقدورها أن تبسم كما فى مقدورها أن تقتل، ولعلها كانت ذات يوم إلهة أما فى سومر، ومن ثم جاءت إلى الهند قبل أن تتخذ هذا الجانب البشع من جانبيها<sup>(٣)</sup>.

ولاشك أنها هى وزوجها - فيما يقول ول ديورانت - قد اتخذوا أبشع صورة ممكنة لكى يلقيا الرعب فى نفوس الرعايد من عبادها فيحتشموا أو أن تكون هذه البشاعة كلها قد أريد بها أن يلقي الرعب فى نفوس العباد فيجودوا بالعطاء للكهنة<sup>(٤)</sup>:

(١) المصدر السابق ص ٢٠٦.

(٢) الهند وجيرانها ص ١٠٩ - ٢٠٦.

(٣) المصدر السابق ص ٢٠٦.

(٤) المصدر السابق ص ٢٠٦ - ٢٠٧.

## إحراق الأرملة والانتحار المقدس:

وهناك توضيحية من نوع مختلف عند الهنود تتمثل في إحراق الأرملة حية بعد موت زوجها، وفي إقدام عدد من الناس على الموت حرقاً أو غرقاً كنوع من الانتحار المقدس.

يقول البيروني ت ٤٤٠ هـ "وأما حق الحى في جسده فلا يميل فيه إلى الإحراق إلا الأرملة التى تؤثر اتباع زوجها أو الذى مل حياته وتبرم بجسده من مرض عياء وزمانه لازمة أو شيخوخة وضعف"<sup>(١)</sup>.

## إحراق الأرملة:

يذكر المسعودى أن من عادات الخزر الجاهلية أن يحرقوا موتاهم ودواب ميتهم وآلاته والحلى، وأنه إذا مات الرجل أحرقت معه امرأته وهى فى الحياة، وإن ماتت المرأة لم يحرق الرجل، وأن النساء يرغبن فى تحريق أنفسهن لدخولهن عند أنفسهن الجثة.

ثم قال "وهذا فعل من أفعال الهند، إلا أن الهند ليس من شأنها أن تحرق المرأة مع زوجها إلا أن ترى تلك المرأة"<sup>(٢)</sup>.

ويذكر ول ديورانت أن عادة إحراق الأرامل على الكومة التى احترق فيها أزواجهن<sup>(٣)</sup> جاءت إلى الهند من خارج، ويقول عنها "هيرودوت" إنها كانت عادة

---

(١) تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مردولة ص ٤٨٠، طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن - الهند ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨ م نشر عالم الكتب - بيروت.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر تصنيف الرحالة الكبير والمؤرخ الجليل أبى الحسن على بن الحسين بن على المسعودى ص ١٧٩ بتحقيق محمد محى الدين عبد الحميد - دار الفكر بيروت الطبعة الخامسة ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٣ م.

(٣) لا يزال الهنود وبعض الشعوب الوثنية المعاصرة يقومون بإحراق موتاهم ويذكر أبو الريحان البيرونى أن أجساد الموتى فى الهند كانت فيما مضى من الأزمنة الأولى تدفع إلى السماء بأن تلقى فى الصحارى مكشوفة لها ويخرج المرضى إليها وإلى الجبال ويتكون فيها، فإن ماتوا كانوا كما قلنا وإن أبلوا رجعوا بأنفسهن إلى منازلهم.

جارية بين السُّكَّيت القدماء، وأهل تراقياً، ولو كان لنا أن نصدقه في روايته - فيما يقول ديورانت - لعلمنا إذن أن زوجات الرجل من أهل تراقياً كن يقتلن تسابقاً على امتياز القتل على قبر الزوج<sup>(١)</sup>.

ثم يرجح ول ديورانت أن هذه الشعيرة قد هبطت إلى الهنود من عادة قديمة كادت تشمل شعوب العالم الوثنية القديمة كلها، وهى التضحية بواحدة أو أكثر من زوجات الأمير أو الغنى أو من خليلاته، والتضحية معها بطائفة من عبيده، وغير ذلك مما لا بد من تقديمه قرباناً إثر وفاته، وذلك ليعنى هؤلاء بالميت فى الحياة الآخرة<sup>(٢)</sup>.

ويذكرها كتاب "آثار فافيدا" على أنها عادة قديمة، أما "رج فيدا" فيذكر لنا أن

= ثم جاء بعد ذلك من تولى وضع السنن وأمرهم بدفعها إلى الريح. فأقبلوا على بناء بيوت لها مسقفة بحيطان مشبكة يهب الريح منها عليها وعلى مثال الحال فى نواويس المجوس، ومكثوا على ذلك برهة إلى أن رسم لهم "نارايين" دفعها إلى النار فمئذ ذلك الوقت يحرقونها فلا يبقى منها شىء من ضرر أو عفونة أو رائحة إلا ويتلاشى بسرعة ولا يكاد يذكر (تحقيق ما للهند ص ٤٧٧ - ٤٧٨).  
ويذكر ول ديورانت أن الطريقة المألوفة فى أيام بوذا كانت هى الطريقة الزردشتية فى تعريض الجثة لسباع الطير، إلا أن كان الميت من الأعلام البارزين، فعندئذ تحرق جثته بعد موته، على كومة من الحطب، ثم يدفن رماده فى ضريح يحفظ ذكره ثم عمت هذه الطريقة فى إحراق الجثة الناس جميعاً بعد، حتى لترى كل ليلة حطباً يجمع ويكرم لإحراق الموتى، الهند وجيرانها ص ١٩٣.  
ويعلل الهنود ذلك - كما يقول البيرونى - بأن فى الإنسان نقطة بها الإنسان إنسان وهى التى تتخلص عند انحلال الأمشاج بالإحراق وتبددها، ورأوا فى هذا الرجوع أن بعضه يكون بشعاع الشمس تتعلق به الروح وتصعد وأن بعضه يكون بلهب النار ورفعها إياها، ويرون من حق جثة الميت على الورثة أن تغسل وتعطر وتكفن ثم تحرق بما أمكن من صندل أو حطب، وتحمل بعض عظامه المحترقة إلى نهر "كنك" وتلقى فيه ليجرى عليها كما جرى على عظام أولاد "سكر" المحترقة، فأنقذهم - فيما يزعمون - من جهنم وحصلهم فى الجنة، وي طرح باقى رماده فى بعض الأودية الجارية، ويقبر موضع احتراقه ببناء شبه ميل عليه مجصص، ولا يحرق من الأطفال ما قصر سنه عن ثلاث، ومن عجز عن الإحراق مال به إلى الإلقاء فى الصحراء أو فى الماء الجارى، تحقيق ما للهند ص ٤٧٩ - ٤٨٠.

(١) الهند وجيرانها ص ١٨١.

(٢) المصدر السابق.



هذه العادة في العصر الفيدي كانت قد خف شأنها حتى أصبحت محصورة في مطالبة الأرملة بالرقاد على كومة الحطب التي أعدت لزوجها قبل إحراق جثته.

ثم تعود قصيدة "ماها بهاراتا" فتصف هذه العادة الاجتماعية وصفاً يدل على عودتها كاملة بغير شعور من الناس بفداحة ما يفعلون.

وهي تذكر أمثلة كثيرة لهذه العادة التي تسمى "سوتى" ومعناها الزوجة المخلصة لزوجها" ثم تضع للناس قاعدة عامة مؤداها أن الأرملة الطاهرة لا تحب أن تحيا بعد زوجها بل تراها تدخل النار فخورة بصنيعها<sup>(١)</sup>.

ولعل هذا الشعور بالفخر من الزوجة هو ما عبر عنه المسعودى وأشرنا إليه آنفاً من أن المرأة كانت ترغب في تحريق نفسها اعتقاداً منها أنها بذلك تدخل الجنة في الآخرة وأن ذلك كان برغبة منها وليس بإكراه من الناس وضغط من المجتمع.

فقد انتشرت هذه العادة في حكم المغول انتشاراً واسعاً على الرغم من كراهية المسلمين لها، وفشل ملوك المسلمين، حتى "أكبر"<sup>(٢)</sup> بكل نفوذه، في زحزحة هذه العادة من النفوس.

فقد حاول "أكبر" ذات مرة أن يشن عروسا هندية عن تقديم نفسها طعاماً للنار على كومة الحطب التي أحرقت خطيبها الميت، وتوسل إليها البراهمة بما يؤيد رجاء الملك، لكن العروس أصرت على التضحية. فلما دنت منها ألسنة اللهب، وكان

---

(١) الهند وجيرانها ص ١٨١ - ١٨٢.

وكان الهنود في الغالب يحرقون جسد الزوجة في حفرة من الأرض وبعضهم كانوا يدفنونها حية، كما كان يحدث بين قبيلة "تلوج" في الجنوب ول ديورانت: الهند وجيرانها ص ١٨٢.

(٢) الملك "أكبر" هو أحد الملوك المسلمين الذين حكموا بلاد الهند وكان أبوه هيون ابن بابور قد سماه محمداً تبركا باسم النبي ولكن الهنود أطلقوا عليه "أكبر" ومعناها البالغ في عظمته حدّاً بعيداً "ويعتبر جده" مؤسس أسرة المغول وأول إمبراطور مغولى سيطر على الهند وكان اسمه زهير بن محمد ويرجع نسبه إلى تيمور وجينكيز خان.

راجع تفاصيل الحديث عنه وعن ملكه المصدر السابق ص ١٣١ - ١٤٤.

دانيال "ابن - أكبر - عندئذ ماضيًا في إقناعها بالعدول أجابته قائلة: "كفى كفى" (١).

وحدث كذلك لأرملة أخرى أن رفضت مثل هذه التوسلات بالإقلاع عن التضحية بنفسها، ووضعت إصبعها في شعلة مصباح حتى التهمتها النار، ولكونها أمسكت عن إظهار ألمها بأية علامة من علامات، فقد عبرت عن ازدرائها لأولئك الذين نصحوها بالإقلاع عن إحراق نفسها جرياً مع الطقوس (٢).

وفي "فيجايا ناجار" كان قتل الزوجة هذا يتخذ صورة جماعية فلا يكتفى فيه بقتل زوجة واحدة أو عدد قليل من زوجات الأمير أو القائد بعد موته، بل كان لابد لكل زوجاته أن يتبعنه إلى الموت.

ويروى لنا "كونتي" أن "الرايا" أو الملك قد اختار ثلاثة آلاف من زوجاته البالغ عددهن اثني عشر ألفاً، ليكن مقربات له "على شرط أن يحرقن أنفسهن مختارات عند موته، وإن ذلك يعد شرفاً عظيماً لهن" (٣).

وبذلك فإنه من اليسير لنا - وليس من العسير علينا كما يقول ول ديورانت - أن نحكم إلى أي حد كانت الأرملة الهندية في عصور الهند الوسطى راضية النفس عن هذه العادة بقوة التأثير الديني والعقيدة، وبقوة الرجاء في أن تعود إلى الاتحاد بزوجها في الحياة الآخرة.

فقد خلع البراهمة في آخر الأمر على هذه العادة قداسة دينية تحميها من العبث - بعد أن عارضوها أول الأمر ثم عادوا فقبلوها - وذلك بأن جعلوها مرتبطة بأبدية الرابطة الزوجية: فالمرأة إذا ما تزوجت رجلاً كان عليها أن تظل زوجته إلى الأبد، وستعود إلى الارتباط الزوجي به في حياته المقبلة (٤).

(١) الهند وجيرانها ص ١٨٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٣) المصدر السابق ص ١٨٣.

(٤) المصدر السابق ص ١٨٢.

وهذه الملكية المطلقة من الزوج لزوجته، اتخذت في "راجستان" صورة ما يسمونه "جوهور" وهي عادة تقضى على الرجل من أهل راجيوت، إذا ما أصابه نوع معين من الهزيمة أن يضحي بزوجاته قبل أن يتقدم هو إلى الموت في ساحة القتال<sup>(١)</sup>.

ويبين البيروني أن هذه العادة - عادة إحراق الأرملة - كانت تتم عن رغبة الأرملة واختيارها فيذكر أن المرأة إذا مات زوجها فليس لها أن تتزوج، وهي بين أحد أمرين - إما أن تبقى أرملة طول حياتها، وإما أن تحرق نفسها وهو أفضل لها لأنها تبقى في عذاب مدة عمرها<sup>(٢)</sup> وحفظها<sup>(٣)</sup>.

وكلام البيروني يفيد أن الهنود لجأوا إلى فرض ذلك بقوة القانون "الرسم" بدعوى الحفاظ على نساء الملوك خاصة خشية الانحراف والوقوع في الزلات<sup>(٤)</sup>.

معنى ذلك أن هذه العادة مع كونها كانت تنفذ برغبة المرأة حرصًا منها على تطبيق الدين - وطاعة الإله وأملا منها في إبقاء الرابطة الزوجية في الآخرة - كانت في بعض الأحيان وعلى نوعية من الناس - تفرض بقوة القانون.

ينقل ول ديورانت عن سترابو قوله إن عادة قتل الزوجة بعد موت زوجها كانت شائعة في الهند أيام الإسكندر وإن قبيلة "كاثي" وهي قبيلة تسكن البنجاب - اتخذت من هذه العادة قانونًا حتى لا تدس زوجة زوجها السم فتقتله<sup>(٥)</sup>.

وعلى أى حال فإن هذه العادة قد اتخذت في الاضمحلال شيئًا فشيئًا حتى تم إلغاؤها نهائيًا.

---

(١) المصدر السابق.

(٢) تحقيق ما للهند ص ٤٧٠.

(٣) أبو الحسن الندوى ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٦٠ - ٦١ نشر دار الأنصار بالقاهرة الطبعة العاشرة ١٩٧٧م.

(٤) تحقيق ما للهند ص ٤٧٠.

(٥) الهند وجيرانها ص ١٨٢.

يقول أبو الأعلى المودوى "إن الهنود يحرقون موتاهم، وكانوا فيما مضى يحرقون زوج الميت معه حياً، حتى منعهم الحكومات المسلمة والحكومة الإنجليزية بعدها من هذا الرسم القبيح"<sup>(١)</sup>.

ويذكر أبو الحسن الندوى أن هذا الفعل كان تقليدًا فاشيًا في الطبقات الشريفة والمجتمعات الأرستقراطية، وكان دليلاً على وفاء الزوجة للزوج وشرفها، وأنه قد قل عدد هذه "المتحركات" بتأثير الحكومات الإسلامية وتدخل الحكام المسلمين، كما صرح بذلك الرحالة الفرنسي الدكتور "بريتر" حتى ألغاه الإنجليز في العهد الأخير إلغاء تاماً<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان هذه العادة قد تم إلغاؤها نهائياً فإنها قد استبدلت في بعض بلاد الهند بنظام التضحية التمثيلية.

يذكر الدكتور على عبد الواحد وافي أنه في كثير من بلاد الهند كان يعد من مظاهر البر والوفاء أن تتحر المرأة المتوفى عنها زوجها بأن تحرق نفسها، وأن هذا التقليد قد ظل سائداً لديهم إلى عهد قريب ثم استبدل به في بعض بلاد الهند انتحار تمثيلي، فكان يكتفى عقب وفاة الزوج بأن يؤتى بكومة حطب وتشعل فيها النار، ويؤتى بزوجة المتوفى وتمد على هذه الكومة، وتظل كذلك حتى يقرب اللهب منها<sup>(٣)</sup>.

ويرى ول ديورانت أن هذه العادة أخذت تقل شيئاً فشيئاً كلما ازدادت الهند

---

(١) الحجاب ص ٣٨ دار العدالة للطباعة والنشر بالقاهرة.

وأنه قد قل عدد هذه "المتحركات" بتأثير الحكومات الإسلامية وتدخل الحكام المسلمين، كما صرح بذلك الرحالة الفرنسي الدكتور "بريتر" حتى ألغاه الإنجليز في العهد الأخير إلغاء تاماً<sup>(١)</sup>. وإذا كانت هذه العادة قد تم إلغاؤها نهائياً فإنها قد استبدلت في بعض بلاد الهند بنظام التضحية التمثيلية.

يذكر الدكتور على عبد الواحد وافي أنه في كثير من بلاد الهند كان يعد من.

(٢) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ص ٦١.

(٣) غرائب النظم ص ٢٠٢.

اتصالاً بأوروبا، وبالرغم من ذلك فإن الأرملة لم تزل تعاني صعباً كثيرة، فمادام الزواج قد ربط المرأة بزوجها رباطاً أبدياً، فإن زواجها مرة ثانية بعد موت زوجها كان يعد جريمة فادحة، ومن نتائج المحتومة أن يحدث للزوج اضطراباً في حياته المقبلة.

وعلى ذلك كان لابد للأرملة وفق القانون البرهمي - وقد سبق أن أشرنا إلى ما ذكره البيروني في هذا الشأن - أن تظل بغير زواج وأن تحلق شعرها وتحيا حياتها (إذا لم تؤثر لنفسها القتل في نار زوجها) معنية بأطفالها ومشتغلة بأعمال البر والإحسان، ولم يكن يحكم على الأرملة بالفقر، بل الأمر على عكس ذلك، إذا كان لها الحق الأول في أملاك زوجها<sup>(١)</sup>.

ويذكر البيروني أن الزوجة إن لم تحرق نفسها وآثرت الحياة يكون على الوارث رزقها وكسوتها مادامت<sup>(٢)</sup>.

غير أن هذه القواعد لم تجد قبولاً إلا عند النساء المحافظات على التقاليد من نساء الطبقتين العيا والوسطى - وهؤلاء نسبتهن ثلاثون في المائة من مجموع السكان - وأما المسلمون والسيخ والطبقات الدنيا فقد أهملوا تلك القواعد إهمالاً تاماً<sup>(٣)</sup>.

### الانتحار المقدس:

لقد ساد الاعتقاد في بلاد الهند أن الانتحار إذا قصد به التقرب إلى الآلهة أو التضحية بالنفس في سبيلها يصبح في ذاته عبادة دينية على أن يتم ذلك في صورة من الصور التي تحددها التقاليد والعادات.

ومن هذه الصور - التي ينقلها الدكتور وافي عن ويستر مارك - أن يصوم الشخص عن الطعام والشراب حتى يموت، وأن يلطخ جسمه كله بروث البقر

(١) الهند وجيرانها ص ١٨٣.

(٢) تحقيق ما للهند ص ٤٧٦.

(٣) الهند وجيرانها ص ١٨٣.

ويشعل النار فيه (يلاحظ أن البقر حيوان مقدس في الديانة الهندية) <sup>(١)</sup>، وأن يقبر نفسه في الجليد حتى يقضى نحبه، وأن يغرق نفسه في مصب من مصبات الجنج في أطراف بلاد البنغال على أن يظل يعدد خطاياهم ويردد عبارات التوبة والندم حتى تفرسه التماسيح، وأن يذبح نفسه في مدينة الاله آباد حيث يلتقى نهر الجنج بنهر جومنا، وأن يظل على قمة من قمم جبال الهملايا حتى يموت من البرد، وأن يغرق نفسه أو يدفن حيًّا إذا كان مصابًا بالجذام أو بمرض لا يرجى برؤه على أن تنتقل روحه التي تطهرت بهذا الانتحار إلى جسم معافي سليم، وأن يقذف بنفسه من شاهق ليكفر بذلك عن سيئاته أو ليصبح قديسًا في الحياة الأخرى، أو ليفي بنذر نذرتة أمه، وأن ينتحر البرهمي (طبقة البرهميين هي طبقة رجال الدين،

(١) تعتبر البقرة أكثر الحيوانات قدسية عند الهندي، بل إن فكرة تقديسها هي محور الديانة الهندوسية كما يقول غاندي، فترى تماثيل مصنوعة من كل مادة وفي شتى الأحجام، تراها في المعابد وميادين المدن، وأما البقرة نفسها فهي أحب الكائنات الحية جميعًا إلى الهنود، ولها مطلق الحرية في ارتياد الطرقات كيف شاءت، ويستخدم روثها وقودًا أو مادة مقدسة يتبركون بها!! ويوها خمر مقدس يطهر كل ما في الجسم من نجاسة في الظاهر والباطن!! فكل إفرازاتها طاهرة، فبؤها يجب الاحتفاظ به باعتباره أطهر المياه المقدسة تسمح ذنوب من يمسح بها كل جسده، وروثها لا يعادله شيء في التطهير، وأى بقعة يصيبها شرف إفرازات البقرة تظل إلى الأبد أرضًا طاهرة، وأما الرماد المتخلف عن حرق الروث بعد تجفيفه فهو كاف لتحويل أى خاطئ إلى قديس!! وتعامل البقرة على أنها إله عظيم، فتزين بالورود، وتغسل أقدامها بالمياه، وتوضع على جبهتها الزيوت العطرية والمساحيق البيضاء وتعلق في رقبتها الأجراس!!

وأما إزالة خطايا الفرد والتكفير عما سلف منه. فيكون بأكله خليطًا مكونًا من إفرازات البقرة الخمس: اللبن، والقشدة، والزبد، والروث، والبول، فمن يأكل هذا المخلوط ضمن لنفسه التطهر من ذنوبه كلها عن حياته المديدة السابقة!!

وإذا ماتت البقرة وجب دفنها بجلال الطقوس الدينية، ولا يجوز للهندي تحت أى ظرف أن يأكل لحمها أو أن يصطنع من جلدها لباسًا يرتديه، وقد بلغ عدد البقر ربع السكان في أيام ول ديورانت (صدر كتاب قصة الحضارة في الأصل الإنجليزي عام ١٩٣٥م)، والذي يبعث على السخرية المرة في الأمر هو عقيدة البراهمة بأن الأبقار لا يجوز ذبحها قط، وأن الحشرات لا يحل إيذاؤها قط، وأن الأرامل من النساء ينبغى أن يحرقن أحيانًا (راجع ول ديورانت الهند وجيرانها ص ٢٠٨ أحمد عبد المنصف محمود: في بلاد البقرة المقدسة ص ٩٠ - ٩٢ دار الكتاب العربى للطباعة والنشر.

وهى أرقى طبقة فى الديانة البرهمية<sup>(١)</sup> لتأثر روحه ممن أساء إليه أو من أحد خصومه<sup>(٢)</sup>.

وقد سبق أن أشرنا إلى قول البيرونى من أن إحراق الحى فى جسده لا يتم إلا للأرملة التى تؤثر اتباع زوجها، وكذلك الأمر للذى مل حياته، وتبرم بجسده من مرض عياء وزمانة لازمة أو شيخوخة وضعف<sup>(٣)</sup>.

ثم يقول "وإنما يؤثره "بيش" أو "شودر" فى الأوقات المرجوة الفاضلة طلباً لحال أفضل مما هو عليه عند العود، ولا يجوز ذلك بالنص لبرهمن أو "كشتر" ولأجل هذا يقتل نفسه من يقتلها منهم فى أوقات الكسوف، أو يستأجر من يغرقه فى نهر "كنك" ويتولى إمساكه حتى يموت<sup>(٤)</sup>.

ويذكر ول ديورانت أنه فى عصر "يوان شوانج" لم يكن من الحوادث النادرة أن يقبل الكهول المتقدمون فى السن على الموت راضين، فيطلبون إلى أبنائهم أن يسبحوا فى زورق على نهر "الكنج" إلى منتصفه حيث يقذفون بأنفسهم فى نهر الخلاص<sup>(٥)</sup>.

ووصف البيرونى هذا الفعل فذكر أن هناك شجرة عظيمة على ملتقى نهري "جمن" و"كنك" تعرف بيرياك من جنس الشجر التى تُسمى "ير" وخاصيتها أنه يبرز من فروعها نوعان من الأغصان أحدهما إلى فوق كما لسائر الأشجار، والآخر إلى أسفل على هيئة العروق غير مورق.

---

(١) هناك أربع طبقات فى الديانة البرهمية الهندية: الطبقة الأولى: طبقة البراهمة ويزعمون أنهم خلقوا من رأس وفم الإله، والطبقة الثانية طبقة الجند والمحارين وزعم البراهمة أنهم خلقوا من ذراعى الإله والطبقة الثالثة طبقة الزراع والحرفيين وقد خلقوا من فخذى الإله والطبقة الرابعة والمنحطة تماماً طبقة المنبوذين وقد خلقوا حسب زعم البراهمة من قدمى الإله (راجع تحقيق ما للهند ص ٧٥-٧٩، الهند وجيرانها ص ١٦٤-١٧٠).

(٢) غرائب النظم والتقاليد والعادات ص ٢٠٢.

(٣) تحقيق ما للهند ص ٤٨٠.

(٤) المصدر السابق.

(٥) الهند وجيرانها ص ١٩٣.

فإن دخل الأرض صار للغصن بمنزل العماد، وهىء ذلك لها لفرط انبساط فروعها، وعند هذه الشجرة المذكورة يقتل أولئك أنفسهم بأن يصعدوها ويرموا بأنفسهم إلى ماء كنك<sup>(١)</sup>.

ويصف المسعودى هذا الفعل أيضًا فيذكر أن نهر الكنك هو نهر الهند، ويمر بكثير من جبال السند، وأنه نهر حاد الانصباب والجريان، عليه يعذب أكثر الهنود أنفسهم بالحديد ويغرقونها زهدًا في هذا العالم ورغبة في النقلة عنه، وذلك أنهم يقصدون موضعًا في أعلى هذا النهر المعروف بالكنك، وهو جبال عالية وأشجار عادية، ورجال جلوس، وحدائد وسيوف منصوبة على ذلك الشجر، وقطع من الخشب، فتأتيهم الهند من الممالك النائية، والبلدان القاصية، فيسمعون كلام أولئك الرجال المرتبين على هذا النهر، وما يقولون من تهديدهم في هذا العالم والترغيب فيما سواه، فيطرحون أنفسهم من أعلى تلك الجبال العالية على تلك الأشجار العادية والسيوف والحدائد المنصوبة، فيتقطعون قطعًا، ويصرون إلى هذا النهر أجزاء، وما ذكرنا فموصوف عنهم، وما يفعلون على هذا النهر كذلك<sup>(٢)</sup>.

ومثل هذا الانتحار في ظروف معينة قد صادف في الشرق قبولاً - كما يقول ول ديورانت - أكثر مما صادف في الغرب، فكان مباحًا في عهد "أكبر" للكهول وللمرضى الذين لا رجاء في شفائهم (وهو ما أشار إليه المؤرخ المسلم البيرونى كما سبق آنفًا) ولأولئك الذين ابتغوا تقديم أنفسهم قربانًا للآلهة.

وكان من بين الهنود آلاف كان آخر عبادتهم أن يجيعوا أنفسهم حتى الفناء، أو أن يدفنوا أنفسهم في الثلج، أو يهبلوا روث البقر ثم يشعلوا فيه النار، وأن يتركوا أنفسهم للتماسيح لتلتهمهم عند مصب الكنج<sup>(٣)</sup>.

(١) تحقيق ما للهند ص ٤٨٠.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر ج ١ ص ٢٠٨.

(٣) الهند وجيرانها ص ١٩٣ - ١٩٤.



ويذكر المسعودي أن الهنود يعذبون أنفسهم بأنواع العذاب من دون الأمم، فقد تبينوا أن ما ينالهم من النعيم في المستقبل مؤجلاً لا يكون بغير ما أسلفوه من تعذيب أنفسهم في هذه الدار معجلاً.

وتحدث عن لون من هذا التعذيب الذي يفضى إلى الموت فقال:

"ومنهم من يصير إلى باب الملك يستأذن في إحراقه نفسه، فيدور في الأسواق وقد أجمت له النار العظيمة وعليها من قد وكل بإيقادها.

ثم يسير في الأسواق وقدامه الطبول والصنوج، وعلى بدنه أنواع من خرق الحرير قد مزقها على نفسه، وحوله أهله وقرابته وعلى رأسه إكليل من الريحان، وقد قشر جلده عن رأسه وعليها الجمر وعليها الكبريت والسندروس، فيسير وهامته (تتحرق) وروائح دماغه تفوح وهو يمضغ ورق التنبول<sup>(١)</sup>.

فإذا طاف هذا المعذب لنفسه بالنار في الأسواق، وانتهى إلى تلك النار، وهو غير مكترث ولا متغير في مشيته، ولا متهيّب في خطوته، ففيهم من إذا أشرف على النار وقد صارت جمرًا كالتل العظيم، يتناول بيده خنجرًا - ويدعى الجريء - عندهم - فيضعه في لبتة<sup>(٢)</sup>.

ويعرض المسعودي لحادثة من هذا النوع شاهدها بنفسه فيذكر أنه حضر ببلاد صيمور من بلاد الهند من أرض اللار من مملكة البلهرا، وذلك في سنة أربع وثلثائة، وكان الملك يومئذ على صيمور المعروف بحاج، وبها يومئذ من المسلمين نحو من عشرة آلاف قاطنين، فشاهد بعض فتيان الهند، وقد طاف على ما وصف - آنفاً - في أسواقهم، فلما دنا من النار أخذ الخنجر فوضعه على فؤاده فشقه، ثم أدخل يده

---

(١) والتنبول في بلاد الهند ورق ينبت كأصغر ما يكون من ورق الأترج يمضغ هذا الورق بالنورة المبلولة مع حب الفوفل، وهو الذي غلب على أهل مكة وغيرهم من بقية أهل الحجاز واليمن في هذا الوقت مضغه بدلاً من الطيب.

راجع تفصيل الحديث في مروج الذهب ج ١ ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) راجع مروج الذهب ج ١ ص ٢٠٩ - ٢١٠.

الشمال فقبض على كبده فجذب منها قطعة وهو يتكلم فقطعها بالخنجر، فدفعها إلى بعض إخوانه تهاوناً بالموت ولذة بالنقلة، ثم هوى بنفسه في النار<sup>(١)</sup>.

وقد ساد في الهند كذلك تقليد غريب يطلق عليه اسم (دهارنا) وذلك أن الدائن إذا ما طله مدينه، يذهب إلى بيته ويتهدهد به بأن يظل جالساً أمام بابه حتى يموت من الجوع والعطش والبرد إذا لم يوفه دينه.

ويعد هذا - فيما يقول الدكتور وافي - أعنف إجراء يمكن أن يلجأ إليه الدائن الممطول، ويتوجس المدين خفية من نتائج هذا الانتحار، فلا يدخر وسعاً في سداد ما عليه، وخاصة إذا كان الدائن برهميا، يخشى من بطش روحه الشديد - في زعمهم وحسب اعتقادهم - إذا أنقذ ما هدد به<sup>(٢)</sup>.

أما ما أشرنا إليه آنفاً من انتحار البرهمي لتأثر روحه ممن أساء إليه أو من أحد خصومه فقد ذكر ول ديورانت أنه نشأ بين البراهمة نوع من "الهاراكيري"، (وهو اسم للانتحار عند اليابانيين يأتونه تخلصاً من عار) فيتتحر المنتحر ليرد عن نفسه أذى أو يحتج على إهانة.

وحدث أن فرض أحد ملوك راجيوت ضريبة على طبقة الكهنة، فطعن عدد كبير من أغني البراهمة أنفسهم انتحاراً بين يديه، وهم يستنزلون عليه لعنة هي في زعمهم أبشع اللعنات وأشدّها أثراً - ألا وهي لعنة يستنزلها كاهن وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة<sup>(٣)</sup>.

ومن ذلك أيضاً ما يحكى من أن إحدى البرهميات قد غرر بها أحد الحكام حتى نال منها مأربه فأحرقت نفسها وأخذت في ساعاتها الأخيرة تصب اللعنات على هذا الحاكم وأسرتة، فاستجاب الإله دعاءها، وأنزل عليهم سخطه وسلط عليهم

(١) المصدر السابق ص ٢١٠ - ٢١١.

(٢) غرائب النظم والتقاليد والعادات ص ٢٠٣.

(٣) ول ديورانت - الهند وجيرانها ص ١٩٤.

الكوارث والمصائب، واضطربهم إلى الرحيل عن البلاد تاركين ديارهم وأموالهم، ومن ذلك الصين أصبح قبر هذه البرهمية ضريحاً مقدساً يزوره الناس ويؤدون فيه صلواتهم ومناسكهم<sup>(١)</sup>.

ومن الحكايات التي تحكى كذلك أن أحد الحكام قد منح قطعة أرض لأحد البرهمنين، فبنى هذا البرهمى مسكناً عليها، ثم رجع الحاكم فى هبته فهدم المنزل واسترد الأرض، فذهب البرهمى إلى بيت هذا الحكام وظل جالساً أمام بابه صائماً عن الطعام والشراب والنطاء حتى مات من الجوع والعطش والبرد، فتأثرت روحه من الحاكم فأهلكته ودمرت بيته<sup>(٢)</sup>.

بالإضافة إلى هذا فإنه إذا مات الملك من ملوك الهند قديماً أو قتل نفسه حرق خلق من الناس أنفسهم لموته، ويدعى هؤلاء بلا نجربة واحدهم بلا نجرى، وتفسير ذلك المصادق لمن يموت، فيموت بموته، ويحيا بحياته<sup>(٣)</sup>!!

ويذكر المسعودى أن للهند أخباراً عجيبة - غير ذلك - تجزع من سماعها النفس: من أنواع الآلام والمقاتل التى تألم عند ذكرها الأبدان، وتقشعر منها الأبدان، لكنه أتى على كثير من عجائب أخبارهم فى كتابه المفقود للأسف "أخبار الزمان"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) غرائب النظم والتقاليد والعادات ص ٢٠٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) مروج الذهب ج ١ ص ٢١١.

(٤) المصدر السابق.

## الفصل الخامس

### القرايين البشرية عند الكنعانيين والعمونيين والمؤابيين

#### أولا: عند الكنعانيين:

إذا كانت عادة تقديم القرايين البشرية قد وجدت لدى الأمم التي أشرت إليها أنفا فانه قد اشتهر تقديمها بشكل خاص عند الكنعانيين الذين يسمون أيضا في بعض مراحلهم التاريخية بالفينيقيين أو القرطاجيين<sup>(١)</sup>.

يذكر موسكاتي أن القرايين الكنعانية كانت تضم ضحايا من البشر إلى جانب قرايين الحيوان المألوفة<sup>(٢)</sup>.

ويرى كثير من العلماء أن التضحية البشرية كانت تعد من أهم الطقوس الدينية القرطاجية حيث عثر في معبد الإلهة تانيت في سالمبو، قرطاجة على أدلة أثرية تثبت ذلك وخاصة بالنسبة لتقديم الأطفال والأسرى تقربا للقوى الإلهية<sup>(٣)</sup>.

ويذكر ولز أن الفينيقيين وبخاصة سكان قرطاجة أعظم مستقراتهم في إفريقيا عرفوا بتقديم التضحيات البشرية حيث جرت العادة أنه كلما مات رئيس لهم

---

(١) لمعرفة مزيد من التفاصيل عن الكنعانيين في مراحلهم التاريخية المختلفة راجع رسالتي للدكتوراه "تأثر اليهودية بالأديان القديمة" كلية أصول الدين بطنطا.

(٢) الحضارات السامية القديمة ص ١٢٩.

(٣) وجدت في قرطاجة عند موضع معبد تانيت تحت الأرض بأربع طبقات صناديق حمراء بداخلها عظام متحجرة وتبين بعد فحصها أن ١٣٪ منها تحوى عظام حملان وصغار ماعز وأن ٨٥٪ تحوى عظام أطفال لم يتجاوزوا الستة أشهر (راجع كونستنتو: الحضارة الفينيقية ص ١٤٤ - ١٤٦ د. رشيد الناضوري: المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني ص ١٤٤.

يضحي بزوجاته وعبيده وتكسر الحراب والقسي عند قبر حتى لا يكون في عالم الأرواح بلا اتباع ولا أسلحة<sup>(١)</sup>.

بل إن كوننتو يذهب في كتابه "الحضارة الفينيقية" إلى أنه يجب علينا أن ننسب إلى الفينيقيين دون جدال عار التضحية البشرية حيث كانت التضحية بالطفل البكر عرفا جاريا لدى الكنعانيين في العصر العتيق.

ويذكر أن في حفريات جازر دليلا قاطعا في هذا الصدد، حيث وجدت بها عظام أطفال في حالة بلاء يَبْن يَبْن مودعة في أسس المنازل<sup>(٢)</sup>.

فقد كانت العادة أن يدفن الأولاد بعد تضحيتهم في جرار دقيقة في نهايتها تدخل رءوسهم أولا، وفي أريحا وغيرها من المواقع الكنعانية كانت توضع الجرار تحت أرض المنزل.

وقد اكتشف الأستاذ "ستيوارت ماكاليستر" في هذه الحفريات في فلسطين مكانا للدفن يستلفت النظر، وهذا المكان هو ببساطة حجرة أسطوانية يبلغ ارتفاعها عشرين قدما، واتساعها خمسة عشر قدما، وقد نحتت هذه الحجرة في الصخر وترك مدخلها في قمته على هيئة فتحة دائرية. ويبدو أن هذه الحجرة كانت في الأصل مخزنا للمياه قبل أن تتحول إلى مدفن.

وقد عثر في أرض تلك الحجرة على خمسة عشر هيكلآ آدميا أو بالأحرى أربعة عشر هيكلآ ونصف هيكل، وذلك أنه لم يعثر لهيكل من هذه الهياكل سوى على جزئه العلوى، في حين لم يعثر على جزئه السفلى.

وهذا الهيكل لفتاة تبلغ الرابعة عشرة من عمرها، وقد قطع جسدها أو نشر من الوسط عند الفقرة الثامنة من عمودها الفقرى عند التجويف الصدرى.

وحيث إن الأجزاء الأمامية من الضلوع قد هشمت عند هذا المستوى، فانه من

(١) موجز تاريخ العالم ص ٧٧.

(٢) الحضارة الفينيقية ص ١٤٥.

الواضح أن هذا التهشم قد تم في مرحلة كانت العظام تستند فيها على الأجزاء الرخوة من الجسم.

وأما سائر الهياكل فهي هياكل رجال، اثنان منها لشابين يبلغان من العمر الثامنة عشر وربما التاسعة عشر، والباقي لرجال كاملين النمو معتدلي القوام قويي البنية، ويدل وضع الهياكل على أن أصحابها لم يطرحوا في الحجرة من خلال فتحتها العلوية وإنما هبط بهم رجال إلى داخلها، كما أنه يعتقد أن كميات الفحم الكبيرة التي عثر عليها بين العظام تدل على أن حفلا جنائزيا أو تضحية أو أى طقس مقدس آخر قد أدى داخل حجرة الدفن<sup>(١)</sup>.

ويعلق جيمس فريزر على ذلك الاكتشاف وبخاصة هيكل الفتاة بأنه يعد أثرا باقيا لعادة التضحية بالإنسان تلك العادة التي لعبت دورا بارزا في الديانة الكنعانية حيث تبين من دراسة هذه الهياكل أن أصحابها ينتمون إلى العنصر الكنعاني الذي كان يستوطن فلسطين قبل غزو العبريين لها<sup>(٢)</sup>.

ويستدل فريزر على ذلك بالعادة المشابهة لها التي أشار إليها الأنبياء العبريون، وكتاب العصور الكلاسيكية القديمة.

ويدعم هذا الافتراض - فيما يقول فريزر - ما عثر عليه من هياكل أطفال عثر عليها في "جيزر" محفوظة في جرار تحت أرض المعبد، فقد اعتقد الباحثون في العادة، أن هذه المخلفات تشهد على عادة التضحية بالابن الأول تكريما للإله المحلي.

وقد عثر على مزيد من هؤلاء الأطفال المدفونين في جرار حول معبد منحوت في الصخر في بلدة "تعنك" في فلسطين، وقد فسر تحنيط هؤلاء الأطفال على النحو الذي أشرنا إليه<sup>(٣)</sup>.

---

(١) راجع جيمس فريزر الفولكلور في العهد القديم جـ ٢ ص ٣٦٢ - ٣٦٣ ترجمة الدكتورة نبيلة إبراهيم - نشر دار المعارف.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٣.

(٣) المصدر السابق.

وكشف في حفائر (كفر الجرة) وهى من المواقع الكنعانية عن صندوق يضم عظام أطفال تحت أساس جزء من سور وهى غالبا ضحية التأسيس، وكشف في قرطاج عند أطلال معبد تانيت تحت الأرض عن صناديق حمراء تضم عظاما متحجرة وكذلك بقايا عقود وطلاسم أخرى<sup>(١)</sup>.

ثم كشفت الحفريات المتأخرة في جيزر أيضا عن نصف هيكل غلام في السابعة عشرة من عمره، وقد شق جسد هذا الغلام كما حدث مع الفتاة، من وسطه بين الضلوع وتجويف الحوض، ولم يعثر كما هو الحال مع الفتاة، على الجزء السفلى من جسد الغلام.

وإلى جانب الهيكل النصفى للغلام عثر على هيكلين كاملين لرجلين، إلى جانب مجموعة من الأواني الفخارية وضعت فوق الهياكل ومن حولها. وقد عثر على هذا الكشف تحت أساس بناء إن لم يكن أسفله مباشرة<sup>(٢)</sup>.

ومن ثم فقد أشار "ماكاليستر" إلى أن هذه الهياكل هى بقايا جثث آدمية ضحى بأصحابها وفقا للعادة المنتشرة ودفنوا تحت أساس البناء لإكسابه قوة ومناعة أو لحمايته من الأعداء<sup>(٣)</sup>.

وتتضح هذه العادة كل الإيضاح - كما يقول فريزر - من خلال نماذج مستمدة من بلاد متعددة، فليس من الضروري أن نسهب في إيضاحها، وإنما يكفينا مثال واحد سجله شاهد عيان، ويتلخص في أن بحارا إنجليزيا اسمه "جاكسون" قد هرب منذ سبعين عاما أو ثمانين عاما مضت، طيلة عامين وحده بين "الفيجانيين" الذين مازالوا متبررين ملحدين، وقد خلف لنا هذا البحار حكاية تجاربه الساذجة وإن كانت لا تخلو من قيمة.

فبينما كان يقيم مع هؤلاء المتبررين، تصادف أن كان يبنى بيت الملك أو الزعيم

(١) د/ عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ص ٣٠٢.

(٢) الفولكلور في العهد القديم ج ٢ ص ٣٦٦.

(٣) المصدر السابق ص ٣٦٦ - ٣٦٧.

المحلى، ثم أبصر "جاكسون" ذات يوم - بينما كان يقف بالقرب من مكان البناء - رجالا يساقون ويدفنون أحياء في الجحور التي كان سيقام فيها أعمدة البيت.

وقد حاول الأهالى أن يصرفوه عن رؤية هذا المنظر ولكنه أسرع إلى أحد هذه الجحور، حتى لا تتم عملية الخديعة، فأبصر رجلا يقف في الجحر ويداه تعانقان العمود ورأسه مازال بارزا من بين التراب، فلما سأل الأهالى عن سبب دفنهم لرجال أحياء عند أسفل الأعمدة أجابوه بأن البناء لا يصمد طويلا ما لم يمسك الرجال بدعائمه على الدوام.

فلما سألهم: وكيف يتسنى لهؤلاء الرجال أن يمسكوا دعائم البيت بعد أن يموتوا، أجابوه: بأنه إذا ضحى الرجال بأرواحهم في محاولة الإمساك بالأعمدة فإن فضيلة التضحية تحض الآلهة على المحافظة على سلامة البناء بعد أن يموت الرجال<sup>(١)</sup>.

ويعلق فريزر على هذه الحكاية بأن هذا المجرى من التفكير يصلح تماما لأن يفسر وضع هيكل الذكرين اللذين عثر عليهما تحت أساس البناء في "جيزر" ذلك أن أحد هذين الهيكلين قد عثر عليه وهو يمد يده إلى آنية، كما لو كان يعين نفسه على تناول الطعام وبذلك يصبح قادرا على القيام بهذا العمل الشاق وهو الإمساك بالحائط<sup>(٢)</sup>.

وجاء في كتاب "روما وامبراطوريتها" أن العلماء قد تأكدوا من صحة وجود القرايين البشرية عند الكنعانيين ولم يعد لهم مجال لنفيها أو نكرانها على أثر الاكتشاف الذى جاء فى أعقاب الحرب العالمية الأولى، والحفريات الكاملة التى تمت فى قرطاجنة، إثر الحرب الكونية الثانية.

فقد أظهرت هذه الكشوف الأثرية معالم أقدم هيكل من هياكل قرطاجنة على مقربة من مرفأ المدينة حيث عثروا على عظام ذبائح بشرية ترجع إلى القرنين الثامن والثانى ق.م.

(١) الفولكلور فى العهد القديم ج ٢ ص ٣٦٧.

(٢) المصدر السابق ص ٣٦٧ - ٣٦٨.



وكان يعلو الذبيحة نصب كتب عليه العبارة التالية:

"إلى الربة تانيت بينيه بعل، وإلى الرب بعل همون مقدمة من فلان ابن فلان، فلتباركه الآلهة<sup>(١)</sup>."

ولعل من أشهر الآلهة الكنعانية التي قدم لها الكنعانيون قرابينهم البشرية الإله (مولك) أو (مولوخ).

يقول ول ديورانت "وكانت للفينيقيين آلهة كثيرة، وكان لكل مدينة بعلها (أى سيدها) أو إلهها الخاص وهو فى اعتقاد أهلها جد ملوكها ومخصب أرضها<sup>(٢)</sup>."

وكان من أشهر آلهتهم الإله (مولوخ) أى الملك وهو الإله الرهيب، وكان الفينيقيون، إذا حزبهام أمر يضحون بأطفالهم بل بأعز أولادهم فيتقربون له بأن يحرقوهم أحياء أمام ضريحه، فكان الآباء يأتون إلى الحفل وقد أخذوا زيتهم كأنهم فى يوم عيد وكانت دقات الطبول وأصوات المزامير تغطى على صراخ أطفالهم وهو يحترقون<sup>(٣)</sup>.

وبجانب الإله "مولوخ" كان الكنعانيون يقدمون قرابينهم البشرية إلى الإلهين: ما قرت إله مدينة صور، وبعل همون إله قرطاجنة.

فكان القرطاجيون يقدمون فى كل سنة أحد أبنائهم من الأسر الشريفة ذبيحة للإله ملقرت شفيح مدينة صور الكبير وحاميها، وكانت نفوس الأقدميين تنقبض هلعا كما تنقبض نفوس المحدثين اليوم من تقديم أحد الأطفال ذبيحة للإله بعل همون وهى ذبيحة لم يكن عنها بد فى نظر المسئولين الذين كثيرا ما كانوا يحاولون

---

(١) روما وامبراطوريتها، المجلد الثانى من تاريخ الحضارات العام ص ٦٢ تأليف اندريه ايبار، جانين أو بوايه باشراف موريس كروزيه نقله إلى العربية فريد م. داعر وفؤاد ج. أبو ريجان منشورات عويدات بيروت ١٩٨٦ م.

(٢) قصة الحضارة: الشرق الأدنى ص ٣١٥.

(٣) راجع المصدر السابق ص ٣١٥-٣١٨-٣١٩ د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ٧٠، دار المعارف بمصر - الطبعة الثانية ١٩٦٤ م.

تجنبها وتفاديها بالتى هى أحسن ولا ينفذونها إلا تحت ضغط الدولة والرأى العام فى حالات الخطر الشديد المهدد لسلامة البلاد<sup>(١)</sup>.

فقد كان هنالك كما يقول ديودورس الصقلى تمثال للإله ملقرت وقد بسط يديه بانحناء نحو الأرض بحيث ينحدر الولد الذبيحى رويدا ليهوى فى أتون متقدة يرتفع لهيب النار فيها عاليا<sup>(٢)</sup>.

وإذا نظرنا إلى الصلة الوثيقة بين بعل همون فى قرطاجنة وملقارت فى صور وإلى أن القدماء أدركوا الصلة بين الإلهين إدراكا واضحا فإننا نستطيع - فيما يقول كونتنتو - أن نقرر هذه الصلة بعبادة التضحية البشرية لهذين الإلهين.

ويقرر تيرتوليان أن الناس فى عصره كانوا لا يزالون يقدمون لها الضحايا البشرية سرا (فى القرن الثالث للميلاد)<sup>(٣)</sup>.

فقد بقيت هذه العادة لدى الكنعانيين حتى العصر الرومانى.

جاء فى كتاب "روما وامبراطوريتها" أن الذى أدهش الأقدمين وحيرهم هو استمرار بعض الطقوس الدينية عند القرطاجيين التى رأت فيها النخبة من الإغريق والرومان عادة متأخرة وحشية الطابع.

ومن بين هذه الطقوس التى كان الكنعانيون يستسلمون إليها بوحشية تتفزز النفوس لمراها وتشمئز منها لما يرافقها من بويقات هذه الذبائح البشرية، حتى إن بعض الملوك تدخلوا لحمل القرطاجيين على الإقلاع عن هذه العادة الوحشية كالملك داريوس الفارسى والطاغية السيراموزى جيلون وغيرهما، وكل هذه المساعى ذهبت عبثا وبقيت العادة سارية بينهم إلى عهد الإمبراطورية الرومانية المتأخرة يقيمونها خفية ويقبلون عليها تحت جنح الظلام<sup>(٤)</sup>.

(١) روما وامبراطوريتها ص ٦٢.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الحضارة الفينيقية ص ١٤٦.

(٤) راجع روما وامبراطوريتها ص ٦١ - ٦٢.

ويذكر كوننتو أن الكنعانيين قد احتفظوا بهذه العادة إلى العصور القريبة حتى روى فيلون أنه كان من عاداتهم في حالات الأخطار العامة أن يضحوا بأعز آبائهم لإبعاد الكوارث عن أنفسهم وروى ديودور الصقلي أنهم ضحوا بمائتي طفل في صقلية<sup>(١)</sup>.

### ثانياً: القرابين البشرية عند العمونيين والمؤابيين:

يشكل كل من العمونيين والمؤابيين - ومعهما الأدوميون - أحد العناصر السامية التي تكونت منها شعوب فلسطين، وكانوا يعرفون بالقبائل أو الممالك الثلاث الصغيرة أو بدول شرق الأردن<sup>(٢)</sup>.

وفيما يتعلق بالعمونيين فقد كان من صفاتهم - كما ورد في قاموس الكتاب المقدس - أنهم كانوا قساة القلوب حيث كانوا يقدمون أبناءهم ذبائح للإله "ملكوم" أشهر أصنامهم، والذي سمي أيضاً بالإله "مولك".

و"مولك" اسم كنعاني معناه ملك، ويسمى ملكوم أى ملككم، وكان العمونيون يذبحون له ذبائح بشرية ولاسيما الأطفال، يقول الربيون إن صنمه كان من نحاس جالسا على عرش من نحاس، وكان له رأس عجل عليه إكليل، وكان العرش والصنم مجوفين فكانوا يشعلون في التجويف ناراً حامية جداً حتى إذا بلغت حرارة الذراعين إلى الحمرة وضعوا عليهما الذبيحة فاحترقت عاجلاً، وفي أثناء ذلك كانوا يدقون الطبول لمنع سماع صراخ الأطفال<sup>(٣)</sup>.

وأما فيما يتعلق بالمؤابيين فقد ورد في أسفار العهد القديم أن المؤابيين كانوا يقومون بتقديم القرابين البشرية.

---

(١) الحضارة الفينيقية ص ١٤٥ - ١٤٦ د. عبد الحميد زايد: الشرق الخالد ص ٣٠٢.

(٢) لمعرفة هذه الممالك الثلاث أصل شعوبهم ونشأتهم راجع رسالتى للدكتوراه ص ٢٥٧ وما بعدها. وجاء في قاموس الكتاب المقدس أن أرض المؤابيين يقابلها اليوم القسم الشرقي من البحر الميت لمملكة الأردن، وأرض العمونيين منطقة جبلية تقع شرقي نهر الأردن، وهى فى أواسط المملكة الأردنية حالياً (قاموس ص ٦٤٠ - ٩٢٨).

(٣) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٩٣٤ - ٩٣٥.

ففى إحدى المعارك التى دارت بينهم وبين الإسرائيليين فى عصر الانقسام حيث رفض المؤابيون دفع الجزية إلى مملكة إسرائيل فقام ملك إسرائيل وملك يهوذا وملك أدوم بمحاربتهم.

جاء فى سفر الملوك الثانى "ولما سمع كل المؤابيين أن الملوك قد صعدوا لمحاربتهم جمعوا كل متقلدى السلاح فما فوق... فقام إسرائيل وضربوا المؤابيين فهربوا من أمامهم فدخلوا وهم يضربون المؤابيين وهدموا المدن..

فلما رأى ملك مؤاب أن الحرب قد اشتدت عليه أخذ معه سبعمائة رجل مستلى السيوف لكى يشقوا إلى ملك أدوم فلم يقدرُوا.

فما كان من ملك مؤاب واسمه ميشع إلا أن أخذ ابنه الأكبر الذى كان ملكًا عوضاً عنه وأصعده محرقة على السور<sup>(١)</sup>.

وهكذا لم يجد الملك مناصاً فى سبيل إحراز النصر إلا أن يقدم ابنه البكر فلذة كبده وولى عهده ذبيحة ومحرقة على سور المدينة قربانا للإله الذى يعبدونه.

والعجيب أن هذا التصرف قد أفزع اليهود مع أنهم يقومون بتقديم القرابين البشرية بل إنهم قدموا لنفس الإله الذى قدم له الملك ابنه البكر<sup>(٢)</sup>.

يذكر سفر الملوك الثانى أنه بعد تقديم الملك ابنه ذبيحة "فكان غيظ عظيم على إسرائيل، فانصرفوا عنه ورجعوا إلى أرضهم"<sup>(٣)</sup>.

وجاء فى قاموس الكتاب المقدس أنه قد اقشعر شعب إسرائيل من هذا المنظر الفظيع فرفعوا الحصار ورجعوا إلى أرضهم<sup>(٤)</sup>.

وهذا الإله الذى قدم ملك مؤاب إليه تلك الذبيحة كان يسمى "كموش".

---

(١) راجع تفاصيل هذه المعركة فى الاصحاح الثالث من سفر الملوك الثانى (٤ - ٢٧).

(٢) سنين هذا فى الباب الثانى إن شاء الله عند حديثنا عن اليهود وتقديمهم للقرابين البشرية.

(٣) ٢٧: ٣.

(٤) ص ٩٤٠.

وهو إله المؤابيين وقد سموا به أمة كموش وشعب كموش<sup>(١)</sup> وسمى كموش في العهد القديم "رجس المؤابيين"<sup>(٢)</sup>.

وفي الكتابة على الحجر المؤابي ينسب الملك ميشع انتصاراته إلى كموش<sup>(٣)</sup>. وكانت طريقة عبادته تشبه من كل الوجوه عبادة الإله مولك بتقديم الأولاد ذبائح له<sup>(٤)</sup>.

والظاهر أن كموش كان يتصل بملكوم إله العمونيين صلة وثيقة<sup>(٥)</sup>.

---

(١) عدد ٢١-٢٩، أرميا ٤٨-٤٩.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٧٨٧.

(٣) تم اكتشاف هذا الحجر في عام ١٨٦٨ م وهو يحكى انتصارات ميشع - راجع إسرائيل ولفتسون: تاريخ اللغات الصامية ص ١٠٥ - ١١١ ومصر والشرق الأدنى القديم ج٣ ص ٣٥٩ - ٣٦١ ورسالتى للدكتوراه ص ٢٥٨ - ٢٥٩.

(٤) ملوك ثان ٣: ٢٧.

(٥) قضاة ١١: ٢٤، ملوك أول ١١: ٥. قاموس الكتاب المقدس ص ٧٨٧.

## الفصل السادس

### القرايين البشرية عند اليونانيين والرومانيين

#### أولا : عند اليونانيين :

يذكر ول ديورانت أن الطقوس الدينية اليونانية لم تكن أقل تنوعا واختلافا من الآلهة التي كانت تحتفل بها وتعظمها<sup>(١)</sup>: فقد كان للآلهة الأرضية طقوس حزينة يسكن بها غضبها ويتقى شرها<sup>(٢)</sup>.

ومن القرايين التي كانت تقدم للآلهة اليونانية القرايين البشرية:

يقول ول ديورانت "وعند مسيس الحاجة كان يضحي بالآدميين أنفسهم، فقد ضحى أجمنون مثلا بإفجينيا كي تهب الريح، وذبح أخيل اثني عشر من شباب طروادة على كومة حريق بتركوس، وكان الضحايا الآدميون يقذف بهم من فوق صخور قبرص ولوكاس استرضاء لأبلو، وآخرون يهدون إلى ديونيسس في طشيوز وتندوس ويقال إن ثمسيكليز ضحى ببعض أسرى الفرس يوم سلاميس، وكان

---

(١) قسم ول ديورانت الحشد الكبير من الآلهة اليونانية إلى سبع مجموعات: آلهة السماء وآلهة الأرض، وآلهة الخصب والآلهة الحيوانية وآلهة ما تحت الأرض وآلهة الأسلاف أو الأبطال والآلهة الأوليمبية، وبين أن ذكر أسمائها مما يشق على الإنسان (حياة اليونان الجزء الأول من المجلد الثاني من قصة الحضارة ص ٣٢١ ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٩م).

ولمعرفة مزيد من المعلومات عن الديانة اليونانية القديمة راجع حديثي عنها في رسالة الدكتوراه (تأثر اليهودية بالأديان القديمة) مع المراجع التي رجعت إليها.

(٢) المصدر السابق ص ٣٤٨.

الأسبارطيون يحتفلون بعيد أرتميس أورثيا بجلد بعض الشبان عند مذبحها جلدا كان يدوم في بعض الأحيان حتى يقضى على المجلودين<sup>(١)</sup>.

ويذكر الدكتور على عبد الواحد وافي أن نظام التضحية البشرية انتشر انتشارا كبيرا عند قدامى اليونان، وأن معظم ضحاياهم البشرية كانت تقدم لكبير آلهتهم زوس، وكانوا يقدمونها في مناسبات دينية وديوية كثيرة، وكان يكثر تقديمها في إبان المجاعات والقطط والحروب وانتشار الكوارث والأوبئة وما إلى ذلك لاسترضاء الإله واستئثار عطفه ورحمته<sup>(٢)</sup>.

فكان إذا انتشر الوباء في مساليا جئ بمواطن فقير وأطعم من بين المال، وألبس الثياب الكهنوتية، وزين بالأغصان المقدسة، وألقى من فوق صخرة ومن حوله يدعون أن يكفر بعقابه هذا عن سيئات مواطنيه<sup>(٣)</sup>.

وكان من عادة أهل أثينة إذا داهمهم القحط، أو الطاعون أو غيرهما من الأزمات أن يقدموا للإله، إما حقيقة أو تمثيلا، ضحية بشرية واحدة أو أكثر من واحدة تطهيرا للمدينة، وكان يحدث مثل هذا في كل عام في عيد الثارجليا<sup>(٤)</sup>.

وكان في اركاديا مذبح ايباخوس لقتل الفتيات بالضرب، وكان الأطفال في لقدمونية يقتلون أحيانا بالضرب على مذبح ديانا أو سيتا<sup>(٥)</sup>.

وكان الضحايا التي تقدم إلى الإله زيوس تختار من بين أفراد الأسرات الأرستقراطية، وفي مناسبات المجاعات وما إليها كانت تختار في الغالب من الأطفال الصغار<sup>(٦)</sup>.

ويذكر بطرس البستاني أن عادة القرابين البشرية قد انتقلت إلى بلاد اليونان من

(١) المصدر السابق ص ٣٥٠ - ٣٥١.

(٢) غرائب النظم ص ٨٣.

(٣) ول ديورانت حياة اليونان ص ٣٥١.

(٤) المصدر السابق.

(٥) دائرة معارف بطرس البستاني ج ٨ ص ٣٩.

(٦) غرائب النظم ص ٨٢.

فينيقية وأن الذبائح البشرية عند اليونان كانت أقل مما في البلاد وأن اليونانيين كانوا في بادئ الأمر يكرهونها جدا.

فمن أخبارهم الدالة على ذلك أن ليكادو الاركادى مسخ ذئبا لأنه قرب إلى جوبيتر ذبيحة بشرية ولم يجر ذلك عندهم إلا في أزمان تابعة للزمان المتوغل في القدم<sup>(١)</sup>.

ويذكر ول ديورانت أن التضحيات البشرية قد خففت على مر الزمن وذلك بأن قصر الضحايا على المجرمين المحكوم عليهم بالإعدام، وكانوا فوق هذا يخدرون بالخمور، ثم استعيض عنهم آخر الأمر بالحيوانات<sup>(٢)</sup>.

ويذكر أن بليداس القائد البثوتى حينما رأى في الليلة السابقة لمعركة لوكترا (٣٧١ ق.م) حلما ظن على أثره أنه يطلب إليه تضحية بشرية على المذبح تكون ثمنا للنصر، نصحه بعض مشيريه أن يلبي الطلب، وعارضه البعض الآخر وقالوا له: "إن هذا العمل الهجمى المجرد من كل معانى التقى والصلاح لا يمكن أن ترضى به الكائنات العليا أيًا كانت، وأن الجبايرة والمردة ليسوا هم حكام الأرض، بل حاكمها هو أبو الآلهة والخلق عامة، وأن من السخف أن يتصور الإنسان أربابا وقوى عليا يسرها التقتيل والتضحية بالآدميين<sup>(٣)</sup>."

وبالرغم من وجود هذه النزعة عند البعض فإن القرابين البشرية كانت سائدة لديهم حتى القرن الثانى بعد الميلاد، فكثير من مؤرخى هذا العهد يذكرون حوادث لأفراد قدموا أنفسهم ضحايا للإله زوس<sup>(٤)</sup>.

ويذكر ول ديورانت أن زيوس ظل يتقبل الضحايا البشرية في أركاديا حتى القرن الثانى بعد الميلاد<sup>(٥)</sup>.

(١) دائرة معارف البستاني ج ٨ ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٢) حياة اليونان ص ٣٥١.

(٣) المصدر السابق.

(٤) غرائب النظم ص ٨٣.

(٥) حياة اليونان ص ٣٥١.



## ثانياً: القرايين البشرية عند الرومانيين:

يذكر ول ديورانت أنه لم يكن يقصد بطقوس العبادات في الديانة الرومانية إلا أن تقدم هدية أو ضحية للآلهة لكسب عونها أو اتقاء غضبها، وكان الكهنة يقولون إن الاحتفالات التي تقام لهذا الغرض لا تثمر ثمرتها إلا إذا روعى فيها منتهى الدقة في الأقوال والحركات، وهى دقة لا يستطيع غير الكهنة أن يشرفوا عليها، وإذا وقع خطأ في طقس من هذه الطقوس أيا كان نوعه وجبت إعادته من جديد ولو طلب ذلك إعادته ثلاثين مرة<sup>(١)</sup>.

وكان من هذه الأضحيات للآلهة التضحية بالآدميين، ومما يجدر ذكره أنه كان لابد من صدور قانون في عام ٩٧ بعد الميلاد لتحريم هذه العادة، ثم حورت هذه الكفارة تحويراً يبيح للرجل أن يضحي بحياته للدولة كما فعل القنصل يلبوس ديسيوس وولده، وكما فعل ماركس كوريتوس إذ ألقى بنفسه في أخدود شقه زلزال في السوق العامة ليسكن بذلك غضب القوى الأرضية الخفية، وتقول القصة بعد ذلك إن الشق قد التحم وإن الأمور قد عادت إلى مجاريها<sup>(٢)</sup>.

وبذلك فإن صدور هذا القانون لم يمنع من تقديم القرايين البشرية منعاً باتاً وإنما استطاع الكهنة التحايل عليه وتحويره واستمر الناس في تقديم الذبائح البشرية.

يذكر الدكتور وافي أن نظام التضحية البشرية ظل سائداً عند قدامى الرومان حتى قبيل الميلاد، ففي عام ٩٧ ق.م أصدر مجلس الشيوخ الرومانى مرسوماً يحرم تقديم الضحايا من الآدميين.

ولكن هذا المرسوم لم يقض على هذه التقاليد قضاءً باتاً، ولا أدل على ذلك من أنه قد صدر بعد ذلك مرسوم آخر يجدد التحريم ويزيد في عقوبة من يقدم على تقديم هذا النوع من الضحايا<sup>(٣)</sup>.

---

(١) قصة الحضارة الجزء الأول من المجلد الثالث: قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية ص ١٣٢ - ١٣٣، ترجمة محمد بدران - الطبعة الثالثة ١٩٧٢ م.

(٢) المصدر السابق ص ١٣٣.

(٣) غرائب النظم والتقاليد والعبادات ص ٨٣.

بل إنه جاء في كتاب روما وإمبراطوريتها<sup>(١)</sup> أن الذبيحة البشرية كانت شائعة لدى الرومان في العصور القديمة، وأنها قد عادت إلى الظهور بين الحين والآخر، ففي السنة ٢١٦م تحت تأثير القلق الذي أثارته إحدى الكوارث، وبعد استشارة كتب العرافة تم دفن زوجين يوناني وغالي لا يزالان على قيد الحياة.

ويذكر ول ديورانت لما حلت بالرومان تلك الكارثة ولاح أن رومة لن يعصمها عاصم، استولى الرعب على الشعب الروماني المحتاج ونادى "أى إله نرتجيه لينجى رومة من البلاء الذى هى فيه، فحاول مجلس الشيوخ أن يسكن هذا الذعر بالتضحية البشرية، واستدل بذلك على أن الخرافات كانت لا تزال هى المسيطرة على عقول الرومان فى هذا الوقت ٢٠٦م على الرغم من ازدهار الفلسفة<sup>(٢)</sup>.

وقال بلنيوس المؤرخ إن ذبح البشر قربانا استمر فى الرومان إلى سنة ٩٥ ميلادية وأبطل بقرار روماني سنة ٦٥٧م وأثبت بعضهم أن هذه العادة لم تنقطع حينئذ بل استمر البعض بذبح البشر لمعبوداتهم ولا سيما المعبود بلونوس<sup>(٣)</sup>.

وكان الإمبراطورون الرومان - كما جاء فى دائرة معارف البستاني - يكررون الأوامر بمنع تلك الذبائح الرجسة الوحشية ومع ذلك لم يتمكنوا من إبطائها حالا<sup>(٤)</sup>.

فتكرار قوانين الخطر وتشديد العقوبات يدلان - كما يقول الدكتور وافي - على شيوع الشيء المحظور وعجز أولياء الأمور عن القضاء عليه<sup>(٥)</sup>.

والظاهر أن الرومان فى قرون الجمهورية الأولى كانوا يقدمون كل سنة ذبائح بشرية وانقطعوا عن ذلك سنة ٦٥٧م لما أمر مجلس الأعيان بإبطائها.

(١) ص ٢٠٨.

(٢) الحضارة الرومانية ص ١٩٦.

(٣) دائرة معارف بطرس البستاني ج ٨ ص ٣٠٢.

(٤) المصدر السابق.

(٥) غرائب النظم ص ٨٣.

لكن ذكر في التواريخ ذبح رجلين للمعبود في أيام يوليوس قيصر فاستنتج بعضهم من ذلك أن الأمر بإبطال هذه الذبائح لم يكن مانعا إلا للذبائح الخصوصية<sup>(١)</sup>.

وجاء في دائرة معارف البستاني أنه بعد أن لزم أوغسطس أنطونيوس بالذهاب إلى بروجة أمر بأن يذبح على مذبح يوليوس قيصر أربعائة من أعضاء مجلس الأعيان والفرسان المتخرجين للحكومة الثلاثية فخفض سويتون هذا العدد إلى ثلثائة وطرح بومبيوس في البحر أفراسا ورجالا استرضاء للإله نبتون معبود البحار<sup>(٢)</sup>.

وقد انتشر في شمال أفريقيا الذي كان خاضعا لحكم الرومان مظهر خاص من مظاهر نظام التضحية بالآدميين وهو تقديم الأطفال الصغار ضحايا للإله ساتورن<sup>(٣)</sup>.

واستلزمّت عبادة فيستا العائلية التي لم يكن مذبحها سوى الموقد المنزلي الذي لا تنطفئ ناره أن تلقى فيه القرابين في ساعات معينة فيندلع منه اللمع الراقص، ويقدم له رب العائلة قرينته حال زواجه منها وطفله حال ولادته<sup>(٤)</sup>.

---

(١) دائرة معارف البستاني ج ٨ ص ٣٠٣.

(٢) المصدر السابق.

(٣) غرائب النظم ص ٨٣.

(٤) روما وامبراطوريتها ص ٢٠٢.

## الفصل السابع

### القرايين البشرية عند العرب فى الجاهلية

يذهب كثير من العلماء والباحثين إلى أن العرب فى الجاهلية كانوا يمارسون تقديم القرايين البشرية شأنهم فى ذلك شأن كثير من الأمم الوثنية القديمة، وإن كانوا يختلفون عنهم فى أنهم قصرُوا هذا القربان فى الأعم الغالب على أولادهم بشكل عام وعلى بناتهم بوجه خاص.

ولعل هذا المذهب كان من منطلق ما عرف عن بعض العرب الجاهلين واشتهر وحكاه القرآن الكريم عنهم من قتل أولادهم ووآد بناتهم.

فما يتعلق بقتل أولادهم فإن نصوص القرآن الكريم صريحة فى أنهم كانوا يقتلونهم خشية الفقر والفاقة أو ما عبر عنه بالإملاق يقول الله تعالى فى سورة الأنعام ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَنًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾<sup>(١)</sup>.

ويقول سبحانه فى سورة الإسراء ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ إِنْ قَتَلْتُمْ كَانَتْ خَطَاً كَبِيرًا﴾<sup>(٢)</sup>.

وأما فيما يتعلق بوآد بناتهم فإن نصوص القرآن الكريم غير صريحة فى أن الدافع الذى حملهم على هذا الوآد كان هو الفقر والفاقة أو العار والمذلة.

(١) الأنعام: ١٥١.

(٢) الإسراء: ٣١.

يقول تعالى ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ ۚ أَيَسْكُتُ عَلَىٰ هُونٍ ۖ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ ۗ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٥٩﴾﴾<sup>(١)</sup>.

ومن ثم فإن للمفسرين أقوالاً مختلفة في بيان المراد بالأولاد المنهى عن قتلهم وهل ينطبق هذا القتل على الوأد أولاً ودورات أقوالهم حول أربعة اتجاهات:

### الاتجاه الأول:

وأصحاب هذا الاتجاه يفسرون قتل الأولاد من إملاق وخشية إملاق بوأد البنات فقط وعلى ذلك يكون السبب الرئيسى والدافع الحقيقى للوأد إنها هو خشية الفقر والفاقة.

يقول القرطبى فى تفسير قوله تعالى "ولا تقتلوا أولادكم من إملاق" الإملاق هو الفقر أى لا تندوا - من الموءودة - بناتكم خشية العيلة فإنى رازقكم وإياهم<sup>(٢)</sup>.

وفى تفسير قوله تعالى "وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركائهم" قال مجاهد وغيره "زينت لهم قتل البنات مخافة العيلة" وإن ذلك إشارة إلى الوأد وهو دفن البنت حية مخافة السباء والحاجة وعدم ما حرمن من النصره<sup>(٣)</sup>.

وذكر الفخر الرازى أن المراد بهذا النهى عن قتل الأولاد النهى عن الوأد إذ كانوا يدفنون البنات أحياء بعضهم للغيرة وبعضهم خوف الفقر وهو السبب الغالب<sup>(٤)</sup>.

وفى تفسير قوله تعالى ﴿وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَائِهِمْ لِيُرْذَوْهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ﴾<sup>(٥)</sup>.

(١) النحل: ٥٩ - ٦٠.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ص ١٣٢.

(٣) المصدر السابق ج ٧ ص ٩١.

(٤) مفاتيح الغيب ج ١٣ ص ٢٣٢.

(٥) الأنعام: ١٣٧.

يقول إن أهل الجاهلية كانوا يدفنون بناتهم أحياء خوفا من الفقر أو من التزويج، ونقل عن مجاهد أن شركاءهم هم شياطينهم إذ أمرهم بأن يئدوا أولادهم خشية العيلة وسميت الشياطين شركاء لأنهم أطاعوهم في معصية الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وأما الألوسى فقد فسر قوله تعالى "ولا تقتلوا أولادكم" بالوآد (من إملاق) من أجل فقر أو من خشية كما في قوله سبحانه "خشية إملاق".

وذكر أن الخطاب في كل آية لصنف وليس خطابا واحدا فالمخاطب بقوله سبحانه (من إملاق) من ابتلى بالفقر والمخاطب بقوله تعالى (خشية إملاق) من لا فقر له ولكن يخشى وقوعه في المستقبل ولهذا قدم رزقهم في سورة الأنعام (نحن نرزقكم وإياهم) وقدم رزق أولادهم في مقام الخشية فقيل "نحن نرزقهم وإياكم"<sup>(٢)</sup>.

### الاتجاه الثانى:

يرى أصحاب هذا الاتجاه أن المراد بقتل الأولاد المنهى عنه وأد البنات بجانب قتل البنين أيضا ويجعلون قتل البنات خشية العار وقتل البنين خشية الفقر.

يقول القرطبى "وقد كان منهم من يفعل ذلك بالإناث والذكور خشية الفقر كما هو ظاهر الآية"<sup>(٣)</sup>.

ويقول ابن كثير "إن الجاهليين كانوا يقتلون أولادهم كما سولت لهم الشياطين ذلك فكانوا يئدون البنات خشية العار وربما قتلوا بعض الذكور خشية الافتقار

---

(١) التفسير الكبير ج ١٣ ص ٢٠٥-٢٠٦.

(٢) روح المعاني ج ٨ ص ٥٤.

ويقول ابن كثير في هذا "قال في سورة الإسراء (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق أى لا تقتلوهم خوفا من الفقر فى الآجل ولهذا قال هناك (نحن نرزقهم وإياكم) فبدأ برزقهم للاهتمام بهم أى لا تخافوا من فقركم بسبب رزقهم فهو على الله وأما فى سورة الأنعام فلما كان الفقر حاصلا (من إملاق) أى من فقركم الحاصل قال (نحن نرزقكم وإياهم) لأنه الأهم (تفسير القرآن العظيم) ج ٢ ص ١٨٨.

(٣) الجامع لأحكام القرآن ج ٧ ص ١٣٢.

ولهذا ورد في الصحيحين نم حديث عبد الله بن مسعود رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ: أى الذنب أعظم؟ قال: أن تجعل لله ندا وهو خلقك قلت ثم أى قال "أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك قلت ثم أى قال أن تزنى بجليلة جارك" ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾<sup>(١)</sup>.

وبناء على تفسير أصحاب هذين الاتجاهين يكون هناك ارتباط بين النهى عن الأولاد في القرآن الكريم "ولا تقتلوا أولادكم" وبين الوأد في قوله تعالى "وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم" فبناء على الرأى الأول اعتبر النهى عن قتل الأولاد هو النهى عن وأد البنات وعلى الرأى الثانى اعتبر الوأد ضمن قتل الأولاد حيث كانوا يقتلون البنين ويثدنون البنات.

### الاتجاه الثالث:

يفرق أصحاب هذا الاتجاه بين قتل الأولاد من إملاق أو خشية إملاق وبين وأد البنات في الجاهلية فيرون أن قتل الأولاد كان بدافع الفقر والفاقة وأن الوأد لم يكن بسبب ذلك وإنما كان من منطلق دينى أو بدافع دينى بحت.

يذكر كل من القرطبي والألوسى أن فريقا من مشركى العرب كانوا يثدنون البنات الصغار بأن يدفنونهن أحياء انطلاقا من اعتقادهم أن الملائكة بنات الله سبحانه فكانوا يقولون ألحقوا البنات بالبنات أو ألحقوا البنات بالله تعالى فهو أحق بها<sup>(٢)</sup>.

ويرى الدكتور على عبد الواحد وافي أن العرب كانوا فى قتل أولادهم ينقسمون إلى طائفتين:

كانت طائفة مع عشائر العرب تلجأ إلى قتل أولادها تحت تأثير الفقر ورغبة في

(١) الفرقان: ٦٨ تفسير القرآن العظيم ج ٢ ص ١٨٨.

(٢) تفسير القرطبي ج ٧ ص ٩٦ - ٩٧ روح المعانى ج ٨ ص ٣٢.

التخلص من تكاليف تربيتهم وهذه الطائفة ما كانت تفرق بين ذكور الأولاد وإناثهم.

وكانت طائفة أخرى من العشائر العربية تؤد البنات بدافع ديني بحث وذلك أنهم كانوا يعتقدون أن البنات رجس من خلق الشيطان أو من خلق إله غير آلهتهم وأن مخلوقا هذا شأنه ينبغي التخلص منه<sup>(١)</sup>.

وأصل عقائدهم هذه أنهم كانوا يقسمون ما تخرجه الأرض وما تنتجه الأنعام قسمين: قسم ينسبونه لآلهتهم ويعدونه من خلقه، وهو قسم طاهر زكى، وقسم ينسبونه لله تعالى ويعدونه من خلقه، وهو قسم كانوا يعتقدون أن مدنس بالرجس فكانوا يحرّمونه على أنفسهم أو يرون أن واجبه الديني يقتضيهم التخلص منه أو تقديمه قربانا لآلهتهم.

وما زين لهم اعتقاده بصدد نتاج الحرث والأنعام زين لهم اعتقاد مثله بصدد نتاج الإنسان فقسموا ما يولد للإنسان قسمين: قسم طاهر زكى من خلق آلهتهم وهو جنس الذكور، وقسم من خلق الله وهو نوع الإناث وهو قسم مدنس بالرجس كانوا يحرّمون بقاءه ويرون أن واجبه الديني يقتضيهم التخلص منه<sup>(٢)</sup>.

ومن أجل ذلك كانوا يتقون ذبحهن ويؤثرون وأدهم عقب ولادتهن مباشرة حتى لا تنتشر دماؤهن فتنتشر معها ما تحمله من نجس ورجس. بل كان بعضهم يبالغ في هذا التخرج فيئذهن بعيدا عن المنازل.

ولم يقف أمر اعتقادهم هذا عند حدود العالم الطبيعي، عالم النبات والحيوان والإنسان بل جاوزه إلى عالم السماء فكانوا ينسبون لله تعالى من هذا العالم كله ما يعتقدون أنه من نوع الإناث، ومن ذلك نسبوا إليه الملائكة لاعتقادهم أنهم من هذا النوع<sup>(٣)</sup>.

(١) راجع تفصيل ذلك في كتابه "بحوث في الإسلام والاجتماع" ص ٢٣٩ - ٢٤٢.

(٢) المصدر السابق ص ٢٤٢.

(٣) راجع المصدر السابق ص ٢٤٢ - ٢٤٥.



ولا يستبعد الدكتور جواد على ما ذكره أهل الأخبار من وجود دافع دينى حمل الجاهليين على قتل الأولاد وعلى الوأد، بأن يكون ذلك من بقايا الشعائر الدينية التى كانت فى القديم.

ويرى أن تقديم الضحايا البشرية إلى الآلهة لخير المجتمع وسلامته، وإرضاء الآلهة هى شعيرة من الشعائر الدينية المعروفة، فليس بمستبعد إذن أن يكون الوأد والقتل من بقايا تلك الشعائر، والغريب فى الوأد أنه يكون بالدفن، بينما العادة فى الضحايا التى تقدم إلى الآلهة أن يكون بالذبح أو بالطعن وبأمثال ذلك كى يسيل الدم من الضحية فالدم هو الغاية من كل ضحية، لأنه الجزء المهم من الضحايا المخصص بالآلهة.

وعموما فإن الوأد هو أيضا نوع من القتل، وذبح الأولاد وتقديمهم قربان إلى الآلهة عبادة معروفة عند أمم أخرى كانت تمارسها لترضى بذلك الآلهة وتحجب مطالبها<sup>(١)</sup>.

وإذا كان العلماء والباحثون قد اختلفوا فى تعليل وأد البنات وتباينت آرائهم وأقوالهم فى تحديد العوامل التى أدت إليه وكانت سببا من أسبابه المباشرة.

فإن هناك من يرى أن هناك عدة عوامل مجتمعة ساعدت على حدوث هذا الوأد وذلك القتل.

يقول جواد على "فالفاقة والحمية واعتقاد بعض منهم أن الملائكة بنات الله، فيجب إلحاق البنات بالبنات هى عوامل دفعت بالعرب إلى الوأد، فهى بين عامل اقتصادى نص عليه فى القرآن الكريم، وعامل اجتماعى هو الحمية، وخشية لحوق العار بالإنسان من السبى والغارات وعامل دينى يرجع إلى رأى فى دين<sup>(٢)</sup>.

ويرى الدكتور محمد بيومى مهران أن أسبابا كثيرة تجمعت وكانت سببا فى أن يئد

(١) راجع الفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٥ ص ٩٧ - ٩٨.

(٢) المصدر السابق ج ٥ ص ٩٣ - ٩٤.

بعض العرب بناتهم، صحيح أن العوامل الاقتصادية إنما كانت أقوى العوامل، ولكن صحيح كذلك أن الحماية وخوف الآباء من وقوع بناتهم سبايا في قبضة الغالبين، فضلا عن العامل الديني، والخوف من مستقبل مظلم لتلك الفتاة المشوهة، بأن تعيش في بيت أبيها من غير زوج، أو أن تتزوج من غير الأكفاء، إنما كانت عوامل أخرى، دفعت إلى وأد البنات<sup>(١)</sup>.

وهكذا اجتمعت العوامل الاقتصادية والاجتماعية والدينية بعضها إلى جانب بعض في أن تجعل بعض القوم يرتكبون تلك الجريمة الوحشية في حق أقرب الناس إليهم وأولاهم بالرحمة والعناية، فضلا عن تنشئتهم تنشئة صالحة<sup>(٢)</sup>.

وعلى أى حال فإن ما يعيننا في هذا البحث أن نقرر وجود دافع ديني حمل بعض الجاهليين من العرب على قتل أولادهم ووآد بناتهم وأن ذلك كان نوعا من القرابين البشرية التي مارسوها ضمن عباداتهم الجاهلية.

وما يؤكد ذلك أن الجاهليين كانوا يقدمون القرابين البشرية لألهتهم وأصنامهم التي كانوا يعبدونها.

يذكر (موزفيروس) أن أهل (دومة) كانوا يذبحون في كل سنة إنسانا عند قدم الصنم تقربا إليه وذكر (نيلوس) أن من عادة بعض القبائل تقديم أجمل من يقع أسيرا في أيديهم إلى (الزهرة) ضحية لها تذبح وقت طلوعها وقد وقع ابنه (تيودولس) أسيرا حوالى سنة ٤٠٠م في أيدي الأعراب، وهى ليذبح قربانا إلى الزهرة غير أن أحوالا وقعت أفادت عليهم الوقت المخصص لتقديم الذبائح، أنقذته من الذبح فاكتمى أسروه ببيعه في أسواق الرقيق بـ (ألوسة) فاستقر هناك إلى أن صار أسقفا على المدينة.

---

(١) مركز المرأة في الحضارة العربية القديمة ص ٢٣٩ - ٢٤٠ بحث منشور بمجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية العدد الأول ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

(٢) المصدر السابق.

وذكر أيضا أن الملك (المنذر) ملك الحيرة قدم أحد أبناء الحارث الذى وقع أسيرا فى يديه ونحو من أربع مائة راهبة قرايين إلى العزى<sup>(١)</sup>.

#### الاتجاه الرابع:

يربط أصحاب هذا الاتجاه بين قوله تعالى "وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم، وبين حادث نذر عبد المطلب جد النبى ﷺ الذى انتهى بافتداء عبد الله والد الرسول ﷺ.

يذكر كل من القرطبى والرازى والألوسى فى تفسير هذه الآية رأى من يقول إن الرجل كان فى الجاهلية يحلف بالله لئن ولد له كذا وكذا غلاما لينحرن أحدهم، كما فعله عبد المطلب حين نذر ذبح ولده عبد الله فى قصته المشهورة وإليها أشار بقوله أنا ابن الذبيحين<sup>(٢)</sup>.

ونقله الرازى عن الكلبي فذكر أنه كان لآهتهم سدنة وخدام وهم الذين كانوا يزبنون للكفار قتل أولادهم، وفسر الشركاء بالسدنة وسموا شركاء لأنهم أطاعوهم فى معصية الله تعالى<sup>(٣)</sup>.

وقصة نذر عبد المطلب وردت فى كتب السيرة والتاريخ.

يذكر ابن إسحاق فيما رواه كل من الطبرى وابن هشام وابن الأثير وابن كثير وغيرهم أن عبد المطلب بن هشام كان قد نذر حين لقى من قريش ما لقى عند حفر زمزم، لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمنعوه ليزبحن أحدهم لله عند الكعبة.

فلما تكامل بنوه عشرة وعرف أنهم سيمنعونه جمعهم ثم أخبرهم بنذره الذى نذر

---

(١) راجع د/ جواد على: الفصل ج ٦ ص ١٩٨ - ١٩٩.

وللأمانة فإنه يحتاط فى إيراد هذه الروايات.

(٢) تفسير القرطبى ج ٧ ص ٩١ التفسير الكبير ج ١٣ ص ٢٠٦.

روح المعانى ج ٨ ص ٣٢.

(٣) التفسير الكبير ج ١٣ ص ٢٠٦.

ودعاهم إلى الوفاء لله عز وجل بذلك فأطاعوه وقالوا كيف نصنع؟ قال: ليأخذ كل رجل منكم قدحا ثم ليكتب فيه اسمه ثم اتنوني به ففعلوا ثم أتوه فدخل على هيكمل في جوف الكعبة، وكانت هبل أعظم أصنام قريش بمكة وكانت على بئر في جوف الكعبة وكانت تلك البئر هي التي يجمع فيها ما يهدى للكعبة.

وكان عند هبل قداح سبعة وهي الأزام التي يتحاكمون إليها إذا أعضل أمر من عقل أو نسب أو أمر من الأمور جاءوه فاستقسموه بها فما أمرتهم به أو نهتهم عنه امتثلوه.

والمقصود أن عبد المطلب لما جاء يستقسم بالقداح عند هبل خرج القدح على ابنه عبد الله وكان أصغر ولده وأحبهم إليه فأخذ عبد المطلب بيد ابنه عبد الله وأخذ الشفرة، ثم أقبل إلى أساف ونائلة - وهما وثنا قريش اللذان تنحرا عندهما ذبائحهما - ليزبحه فقامت إليه قريش من أندية فقالوا: ماذا تريد يا عبد المطلب قال: أذبحه، فقال له قريش وبنوه: والله لا تذبحه أبدا حتى تعذر فيه، لئن فعلت هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا<sup>(١)</sup>.

ثم أشارت قريش على عبد المطلب أن يذهب إلى الحجاز، ودلوه على عرافة هناك وقالوا له إن أمرتك بذبحه فاذبحه، وإن أمرتك بأمر لك وله فيه مخرج قبلته، فانطلقوا حتى أتوا المدينة فوجدوا العرافة فسألوها بعد أن قص عليها عبد المطلب خبره وخبر ابنه فسألته: كم الدية فيكم؟ قالوا عشر من الإبل قالت فارجعوا إلى بلادكم ثم قربوا صاحبكم وقربوا عشرا من الإبل ثم اضربوا عليها وعليه بالقداح، فإن خرجت على صاحبكم فزيدوا من الإبل حتى يرضى ربكم، وإن خرجت على الإبل فانحروا عنه فقد رضى ربكم، ونجا صاحبكم، فخرجوا حتى قدموا مكة فلما أجمعوا على ذلك الأمر قام عبد المطلب يدعو الله ثم قربوا عبد الله وعشرا من الإبل

(١) ينقل ابن كثير عن يونس بن بكير عن ابن إسحاق أن العباس هو الذي اجتذب عبد الله من تحت رجل أبيه حين وضعها عليه ليزبحه فيقال إنه شج وجهه شجاً لم يزل في وجهه إلى أن مات (البداية والنهاية ج ٢ ص ١٣١).

ثم ضربوا فخرج القدح على عبد الله فزادوا عشرا فلم يزالوا يزيدون عشرا عشرا ويخرج القدح على عبد الله حتى بلغت الإبل مائة، ثم ضربوا فخرج القدح على الإبل فقالت عند ذلك قريش لعبد المطلب وهو قائم عند هبل يدعو الله قد انتهى رضى ربك يا عبد المطلب<sup>(١)</sup>.

وإذا كان هذا قد حدث في الجاهلية فإن هناك حادثا يكاد يكون مشابها له قد وقع في الإسلام، وهو أن امرأة نذرت أن تنحر ابنها عند الكعبة، وكان للفقهاء من الصحابة والتابعين فتاوى في هذه المسألة وفي أمثالها.

وهذا يجعلنا ننتهز الفرصة لنبين موقف فقهاء المسلمين من القرابين البشرية أو بمعنى أدق موقفهم ممن نذر نحر نفسه أو ابنه تقربا إلى الله رب العالمين، وأن نبين أيضا تحقيق علماء المسلمين في أمر الله سبحانه لخليله إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام.

---

(١) راجع تفاصيل هذه القصة في تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٤٠ - ٢٤٣ سيرة ابن هشام ج ١ ص ١٥١ - ١٥٥ البداية والنهاية ج ٢ ص ٢٣٠ - ٢٣١ الكامل في التاريخ لابن الأثير ج ٢ ص ٣ - ٤. - ١٢٥ -

## الفصل الثامن

موقف الإسلام من نذر وتقديم القرابين البشرية

والتحقيق في رؤيا الخليل بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام

في هذا الفصل سنقوم بتوضيح موقف الإسلام من تقديم القرابين البشرية والمتمثل في فتاوى الفقهاء من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم.

ونبين التحقيق في ما رآه الخليل إبراهيم بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام ومدى علاقة ذلك بعادة القرابين البشرية.

أما فيما يتعلق بالنقطة الأولى فإن بداية النظر فيها كانت حول ذلك الحادث المشابه لحادث نذر عبد المطلب حيث نذرت امرأة أن تنحر ابنها عند الكعبة فجاءت لتعرض هذا الحادث الأول من نوعه في الإسلام على علماء الصحابة وفقهائهم ومنهم الإمامان ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم جميعاً.

يذكر الطبري عن قبيصة بن ذؤيب أنه أخبره أن امرأة نذرت أن تنحر ابنها عن الكعبة في أمر إن فعلته: ففعلت ذلك الأمر، فقدمت المدينة لتستفتي عن نذرها فجاءت عبد الله بن عمر:

فقال لها عبد الله بن عمر: لا أعلم الله أمر في النذر إلا الوفاء به فقالت المرأة أفأنحر ابني؟ فقال ابن عمر: قد نهاكم الله أن تقتلوا أنفسكم، فلم يزدها عبد الله بن عمر على ذلك.

فجاءت عبد الله بن عباس فاستفتته، فقال أمر الله بوفاء النذر [والنذر دين]

ونهاكم أن تقتلوا أنفسكم، وقد كان عبد المطلب بن هاشم نذر إن توافى له عشرة رهط أن ينحر أحدهم، فلما توافى له عشرة أقرع بينهم أيهم ينحر؟ فطارت القرعة على عبد الله بن عبد المطلب، وكان أحب الناس إلى عبد المطلب، فقال عبد المطلب: اللهم هو أو مائة من الإبل فأقرع بينه وبين الإبل فطارت القرعة على المائة من الإبل - فقال ابن عباس للمرأة: فأرى أن تنحرى مائة من الإبل مكان ابنك، فبلغ الحديث مروان وهو أمير المدينة فقال: ما أرى ابن عمر ولا ابن عباس أصابا الفتيا: إنه لا نذر في معصية الله، استغفرى الله وتوبى إلى الله، وتصدقى واعمل ما استطعت من الخير، فأما أن تنحرى ابنك فقد نهاك الله عن ذلك، فسر الناس بذلك وأعجبهم قول مروان، ورأوا أنه قد أصاب الفتيا، فلم يزالوا يفتون بألا نذر في معصية الله<sup>(١)</sup>.

ومن حسن الحظ أنه قد تفرع عن هذا الحادث أو عن ذلك السؤال صورة فقهية تعرض لها الفقهاء وناقشوا جزئياتها ونستطيع من خلالها أن نتعرف على موقف الإسلام من قضية القرابين البشرية:

فإذا كان الطبري قد أورد عن ابن عباس هذه الفتوى فإن هناك روايات متعددة وردت عنه في كتب الفقه.

يقول ابن حزم: "وأما من نذر نحر نفسه أو ابنه فروينا من طريق عبد الرزاق عن ابن جريح أخبرني يحيى بن سعيد الأنصارى قال: سمعت القاسم بن محمد بن أبي بكر يقول: سئل ابن عباس عمن نذر أن ينحر ابنه؟ فقال: لا ينحر ابنه وليكفر عن يمينه<sup>(٢)</sup> فقيل لابن عباس: كيف تكون في طاعة الشيطان كفارة فقال ابن عباس: الذين يظاهرون.... ثم جعل فيه من الكفارة ما رأيت"<sup>(٣)</sup>.

(١) تاريخ الطبري ج ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٢) راجع أيضا القرطبي في الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١١.

(٣) المحلى ج ٨ ص ١٥ تحقيق أحمد شاكر مكتبة دار التراث - القاهرة. ورد في الموطأ للإمام مالك عن القاسم بن محمد أنه سمعه يقول: أتت امرأة إلى عبد الله بن عباس، فقالت: إني نذرت أن أنحر ابني، فقال ابن عباس: لا تنحرى ابنك، وكفرى عن يمينك، فقال شيخ عند ابن عباس: وكيف يكون في هذا كفارة؟ فقال ابن عباس: إن الله تعالى قال - والذين يظاهرون منكم من نسائكم - ثم جعل فيه من الكفارة ما قد رأيت (الموطأ ص ٢٩٤ - طبعة دار الشعب).

وذكر القرطبي أن ابن عباس قد استدل بقوله تعالى "وفديناه بذبح عظيم" على من نذر نحر ابنه أو ذبحه أنه يفديه به بكبش كما فدى به إبراهيم ابنه<sup>(١)</sup>.

فقد روى عنه من طريق ابن جريج عن عطاء قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال له: نذرت لأنحرن نفسي فقال ابن عباس: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة وفديناه بذبح عظيم فأمره بكبش قال عطاء: يذبح الكبش بمكة قال ابن جريج: فقلت لعطاء: نذر لينحرن فرسه أو بغلته فقال: جزور أو بقرة، فقلت له: أمره ابن عباس بكبش في نفسه وتقول في الدابة جزور فأبى عطاء إلا ذلك<sup>(٢)</sup>.

قال أبو محمد: وليس في هذه الآية أيضا حجة لابن عباس لأن إبراهيم عليه السلام لم ينذر ذبح ولده لكن أمره الله تعالى بذبحه فكان فرضا عليه أن يذبحه وكان نذر الناذر نحر ولده أو نفسه معصية من كبار المعاصي ولا يجوز أن تشبه الكبائر بالطاعات<sup>(٣)</sup>.

وأیضا فإننا لا ندرى ما كان ذلك الذبح<sup>(٤)</sup> الذى فدى به إسماعيل عليه السلام فبطل هذا التشبيه<sup>(٥)</sup>.

وأورد القرطبي عن ابن عباس رواية أخرى، يذكر فيها أنه يرى أن ينحر مائة من الإبل كما فدى به عبد المطلب ابنه<sup>(٦)</sup>.

(١) تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١١١.

(٢) المحلى ج ٨ ص ١٥ - ١٦.

(٣) المصدر السابق ص ١٦.

(٤) اختلف العلماء في ذلك الذبح فقيل إنه الكبش الذى قر به هابيل فتقبل منه وبقي يرعى في الجنة حتى فدى الله تعالى به إسماعيل وروى هذا عن ابن عباس رضى الله عنهما وقال آخرون أرسل الله كبشا من الجنة قد رعى فيها أربعين خريفاً، وقال الإمام أحمد إن عثمان بن طلحة أخبر أن رسول الله ﷺ قال له "إنى كنت رأيت قرنى الكبش حين دخلت فنسيت أن أمرك أن تخمرهما فإنه لا ينبغي أن يكون في البيت شيء يشغل المصلى، وقال سفيان: لم يزل قرنا الكبش في البيت حتى احترق البيت فاحترقا (راجع تفسير الرازى ج ٢٦ ص ١٥٨ تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٦ - ١٧ روح المعاني ج ٢٣ ص ١٣١ - ١٣٢).

(٥) المحلى ج ٨ ص ١٦.

(٦) التفسير ج ١٥ ص ١١١.



وروى ابن حزم هذا الرأي على أنه قول ثالث لابن عباس من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن طاوس عن أبيه عن ابن عباس أنه قال في رجل أن ينحر نفسه قال: ليهدي مائة ناقة<sup>(١)</sup>.

ومن طريق شعبة عن عمرو بن مرة قال: سمعت سالم بن أبي الجعد قال: جاء رجل إلى ابن عباس فقال له: إني كنت أسيرا في أرض العدو فنذرت إن نجاني الله أن أفعل كذا وأن أنحر نفسي وإني قد فعلت ذلك قال وفي عنقه قد<sup>(٢)</sup>.

فأقبل ابن عباس على امرأة سألته وغفل عن الرجل فانطلق لينحر نفسه، فسأل ابن عباس عنه؟ فقليل له: ذهب لينحر نفسه فقال: على بالرجل فجاء فقال: لما أعرضت عني انطلقت أنحر نفسي فقال له ابن عباس: لو فعلت مازلت في نار جهنم، انظر ديتك فاجعلها في بدن فاهدها في كل عام شيئا ولولا أنك شددت على نفسك لرجوتك أن يجزيك كبش وهذه آثار في غاية الصحة<sup>(٣)</sup>.

ومن طريق قتادة عن ابن عباس أنه أفتى رجلا نذر أن ينحر نفسه فقال له: أتجد مائة بدنة؟ قال: نعم قال: فانحرها فلما ولى الرجل قال ابن عباس: أما لو أمرته بكبش لأجزأ عنه.

ومن طريق ابن جريج أخبرني عمرو بن دينار أن عكرمة أخبره أن رجلا أتى إلى ابن عباس فقال له: لقد أذنبت ذنبا لأن أمرتني لأنحرن الساعة نفسي والله لا أخبرك فقال له ابن عباس بلى لعل أن أخبرك بكفارة قال: فأبى فأمره بمائة ناقة وهذا أيضا إسناد صحيح<sup>(٤)</sup>.

ويعلق ابن حزم على أقوال ابن عباس بأنها أقوال صحاح وليس بعضها أولى من

---

(١) المحلى ص ١٦.

(٢) القد هو السَّيْر الذى يقدم من الجلد ويخصف به النعال - لسان العرب - ج ٥ ص ٣٥٤٣ دار المعارف.

(٣) المحلى ص ١٦.

(٤) المحلى ص ١٦.

بعض ولا حجة في أحد غير رسول الله ﷺ، وابن عباس وغيره لم يعصم من الخطأ، ومن قلدتهم فقد خالف أمر الله تعالى في ألا نتبع إلا ما أنزل إلينا، ولكل واحد من الصحابة رضى الله عنهم فضائل ومشاهد تعفو عن كل تقصير وليس ذلك لغيرهم<sup>(١)</sup>.

وقال أبو حنيفة: من نذر نحر ولده أو نحر نفسه أو نحر غلامه أو نحر والده أو نحر أجنبي أو إهداء ولده أو إهداء والده فلا شيء عليه في كل ذلك إلا في ولده خاصة فيلزمه فيه هدى شاة حيث يرى أنها كلمة يلزمه به في ولده ذبح شاة ولا يلزمه في غير ولده شيء<sup>(٢)</sup>.

ووافقه على كل ذلك محمد بن الحسن إلا أنه قال: وعليه في الحلف بنحر عبده مثل الذى عليه في الحلف بنحر ولده إذا حنث أى يلزمه في ذلك شاة أيضا<sup>(٣)</sup>.

واستدل أبو حنيفة بقصة الذبيح وما ورد فيها من الفداء حيث يرى أن نذر الولد جعل في الشرع كنذر ذبح شاة بدليل أن الله تعالى أمر إبراهيم بذبح ولده وكان أمرا بذبح شاة وشرع من قبلنا شرع لنا ما لم يثبت نسخه، ودليل أنه أمر بذبح شاة أن الله لا يأمر بالفحشاء ولا بالمعاصي وذبح الولد من كبائر المعاصي قال الله تعالى ﴿وَلَا

---

(١) المصدر السابق ص ١٧.

(٢) المصدر السابق تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١١، راجع المبسوط للسرخسي ج ٨ ص ١٤١ - ١٤٢، نشر دار المعرفة - بيروت ١٩٧٨ م.

(٣) المصدر السابق، جاء في المبسوط للسرخسي أن الرجل إذا نذر بذبح عبده يلزمه ذبح شاة حسب قول محمد لأنه أخذ فيه بالاستحسان، ولأن العبد كسبه وملكه فإذا صح إضافة النذر إلى الولد لكونه كسباً له وإن لم يكن ملكاً فلا يصح إضافته إلى كسبه وهو ملكه أولى.

أما أبو حنيفة فقد أخذ بالقياس فقال لا يلزمه شيء لأن جعل الشاة فداء عن الولد لكرامة الولد والعبد في استحقاق الكرامة ليس بنظير الولد، وإن نذر ذبح ابن ابنه ففيه روايتان عنه: رواية لا يلزمه شيء وهو الأظهر لأن ابن الابن ليس بنظير الابن من كل وجه ورواية أخرى قال يلزمه لأنه مضاف إليه بالبنوة وهو في معنى الكرامة كالابن في حقه.

راجع تفاصيل ذلك وغيره ج ٨ ص ١٤٢.

تَقْتُلُوا أَوْلَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ<sup>(١)</sup> وقال النبي ﷺ "أكبر الكبائر أن تجعل لله ندا وهو خلقك" قيل ثم أى قال أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك<sup>(٢)</sup>.

وقال القاضي أبو بكر ابن العربي: يلزمه شاة كما قال أبو حنيفة، لأن الله تعالى جعل ذبح الولد عبارة عن ذبح الشاة شرعا، فألزم الله إبراهيم ذبح الولد. وأخرجه عنه بذبح الشاة.

وكذلك إذا نذر العبد ذبح ولده يلزمه أن يذبح شاة، لأن الله تعالى قال: "ملة أبيكم إبراهيم" والإيمان التزام أصلى، والنذر التزام فرعى، فيجب أن يكون عليه محمولا<sup>(٣)</sup>.

وورد عن الإمام مالك أكثر من رأى حيث قال: من حلف فقال: أنا أنحر ابني إن فعلت كذا فحنث فعليه كفارة يمين، ومرة قال: إن كان نوى بذلك الهدى فعليه هدى وإن كان لم ينو هديا فلا شىء عليه لا هدى ولا كفارة، ومرة قال: إن نذر ذلك عند مقام إبراهيم فعليه هدى وإن لم يقل عند مقام إبراهيم فكفارة يمين<sup>(٤)</sup>.

وذكر ابن عبد الحكم عن مالك فيمن قال: أنا أنحر ولدى عند مقام إبراهيم في يمين ثم حنث فعليه هدى، قال: ومن نذر أن ينحر ابنه ولم يقل عند مقام إبراهيم ولا أراد فلا شىء عليه<sup>(٥)</sup>.

وفيما يتعلق بمذهب الإمام أحمد بن حنبل فقد ذكر ابن قدامة أنه قد اختلفت الرواية فيمن حلف بنحر ولده نحو أن يقول إن فعلت كذا فله على أن أذبح ولدى أو يقول ولدى نحير إن فعلت ذلك أو نذر ذبح ولده مطلقا غير معلق بشرط فعن

(١) الإسرائ: ٣١.

(٢) المغنى لابن قدامة ج ١١ ص ٢١٦ دار الريان للتراث - المغنى مع الشرح الكبير.

(٣) أحكام القرآن ج ٤ ص ١٦١٩ - ١٦٢٠ تحقيق على البجاوى - نشر دار الجليل - بيروت ١٩٨٧ م تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١١١ - ١١٢.

(٤) المحلى ج ٨ ص ١٧ - ١٨.

(٥) تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١١١.

أحمد عليه كفارة يمين وهذا قياس المذهب لأن هذا نذر معصية أو نذر لجحاح وكلاهما يوجب الكفارة واستدل بقول ابن عباس حينما قال لامرأة نذرت أن تذبح ابنها لا تنحري ابنك وكفرى عن يمينك<sup>(١)</sup>.

والرواية الثانية: كفارته ذبح كبش ويطعمه المساكين<sup>(٢)</sup>.

ثم يقول ابن قدامة: ولنا قوله عليه السلام "لا نذر في معصية، وكفارته كفارة يمين" ولأن النذر حكمه حكم اليمين بدليل قوله عليه السلام "النذر حلف وكفارته كفارة يمين" فيكون بمنزلة من حلف ليذبحن ولده<sup>(٣)</sup>.

وردا على من قال: إن النذر لذبح الولد كناية عن ذبح الكبش قال ابن قدامة إن هذا لا يصح لأن إبراهيم لو كان مأمورا بذبح كبش لم يكن الكبش فداء ولا كان مصدقا للرؤيا قبل ذبح الكبش وإنما أمر بذبح ابنه ابتلاء، ثم فدى بالكبش.

وهذا أمر مختص بإبراهيم عليه السلام لا يتعداه إلى غيره لحكمة علمها الله تعالى فيه، ثم لو كان إبراهيم مأمورا بذبح كبش، فقد ورد شرعا بخلافه فإن نذر ذبح الابن ليس بقربة في شرعنا ولا مباح بل هو معصية فتكون كفارته ككفارة سائر نذور المعاصي<sup>(٤)</sup>.

ثم عرض ابن قدامة لما قاله أحمد في امرأة نذرت نحر ولدها ولها ثلاثة أولاد من أن تذبح عن كل واحد كبشا وتكفر يمينها<sup>(٥)</sup> وهذا على قوله أن كفارة نذر ذبح الولد ذبح كبش، جعل عن كل واحد كبشا لأن لفظ الواحد إذا أضيف اقتضى التعميم فكان عن كل واحد كبش فإن عنت بنذرهما واحدا فإنما عليها كبش واحد

(١) المغنى ج ١ ص ٢١٥.

(٢) المصدر السابق ص ٢١٦.

(٣) المصدر السابق ص ٢١٦.

(٤) المصدر السابق ص ٢١٦-٢١٧.

(٥) يقول ابن قدامة: فأما قول أحمد وتكفر يمينها فيحتمل أنه أراد ذبح الكبش كفارة يمينها ويحتمل أنه كان مع نذرهما يمين، وأما على الرواية الأخرى تجزئها كفارة يمين على ما سبق (المصدر السابق ص ٢١٨).

بدليل أن إبراهيم عليه السلام لما أمر بذبح ابنه الواحد فدى بكبش واحد، ولم يفد غير من أن بذبحه من أولاده وكذا ههنا، وعبد المطلب لما نذر ذبح ابن من بنيه إن بلغوا عشرة لم يفد منهم إلا واحدا، وسواء نذرته معينا أو عنت واحدا غير معين<sup>(١)</sup>.

وقال كل من أبي يوسف والشافعي ومسروق وأبي سليمان: لا شيء عليه في كل ذلك إلا الاستغفار فقط<sup>(٢)</sup>.

وحينما قال الشافعي ليس هذا بشيء ولا يجب به شيء فإنه علل ذلك بأنه نذر معصية لا يجب الوفاء به ولا يجوز ولا تجب به كفارة لقول النبي ﷺ "لا نذر في معصية ولا فيما لا يملك ابن آدم" وقوله عليه السلام "ومن نذر أن يعصى الله فلا يعصه"<sup>(٣)</sup>.

وقد اختار الإمام ابن حزم هذا الرأي وقال: هذا هو الحق لقول الله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾<sup>(٤)</sup>، وقال تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾<sup>(٥)</sup>، وقال رسول الله ﷺ "من نذر أن يعصى الله فلا يعصه" ولم يأمره في ذلك بكفارة ولا هدى وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾<sup>(٦)</sup>.

ثم ذكر رواية ابن جريج قال: سمعت سليمان بن موسى يحدث عطاء أن رجلا أتى إلى ابن عمر فقال له: نذرت لأنحرن نفسي فقال له ابن عمر: أوف. ما نذرت فقال له الرجل، أفأقتل نفسي قال له إذا تدخل النار قال له: ألبست على قال: أنت ألبست على نفسك<sup>(٧)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ٢١٨.

(٢) المحلى ج ٨ ص ١٨ تفسير القرطبي ج ٥ ص ١١١.

(٣) المغنى ج ١١ ص ٢١٦، والحديثان وردا في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة.

(٤) النساء: ٢٩.

(٥) الأنعام: ١٥١، الإسراء: ٣٣.

(٦) مريم: ٦٤.

(٧) المحلى ج ٨ ص ١٨.

وهكذا يتبين لنا من خلال هذا البحث الفقهي العميق، والذي استقصى فيه علماءنا وفقهاؤنا الأجلاء هذه المسألة استقصاء تاماً، ودرسوها من جميع جوانبها تبين لنا أن هناك إجماعاً منهم على أن الشخص لو نذر أن ينحر نفسه أو ابنه أو غيره إنما يعد هذا النذر معصية تغضب الله وتستوجب عقابه وتحتاج إلى الاستغفار والتكفير عن هذا الذنب العظيم، رغم اختلافهم فيما يجب عليه بعد هذا النذر.

ولا يعنينا هذا الاختلاف كثيراً في مقامنا هنا وإن كنت أميل إلى رأى الإمام الشافعى رضى الله عنه ومن قال بقوله والذي رجحه الإمام ابن حزم واختاره على غيره، وفضله الألوسى على بقية الآراء<sup>(١)</sup>، بجانب ما صاحب هذا الرأى من استدلال قوى يعد أقرب إلى روح الإسلام وأكثر دلالة على منهجه.

وإنما الذى يعنينا بحثه هنا فى المقام الأول أن الفقهاء حينما يجمعون على أن هذا النوع من النذر إنما يعد معصية فإنهم بذلك يقدمون لنا حكماً صريحاً وقاطعاً فى تحريم مجرد نذر الإنسان نحر نفسه أو ابنه فضلاً عن حرمة قيامه بتنفيذ ذلك النذر، أو قيامه بقتل نفسه بدون نذر.

وهذا الحكم فيما أعتقد لا جدال فيه ولا شك وإنما هو معلوم من الدين بالضرورة.

#### غلظ تحريم قتل الإنسان لنفسه :

يقول الله تعالى ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ۖ﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصَلِّيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٢﴾.

اتفق المفسرون على أن هذا نهى عن أن يقتل بعضهم بعضاً وإنما قال (أنفسكم)

(١) يذكر الألوسى أن الإنصاف يقتضى أن نقول إن مدرك الشافعى وأبى يوسف عليهما الرحمة أظهر وأقوى من مدرك الإمام الأعظم رضى الله عنه فى هذه المسألة روح المعانى ج ٢٣ ص ١٣٨.

(٢) النساء: ٢٩ - ٣٠.

لقوله عليه السلام "المؤمنون كنفس واحدة" ولأن العرب يقولون: قتلنا ورب الكعبة إذا قتل بعضهم لأن قتل بعضهم يجرى مجرى قتلهم<sup>(١)</sup>.

يقول أبو جعفر الطبري يعنى بذلك جل ثناؤه "ولا تقتلوا أنفسكم، ولا يقتل بعضكم بعضا، وأنتم أهل ملة واحدة، ودعوة واحدة، ودين واحد، فجعل جل ثناؤه أهل الإسلام كلهم بعضهم من بعض، وجعل القاتل منهم قتيلا في قتله إياه منهم بمنزلة قتله نفسه، إذ كان القاتل والمقتول أهل يد واحدة على من خالف ملتتهما"<sup>(٢)</sup>.

ويذكر الشيخ رشيد رضا أن المتبادر من قوله تعالى "ولا تقتلوا أنفسكم" أن المراد لا يقتل بعضكم بعضا، واختير هذا التعبير للإشعار بتعاون الأمة وتكافلها ووحدتها رغم أن ظاهر هذه الجملة وحدها يفيد أن النهي إنما هو عن قتل الإنسان لنفسه وهو الانتحار<sup>(٣)</sup>.

ولذلك اختلف المفسرون في أن هذا الخطاب هل هو نهى لهم عن قتلهم أنفسهم؟

فأنكره بعضهم وقال: إن المؤمن مع إيمانه لا يجوز أن ينهى عن قتل نفسه، لأنه ملجأ إلى أن لا يقتل نفسه، وذلك لأن الصارف عنه في الدنيا قائم، وهو الألم الشديد والدم العظيم.

والصارف عنه أيضا في الآخرة قائم، وهو استحقاق العذاب العظيم، وإذا كان الصارف خالصا امتنع منه أن يفعل ذلك، وإذا كان كذلك لم يكن للنهي عنه فائدة، وإنما يمكن أن يذكر هذا النهي فيمن يعتقد في قتل نفسه ما يعتقد أهل الهند، وذلك لا يتأتى من المؤمن<sup>(٤)</sup>.

(١) راجع تفسير الفخر الرازي ج ١٠ ص ٧٢ تفسير الطبري ج ٨ ص ٢٢٩.

(٢) تفسير الطبري ج ٨ ص ٢٢٩.

(٣) تفسير المنار ج ٥ ص ٣٦.

(٤) راجع تفسير الرازي ج ١٠ ص ٧٢ القاضي عبد الجبار: تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٩٣ دار النهضة الحديثة - بيروت متشابه القرآن ص ١٨٢ - ١٨٣ تحقيق د/ عدنان محمد زرزور - دار التراث - القاهرة.

وقد سبق أن تحدثنا عن معتقدات الهنود في قتل أنفسهم وإقدامهم على الانتحار المقدس.

ويذكر الشيخ رشيد رضا أن من نظر في مجموع الآيات الواردة في هذا المعنى وراعى دلالة النظم والأسلوب يجزم بأن المراد بقتل الناس أنفسهم هو قتل بعضهم البعض، وأن النكتة في التعبير هي ما تقدم بيانه من وحدة الأمة حتى كأن كل فرد من أفرادها هو عين الآخر، وجنأيته عليه جنأية على نفسه من جهة، وجنأية على جميع الأفراد من جهة أخرى.

بل علمنا القرآن أن جنأية الإنسان على غيره تعد جنأية على البشر كلهم لا على المتصلين معه برابطة الأمة الدينية أو الجنسية أو السياسية بقوله عز وجل ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الله سبحانه يرشدنا بأنه يجب علينا أن نحترم نفوس الناس بعدّها أو يجعلها كنفوسنا فاحترامنا لأنفسنا يجب أن يكون أولى.

فلا يباح بحال من الأحوال أن يقتل أحد نفسه كأن يبغها ليستريح من الغم وشقاء الحياة، فمهما اشتدت المصائب على المؤمن فإنه يصبر ويحتسب ولا ينقطع رجاؤه من الفرج الإلهي.

ولذلك نرى بخع النفس (الانتحار) يكثر حيث يقل الإيمان ويفشو الكفر والإلحاد، ومن فوائد الإيمان مدافعة المصائب والأكدار، فالمؤمن لا يتألم من بؤس الحياة كما يتألم الكافر، فليس من شأنه أن يبغ نفسه حتى ينهى عن ذلك نهيا صريحاً<sup>(٢)</sup>.

ويمكن أن يجاب عن هذا - كما يقول الرازي - بأن المؤمن مع كونه مؤمنا بالله واليوم الآخر، قد يلحقه من الغم والأذى ما يكون القتل عليه أسهل من ذلك.

(١) المائدة: ٣٢.

(٢) راجع تفسير المنارج ٥ ص ٣٧.



ولذلك نرى كثيرًا من المسلمين قد يقتلون أنفسهم بمثل السبب الذى ذكرناه، وإذا كان كذلك كان فى النهى عنه فائدة<sup>(١)</sup>.

ويقول القرطبى "وأجمع أهل التأويل على أن المراد بهذه الآية أن يقتل بعض الناس بعضًا، ثم لفظها يتناول أن يقتل الرجل نفسه بقصد منه للقتل فى الحرص على الدنيا وطلب المال بأن يحمل نفسه على الغرر المؤدى إلى التلف، ويحتمل أن يقال "ولا تقتلوا أنفسكم" فى حال ضجر أو غضب فهذا كله يتناوله النهى<sup>(٢)</sup>.

ونقل الزمخشري عن الحسن قوله "ولا تقتلوا أنفسكم" أى لا يقتل الرجل نفسه كما يفعل بعض الجهلة<sup>(٣)</sup>.

ويذكر ابن كثير أن أبا بكر بن مرويه أورد عند هذه الآية الكريمة من حديث الأعمش عن أبى صالح عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ "من قتل نفسه بحديدة فحديده فى يده يحيا بها بطنه يوم القيامة فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بسم تردى به فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا".

وهذا الحديث ثابت فى الصحيحين<sup>(٤)</sup>.

---

(١) التفسير الكبير ج ١٠ ص ٧٢.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ٥ ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) تفسير الكشاف ج ١ ص ٥٢٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٨٠ ونص رواية البخارى هكذا "من تردى من جبل فقتل نفسه فهو فى نار جهنم يتردى فيه خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن تحصى سما فقتل نفسه فسمه فى يده يتحساه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا، ومن قتل نفسه بحديدة فحديده فى يده يحيا بها فى بطنه فى نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا.

فتح البارى ج ١٠ ص ٢٥٨ دار الريان للتراث ١٩٨٧م تحت باب شرب السم والدواء به من كتاب الطب. ورواية مسلم كرواية البخارى إلا أنه قدم القتل بحديدة وآخر التردى من الجبل. صحيح مسلم بشرح النووى ج ٢ ص ١١٨ فى باب بيان غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وجاء فى الترغيب والترهيب للمنذرى أن هذا الحديث رواه الشيخان والترمذى بتقديم وتأخير والنسائى وأبو داود. ج ٣ ص ٢٠٥ نشر دار الحديث بالقاهرة.

وكذلك رواه أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه، وعن أبي قلابة عن ثابت بن الضحاك رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ "من قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة".

وقد أخرجه الجماعة في كتبهم من طريق أبي قلابة<sup>(١)</sup>.

وجاء في الترغيب والترهيب للحافظ المنذرى أن ثابت بن الضحاك بايع رسول الله ﷺ تحت الشجرة وأن رسول الله ﷺ قال: "من حلف على يمين بملة غير الإسلام كاذبا متعمدا فهو كما قال، ومن قتل نفسه بشىء عذب به يوم القيامة، وليس على رجل نذر فيما لا يملك، ولعن المؤمن كقتله، ومن رمى مؤمنا بكفر فهو كقتله، ومن ذبح نفسه بشىء عذب به يوم القيامة".

رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى باختصار والترمذى وصححه ولفظه أن النبي ﷺ قال: ليس على المرء نذر فيما لا يملك ولا عن المؤمن كقاتله ومن قذف مؤمنا بكفر فهو كقاتله ومن قتل نفسه بشىء عذبه الله بما قتل به نفسه يوم القيامة<sup>(٢)</sup>.

وورد في الصحيحين من حديث الحسن بن جندب عن عبد الله البجلي قال: قال رسول الله ﷺ "كان رجل ممن كان قبلكم وكان به جرح فأخذ سكيناً نحر بها يده فما رقا الدم حتى مات، قال الله عز وجل عبدى بادرني بنفسه حرمت عليه الجنة"<sup>(٣)</sup>.

وورد في الصحيحين أيضا عن معمر الزهرى عن سعيد بن المسيب عن أبي هريرة رضى الله عنه قال: شهدنا مع رسول الله ﷺ خيبر، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعى الإسلام: هذا من أهل النار، فلما حضر القتال قاتل الرجل من أشد

---

(١) تفسير ابن كثير ج ١ ص ٤٨٠.

(٢) الترغيب والترهيب ج ٣ ص ٢٠٦.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٨٠ وانظر رواية البخارى في فتح البارى لابن حجر ج ٣ ص ٢٦٨ تحت باب ما جاء في قاتل النفس من كتاب الجنائز وانظر رواية مسلم في باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وفي رواية أخرى لمسلم أنه خرجت منه قرحة فلما أذته انتزع سهما من كنانته فنكأها فلم يرقأ الدم حتى مات.

القتال، وكثرت به الجراح فأثبتته، فجاء رجل من أصحاب النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أرايت الذى تحدث أنه من أهل النار؟ قاتل فى سبيل الله أشد القتال فكثرت به الجراح. فقال النبي ﷺ: أما إنه من أهل النار، فكاد بعض المسلمين يرتاب، فبينما هو على ذلك إذ وجد الرجل ألم الجراح، فأهوى بيده إلى كنانته فانتزع منها سهما فانتحر بها، فاشتد رجال من المسلمين إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، صدق الله حديثك قد انتحر فلان فقتل نفسه، فقال رسول الله ﷺ: يا بلال، قم فأذن: لا يدخل الجنة إلا مؤمن، وإن الله ليؤيد هذا الدين بالرجل الفاجر<sup>(١)</sup>.

وجاء فى الصحيحين كذلك عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ التقى هو والمشركون فاقتتلوا فلما مال رسول الله ﷺ إلى عسكره ومال الآخرون إلى عسكرهم وفى أصحاب رسول الله ﷺ رجل لا يدع لهم شاذة إلا اتبعها يضربها بسيفه فقالوا ما أجزأنا اليوم أحد كما أجزأ فلان فقال رسول الله ﷺ: أما إنه من أهل النار<sup>(٢)</sup>.

وفى رواية البخارى<sup>(٣)</sup> أن رجلا من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين فى غزوة غزاها مع النبي ﷺ، فنظر النبي ﷺ فقال: من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار فليُنظر إلى هذا، فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين.

وفى رواية مسلم فقال رجل من القوم أنا صاحبه أبدا قال فخرج معه كلما وقف وقف معه وإذا أسرع أسرع معه قال: فجرح الرجل جرحا شديدا فاستعجل الموت فوضع نصل سيفه بالأرض وذبابه بين ثديه ثم تحامل على سيفه فقتل نفسه، فخرج الرجل إلى رسول الله ﷺ فقال: أشهد أنك رسول الله قال: وما ذاك، قال الرجل الذى ذكرت أنك من أهل النار (ثم ذكر للرسول ﷺ ما حدث له وما وقع منه).

(١) هذا هو نص رواية الإمام البخارى ووردت فى باب العمل بالخواتيم من كتاب القدر ج ١١ ص ٥٠٧ فتح البارى لابن حجر العسقلانى وانظر رواية الإمام مسلم لهذا فى باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه.

(٢) نص رواية مسلم فى نفس الباب المشار إليه.

(٣) فى نفس الباب المشار إليه (باب العمل بالخواتيم).

فقال رسول الله ﷺ: إن الرجل ليعمل عمل أهل الجنة فيما يبدو للناس وهو من أهل النار، وإن الرجل ليعمل عمل أهل النار فيما يبدو للناس وهو من أهل الجنة.

وفي رواية البخارى "إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار، وإنما الأعمال بالخواتيم"<sup>(١)</sup>.

ومن خلال هذه الأحاديث وكثير غيرها يتبين لنا تحريم الإسلام لقتل الإنسان نفسه، وتشديد النكير على من يفعل ذلك والوعيد له بسوء الخاتمة وشر العاقبة بدخوله النار وإذاقته من أشد ألوان العذاب حتى يكون ذلك زجرا لمن تسول له نفسه أن يقدم على هذا الخطر ويرتكب ذلك الجرم<sup>(٢)</sup>.

ولهذا قال تعالى ﴿وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدُونَا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾<sup>(٣)</sup>.

يقول ابن كثير "أى ومن يتعاطى ما نهاه الله عنه متعديا فيه ظلما في تعاطيه، أى عالما بتحريمه متجاسرا على انتهاكه فسوف نصليه نارا وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد فليحذر منه كل عاقل لبيب ممن ألقى السمع وهو شهيد"<sup>(٤)</sup>.

---

(١) روى البخارى أيضا في باب ما جاء في قاتل النفس عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال ﷺ يُخْنَقُ نفسه يُخْنَقُها في النار، والذي يطعننها يطعننها في النار".

وروى مسلم عن جابر بن سمرة أنه أتى النبى ﷺ برجل قتل نفسه بمشاقص فلم يصل عليه.

(٢) للعلماء أقوال في فهم هذه الأحاديث وخاصة في قول النبى ﷺ "فهو في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبدا" ف قيل إنه محمول على من فعل ذلك مستحلا مع علمه بالتحريم فهذا كافر وهذه عقوبته وقيل إن المراد بالخلود طول المدة والإقامة المتطاولة لا حقيقة الدوام وغير ذلك مما اجتهد فيه العلماء وكذلك في ترك النبى الصلاة على من قتل نفسه بمشاقص فقد أورد الإمام النووى اختلاف العلماء في فهم هذه الأحاديث من خلال المذاهب والفرق المختلفة ولم أعرض لهذا خشية التطويل وليكون الاستشهاد بالأحاديث على ما ذهب إليه من تحريم قتل النفس قويا ومن أراد الزيادة فعليه بشرح وتعليق الإمامين النووى وابن حجر في شرح صحيح مسلم وفتح البارى وغيرهما من كتب علم الكلام والفقه.

(٣) النساء: ٣٠.

(٤) تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٨٠.

وإذا كان بعض المفسرين قد فسروا النهى الوارد في هذه الآية بالنهى عن قتل المسلمين بعضهم لبعض، وفسره البعض الآخر بالنهى عن قتل الإنسان لنفسه فإن هناك من جمع في النهى عن القتل بين الأمرين فقال: أى لا تقتلونها حقيقة بالانتحار ولا مجازا بقتل بعضكم لبعض<sup>(١)</sup>.

وذكر بعض المفسرين في قوله تعالى "ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما" أن الله أمر بنى إسرائيل بقتلهم أنفسهم ليكون توبة لهم وتمحيصا لخطاياهم وكان بكم يا أمة محمد رحيما حيث لم يكلفكم تلك التكاليف الصعبة<sup>(٢)</sup>.

ومما يذكر أن عمرًا بن العاص قد احتج بهذه الآية حين امتنع عن الاغتسال بالماء البارد وذلك عندما أجنب في غزوة ذات السلاسل خوفا على نفسه منه، فقرر النبي ﷺ احتجاجه وضحك عنده ولم يقتل شيئا<sup>(٣)</sup>.

روى الإمامان أحمد وأبو داود عن عمرو بن العاص رضى الله عنه قال: لما بعثه النبي ﷺ عام ذات السلاسل قال:

احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فتيمنت ثم صليت بأصحابي صلاة الصبح قال: فلما قدمنا على رسول الله ﷺ ذكرت ذلك له فقال: "يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جنب" قال: قلت يا رسول الله إني احتلمت في ليلة باردة شديدة البرد فأشفقت إن اغتسلت أن أهلك فذكرت قول الله عز وجل (ولا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) فتيمنت ثم صليت فضحك رسول الله ﷺ ولم يقل شيئا<sup>(٤)</sup>.

---

(١) تفسير المنار ج ٥ ص ٣٦.

(٢) الكشف ج ١ ص ٥٢٢ الألوسى ج ٥ ص ١٦ الرازى ج ١٠ ص ٧٢.

(٣) تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٥٧.

(٤) راجع تفسير القرآن العظيم ج ١ ص ٤٨٠.

تفسير القرطبي ج ٥ ص ١٥٧ - تفسير الألوسى ج ٥ ص ١٦.

## النهي عن قتل النفس المحرمة إلا بالحق:

وإذا كان الإسلام قد نهى عن قتل الإنسان لنفسه سواء كان هذا عن طريق النذر أو عن طريق الانتحار فإنه أيضا قد نهى عن قتل الإنسان لغيره بطريق النذر أو بغيره، وحينما أحل قتل النفس جعل ذلك لسبب من الأسباب التي أوردتها الشرع وعبر القرآن الكريم بالحق فقال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾<sup>(١)</sup>.

يذكر الرازي أن الأصل في قتل النفس هو الحرمة وحله لا يثبت إلا بدليل منفصل فقوله (إلا بالحق) أى قتل النفس المحرمة قد يكون حقا لجرم يصدر منها<sup>(٢)</sup>.

وقد جاء في الصحيحين تفسيراً لهذا الحق عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ "لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأنى رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزانى والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة.

وروى الإمام أحمد والترمذى والنسائى وابن ماجه أن رسول الله ﷺ قال "لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفساً بغير نفس".

وورد في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِّنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ﴾<sup>(٣)</sup>.

ويذكر الألوسى أن النفس التي حرم الله قتلها هي التي عصمها بالإسلام أو

(١) الأنعام: ١٥١ - الإسراء: ٣٢.

(٢) التفسير الكبير ج ١٣ ص ٢٣٣.

(٣) المائدة: ٣٣ راجع في ذلك تفسير ابن كثير ج ٢ ص ١٨٨ - ١٨٩ تفسير القرطبي ج ٧ ص ١٣٣ -

١٣٤ تفسير الرازي ج ١٣ ص ٢٣٣.

بالعهد فيخرج الحربى ويدخل الذمى، فما روى عن ابن جبير من كون المراد بالنفس المذكورة النفس المؤمنة ليس في محله (إلا بالحق) أى لا تقتلونها في حال من الأحوال إلا حال ملابستكم بالحق الذى هو أمر الشرع بقتلها<sup>(١)</sup>.

ومن خلال كل ما عرضناه يتبين لنا أنه ليس في الإسلام قرابين بشرية أو ذبائح آدمية من أى نوع بل إنه قضى عليها قضاء تاما وتبين ذلك في نهى الله المشركين عن قتل أولادهم ووآد بناتهم وتبين أيضا في نهى سيدنا عمر رضى الله عنه المصريين عما كانوا يفعلونه بالقربان البشرى المتمثل في فتاة يلقونها في نهر النيل كما سبق أن عرضنا ذلك.

وتبين لنا هذا واضحا في إجماع الفقهاء على أن من نذر نحر نفسه أو ابنه إنما يعد ذلك معصية كبيرة وذنبا عظيما يستحق عليه العقاب ويحتاج منه إلى التوبة والاستغفار.

### استدلال الفقهاء بقصة الخليل ورؤياه بذبح ابنه

لكننا كمسلمين ينبغي علينا ونحن نتحدث في هذا الموضوع أن نشير إلى قصة الخليل إبراهيم وكيف أنه أمر بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام، فأيرادها هنا أمر ضرورى حيث كانت هذه القصة مجالا لاستدلال الفقهاء ومحلا لاستشهادهم حيث نظر إليها كل فقيه أو صاحب مذهب من منطلق معين.

فابن رشد بعد أن لخص اختلاف الفقهاء في الواجب على من نذر أن ينحر ابنه<sup>(٢)</sup> علل اختلافهم وأرجع اجتهادهم إلى هذه القصة فهو يقول:

---

(١) راجع روح المعانى ج ٨ ص ٥٤ - ٥٥.

(٢) يقول ابن رشد "واختلفوا في الواجب على من نذر أن ينحر ابنه في مقام إبراهيم فقال مالك ينحر جزورا فداء له، وقال أبو حنيفة ينحر شاة، وهو أيضا مروى عن ابن عباس، وقال بعضهم بل ينحر مائة من الإبل، وقال بعضهم يهدى ديتة، وروى ذلك عن علي، وقال بعضهم بل يحتج به، قال الليث وقال أبو يوسف والشافعى لا شيء عليه لأنه نذر معصية، ولا نذر في معصية (بداية المجتهد ونهاية المقتصد للشيخ الإمام الحافظ الناقد أبى الوليد محمد ابن أحمد بن محمد ابن رشد القرطبى ج ١ ص ٣٦٤ نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر).

وسبب اختلافهم في هذا الأمر قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام بمعنى هل ما تقرب به إبراهيم هو لازم للمسلمين أو ليس بلام.

فمن رأى أن ذلك شرع خص به إبراهيم قال لا يلزم النذر، ومن رأى أنه لازم لنا قال: النذر لازم.

والخلاف في هل يلزمنا شرع من قبلنا مشهور، لكن يتطرق إلى هذا خلاف آخر، وهو أن الظاهر من هذا الفعل أنه كان خاصا بإبراهيم ولم يكن شرعا لأهل زمانه، وعلى هذا فليس ينبغي أن يختلف: هل هو شرع لنا أو ليس بشرع.

والذين قالوا أنه شرع إنما اختلفوا في الواجب في ذلك من قبل اختلافهم أيضا في هل يحمل الواجب في ذلك على الواجب على إبراهيم أو يحمل على غير ذلك من القرب الإسلامية، وذلك إما صدقة بديته وإما حج به، وإما هدى بدنة، وأما الذين قالوا مائة من الإبل فذهبوا إلى حديث عبد المطلب<sup>(١)</sup>.

فمن الذين رأوا أن ما تقرب به سيدنا إبراهيم عليه السلام هو لازم للمسلمين الإمام أبو حنيفة والقاضي ابن العربي وقد سبق أن أوردنا حجتهما في هذا الشأن.

ويضيف شمس الدين السرخسى إلى ما ذكرناه من حجة أبي حنيفة فيذكر أن من أوجب الشاة فإنما أوجبها استدلالا بقصة الخليل صلوات الله عليه، ومن أوجب مائة من الإبل فإنما أوجبها استدلالا بفعل عبد المطلب، والأخذ بفعل الخليل صلوات الله عليه أولى من الأخذ بفعل عبد المطلب، وهو الاستدلال الفقهي في المسألة فإن الشاة محل لوجوب ذبحها بإيجاب ذبح مضاف إلى الولد فكان إضافة النذر بالذبح إلى الولد بهذا الطريق كالإضافة إلى الشاة فيكون ملزمة.

وبيانه أن الخليل صلوات الله وسلامه عليه أمر بذبح الولد كما أخبر به ولده فقال الله تعالى مخبرا عنه إنى أرى في المنام أنى أذبحك أى أمرت بذبحك بدليل أن ابنه قال في الجواب يا أبت أفعل ما تؤمر ولأنها اعتقدا الأمر بذبح الولد حيث اشتغلا

(١) بداية المجتهد ج ١ ص ٣٦٤ - ٣٦٥.



فأقر عليه وتقرير الرسل على الخطأ لا يجوز خصوصا فيما لا يحل العمل فيه بغالب  
الرأى من إراقة دم نبي ثم وجب عليه بذلك الأمر ذبح الشاة لأن الله تعالى قال:  
وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا أى حققت وإنما حقق ذبح الشاة فلا يجوز  
أن يقال إنما سماه مصدقا رؤياه قبل ذبح الشاة لأن فى الآية تقديما وتأخيرا معناه  
"وفديناه بذبح عظيم وناديناه يا إبراهيم".

وهذا لأن قبل ذبح الشاة إنما أتى بمقدمات ذبح الولد من تله للجبين وإمراره  
السكين على حلقه وبه لم يحصل الامتثال لأنه ليس بذبح ولأنه لو حصل الامتثال به  
لم تكن الشاة فداء ولا يجوز أن يقول وجوب الشاة بأمر آخر لأن إثبات أمر آخر  
بالرأى غير ممكن ولأنه حينئذ لا يكون فداء والله تعالى سمى الشاة فداء.... وينتهى  
السرخسى إلى أنه قد ورد أن الخليل كان قد نذر الذبح لأول ولد يولد له ثم نسى  
ذلك فذكر فى المنام فإن ثبت هذا فهو نص لأن شريعة من قبلنا تلزمنا ما لم يظهر  
ناسخه خصوصا شريعة الخليل صلوات الله عليه قال الله تعالى "فاتبع ملة إبراهيم  
حنيفا"<sup>(١)</sup>.

ويذهب أبو بكر الجصاص وهو حنفى إلى أنه قد تضمن الأمر بذبح الولد إيجاب  
شاة فى العاقبة فلما صار موجب هذا اللفظ إيجاب شاة فى المتعقب فى شريعة إبراهيم  
عليه السلام وقد أمر الله باتباعه بقوله تعالى (ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم  
حنيفا) وقال (أولئك الذين هداهم الله فبهداهم اقتده) وجب على من نذر ذبح ولده  
شاه.

ويقول "ظاهر الآية يدل على قول أبى حنيفة فى ذبح الولد لأن هذا اللفظ قد  
صار عبارة عن إيجاب شاة فى شريعة إبراهيم عليه السلام فوجب بقاء حكمه ما لم  
يثبت نسخه"<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع المبسوط لشمس الدين السرخسى ج ٨ ص ١٣٩ - ١٤٢.

(٢) أحكام القرآن للجصاص: أبى بكر أحمد بن على الرازى الحنفى ج ٣ ص ٣٧٧ نشر دار الكتاب  
العربى بيروت.

ومن الذين قالوا أن ما حدث شرع خص به إبراهيم وحده أصحاب الإمام أحمد بن حنبل ويذكر ابن قدامة أن هذا أمر مختص بإبراهيم عليه السلام لا يتعداه إلى غيره لحكمة علمها الله فيه، ثم يقول "لو كان إبراهيم مأمورا بذبح كبش فقد ورد شرعنا بخلافه فإن نذر ذبح الابن ليس بقربة في شرعنا ولا مباح بل هو معصية فتكون كفارته ككفارة سائر نذور المعاصي"<sup>(١)</sup>.

والذي يلفت النظر في كلام ابن رشد وفي استدلال ابن قدامة ما ذكر أن الظاهر من هذا الفعل أنه كان خاصا بإبراهيم وحده لا يتعداه إلى غيره لحكمة علمها الله فيه وأنه لم يكن شرعا لأهل زمانه.

معنى ذلك أن الله أمر به إبراهيم الخليل وحده لم يأمر به غيره فلا يستطيع أحد أن يدعى أن الله أمره بتقديم قربان بشري إليه بوحى أو بغيره وإنما كانوا يقدمون هذه القرابين البشرية إلى آلهتهم اعتقادًا منهم وتأثير من كهنتهم أنها تسكن غضب آلهتهم وينالون بها الرضى عنهم.

لكن وجه الإشكال هنا هو إذا كان الفقهاء قد أجمعوا على أن من نذر ذبح نفسه أو نحر ولده إنما يعد ذلك معصية تغضب الله وجريمة تستوجب عقابه وأن الله لم يأمر أحدا بذلك إلا إبراهيم عليه السلام حيث أمره بذبح ولده رغم أن هذا في حكم الفقهاء معصية.

فكيف يؤمر إبراهيم بذبح الولد وهو معصية والأمر بالمعصية لا يجوز؟ ويحيب ابن العربي على ذلك بقوله إن هذا اعتراض على كتاب الله، فلا يكون ذلك ممن يعتقد الإسلام، فكيف ممن يفتى في الحلال منه والحرام؟ وقد قال الله تعالى: افعل ما تؤمر.

ثم يقول "والذى يجلو الالتباس عن قلوب الناس في ذلك أن المعاصي والطاعات ليست بأوصاف ذاتية للأعيان، وإنما الطاعة عبارة عما تعلق به الأمر من

---

(١) المغنى ج ١١ ص ٢١٦-٢١٧.

الأفعال، والمعصية عبارة عما تعلق به النهى من الأفعال، فلما تعلق الأمر بذبح الولد إسماعيل من إبراهيم صار طاعة وابتلاء، ولهذا قال الله تعالى "إن هذا هو البلاء المبين" أى الصبر على ذبح الولد والنفس ولما تعلق النهى بنا فى ذبح أبنائنا صار معصية<sup>(١)</sup>.

فإن قيل: كيف يصير نذرا وهو معصية؟

قلنا: إنما يصير معصية لو كان هو يقصد ذبح ولده بنذره ولا ينوى الفداء.

فإن قيل: فإن وقع ذلك وقصد المعصية ولم ينو الفداء؟

قلنا: لو قصد ذلك لم يضره فى قصده، ولا أثر فى نذره، لأن ذبح الولد صار عبارة عن ذبح الشاة شرعا.

فإن قيل: فكيف يصح أن يكون عبارة عنه وكناية فيه، وإنما يصح أن يكون الشيء كناية عن الشيء بأحد وجهين: إما باشتباههما فى المعنى الخاص، وإما بنسبة تكون بينهما وهما لا نسبة بين الطاعة وهو النذر، ولا بين المعصية وهى ذبح الولد، ولا تشابه أيضا بينهما، فإن ذبح الولد ليس بسبب لذبح الشاة.

قلنا: هو سبب له شرعا لأنه جعل كناية عنه فى الشرع. والأسباب إنما تعرف عادة أو شرعا<sup>(٢)</sup>.

**التحقيق فى أمر الله لإبراهيم بذبح ولده:**

وحيثما نريد أن نبحث فى مسألة الأمر لإبراهيم الخليل بذبح ولده إسماعيل<sup>(٣)</sup> عليهما السلام فإنه ليحسن بنا أن نرجع إلى النصوص القرآنية الواردة فى هذه القصة ونتحاكم إليها.

---

(١) أحكام القرآن ج ٤ ص ١٦٢٠ تحقيق على محمد البجاوى دار الجيل بيروت ١٩٨٧م.

(٢) المصدر السابق.

(٣) لمعرفة من هو الذبيح: إسماعيل أم إسحاق راجع كتابى: قصى الذبيح عند أهل الكتاب والمسلمين (عرض ونقد) دار البشير ١٩٩٤م..

يقول الله تعالى ﴿فَبَشِّرْنَهُ بِنُحْمٍ حَلِيمٍ﴾ ﴿١١﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَبْنَىٰ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانْظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالَ يَتَأَبَّأُ أَفْعَلُ مَا تُؤْمَرُ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٣﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ أَنْ يَتْلُوَ تَرْهِيمُهُ ﴿١٤﴾ قَدْ صَدَّقَتْ الرُّيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٥﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾ وَتَدَيَّنَتْهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٧﴾.

وفي تفسير قوله تعالى (قال يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى).

يقول السدى: إن إبراهيم حين بشر بولده قبل أن يولد له قال هو إذن لله ذبيح فقيل لإبراهيم قد نذرت نذرا فف بنذكرك فلما أصبح فقال يا بنى إني أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى<sup>(١)</sup>.

وقد روى من طريق آخر أنه رأى ليلة التروية فى منامه كأن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا، فلما أصبح تروى فى ذلك من الصباح إلى الرواح، أمن الله هذا الحلم أم من الشيطان؟ فمن ثم سمى يوم التروية، فلما أمسى رأى مثل ذلك فعرف أنه من الله فسمى يوم عرفة، ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحره فسمى يوم النحر<sup>(٢)</sup>.

وهذا - كما يقول الرازى - هو قول أهل التفسير وهو يدل على أنه رأى فى المنام ما يوجب أن يذبح ابنه فى اليقظة، وعلى هذا فتقدير اللفظ: إني أرى فى المنام ما يوجب أن أذبحك<sup>(٣)</sup>.

ويذكر الألوسى أنه يحتمل أنه عليه السلام رأى فى منامه أن فعل ذبحه فحمله على ما هو الأغلب فى رؤيا الأنبياء عليهم السلام من وقوعها بعينها<sup>(٤)</sup>.

(١) الصفات: ١٠١ - ١٠٧.

(٢) الكشف ج ٣ ص ٣٤٨ تفسير الرازى ج ٢٦ ص ١٥٣ القرطبى ج ١٥ ص ١٠٢ الألوسى ج ٢٣ ص ١٢٨.

(٣) راجع المصادر السابقة.

(٤) التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١٥٣.

(٥) روح المعانى ج ٢٣ ص ١٢٨.

ويحتمل أنه رأى ما تأويله ذلك لكن لم يذكره وذكر التأويل كما يقول الزمخشري أتى في المنام فقيل له: اذبح ابنك ورؤيا الأنبياء وحى كالوحى فى اليقظة فلهذا قال (إنى رأى فى المنام أنى أذبحك) فذكر تأويل الرؤيا كما يقول الممتحن وقد رأى أنه راكب فى سفينة رأيت فى المنام أنى ناج من هذه المحنة<sup>(١)</sup>.

وقيل إنه رأى معالجة الذبح ولم ير إنهار الدم فأنى أذبحك أى إنى أعالج ذبحك<sup>(٢)</sup>.

وذكر الرازى أنه رأى فى المنام أنه يذبحه ورؤيا الأنبياء عليهم السلام من باب الوحى. وعلى هذا القول فالمرئى فى المنام ليس إلا أنه يذبح<sup>(٣)</sup>.

وقال محمد بن كعب: كانت الرسل يأتيهم الوحى من الله تعالى أيقاظا ورقودا فإن الأنبياء لا تنام قلوبهم وهذا ثابت فى الخبر المرفوع قال ﷺ "إننا معاشر الأنبياء تنام أعيننا ولا تنام قلوبنا".

وقال ابن عباس "رؤيا الأنبياء وحى واستدل بهذه الآية<sup>(٤)</sup>.

فإن قيل: إما أن يقال أنه ثبت بالدليل عن الأنبياء عليهم السلام أن كل ما رآه فى المنام فهو حق حجة أو لم يثبت ذلك بالدليل عندهم.

فإن كان الأول فلم راجع الولد فى هذه الواقعة بل كان من الواجب عليه أن يشتغل بتحصيل ذلك المأمور، وأن لا يراجع الولد فيه وأن لا يقول له "فانظر ماذا ترى" وأن لا يوقف العمل على أن يقول له الولد (افعل ما تؤمر)<sup>(٥)</sup>؟.

ويقول الزمخشري فى ذلك: فإن قلت: لم شاوروه فى أمر هو حتم من الله؟ ويجيب

---

(١) المصدر السابق وتفسير الكشاف ج ٣ ص ٣٤٨.

(٢) روح المعانى ج ٢٣ ص ١٢٨.

(٣) مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٣.

(٤) تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٠٢.

(٥) مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٣.

بقوله: لم يشاوره ليرجع إلى رأيه ومشورته ولكن ليعلم ما عنده فيما نزل به من بلاء الله فيثبت قدمه ويصبره إن جزع ويأمن عليه الزل إن صبر وسلم، وليعلمه حتى يراجع نفسه فيوطنها ويهون عليها ويلقى البلاء وهو كالمستأنس به، ويكتسب المثوية للانقياد لأمر الله قبل نزوله ولأن المغافضة بالذبح مما يستسمح وليكون سنة في المشاورة<sup>(١)</sup>.

ويرى ابن كثير أن الخليل أعلم ابنه بذلك ليكون أهون عليه وليختبر صبره وجلده وعزمه في صغره على طاعة الله تعالى وطاعة أبيه<sup>(٢)</sup>.

وإن قيل: قد قلت إنه بقي في اليوم الأول متفكرا ولو ثبت عنده بالدليل أن كل ما رآه في النوم فهو حق لم يكن إلى هذا التروى والتفكر حاجة، وإن كان الثاني وهو أنه لم يثبت بالدليل عندهم أن ما يروونه في المنام حق فكيف يجوز له أن يقدم على ذبح ذلك الطفل بمجرد رؤيا لم يدل الدليل على كونها حجة؟ والجواب كما يقول الرازي لا يبعد أن يقال إنه كان عند الرؤيا مترددا فيه ثم تأكدت الرؤيا بالوحي الصريح والله أعلم<sup>(٣)</sup>.

ويذكر الألوسي أن الأمر لا يعدو إما مناما وإما يقظة لكن أمر اليقظة وقع تأكيدا لما في المنام إذ لا محيص عن الإيثار بما قصه الله تعالى علينا فيما أعجز به الثقلين من القرآن والحزم بكونه في المنام لا غير وليس في الأخبار الصحيحة ما يدل على وقوعه يقظة أيضا<sup>(٤)</sup>.

وبيان الحكمة في ورود هذا التكليف في النوم لا في اليقظة من وجوه:  
الأول: أن هذا التكليف كان في نهاية المشقة على الذابح والمذبوح فورد أولا في

(١) تفسير الكشاف ج ٣ ص ٣٤٨.

(٢) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٥.

(٣) التفسير الكبير ج ١٦ ص ١٥٣.

(٤) روح المعاني ج ٢٣ ص ١٢٨.

النوم حتى يصير ذلك كالمنبه لورود هذا التكليف الشاق ثم يتأكد حال النوم بأحوال اليقظة فحينئذ لا يهجم هذا التكليف دفعة واحدة بل شيئاً فشيئاً<sup>(١)</sup>.

الثاني: أن تكون المبادرة إلى الامتثال أدل على كمال الانقياد وتمام الإخلاص<sup>(٢)</sup>.

الثالث: أن الله تعالى جعل رؤيا الأنبياء عليهم السلام حقاً: فكما أرى يوسف عليه "السلام سجود أبويه وإخوته له في المنام من غير وحى إلى أبيه فقال ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾<sup>(٣)</sup>.

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا لَكَ حَقًّا ۖ﴾<sup>(٤)</sup>.

وكما وعد رسوله ﷺ دخول المسجد الحرام في المنام فقال ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فإنه قال في حق إبراهيم أنى أرى في المنام أنى أذبحك " والمقصود من ذلك تقوية الدلالة على كونهم صادقين مصدوقين لأن الحال إما حال يقظة وإما حال منام فإذا تظاهرت الحالتان على الصدق كان ذلك أقوى للدلالة من انفراد أحدهما على كونهم محققين صادقين في كل الأحوال<sup>(٦)</sup>.

وإذا ثبت أن رؤيا الأنبياء وحى فإن إبراهيم قال لابنه: رأيت أنى أذبحك في

(١) تفسير الرازى ج ٢٦ ص ١٥٦.

(٢) تفسير الألوسى ج ٢٣ ص ١٢٩ تفسير البيضاوى ج ٢ ص ٢٩٧.

(٣) يوسف: ٤.

(٤) يوسف: ١٠٠.

(٥) الفتح: ٢٧.

(٦) الكشف ج ٣ ص ٣٤٨ مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٦ ويذكر الفخر الرازى أن منامات الأنبياء عليهم السلام ثلاثة أقسام منها ما يقع على وفق الرؤية كما في قوله تعالى في حق رسولنا ﷺ (لتدخلن المسجد الحرام) ثم وقع ذلك الشئ بعينه، ومنها ما يقع على الضد كما في حق إبراهيم عليه السلام فإنه رأى الذبح وكان الحاصل هو الفداء والنجاة، ومنها ما يقع على ضرب من التأويل والمناسبة كما في رؤيا يوسف عليه السلام، فلهذا السبب أطبق أهل التعبير على أن المنامات واقعة على هذه الوجوه الثلاثة. (التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١٥٧).

المنام، فأخذ الوالد والولد الرؤيا بظاهرها واسمها، وقال له: افعل ما تؤمر، إذ هو أمر من قبل الله تعالى، لأنها علما أن رؤيا الأنبياء وحى الله واستسما لقضاء الله، هذا في قرّة عينه، وهذا في نفسه أعطى ذبحا فداء، وقيل له: هذا فداؤك، فامتثل فيه ما رأيت فإنه حقيقة ما خاطبك فيه، وهو كناية. لا اسم، وجعله مصدقا للرؤيا بمبادرته الامتثال، فإنه لا بد من اعتقاد الوجوب والتهيؤ للعمل<sup>(١)</sup>.

فلما اعتقدا الوجوب: وتهيأ للعمل، هذا بصورة الذابح، وهذا بصورة المذبح، أعطى محلا للذبح فداء عن ذلك المرئى في المنام يقع موضعه برسم الكناية وإظهار الحق الموعد فيه.

فإن قيل: قد قال له الولد "يا أبت أفعل ما تؤمر" فأين الأمر؟ يقول ابن العربي: هما كلمتان إحداهما من الولد إبراهيم، والثانية من الولد إسماعيل، فأما كلمة إبراهيم فهي قوله أذبحك وهو خبر لا أمر، وأما كلمة إسماعيل: افعل ما تؤمر، وهو أمر.

وقول إبراهيم "إنى أرى فى المنام أنى أذبحك" وإن كانت صيغته صيغة الخبر فإن معناها الأمر ضرورة، لأنه لو كان عبارة عن خبر واقع لما كان له تأويل ينتظر، وإنما هو بصيغة الخبر، ومعناه الأمر ضرورة، فقال إسماعيل لأبيه إبراهيم: "افعل ما تؤمر" فعبّر عن نفسه بالانقياد إلى معنى خبر أبيه، وهو الأمر.

ولذلك قال الله تعالى: "قد صدقت الرؤيا" حين تيسر للعمل وأقبلا على الفعل، فكان صدقها ذبحا مكانها، وهو الفداء، وكان ذلك أمرا فى المعنى ضرورة، فكان ما كان من إبراهيم امتثالا، ومن إسماعيل انقياد، ووضحت المعانى بحقيقتها، وجرت

---

(١) ابن العربي أحكام القرآن ج ٤ ص ١٦١٨ - ١٦١٩ ما يقوله ابن العربي هو الحق المتفق مع جلال الأنبياء على عكس ما ورد فى لطائف الإشارات للإمام القشيري فقد ذكر أنه يقال أن معنى قول إسماعيل "يا أبت افعل ما تؤمر" لا تحكم فيه بحكم الرؤيا، فإنها قد تصيب وقد يكون لها تأويل، فإن كان هذا أمرا فافعل بمقتضاه، وإن كان لها تأويل فتثبت فقد يمكن ذبح ابنك كل الوقت ولكن لا يمكن تلافيه (لطائف الإشارات: تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم المجلد الثالث ص ٢٣٨ تقديم وتحقيق وتعليق د/ إبراهيم بسيونى الطبعة الثانية ١٩٨٣ نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب.



الألفاظ على نصابها لصوابها، ولم يحتج إلى تأويل فاسد بقلب الجلد نحاسا أو غيره<sup>(١)</sup>.

حيث ذكر بعضهم أنه وجد حلقه نحاسا أو مغشى بنحاس فكان كلما أراد قطعاً وجد منعاً، وقال بعضهم كان كلما قطع جزء التثم وروى عن مجاهد أن الذبيح قال لإبراهيم عليه السلام حين أراد ذبحه: يا أبت أشدد رباطي حتى لا أضطرب، واكفف ثيابك لئلا ينتضح عليها شيء من دمي فتراه أُمى فتحزن، وأسرع مر السكين على حلقى ليكون الموت أهون على، وكبني على وجهي لئلا تنظر إلى فترحمني ولئلا أنظر إلى الشفرة فأجزع، وإذا أتيت إلى أُمى فأقرئها مني السلام، فلما جر إبراهيم عليه السلام السكين ضرب الله عليه صفيحة من نحاس فلم تعمل السكين شيئاً، ثم ضرب به على جبينه وحز في قفاه فلم تعمل السكين شيئاً<sup>(٢)</sup>.

وهذا كله - كما يقول ابن العربي وذكره أيضاً القرطبي - جائز في القدرة الإلهية ولكن يفتقر إلى نقل صحيح، فإنه لا يدرك بالنظر، وإنما طريقه الخبر، وكان الذبح والتثام الأجزاء بعد ذلك أوقع في مطلوبهم من وضع النحاس موضع الجلد واللحم وكله أمر بعيد عن العلم، ولو كان قد جرى ذلك لبينه الله تعالى تعظيماً لرتبة إسماعيل وإبراهيم صلوات الله عليهما، وكان أولى بالبيان من الفداء<sup>(٣)</sup>.

ويذكر الألويسي أن كثيراً من أجلة العلماء ذهبوا إلى عدم إمرار الشفرة على حلق الذبيح ونقل عن الإمام أحمد ما رواه عن ابن عباس أن إبراهيم عليه السلام لما أخذ الشفرة وأراد أن يذبح إسماعيل نودى من خلفه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا<sup>(٤)</sup>.

وأخرج الإمام أحمد أيضاً وابن جرير وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان عن إبراهيم أنه عالج قميصه ليخلعه فنودى بذلك.

(١) أحكام القرآن ج ٤ ص ١٦١٨ - ١٦١٩.

(٢) راجع المصدر السابق ج ٤ ص ١٦١٨ تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٠٢ - ١٠٤ تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٦ تفسير الرازي ج ٢٦ ص ١٥٨ روح المعاني ج ٢٣ ص ١٣٠.

(٣) أحكام القرآن ج ٤ ص ١٦١٨ تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٤) روح المعاني ج ٢٣ ص ١٣٠.

وأخرج ابن المنذر والحاكم وصححه من طريق مجاهد عنه أيضاً؟ فلما أدخل يده ليزبحه فلم يحمل المذبة حتى نودي يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا وأمسك يده<sup>(١)</sup>.

أما ورد من إمرار الشفرة وانقلاب السكين والتنام الأجزاء إلى غير ذلك فإنه لم يصح كما صرح القرطبي<sup>(٢)</sup> وقال الألوسي إن البعض زعم ورود ذلك في بعض الأخبار لكنه لا يكاد يصح<sup>(٣)</sup>.

بل أن بعضهم قال: إن إبراهيم ما أمر بالذبح الحقيقي الذي هو فري الأوداج وإنهار الدم، وإنما رأى أنه أضجعه للذبح فتوهم أنه أمر بالذبح الحقيقي<sup>(٤)</sup>، فلما أتى

(١) المصدر السابق ص ١٣٠ - ١٣١.

(٢) الجامع لأحكام القرآن ج ١٥ ص ١٠٤.

(٣) روح المعاني ج ٢٣ ص ١٣١.

(٤) يرى صاحب كتاب فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت أن إبراهيم عليه السلام لم يؤمر بذبج الولد وإنما ظن أنه ماؤمر بذلك على طريقة الخطأ في الاجتهاد والغلط في التعبير (أى تفسير الرؤيا) وإنما رأى في المنام أنه يذبج ابنه ولم ير أنه يؤمر بهذا الذبح فعرض على الابن طلباً للمشورة فقال أنى أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى فظنه الابن أمراً بناء على أن رؤيا الأنبياء وحى أو على أمر آخر فقد أصاب في ظنه أمراً لكن أخطأ في ظنه بذبج الولد كما يخطئ المجتهد في الاجتهاد فقال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين، وتقرر هذا في رأى إبراهيم عليه الصلاة والسلام كما كان غالباً على عادته حيثئذ عدم كون رؤياه معبرة ولما وصل إليه اجتهاده وجب الامتثال إلى أن يظهر الخطأ فهم بالذبح فلم ينقطع حلقومه إما بصفيحة ضربت كما قيل أو بغيره ولما لم يكن الأنبياء مقرين على الخطأ أعلمه الله تعالى وناداه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا (هكذا يتجرأ هذا الشيخ ويصف إبراهيم وابنه بالخطأ ويرميها بالوهم والغلط).

وينقل عن ابن عربى قوله في فصوص الحكم "اعلم أيدينا الله وإياك أن إبراهيم الخليل عليه السلام قال لابنه إني أرى في المنام أنى أذبحك والمنام حضرة الخيال فلم يعبرها وكان كيشا ظهر في صورة ابن إبراهيم في المثال فصدق إبراهيم الرؤيا فقدها ربه من وهم إبراهيم بالذبح العظيم وهو تعبير رؤياه عند الله وهو لا يشعر بالتجلى الصورى في حضرة الخيال محتاج إلى علم آخر يدرك به ما أراد الله بتلك الصورة ألا ترى كيف قال رسول الله ﷺ وعلى آله وأصحابه وسلم لأمير المؤمنين أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه في تعبير الرؤيا أصبت بعضاً وأخطأت بعضاً فسأله أبو بكر أن يعرفه ما أصاب منه وما أخطأ فلم يفعل عليه السلام قال تعالى لإبراهيم حين ناداه يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا وما قال قد صدقت في الرؤيا لأنه ابنك لأنه ما عبرها بل أخذ بظاهر ما رأى والرؤيا تطلب التعبير، (راجع كتاب فواتح الرحموت ص ٦٥ - ٦٧ للعلامة عبد العلى محمد بن نظام الدين الأنصارى بشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه للإمام المحقق للشيخ محب الله ابن عبد الشكور) طبع مع كتاب المستصفى للإمام الغزالي نسخة مصورة عن طبعة بولاق ١٣٢٤ هـ نشر دار صادر.

بما أمر به ن الإضجاع قيل له "قد صدقت الرؤيا" وهذا كله خارج عن المفهوم، ولا يظن بالخليل والذبيح أن يفهما من هذا الأمر ما ليس له حقيقة حتى يكون منهما التوهم، وأيضا لو صحت هذه الأشياء لما احتيج إلى الفداء<sup>(١)</sup>.

وأصح ما قيل في هذا ما ذكره القرطبي عن أهل السنة إن نفس الذبح لم يقع، وإنما وقع الأمر بالذبح قبل أن يقع الذبح، ولو وقع لم يتصور رفعه، فكان هذا من باب النسخ قبل الفعل، لأنه لو حصل الفراغ من امثال الأمر بالذبح ما تحقق الفداء.

أما قوله تعالى "قد صدقت الرؤيا" فمعناه: حققت ما نبهناك عليك، وفعلت ما أمكنك ثم امتنعت لما منعناك<sup>(٢)</sup>.

ويذكر الألوسي أن تصديقه عليه السلام الرؤيا يعنى توفيته حقها من العمل وبذل وسعه في إيقاعها وذلك بالعزم والإتيان بالمقدمات ولا يلزم فيه وقوع ما رآه بعينه<sup>(٣)</sup>.

#### مسألة نسخ الحكم قبل التمكن من فعله :

أما ما أشار إليه القرطبي من أن ذلك كان من باب النسخ قبل الفعل فإن العلماء حينما اختلفوا في تفسير الأمر الصادر لإبراهيم بذبح ابنه عن طريق الرؤيا تفرع عن هذا الاختلاف - كما يقول الرازي - مسألة من مسائل أصول الفقه، وهى أنه هل يجوز نسخ الحكم قبل حضور مدة الامثال، أو ما يعرف بنسخ الحكم قبل التمكن من فعله أو قبل دخول وقته<sup>(٤)</sup>.

فذهبت الأشاعرة وأكثر أصحاب الشافعى، وأكثر الفقهاء إلى جوازه ومنع من

(١) تفسير القرطبي ج ١٥ ص ١٠٣.

(٢) المصدر السابق ج ١٥ ص ١٠٢.

(٣) روح المعاني ج ٢٣ ص ١٣٠.

(٤) اتفق القائلون بجواز النسخ على جواز نسخ حكم الفعل بعد خروج وقته، واختلفوا في جواز ذلك قبل دخول الوقت (الأمدي: الإحكام في أصول الأحكام ج ٣ ص ١٧٩ نشر دار الحديث القاهرة).

ذلك أو قال بعدم جوازه جماهير المعتزلة، وأبو بكر الصيرفي من فقهاء الشافعية وكثير من فقهاء الحنفية<sup>(١)</sup>.

ويترتب على القول الأول في قضية الأمر بالذبح أن الله سبحانه وتعالى أمره بالذبح، ثم أنه تعالى نسخ هذا التكليف قبل حضور وقته.

ويترتب على القول الثاني أنه تعالى ما أمره بالذبح، وإنما أمره بمقدمات الذبح وهذه مسألة شريفة من مسائل باب النسخ<sup>(٢)</sup>.

فقد استدل أصحاب القول الأول أى من أجازوا نسخ الأمر قبل التمكن من الامتثال بأن الله تعالى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده، ثم أنه تعالى نسخه عنه قبل إقدامه عليه وذلك يفيد المطلوب كما يقول الرازي<sup>(٣)</sup>.

ويذكر الإمام الغزالي أن الدليل القاطع من جهة السمع على جوازه قصة إبراهيم عليه السلام ونسخ ذبح ولده عنه قبل الفعل وقوله تعالى وفديناه يذبح عظيم فقد أمر بفعل واحد ولم يقصر في البدار والامتثال ثم نسخ عنه<sup>(٤)</sup>.

---

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي ج ٣ ص ١٨٠ مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٥. وفيما يتعلق بالكثير من فقهاء الحنفية فإن صاحب كتاب فواتح الرحموت الذى أشرنا إليه آنفا يذكر أن رؤساء الحنفية كالإمام أبى الحسن الكرخي، وشيخ الإمام علم الهدى أبى منصور الماتريدي، والشيخ الإمام الجصاص أبى بكر الرازي، والقاضي الإمام أبى زيد الدبوس رحمهم الله تعالى قد منعوا جواز النسخ قبل التمكن من الامتثال ويرى أن قولهم هو القول الحق المتلقى بالقبول.

ولعل حججهم التي أوردوها تكون هي نفس التي احتج بها المعتزلة والتي سنوردها. بيد أن صاحب فواتح الرحموت ربما يكون قد بالغ كثيرا وتجراً إلى حد كبير في استعراض أدلته والنتيجة التي وصل إليها وقد سبق أن عرضنا لبعض جوانب منها. راجع فواتح الرحموت ص ٦٢ - ٦٧ الجزء الثاني طبع على هامش المستصفي من علم الأصول نشر دار صادر بيروت.

(٢) يقول الإمام الغزالي "يجوز عندنا نسخ الأمر قبل التمكن من الامتثال خلافا للمعتزلة وصورته أن يقول الشارع في رمضان حجوا في هذه السنة ثم يقول قبل يوم عرفة لا تحجوا فقد نسخت عنكم الأمر أو يقول اذبح ولذلك فيبادر في إحضار أسبابه فيقول قبل ذبحه لا تذبح فقد نسخت عنك الأمر لأن النسخ عندنا رفع للأمر أى لحكم الأمر ومدلوله وليس بيانا لخروج المنسوخ عن لفظ الأمر بخلاف التخصيص" راجع تفصيل القول في ذلك في كتابه المستصفي من علم الأصول الطبعة الأولى ببولاق ١٣٢٤ هـ وصورتها ونشرتها دار صادر بيروت.

(٣) مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٥.

(٤) المستصفي من علم الأصول ج ١ ص ١١٥.

واستدل الإمام الشيخ محب الله بن عبد الشكور وهو من الحنفية الذين أجازوا النسخ قبل التمكن من مدة امتثاله استدل أيضا بقصة إبراهيم فقال (استدل بأمر إبراهيم عليه السلام بذبح ولده إسماعيل ولم يفعل ولا عصيان فالنسخ لازم<sup>(١)</sup>).

ويقول الآمدى أن المجيزين قد احتجوا بقصة إبراهيم عليه السلام، وأمر الله بذبح ولده، ونسخه عنه يذبح الفداء، ودليل أمره بذلك أنه قد روى أنه تعالى قال لإبراهيم "اذبح ولدك" وروى (واحدك) والقرآن دل عليه بقوله "يا بني إني أرى في المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت افعل ما تؤمر) وأنه نسخ بذبح الفداء بقوله "وفديناه بذبح عظيم"<sup>(٢)</sup>.

ويذكر ابن حزم أن القائلين بإجازة النسخ قبل العمل به احتجوا بأمر الله تعالى إبراهيم بذبح ولده وقالوا: هذا بيان جلى أن الذى أمر به نسخ قبل أن يكون، لأن قوما قالوا: إنما أمر بتحريك السكين على حلق ولده فقط، فأبطل تعالى قولهم بقوله "إن هذا هو البلاء المبين" ولو لم يؤمر بقتله لما كان في تحريك السكين على حلقه بلاء فصح بقول إبراهيم عليه السلام، إنه إنما أمر بقتل ولده وإماتته بالذبح ثم نسخ ذلك قبل فعله، وأن هذا الاحتجاج لا ينفك منه أصلا<sup>(٣)</sup>.

وتقتضينا الأمانة العلمية أن نعرض لرأى المخالفين، والقائلين بعدم جواز هذا النسخ، وما يترتب على قولهم هذا فيما يخص قصة الخليل وأمر الله له بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام.

يقول الزمخشري وهو من كبار المعتزلة في تفسيره للآيات الخاصة بقصة الذبيح في سورة الصافات ما يلي:

فإن قلت: قد أوحى إلى إبراهيم صلوات الله عليه في المنام بأن يذبح ولده ولم يذبح، وقيل له صدقت الرؤيا وإنما كان يصدقها لو صح منه الذبح ولم يصح؟.

(١) فواتح الرحموت يشرح مسلم الثبوت في أصول الفقه ص ٦٤.

(٢) الإحكام في أصول الأحكام ج ٣ ص ١٨٠ - ١٨١.

(٣) الإحكام في أصول الأحكام ج ٤ ص ٥٠١ - ٥٠٢، نشر دار الجيل بيروت ١٩٨٧ م.

قلت: قد بذل وسعه وفعل ما يفعل الذابح من بطحه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه، ولكن الله سبحانه جاء بما منع الشفرة أن تمضى فيه وهذا لا يقدر في فعل إبراهيم عليه السلام.

ألا ترى أنه لا يسمى عاصيا ولا مفرطا بل يسمى مطيعا ومجتهدا كما لو مضت فيه الشفرة وفرت الأوداج وأنهرت الدم<sup>(١)</sup>.

وليس هذا من ورود النسخ على المأمور به قبل الفعل ولا قبل أوان الفعل في شيء كما يسبق إلى بعض الأوهام حتى يشتغل بالكلام فيه<sup>(٢)</sup>.

ويرد عليه الإمام ناصر الدين أحمد بن المنير في كتابه "الانصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال"<sup>(٣)</sup> بقوله:

كل ما ذكر دندنة حول امتناع النسخ قبل التمكن من الفعل وتلك قاعدة المعتزلة، وأما أهل السنة فيثبتون جوازه، لأن التكليف ثابت قبل التمكن من الفعل فجاز رفعه كالموت.

وأیضا فكل نسخ كذلك لأن القدرة على الفعل عندنا مقارنة لا متقدمة ثم يثبتون وقوعه بهذه الآية.

ووجه الدليل منها أن إبراهيم عليه السلام أمر بالذبح بدليل - افعل ما تؤمر - ونسخ قبل التمكن بدليل العدول إلى الفداء، فمن ثم تحوم الزمخشري على أنه فعل غاية وسعه من بظه على شقه وإمرار الشفرة على حلقه، وإنما امتنعت بأمر من الله تعالى وغرضه بذلك أحد أمرين:

إما أن يكون الأمر إنما توجه عليه بمقدمات الذبح وقد حصلت لا بنفس الذبح. أو توجه الأمر بنفس الذبح وتعاطيه ولكن لم يتمكن<sup>(٤)</sup>.

(١) تفسير الكشف ج ٣ ص ٣٥٠ - ٣٥١.

(٢) المصدر السابق ص ٣٥١.

(٣) مطبوع مع الكشف.

(٤) الإنصاف ج ٣ ص ٣٤٩.

وكلا الأمرين لا يخلصه: أما قوله أمر بمقدمات الذبح فباطل بقوله - إنى أرى فى المنام أنى أذبحك - وقوله - افعل ما تؤمر -.

وأما قوله لم يتمكن لأن الشفرة منعت بأمر من الله تعالى بعد تسليم الأمر بالذبح.

فحاصله أنه لم يتمكن من الذبح المأمور به فكان النسخ إذا قبل التمكن وهو عين ما أنكره المعتزلة.

ولما لم يكن فى هذين الجوابين لهم خلاص لجأ بعضهم إلى تسليم أنه أمر بالذبح، ودعوى أنه ذبح ولكنه كان يلتحم وهو باطل لا ثبوت له، وسياق الآية يخل دعواه ويفل ثنياء<sup>(١)</sup>.

وهذا الذى ذكره الإمام أحمد واستنبطه من نص الزمخشري ليس ادعاء ولا تزييدا عليه وعلى المعتزلة وإنما هو تصوير أمين لما يقولون به.

فالأمر الأول الذى أشار إليه وهو أنهم اعتقدوا أن الله لم يأمر بالذبح وإنما أمر بمقدمات الذبح نجده مفصلا عند كل من القاضى عبد الجبار وأبى الحسين البصرى المعتزلى.

يقول القاضى عبد الجبار فى كتابه تنزيه القرآن عن المطاعن فى تعليقه على الآيات الواردة فى سورة الصفات بشأن هذا الموضوع: "فأما هذا عندنا فهو أمر بمقدمات الذبح وعظم ذلك عليه لظنه (يقصد الخليل إبراهيم) أنه سيؤمر باتمام الذبح لأن العادة جارية بأن الاضجاع وأخذ الآلة لا غرض فيه إلا الذبح فعلى هذا الوجه فعل ما أمر وما ظنه لم يؤمر به<sup>(٢)</sup>."

وقال فى كتابه متشابه القرآن "إنه تعالى ذكر الذبح، وأراد به مقدماته من الاضجاع وأخذ المديّة، لأن فاعل ذلك من حيث يقرب إلى أن يكون ذابحا يوصف

(١) المصدر السابق.

(٢) تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٣٥٤.

بهذه الصفة، كما قيل في مقدمات الموت من المرض المخوف: إنه موت فقال تعالى (كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت حين الوصية) وقد علمنا أن الوصية لا تكون منه مع وقوع الموت<sup>(١)</sup>.

وقوله تعالى من بعد (قد صدقت الرؤيا) ولا وقع الذبح وإنما فعل ما قلناه يدل على أن المراد ما قلناه، فإذا صح ذلك وقد فعل إبراهيم عليه السلام ما أريد منه ثبت أن الذبح الذي لم يفعله ليس بداخل فيما أمر به ولا فيما أريد منه<sup>(٢)</sup>.

وجاء في كتاب المعتمد لأبي الحسين البصري المعتزلي أن إبراهيم لم يفعل ما فعله إلا وقد أمر بشيء: ومعناه أنه أمر بالذبح، ولا رؤية الذبح في المنام أمر له بالذبح، فيحتمل أن يكون أمر بالذبح، ويحتمل أن يكون أمر بما فعله وامثله ولهذا قال الله عز وجل "قد صدقت الرؤيا" ولو كان قد فعل بعض ما أمر به لكان قد صدق بعض الرؤيا، وقول إسماعيل "افعل ما تؤمر" إنما يفيد الأمر في المستقبل<sup>(٣)</sup>.

ثم يقول وقوله "أن هذا هو البلاء المبين" لا يمنع ما ذكرناه لأن اضجاع ابنه وأخذ المدينة مع غلبة الظن بأنه يؤمر بالذبح بلاء عظيم، وإنما فدى بالذبح ما كان يتوقعه من الأمر بالذبح<sup>(٤)</sup>.

أما الأمر الثاني وهو أن الخليل قام بالذبح لكنه لم يتمكن، أو أنه أمر بصورة الذبح فهو أيضا مذكور ضمن أقوال المعتزلة:

يقول القاضي عبد الجبار "وقد قيل إنه فعل الذبح لكنه عز وجل كان صرفه عن موضع الذبح، وكان تعالى يلهمه فعل ما يفعله الذابح وبقي الذبيح حيا لما فعله الله تعالى<sup>(٥)</sup>.

(١) متشابه القرآن ص ٥٨٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المعتمد في أصول الفقه ج ١ ص ٣٧٩ دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

(٤) المصدر السابق.

(٥) تنزيه القرآن عن المطاعن ص ٣٥٥.



وجاء في المعتمد "وقيل إنه أمره بالذبح، والله سبحانه جعل على عنقه صفيحة من حديد، فكان إذا أمر إبراهيم السكين، لم يقطع شيئاً من الحلق، ثم يقول "وهذا تأويل سائغ، إذا قلنا إنه أمر بما يجري مجرى الذبح من إمرار السكين، فأما إذا قيل إنه أمر بالذبح على الحقيقة فإنه لا يسوغ، لأنه تكليف ما لا يقال.

ثم يذكر أنه قد قيل أيضاً إنه أمر بصورة الذبح - وهو القطع - وإنه كان كلما قطع موضعاً من الحلق وتعداه إلى غيره، وصل الله سبحانه ما تقدم قطعه<sup>(١)</sup>.

وإذا كان هذا هو ما قاله علماء المعتزلة في هذا الأمر فإن كلا من الإمام الغزالي والإمام الرازي ومن بعدهما الإمام الآمدي قد صوروا مذهبهم هم ومن قال بقولهم خير تصوير وصاغوا أدلتهم صياغة دقيقة وعرضوها عرضاً أميناً ثم قاموا بالكر عليهم وإبطال مذهبهم.

يقول حجة الإسلام "ثم الدليل القاطع على جوازه - يقصد النسخ قبل التمكن من الامتثال - قصة إبراهيم عليه السلام ونسخ ذبح ولده عنه قبل الفعل، وقوله تعالى وفديناه بذبح عظيم فقد أمر بفعل واحد ولم يقصر في البدار والامتثال ثم نسخ عنه<sup>(٢)</sup>.

وقد اعتاص هذا على القدرية - ويقصد المعتزلة - حيث تعسفوا في تأويله وتخربوا فرقاً وطلبوا الخلاص من خمسة أوجه:  
أحدها: أن ذلك كان مناماً لا أمراً.

الثاني: أنه كان أمراً لكن قصد به تكليفه العزم على الفعل لامتحان سره في صبره على العزم، والذبح لم يكن مأموراً به.

الثالث: أنه لم ينسخ الأمر لكن قلب الله تعالى عنقه نحاساً أو حديداً فلم ينقطع التكليف لتعذره.

---

(١) المعتمد في أصول الفقه ج ١ ص ٣٧٩ - ٣٨٠ وقد سبق أن بينا عدم صحة ذلك من خلال أقوال المفسرين.

(٢) المستصفى من علم الأصول ج ١ ص ١١٥.

الرابع: المنازعة في المأمور وأن المأمور به كان هو الاضجاع والتل للجبين وإمرار السكين دون حقيقة الذبح.

الخامس: جحود النسخ وأنه ذبح امتثالا فالتأم واندمل<sup>(١)</sup>.

ثم يذكر الإمام الغزالي أن الذاهبين إلى هذا التأويل اتفقوا على أن إسماعيل ليس بمذبوح واختلفوا في كون إبراهيم عليه السلام ذابحا!

فقال قوم هو ذابح للقطع، والولد غير مذبوح لحصول الالتئام، وقال قوم: ذابح لا مذبوح له محال<sup>(٢)</sup>.

ثم يبين أن كل ذلك تعسف وتكلف ويرد عليه بما يلي:

أما الأول وهو كونه مناما فمنام الأنبياء جزء من النبوة وكانوا يعرفون أمر الله تعالى به فلقد كانت نبوة جماعة من الأنبياء عليهم السلام بمجرد المنام، ويدل على فهمه الأمر قول ولده افعل ما تؤمر، ولو لم يؤمر لكان كاذبا وأنه لا يجوز قصد الذبح والتل للجبين بمنام لا أصل له<sup>(٣)</sup>.

وقد رد الآمدى على من قال أنه كان مناما لا أصل له، فلا يثبت به الأمر بقوله "أن منام الأنبياء فيما يتعلق بالأوامر والنواهي، وحى معمول به، وأكثر وحى الأنبياء كان بطريق الأنبياء، وقد روى عن النبي ﷺ أن وحيه كان ستة أشهر بالمنام ولهذا قال عليه السلام "الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة"<sup>(٤)</sup> فكانت نسبة الستة أشهر من ثلاثة وعشرين سنة من نبوته، كذلك. ويدل على ذلك قوله ﷺ "ما احتلم نبي قط" يعنى ما تشكل له الشيطان في المنام على الوجه الذى يتشكل لأهل الاحتلام، كيف وأنه لو كان ذلك خيالا، لا وحيا، لما جاز لإبراهيم

(١) المصدر السابق.

(٢) المستصفى ج ١ ص ١١٥.

(٣) المصدر السابق.

(٤) ورد هذا الحديث في الصحيحين وغيرهما من كتب السنة.

العزم على الذبح المحرم بمنام لا أصل له، ولما سماه بلاء مبينا ولما احتاج إلى الفداء<sup>(١)</sup>.

أما الذين سلموا أن منامه أصل يعتمد عليه، لكنهم لم يسلموا بأنه كان قد أمر، وذكروا أن قول ولده: افعل ما تؤمر، ليس فيه دلالة على أنه كان قد أمر، ولهذا علقه على المستقبل، ومعناه افعل ما يتحقق من الأمر في المستقبل. أما هؤلاء فإن الآمدى يرد عليهم بقوله إن قوله "افعل ما تؤمر" وإن لم يكن ظاهرا في الماضي، لكنه قد يرد ويراد به الماضي، ولهذا فإنه لو قال القائل "قد أمرني السلطان بكذا" فإنه يصح أن يقال له "افعل ما تؤمر" أى ما أمرت به، وأنت مأمر، ويجب الحمل عليه ضرورة حمل الولد على إخراجه إلى الصحراء، وأخذ آلات الذبح وترويع الولد، فإن ذلك كله مما يحرم من غير أمر ولا إذن في ذلك<sup>(٢)</sup>.

وأما الوجه الثانى من الوجوه التى ذكرها المعتزلة وهو أنه كان مأمورا بالعزم اختبارا فهو محال لأن علام الغيوب لا يحتاج إلى الاختبار، ولأن الاختبار إنما يحصل بالإيجاب فإن لم يكن إيجاباً لم يحصل اختبار.

وقولهم العزم هو الواجب محال لأن العزم على ما ليس بواجب لا يجب بل هو تابع للمعزوم ولا يجب العزم ما لم يعتقد وجوب المعزوم عليه، ولو لم يكن المعزوم عليه واجبا لكان إبراهيم عليه السلام أحق بمعرفته من القدرية، كيف وقد قال أنى أرى فى المنام أنى أذبحك فقال له ولده افعل ما تؤمر يعنى الذبح، وقوله تعالى وتله للجبين استسلام لفعل الذبح لا للعزم<sup>(٣)</sup>.

وأما الوجه الثالث وهو أن الاضجاع بمجرد هو المأمور به فهو محال إذ لا يسمى ذلك ذبحا ولا هو بلاء ولا يحتاج إلى الفداء بعد الامتثال<sup>(٤)</sup>.

(١) الإحكام فى أصول الأحكام ج ٣ ص ١٨٢.

(٢) الإحكام ج ٣ ص ١٨٢ - ١٨٣.

(٣) المستصفى ج ١ ص ١١٥ - ١١٦.

(٤) المستصفى ج ١ ص ١١٦.

وقد صاغ الإمام الرازى هذين الوجهين الثانى والثالث اللذين عرضهما الإمام الغزالى بقوله "وقالت المعتزلة لا نسلم أن الله أمره بذبح الولد بل نقول إنه تعالى أمره بمقدمات الذبح، ويدل عليه: أنه ما أتى بالذبح وإنما أتى بمقدمات الذبح، ثم أن الله تعالى أخبر عنه بأنه أتى بما أمر به بدليل قوله تعالى (وناديناه أن يا إبراهيم قد صدقت الرؤيا).

وذلك يدل على أنه تعالى إنما أمره فى المنام بمقدمات الذبح لا بنفس الذبح وتلك المقدمات عبارة عن اضجاعه ووضع السكين على حقه، والعزم الصحيح على الإتيان بذلك الفعل إن ورد<sup>(١)</sup>.

وقد أجاب الرازى عن ذلك بأن الله أمره بذبح الولد لأنه عليه السلام قال لولده أنى أرى فى المنام إنى أذبحك فقال الولد افعل ما تؤمر وهذا لا يدل على أن عليه السلام كان مأمورا بمقدمات الذبح بل بنفس الذبح.

ثم إنه لو أتى بمقدمات الذبح وأدخلها فى الوجود، فحينئذ يكون قد أمر بشيء وقد أتى به، وفى هذا الموضع لا يحتاج إلى الفداء، لكنه احتاج إلى الفداء بدليل قوله تعالى (وفديناه بذبح عظيم) فدل هذا على أنه لم يأت بالمأمور به، وقد ثبت أنه أتى بكل مقدمات الذبح، وهذا يدل على أنه تعالى كان قد أمره بنفس الذبح وإذا ثبت هذا فنقول إنه تعالى نسخ ذلك الحكم قبل إثباته وذلك يدل على المقصود<sup>(٢)</sup>.

وأما الوجه الرابع وهو إنكار النسخ وأنه امتثل لكن انقلب عنقه حديدا، ففات التمكن فانقطع التكليف فهذا لا يصح على أصولهم - أى المعتزلة - لأن الأمر بالمشروط لا يثبت عندهم، بل إذا علم الله تعالى أنه يقلب عنقه حديدا فلا يكون أمرا بما يعلم امتناعه فلا يحتاج إلى الفداء فلا يكون بلاء فى حقه<sup>(٣)</sup>.

ويذكر الأمدى أن قولهم أن الذبح حقيقة لم يوجد وإنما روى أن الله تعالى منعه

(١) مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٥.

(٢) راجع المصدر السابق.

(٣) المستصفى ج ١ ص ١١٦.

من الذبح بأن جعل على عنقه صفيحة من نحاس أو حديد مانعة من الذبح لا أن ذلك كان بطريق النسخ، يذكر أن هذا لا يصح من المعتزلة لأنهم لا يرون التكليف بما لا يطاق، وهذا تكليف بما لا يطاق، كيف وإنه لو كان كما ذكره لنقل أيضا واشتهر، لكونه من المعجزات العظيمة<sup>(١)</sup>.

وأما الوجه الخامس وهو أن إبراهيم قد فعل الذبح امتثالا لكنه التأم بمعنى أنه قطع الحلقوم إلا أنه كلما قطع جزءا أعاد الله التأليف إليه، فلهذا السبب لم يحصل الموت.

فقد رد عليه الإمام الغزالي بقوله "إن ذلك محال لأن الفداء كيف يحتاج إليه بعد الالتئام ولو صح ذلك لاشتهر وكان ذلك من آياته الظاهرة، ولم ينقل ذلك قط وإنما هو اختراع من القدرية"<sup>(٢)</sup>.

ويقول الرازي في ذلك "أن قولهم كلما قطع إبراهيم عليه السلام جزءا أعاد الله تعالى التأليف إليه باطل لأن إبراهيم عليه السلام لو أتى بكل ما أمر به لما احتاج إلى الفداء"<sup>(٣)</sup>.

فإن قيل أليس الله قد قال "قد صدقت الرؤيا" قلنا معناه أنك عملت في مقدماته عمل مصدق بالرؤيا والتصديق غير التحقيق والعمل<sup>(٤)</sup>.

ثم هناك وجه آخر يذكر الرازي أنه الوجه الذي عليه تعويل القوم وهو أنه تعالى لو أمر شخصا معينا بإيقاع فعل معين في وقت معين، فهذا يدل على أن إيقاع ذلك الفعل في ذلك الوقت قبيح، فلو حصل هذا النهي عقيب ذلك الأمر لزم أحد أمرين: لأنه تعالى إن كان عالما بحال ذلك الفعل لزم أن يقال أنه أمر بقبيح أو نهى عن الحسن، وإن لم يكن عالما به لزم جهل الله تعالى وأنه محال<sup>(٥)</sup>.

(١) الإحكام ج ٣ ص ١٨٤.

(٢) المستصفى ج ١ ص ١١٦.

(٣) مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٦.

(٤) المستصفى ج ١ ص ١١٦.

(٥) مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٥.

والجواب أن قولهم هذا بناء على أن الله تعالى لا يأمر إلا بما يكون حسنا في ذاته ولا ينهى إلا عما يكون قبيحا في ذاته، وذلك بناء على تحسين العقل وتقبيحه وهو باطل.

وأیضا فهب أنا نسلم بذلك إلا أنا نقول لم لا يجوز أن يقال إن الأمر بالشىء تارة يحسن لكون المأمور به حسنا، وتارة لأجل أن ذلك الأمر يفيد صحة مصلحة من المصالح وإن لم يكن المأمور به حسنا<sup>(١)</sup>.

ألا ترى أن السيد إذا أراد أن يروض عبده، فإنه يقول له إذا جاء يوم الجمعة فافعل الفعل الفلاني، ويكون ذلك الفعل من الأفعال الشاقة، ويكون مقصود السيد من ذلك الأمر ليس أن يأتي ذلك العبد بذلك الفعل، بل أن يوطن العبد نفسه على الانقياد والطاعة.

ثم أن السيد إذا علم منه أنه وطن نفسه على الطاعة فقد يزيل الألم عنه ذلك التكليف، فهكذا ههنا، فما لم تقيموا الدلالة على فساد هذا الاحتمال لم يتم كلامكم<sup>(٢)</sup>.

وكان الإمام الغزالي قد ذكر من قبل الإمام الرازي أن المعتزلة قد أحوالوا النسخ قبل التمكن بدعوى أنه يؤدي إلى أن يكون الشىء الواحد في وقت واحد على وجه واحد مأمورا منهيًا، حسنا قبيحا، مكروها مرادا، مصلحة مفسدة.

ثم يذكر أن جميع ما يتعلق بالحسن والقبح والصلاح والفساد قد قام بإبطاله ولكن يبقى لهم مسلكان:

المسلک الأول: أن الشىء الواحد في وقت واحد كيف يكون منهيًا عنه ومأمورا به على وجه واحد<sup>(٣)</sup>.

(١) مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٥.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المستصفى ج ١ ص ١١٣.

## وفى الجواب عن هذا المسلك طريقتان :

الطريقة الأولى: أنا لا نسلم أنه منهي عنه على الوجه الذى هو مأمور به بل على وجهين، كما ينهى عن الصلاة مع الحدث ويؤمر بها مع الطهارة، وينهى عن السجود للصنم، ويؤمر بالسجود لله عز وجل لاختلاف الوجهين<sup>(١)</sup>.

الطريقة الثانية: أن لا نلتزم إظهار اختلاف الوجه لكن نقول يجوز أن يقول ما أمرناك أن تفعله على وجه فقد نهيناك عن فعله على ذلك الوجه ولا استحالة فيه إذ ليس المأمور حسنا في عينه أو لوصف هو عليه قبل الأمر به حتى يتناقض ذلك، ولا المأمور مرادا حتى يتناقض أن يكون مرادا مكروها بل جميع ذلك من أصول المعتزلة وقد أبطلناها<sup>(٢)</sup>.

## المسلك الثانى الذى سلكه المعتزلة هو:

قولهم الأمر والنهى عندكم كلام الله تعالى القديم، وكيف يكون الكلام الواحد أمرا بالشئ الواحد ونهيا عنه فى وقت واحد، بل كيف يكون الراجع والمرفوع واحدا والناسخ والمنسوخ كلام الله تعالى.

ويرد الإمام الغزالي على قولهم هذا بأنه إشارة إلى إشكالين:

أحدهما: كيفية اتحاد كلام الله تعالى ولا يختص ذلك بهذه المسألة.

وأما الثانى: فهو أن كلامه واحد وهو أمر بالشئ ونهى عنه، ولو علم المكلف ذلك دفعة واحدة لما تصور منه اعتقاد الوجوب والعزم على الأداء ولم يكن ذلك منه بأولى من اعتقاد التحريم والعزم على الترك فنقول:

كلام الله تعالى فى نفسه واحد وهو بالإضافة إلى شئ أمر، وبالإضافة إلى شئ خبر ولكنه إنما يتصور الامتحان به إذا سمع المكلف كليهما فى وقتين.

ولذلك شرطنا التراخى فى النسخ ولو سمع كليهما فى وقت واحد لم يجوز، وأما

(١) راجع بيانه الاختلاف فى كيفية اختلاف الوجهين ج ١ ص ١١٣.

(٢) المستصفى ج ١ ص ١١٤.

جبريل عليه السلام فإنه يجوز أن يسمعه في وقت واحد إذ لم يكن هو مكلفا ثم يبلغ الرسول ﷺ في وقتين إن كان ذلك الرسول داخلا تحت التكليف فإن لم يكن فيبلغ في وقت واحد لكن يؤمر بتبليغ الأمة في وقتين فيأمرهم مطلقا بالمسألة وترك قتال الكفار ومطلقا باستقبال بيت المقدس في كل صلاة، ثم ينهاهم عنها بعد ذلك فيقطع عنهم حكم الأمر المطلق كما يقطع حكم العقد بالفسخ<sup>(١)</sup>.

ثم يقول الإمام الغزالي "ومن أصحابنا من قال الأمر لا يكون أمرا قبل بلوغ المأمور فلا يكون أمرا ونهيا في حالة واحدة بل في حالتين فهذا أيضا يقطع التناقض ويدفعه"<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: فإذا علم الله تعالى أنه سينهى عن هذا الأمر فما معنى أمره بالشئ الذي يعلم انتفاءه قطعا لعلمه بعواقب الأمور.

ويجيب الإمام الغزالي "لا يصح ذلك أن كانت عاقبة أمره معلومة للمأمور، أما إذا كان مجهولا عن المأمور معلوما عند الأمر أمكن الأمر لامتحانه بالعزم

---

(١) المستصفى ج ١ ص ١١٤ - ١١٥.

(٢) المصدر السابق ج ١ ص ١١٥.

ويذكر الإمام ابن حزم أن بعض المعارضين لجواز النسخ قبل التمكن من الفعل يقولون: لو جاز النسخ قبل العمل لجاز قبل الاعتقاد ويرد عليهم قائلًا بأن هذا قياس، والقياس باطل (عند ابن حزم) ولو كان القياس حقا لكان هذا فاسدا، إذ ليس سقوط الفعل موجبا لسقوط الاعتقاد، وقد يعتقد وجوب الشئ وتصحيحه من لا يفعله من المسلمين العصاة، وقد يفعله من لا يعتقد من المنافقين والمرائين، هذا أمر يعلم بالمشاهدة، فبطل أن يكون الاعتقاد مرتبطا بالعمل، وبطل ما موه به هذا المعترض من أنه لو جاز النسخ قبل العمل لجاز قبل الاعتقاد.

فإن قالوا: لو جاز نسخ الشئ قبل العمل به لكان اعتقاده حسنا وطاعة، وفعله قبيحا ومعصية وهذا محال.

فالجواب: إن هذا شغب ضعيف لأنهم جمعوا بين حكم زمانين مختلفين، وإنما يكون اعتقاد الشئ حقا - إن فعل - إذا لم ينسخ، فأما إذا نسخ فإنما الواجب اعتقادا أنه معصية أن فعل، واعتقاد فعل، قيل لهم: الاعتقاد فعل النفس منفردة لا شركة للجسد معها فيه، والعمل فعل النفس بتحريك الجسد، فهو شئ آخر غير الاعتقاد وقد فرق بينهما رسول الله ﷺ بقوله (إنما الأعمال بالنيات) فجعل النية وهى الاعتقاد غير العمل (الإحكام ج ٤ ص ٥٠١).



والاشتغال بالاستعداد المانع له من أنواع اللهو والفساد حتى يتعرض بالعزم للثواب وبتركه للعقاب<sup>(١)</sup>.

يذكر الإمام القشيري أن الله ستر على الخليل وابنه ما أريد منهما في حال البلاء، وإنما كشف عنهما بعد مضي وقت المحنة لئلا يبطل معنى الابتلاء، وهكذا يكون الأمر عند البلاء، تنسد الوجوه في الحال، وكذلك كانت حالة النبي ﷺ في حال حديث الإفك، وكذلك حالة أيوب عليه السلام.

وإنما يتبين الأمر بعد ظهور آخر المحنة وزوالها، وإلا لم تكن حينئذ محنة إلا أنه يكون في حال البلاء إسبال يولى مع مخاطرة المحنة، ولكن مع استعجام الحال واستبهامه إذ لو كشف الأمر على صاحبه لم يكن حينئذ بلاء<sup>(٢)</sup>.

وهكذا وجدنا أن الأشاعرة وغيرهم من علماء الأصول قد استدلوا بقصة الخليل والآيات الواردة فيها على صحة النسخ قبل التمكن من الفعل خلافا للمعتزلة وغيرهم والدلالة من هذا - كما يقول ابن كثير - ظاهرة لأن الله تعالى شرع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام ذبح ولده ثم نسخه عنه وصرفه إلى الفداء وإنما كان المقصود من شرعه أولاً إثابة الخليل على الصبر على ذبح ولده فسارع إلى ذلك مستسلماً لأمر الله منقاداً لطاعته ولهذا قال تعالى "وإبراهيم الذي وفى"<sup>(٣)</sup>.

فالسبب في هذا التكليف - كما قال المحققون - كمال طاعة إبراهيم لتكاليف الله تعالى فلما كلفه الله تعالى بهذا التكليف الشاق الشديد وظهر منه كمال الطاعة وظهر من ولده كمال الطاعة والانقياد، لا جرم قال هل صدقت الرؤيا يعنى حصول المقصود من تلك الرؤيا<sup>(٤)</sup>.

فإن قال قائل: عرفونا ما الذى أراد الله تعالى منا إذا أمرنا بالشىء ثم نسخه قبل

(١) المستصفى من علم الأصول ج ١ ص ١١٤.

(٢) لطائف الإشارات المجلد التالى ص ٢٣٩ - ٢٤٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم ج ٤ ص ١٦.

(٤) التفسير الكبير ج ٢٦ ص ١٥٧.

فعله أراد العمل به ثم بدا له قبل فعله؟ أو أراد ألا يعمل به؟ والشئ إذا لم يرد  
تعالى فقد سخطه وكرهه ولم يرضه، فعلى قولكم إنه تعالى يأمرنا بما يكره ويسخط  
ويلزمننا ما لا يرضى كونه منا.

يجيب على ذلك ابن حزم فيقول: إنه تعالى أمر بما أمر من ذلك ولا مراد له إلا  
الانقياد من المأمور فقط، ولم يرد قط وقوع الفعل، ونهانا عنه قبل أن يكون منا، ولا  
يسأل عما يفعل.

ولسنا ننكر أن يأمرنا تعالى الآن بأمر قد علم أنه بعد مدة ينهى عنه ويسخطه،  
وإنما الذى ننكر أن يأمر تعالى بما هو ساخط له فى حين أمره، فهذا لا سبيل إليه.

وأما أن يأمرنا بأمر قد علم أنه سينهاه عنه فى ثانى الأمر، ويسخطه بعد مرور  
وقت الأمر به، فهذا واجب، وهذه صفة كل نسخ وكل أمر مرتبط بكل وقت<sup>(١)</sup>.

وإذا كان الله سبحانه قد أمر إبراهيم بالذبح ولم يرد وقوعه فإن الأشاعرة قد  
احتجوا بهذه القصة على أن الله تعالى قد يأمر بما لا يريد وقوعه.

والدليل عليه أنه أمر بالذبح وما أراد وقوعه، لأن الأشاعرة يعتقدون كما قال  
الرازى أن كل ما أراد الله وقوعه فإنه يقع، وحيث لم يقع هذا الذبح علمنا أنه تعالى  
ما أراد وقوعه.

وأما عند المعتزلة فلأن الله تعالى نهى عن ذلك الذبح بعد أن أمر به والنهى عن  
الشئ يدل على أن الناهى لا يريد وقوعه فثبت أنه تعالى أمر بالذبح، وثبت أنه تعالى  
ما أراداه، وذلك يدل على أن الأمر قد يوجد بدون الإرادة<sup>(٢)</sup>.

وعلى ضوء ما عرضناه من آراء ومذاهب وبناء على ما قرره الأشاعرة وغيرهم  
من أن الله سبحانه قد أمر الخليل بأن يذبح ابنه لكنه لم يرد وقوعه ونسخه قبل أن

(١) الإحكام فى أصول الأحكام ج ٤ ص ٥٠٢.

(٢) مفاتيح الغيب ج ٢٦ ص ١٥٦.

يقوم به وأمره بالفداء وبين أن هذا الأمر كان نوعاً من البلاء كما سبق أن أشرنا إلى ذلك.

أفلا يجوز لنا بناء على ما انتهينا إليه أن نرجح - والله أعلم - أن الله سبحانه أراد بأمره لإبراهيم بذبح ابنه - بجانب الابتلاء - القضاء على ظاهرة القرابين البشرية التي كانت سائدة عند الشعوب الوثنية والتي كان الناس يقدمونها إلى الآلهة التي يعبدونها بإيعاز من الكهنة. وكانت قصة الخليل وابنه إسماعيل عليهما السلام كما عرضنا لعدة جوانب منها بمثابة القضاء العملي على تلك العادة.

إننى أقول هذا وأنا فى شدة الخوف والرهبه من الله العزيز الحكيم على اقتحامى مجال حكمته وعذرى أننى بشر وأن رأى قابل للخطأ والصواب.

والذى يشجعنى على هذا القول أن عدداً من الكتاب والباحثين قد قالوا بهذا الذى ملت إليه وانتهيت إلى ترجيحه لكنى لم أطلع على قولهم هذا إلا بعد أن جال هذا الخاطر فى ذهنى وتبلورت تلك الفكرة فى رأسى.

يقول الدكتور بيومى مهران "ولما كان الأنبياء هم الأسوة الحسنة التى يحتذى حذوها كافة الناس وخاصتهم، فإن الله جلت قدرته أراد أن يجعل من خليفه قدوة حسنة، ومثلاً أعلى لأرفع صور الإيمان وأجلها فى تاريخ الإنسانية.

وفى الوقت نفسه، أعطى الإنسانية نفسها مثلاً حياً فى إبراهيم وولده إسماعيل، تمهيداً لمنع هذه العادة البربرية، فيأمره بذبح ولده، ثم يفتديه بكبش عظيم<sup>(١)</sup>.

ويعتقد الدكتور رشيد الناضورى أن حادثة منام إبراهيم الذى رأى فيه التضحية بابنه قرباناً لله سبحانه وتعالى ثم اقتداه ربه بكبش عظيم.

يعتقد أن تلك الحادثة ترتبط ارتباطاً وثيقاً بتلك التقاليد السومرية والسامية

---

(١) مركز المرأة فى الحضارة العربية القديمة ص بحث مقدم إلى مجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة لإمام محمد بن سعود الإسلامية ص ٢٤٥.

الخاصة بظاهرة التضحية البشرية والتي كانت تمارس في بعض مجتمعات الشرق  
الأردني القديم والحث على إبطال تلك التقاليد واستبدالها بالتضحية الحيوانية<sup>(١)</sup>.

وجاء في قاموس الكتاب المقدس أن إبراهيم كاد أن يقدم ابنه ذبيحة ولكن الله  
منعه من تقديم هذه الذبيحة، فقدم إبراهيم كبشاً عوضاً عنه وبهذا أظهر الله  
لإبراهيم في وضوح وإبانة أنه لا يطلب تقديم الأولاد ذبائح كما كان يفعل  
الكنعانيون في ذلك الحين<sup>(٢)</sup>.

---

(١) المدخل في التطور التاريخي للفكر الديني ص ١٧٤: مصر، سومر، فلسطين، عيلام، المغرب دار  
مكتبة الجامعة العربية بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٦.

ويذكر عباس العقاد أن إبراهيم الخليل جاء في مفترق الطرق بين استباحة القرابين البشرية وبين  
تحریمها.. ولكنها لم تحرم لأنها أعلى من أن تقدم، وإنما حرمت لأن الله أرحم وأكرم.. ورأى إبراهيم  
في رؤياه أنه يؤمر بذبح ابنه، أعز ما في الحياة عنده، رأى ذلك وهو يعلم أن الأرباب تتقاضى عبادتها  
مثل هذه الضحية، وأن تقرب الأوائل أو الأبنكار من الأولاد والأوائل من كل نتاج حق مفروض  
على كل أسرة لرب الأوثان والأصنام.. أياكون إبراهيم أبخل على ربه من عابد الوثن؟ أياكون الوثن  
أحق بالضحية من خالق الأرض والسماء؟ أيرتاب إبراهيم في أمر الله وهو ينظر إلى شريعة العبادة من  
حوله وإن كانت شريعة شر وضلال.

إن العصيان هنا نزول بالإله الأعلى عن مرتبة الأوثان والأصنام فلتكن الطاعة تنزيهاً للإله الأعلى عن  
ذلك الإسفاف، ويفعل الإله بالآباء والبنين ما يريد.

إن ذبح الأب وليده نقيض الرحمة، ولكن إيمان الإنسان بعقيدة أعز عليه من ولده.. ومن نفسه غنيمة  
أقوم وأعظم من رحمة الآباء للأبناء، فلا ينبغي أن يضن الإنسان بشيء في سبيل هذه العقيدة، ولا  
ينبغي أن يبطل القربان بالإنسان لأن الله لا يستحقه كما استحقته أوثان الجاهلة، بل يبطل لأن الله  
أرحم وأعظم من أن يتقبله فهو أعظم وأكرم من الأوثان.

وكلام الأستاذ العقاد في مجموعه متفق مع ما ذهبنا إلى ترجيحه لولا مسحة التطور البادية على قوله  
والتغلغل في فكره فهو يذكر في بداية كلامه أن إبراهيم جاء في مفترق الطرق بين استباحة القرابين  
البشرية وبين تحریمها ويعقب على كلامه بقوله "وارتفاع الإنسان بهذه العبادة هو ارتفاع آخر يضاف  
إلى ارتفاعه بالتوحيد والتنزيه" وهنا كما نبهنا من قبل يكون مكمناً للخطر حيث يرى تطور العقائد  
والشعائر ويرجعها إلى الإنسان نفسه (إبراهيم أبو الأنبياء ص ١٩٨ - ١٩٩).

وقريب من هذا ما يذكره د/ إيفار ليسنر عن الخليل إبراهيم حيث يرجع إليه الفضل من الناحية  
التاريخية، في التطور الهائل الذي حدث بإحلال قرابين الكباش محل المحرقات البشرية (الماضي الحي  
ص ١٣٩)، ولاشك أن هذا الكلام وإن كان يتفق معنا في ظاهره إلا أنه بعيد في مغزاه وهدفه عما  
نريد أن نقوله ومخالف لما نبغى ترجيحه ونميل إليه.

**الباب الثاني**  
**القرايين البشرية والذبايح التلمودية**  
**عند اليهود**  
**فى العهد القديم وعصر التمود**

ويشتمل على ستة فصول:

- الفصل الأول: العهد القديم وتحريم القرايين البشرية.
- الفصل الثانى: ارتكاب اليهود لجريمة القرايين البشرية وتنديد أنبياء العهد القديم بهم.
- الفصل الرابع: مظاهر وطقوس استنزاف دم غير اليهود.
- الفصل الخامس: أبرز حوادث وأشنع جرائم الذبح البشرى.
- الفصل السادس: محاولة اليهود إنكار هذه الجرائم ومدى ثبوتها عليهم.



## الفصل الأول

### العهد القديم وتحريم القرابين البشرية

بطلق العهد القديم<sup>(١)</sup> على مجموعة من الأسفار المقدسة لدى كل من اليهود والمسيحيين وإن كانوا يختلفون في عددها وتقسيمها وترتيبها فيما بينهم. فقد اختلف أحبار اليهود في هذه الأسفار وإن كان أكثرهم قد أجمعوا أو كادوا على أنها أربعة وعشرون سفرا ويقسمونها إلى ثلاثة أقسام رئيسية<sup>(٢)</sup>.

---

(١) أطلق اسم "العهد القديم" على أسفار اليهود في العصور المسيحية للترقية بينها وبين ما اعتمدته المسيحيون من أسفارهم التي أطلقوا عليها اسم "العهد الجديد"، ويراد بكلمة العهد في هاتين التسميتين ما يرادف معنى الميثاق أى أن كلتا المجموعتين تمثل ميثاقا أخذه الله على الناس وارتبطوا به معه فأولاهما تمثل ميثاقا قديما من عهد موسى والأخرى تمثل ميثاقا جديدا من عهد عيسى، ويرجع أن اسم العهد القديم مستمد من رسالة بولس الثانية إلى أهل كورنثوس ٣: ١٤ راجع د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص ٩، ١٢، ١٣ دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة بدون تاريخ، د/ على عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام ص ١٣ قاموس الكتاب المقدس ص ٤٦٣ - ٤٦٤.

(٢) راجع تفاصيل هذه الأقسام: دائرة المعارف الأمريكية ص ٦١٣، نقلا عن مهندس أحمد عبد الوهاب: فلسطين بين الحقائق والأباطيل ص ٢٢ الناشر مكتبة وهبة - القاهرة / الطبعة الأولى ١٣٩٢ هـ / ١٩٧٢ م، د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص ١٣ - ١٤، د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى: أطواره ومذهبه ص ١٢ - ٧٢ نشر مكتب سعيد رأفت ١٩٧٥ م، حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٦٧ - ٦٩ صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة مع مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى بدون تاريخ.

## القسم الأول:

التوراة<sup>(١)</sup>: وهى كلمة عبرية معناها الهداية والإرشاد وتسمى - بالشرعية ويطلق عليها أيضا الناموس، وقد اتخذت باليونانية اسم "بانتا تيكوس" أى الكتاب ذو الأسفار الخمسة وانتقلت هذه اللفظة إلى اللاتينية وإلى معظم اللغات العصرية، وهذه الأسفار الخمسة هى:-

١- تكوين، ٢- خروج، ٣- لاوين، ٤- عدد، ٥- تثنية.

وكان اليهود قد أطلقوا على هذه الأسفار الخمسة أسماء خاصة لا تشير إلى محتوياتها عامة بل هى عبارة عن الألفاظ التى يبدأ بها كل سفر منها.

فالسفر الأول يبدأ بلفظ (براشيت = فى البدء) والثانى (شموت = أسماء) والثالث (ويقرأ = ودعا) والرابع (بمدبر = برية)، الخامس (دبرتم = كلمات).

أما هذه الأسماء المذكورة فهى من إطلاق الترجمة السبعينية فكل اسم يعبر عن بعض محتويات السفر وانتقلت عنها إلى الترجمة اللاتينية ومن ثم إلى كثير من اللغات الأخرى.

فالسفر الأول يسمى (جنيزس = أصل أو تكوين) وذلك لأن هذا السفر يعرض إلى التاريخ الأول للإنسان وقصص الآباء الأولين.

والسفر الثانى (اكسودوس = خروج) وذلك لأنه يهتم بتاريخ الإسرائيليين فى مصر وخروجهم وإقامتهم فى صحراء سيناء حتى بناء خيمة العهد.

والسفر الثالث (ليفيتكوس - الطقوس الكهنوتية) وهو يعنى - بالعقيدة والطقوس وسمى بالللاويين أو الأحبار القائمين على هذه الطقوس.

---

(١) قد تطلق التوراة على أسفار العهد القديم من باب إطلاق الجزء على الكل أو لأهمية التوراة ونسبتها - فى زعمهم - إلى سيدنا موسى د/ أحمد شلبي: اليهودية ص ٢٣٨ سلسلة مقارنة الأديان الطبعة الخامسة ١٩٧٨ مكتبة النهضة المصرية راجع أيضا د/ مراد كامل: الكتب التاريخية فى العهد القديم ص ٥ - ٦ معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ م.



والسفر الرابع (نوميرى = تعداد) وهو يعنى بالحديث عن إقامة بنى إسرائيل في الصحراء حيث أجرى تعداد الشعب.

والسفر الخامس (دويترو نوميوم = تثنية الشريعة) وهو يهتم بخطبة موسى التى تدور حول الشريعة وعرضها مرة ثانية<sup>(١)</sup>.

### القسم الثانى:

الأنبياء (نبئيم) وهو مشطور إلى شطرين<sup>(٢)</sup>.

### الشرط الأول:

الأنبياء المتقدمون أو الأنبياء الأول: ويضم أربعة أسفار:

٦- يشوع، ٧- القضاة، ٨- صموئيل الأول، والثانى

٩- الملوك الأول والثانى.

### الشرط الثانى:

الأنبياء المتأخرون أو الأنبياء الآخر ويتفرع هذا الشرط إلى:

---

(١) أما بداية السفر ونهايته فمسألة تقديرية حيث روعى فيها الكم لا الكيف، لما التقسيم الحالى إلى فصول أو إصحاحات فيرقى عهده إلى العصور الوسطى حيث قطع النص تقطيعا منتظما لتسهيل قراءته ودرسه.

راجع حول ذلك كله: د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص ٣٩ - ٤٠ مدخل إلى التوراة (كتب الشريعة الخمسة) مقدمة الكتاب المقدس ص ٥٨ طبعة الرهبانية اليسوعية توزيع المكتبة الشرقية بيروت بإشراف جمعيات الكتاب المقدس في المشرق سنة ١٩٦٨م، مقدمة أسفار الشريعة الخمسة ص ٣ فى المجلد الأول من كتاب العهد العتيق منشورات دار المشرق. بيروت ١٩٨٣م، د/ محمد بحر عبد المجيد: اليهودية ص ٣٥ - ٣٦ ملتزم الطبع والنشر مكتبة سيعد رأفت القاهرة ١٩٧٨م.

(٢) يقول لوسيان جوتييه فى مقدمته للعهد القديم: إن هذا التقسيم لا يتبع خطة تاريخية وإنما كانت تحتمه طبيعة محتوى هذا القسم كله إذ أن شطرة الأول يمنح نحو التاريخ السياسى والعسكرى والإدارى البحث، ولا تبدو فيه النبوة إلا من خلال الأحداث مرتبطة بها ومعتمدة عليها، بينما الشرط الثانى نبوءات صرفة، تبدو الأحداث من خلالها فى المقام الثانى (نقلا عن د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٣٦).

الأنبياء الكبار: ويقعون في ثلاثة أسفار:

١٠- أشعيا، ١١- أرميا، ١٢- حزقيال.

الأنبياء الصغار أو الأنبياء الاثنا عشر وهم:

ناحوم، حبقوق، هوشع، يوئيل، عاموس، عويديا، يونان، ميخا، صفنيا،  
حجي، زكريا، ملاخي.

ويقع هؤلاء جميعا في سفر واحد (رقم ١٣) حيث يكونون مجموعة واحدة<sup>(١)</sup>.

### القسم الثالث:

الكتاب (كتوبيم)<sup>(٢)</sup> ويحتوي هذا القسم على أحد عشر سفرا وهي:

١٤- المزامير ١٥- الأمثال ١٦- أيوب ١٧- نشيد الإنشاد ١٨- المراثي

١٩- روث ٢٠- استير ٢١- الجامعة ٢٢- دانيال ٢٣- عزرا وتخميا

٢٤- أخبار الأيام الأولى والثانية<sup>(٣)</sup>.

---

(١) رتب مؤرخو الكتاب المقدس المحدثون الأنبياء ترتيبا تاريخيا وعلميا يختلف عن هذا لترتيب المذكور في العهد القديم الموجود بين أيدينا، فمثلا رتبهم لوسيان جوتيه على النحو التالي:

١- عاموس (٧٦٠ ق.م) ٢- هوشع (٧٥٠ ق.م)

٣- أشعيا (٧٤٠ ق.م) ٤- ميخا (٧٢٥ ق.م)

٥- ناحوم (٦٥٠، ٦٢٥ ق.م) ٦- أرميا (٦٢٦ ق.م)

٧- صفنيا (٦٢٥ ق.م) ٨- حبقوق (٦٠٨ أو القرن السادس ق.م)

٩- حزقيال (٥٩٢ ق.م) ١٠- عويديا (القرن السادس أو الخامس ق.م)

١١- حجي (٥٢٠ ق.م) ١٢- زكريا (٥٢٠ ق.م)

١٣- ملاخي (القرن الخامس ق.م) ١٤- يوئيل (القرن الخامس أو الرابع ق.م)

١٥- يونان (القرن الرابع ق.م)

راجع الفكر الديني الإسرائيلي ص ٥١-٥٣.

(٢) وتسمى أيضا كتب الحكمة أو "هجيوغرافيا" وهي مجموعة أسفار يغلب عليها الطابع الأدبي شعرا أو نثرا، وبعضها يتضمن تراثا من القصص والحكم تنقل عبر الأجيال، كما أن بعضها الآخر يتصل بالكيان السياسي والاجتماعي والديني واليهودي، ويحتوي كثير منها على تمجيد لبطولاتهم في الاستمرار في فلسطين، أو الرجوع إليها بعد السبي البابلي على يد الإمبراطورية الفارسية وتحت سيادتها -د/ ظاظا: الفكر الديني الإسرائيلي ص ٥٣.

(٣) وتسمى المزامير والأمثال وأيوب أمهات الأسفار، وتسمى نشيد الأناشيد وروث والمراثي والجامعة واستير المجلات الخمس وهي أسفار في الأعياد اليهودية الخمسة وقد وردت مرتبة في العهد القديم حسب مجيء الأعياد أي: إبريل، يونيه، أغسطس، سبتمبر، مارس (د/ فؤاد حسنين: التوراة الهيروغليفية ص ١٤).

فالعهد القديم إذن وبناء على رأى السائد لدى اليهود يضم ثلاثة أقسام أو أجزاء رئيسية هي: تواة، أنبياء (نبيّيم)، كتابات (اكتوبيم)، ويجمعها في العبرية لفظ (تناك) أو (تناخ)، ويكتبها اليهود بالعبرية (ت. ن. ك) وهى حروف اختصار من ألفاظ الأجزاء الثلاثة الرئيسية التى يتألف منها العهد القديم<sup>(١)</sup>.

ويشير هذا اللفظ (تناك) أيضا إلى أن العهد القديم لم يكتسب القداسة أو القانونية - فى نظرهم - دفعة واحدة بل تدريجيا حسب مواضعه<sup>(٢)</sup>.

ومن الأسماء المستعملة عند اليهود لتحديد هذا الكتاب: "المقرا" أى النص المقروء، لأنهم مطالبون بقراءته فى عباداتهم، وللرجوع إلى الأحكام الشرعية التى تنظم حياتهم. وهناك اسم ثالث له عندهم صفة علمية خاصة هو "المسورة" أو "المسورت"، ويعنون بذلك النص المقدس المروى عن الأسلاف رواية متواترة ارتضتها أجيال العلماء ورفضت ما عداها<sup>(٣)</sup>.

وإذا كان هذا هو رأى السائد الذى فرضته الأغلبية الاعظمى من أحبار اليهود والذى يجمع الأسفار فى إطار أربعة وعشرين سفرا وذلك بإدماج بعض الأسفار<sup>(٤)</sup>، فإن هناك فريقا آخر من اليهود يرى أن عدد الأسفار يجب أن يتفق وعدد حروف

---

(١) التوراة الميروغليفيه ص ٣٠ الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٧٣، د/ بحر عبد الحميد: اليهودية ص ٣٥، سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد: الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ ١٩٨٥ م دار النفائس بيروت.

(٢) التوراة الميروغليفيه ص ٣٠.

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى أننا قد عقدنا فصلا كاملا حول فقدان اليهود للتوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام وبطلان نسبة الأسفار الخمسة إليه، وكذلك بينا انتفاء قدسية أسفار العهد القديم. راجع رسالتى للدكتوراه "تأثر اليهودية بالأديان القديمة" ص ٣٤٨ - ٤١٢.

(٣) د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٧٣.

(٤) إذ يدجون كتابات "صغائر الأنبياء" الاثنى عشر فى سفر واحد جامع كما أشرت كما أنهم لا يعترفون بتجزئة أسفار صموئيل والملوك وأخبار الأيام، كل إلى نصفين متعاقبين، ويتخذون نفس الموقف حيال عزرا ونحميا فهما سفر واحد متصل فى اعتبارهم (راجع حسين ذو الفقار صبرى: توراة اليهود بين أصول متشعبة وسمعى إلى انعقاد بحث فى المجلة ص ٣ العدد ١٥٧ يناير ١٩٧٠).

الأبجدية العبرية فهو لديهم اثنان وعشرون سفرا إذ أمعن أصحابه في محاولات الضغط والإدماج<sup>(١)</sup>.

ويذهب فريق ثالث من اليهود إلى أن عدد الأسفار تسعة وثلاثون سفرا إذ أن أصحابه لم يلجأوا إلى إدماج الأسفار وإنما اعتبروا صموئيل والملوك وأخبار الأيام ستة أسفار بدلا من ثلاثة، وجعلوا مجموعة الأنبياء الصغار اثني عشر سفرا بعد أن كانوا سفرا واحدا وبعد أن كان نحميا وعزرا يكونان سفرا واحدا قاموا بفصلهما واعتبار كل منهما سفرا مستقلا بذاته<sup>(٢)</sup>.

هذا من ناحية اختلاف أحبار اليهود في عدد الأسفار<sup>(٣)</sup>.

أما بخصوص الترتيب والتقسيم فإن يهود فلسطين قد راعوا التسلسل التاريخي للأسفار وأزمتها التاريخية فكان الترتيب الذي ذكرته آنفا والتقسيم إلى ثلاثة أقسام: التوراة، الأنبياء، الكتابات. وهو ما نجده حتى الآن في نسخة العهد القديم العبرية.

أما يهود الإسكندرية فقد رتبوا الأسفار حسب موضوعاتها<sup>(٤)</sup> متبعين في ذلك

---

(١) التوراة الهيروغليفية ص ١٤ د/ بحر عبد المجيد: اليهودية ص ٣٥.  
حسين ذو الفقار صبرى: تورات اليهود ص ٣. فهم يضعون سفر "روثا" إلى سفر "القضاة" وجعلها سفرا واحدا، ويضمون سفر "المراثي إلى سفر "أرميا" وجعلها سفرا واحداً أيضاً.  
(٢) التوراة الهيروغليفية ص ١٤ د/ بحر: اليهودية ص ٣٥، ويذكر حسين ذو الفقار صبرى - أن هؤلاء يمثلون نفراً ضئيلاً من اليهود: تورات اليهود ص ٣.

(٣) ومما يجدر ذكره أن السامريين (وهم إحدى فرق اليهود) يقدسون الأسفار الخمسة فقط ويرفضون بقية أسفار العهد القديم وإن كانوا أحياناً يضيفون إلى الأسفار الخمسة سفر يوضع وقيل إن بعضهم يضيف سفر القضاة أيضاً، ويطلق على توراتهم التوراة السامرية وتوجد بينها وبين التوراة فروق تصل إلى ستة آلاف موضع. راجع الفكر الديني ص ٢٤٧ - ٢٥٢ المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٣٥ - ٣٦ القاموس ص ٤٥٠ - ٤٥١ التوراة السامرية تحقيق د/ أحمد السقا. نشر دار الأنصار بالقاهرة ١٩٧٨ م.

(٤) الأسفار الخمسة وبعدها الأسفار التاريخية ثم الأسفار الشعرية ثم أسفار الأنبياء، فالتوراة توطئة للأسفار التاريخية وهذه بدورها متصلة بالأنبياء أما الأسفار الشعرية فأسفار تعليمية تتصل بالحاضر في الوقت الذي ترتبط فيه أسفار التاريخ بالماضي، والأنبياء بالمستقبل، لذلك جرى بالأنبياء في نهاية العهد القديم والتوراة في أوله وبين التوراة والأنبياء تقع الأسفار التاريخية وتليها الشعرية (التوراة الهيروغليفية ص ١٤ - ١٥).

النظام اليونانى ومعتدين على الترجمة السبعينية<sup>(١)</sup>. حيث قسموا أسفار العهد القديم إلى أربعة أقسام على الترتيب الآتى:

**القسم الأول:** (كتب موسى) أو الأسفار أو "البانتاتيك" وهى:

١- التكوين ٢- الخروج ٣- اللاويين ٤- العدد ٥- التثنية.

**القسم الثانى:** (الأسفار التاريخية) ومجموعها اثنا عشر سفرا وهى:

٦- يوشع ٧- القضاة ٨- راعوث  
٩- صموئيل الأول ١٠- صموئيل الثانى ١١- الملوك الأول  
١٢- الملوك الثانى ١٣- أخبار الأيام الأول ١٤- أخبار الأيام الثانى  
١٥- عزرا ١٦- نحميا ١٧- استير.

**القسم الثالث:** (أسفار الأناشيد أو الأسفار الشعرية) وعددها خمسة أسفار وهى:

١٨- أيوب ١٩- المزامير ٢٠- الأمثال  
٢١- الجامعة ٢٢- نشيد الأناشيد

**القسم الرابع:** (أسفار الأنبياء) وعددها سبعة عشر سفرا وهى:

٢٣- أشعيا ٢٤- أرميا ٢٥- مراثى أرميا  
٢٦- حزقيال ٢٧- دانيال ٢٨- هوشع  
٢٩- يوشع ٣٠- عاموس ٣١- عويديا  
٣٢- حبقوق ٣٣- صفنيا ٣٤- حجي  
٣٥- زكريا ٣٦- ملاخي<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع التوراة الهيروغليفية ص ١٤ المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٦٧.

(٢) راجع حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٨١.

راجع د/ على عبد الواحد وافي: الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ١٣ - ١٦.  
وجدير بالذكر أنه لما كانت الكنيسة المسيحية قد استخدمت اللغة اليونانية لا العبرية فإنها قد اتبعت الترتيب الإسكندري وليس الفلسطيني وهو الترتيب الذى نجده فى الترجمات العربية للعهد القديم الى يختلف كثيرا عن الترتيب اليهودى العبرى، ومن هنا نشأ الخلاف فى ترتيب وتقسيم أسفار العهد القديم بين اليهود والمسيحيين.

راجع التوراة الهيروغليفية ص ١٤ - ١٥ حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ٦٧ - ٦٨، د/ محمد بيومى مهران دراسات فى تاريخ الشرق الأدنى القديم ج ٩ ص (١١).

وقد أضاف يهود الأسكندرية إلى العهد القديم العبرى الذى اعتمده يهود فلسطين فى ترجمتهم السبعينية بعض الأسفار التى لم تكن قد ألفت باللغة العبرية بل باليونانية<sup>(١)</sup> وتعرف هذه الأسفار بأسفار "الأبوكريفا"<sup>(٢)</sup>.

وهذه الأسفار هى:

- |                     |                          |                     |
|---------------------|--------------------------|---------------------|
| ١- عزرا الأول       | ٢- عزرا الثانى           | ٣- المكابيين الأول  |
| ٤- المكابيين الثانى | ٥- المكابيين الثالث      | ٦- المكابيين الرابع |
| ٧- طوبيث            | ٨- يوديث                 | ٩- صلاة منسى        |
| ١٠- قصة سوسن        | ١١- بعل بابل             | ١٢- تنين بابل       |
| ١٣- صلاة أساريا.    | ١٤- أغنية الرفاق الثلاثة |                     |

(١) ومن ثم فإن العهد القديم الإسكندرى المسمى بالسبعين يعتبر أوسع مدى من الكتاب الفلسطينى أو العهد القديم العبرى.

(المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٨١).

(٢) الأبوكريفا: كلمة يونانية معناها "خفى" أو "مخبا" أو "سرى" فقد كان هناك نوعا من المعرفة الدينية عند اليونان فى ذلك الحين: النوع الأول كان يشمل عقائد وطقوسا عامة يمكن لجميع طبقات البشر معرفتها وممارستها.

أما النوع الثانى: فقد كان يشمل حقائق عميقة غامضة لا يمكن أن يفهمها أو يدرك كنهها إلا قلة من الخاصة ولذلك بقيت "مخفية" أو "أبو كريفية" عن العامة ثم أضيفت إلى فكرة "الخفاء" والسرية فكرة الشبهة وصارت فكرة "أبو كريفيا" مرادفة لكلمة باطل أو مزيف، حتى أطلقت على الكتب الدينية الموضوعية التى لم ترد أصلا فى التوراة وذلك تمييزا لها عن أسفار التوراة "العهد القديم". هذا وكانت أسفار الأبوكريفا من وضع يهود فلسطين إذ كان معظمها مكتوبا باللغة العبرية أو الآرامية، وقليل منها بالإغريقية. لكن فى أوائل القرن الثانى الميلادى نجد ربانى اليهود يقفون منها موقفا عدائيا ويرفضونها ويتغير تبعاً لذلك مدلول اللفظ وتصبح هذه الأسفار وتلك الرسائل بغیضة إلى النفس لا يمسه المتدينون.

لكن الشيء الجدير بالذكر هنا أن رفض اليهود لهذه الأسفار وتنحيتهما من العهد القديم العبرى ليس مرجعه الإقلال من قيمتها بل لأنها وضعت فى فترة متأخرة من الزمن الذى اتفق على أنه العصر الذى ختم فيه العهد القديم.

راجع المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٨٤ - ١٨٥، قاموس الكتاب المقدس ص ١٨ - ١٩ التوراة الهيروغليفية ص ١٩٢، د/ مصطفى كمال عبد العليم: اليهود فى مصر فى عصرى البطالمة والرومان ص ١٢١ الطبعة الأولى ١٩٦٨ مكتبة القاهرة الحديثة.

- ١٥- تنمة سفر استير ١٦- باروخ ١٧- خطاب أرميا  
١٨- أمثال يشوع بن سيراخ ١٩- حكمة سليمان<sup>(١)</sup>.  
وهذه الأسفار - كما يرى العلماء - متنوعة المواضيع مختلفة العصور:

فمنها ما يتصل بالتاريخ ومنها ما يعالج القصص التاريخي، ومنها ما هو أساطير وتحتوى أيضا على حكم وأغان وأشعار، فهي مفيدة جدا لنا في دراسة اليهودية لأنها تعيننا على فهم التاريخ اليهودي والعقلية اليهودية في الفترة الممتدة من القرن الثاني ق. م إلى أواخر القرن الأول الميلادي أعنى خراب أورشليم عام ٧٠م، وهى أيضا تكون حلقة الاتصال بين اليهودية والمسيحية أو العهدين القديم والجديد<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان اليهود قد اختلفوا فيما بينهم - كما رأينا - فى أسفار العهد القديم فيما يتعلق بعددها وترتيبها وتقسيمها ومن حيث موقفهم من أسفار الأبوكريفا، فإن المسيحيين أيضا - بجانب أنهم خالفوا يهود فلسطين واتبعوا يهود الإسكندرية فى ترتيب الألفاظ وتقسيمها كما رأينا فأنهم قد اختلفوا فيما بينهم فى الاعتراف بأسفار العهد القديم<sup>(٣)</sup>.

---

(١) راجع تفاصيل الحديث عن أسفار الأبوكريفا: /< فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص ١٩٤ - ٢١٠ حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٨٧ - ٢٠٦ قاموس الكتاب المقدس ص ١٩  
(٢) د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص ١٩٣ د/ نجيب ميخائيل إبراهيم: مصر والشرق الأدنى القديم ج٣ سورية ص ١٦٨ - ١٦٩ الطبعة الثانية ١٩٦٤ دار المعارف بمصر.  
(٣) حينما انفصل المسيحيون الأولون عن اليهودية وجدت الكنيسة نفسها أمام الكتاين: - الإسكندرية والفلسطيني أو اليوناني والعبري فأخذت تستعمل الكتاب الإسكندري اليوناني وصار هو الكتاب المقدس المعترف به فى الكنيسة المسيحية أجيالا طوالا.

وفى عهد الإصلاح تبلورت الآراء المختلفة التى شاعت فى الكنيسة الأولى وصارت عقائد ثابتة:  
١- فألغت الكنيسة الكاثوليكية فى مجمع ترانت (١٥٤٦) كل تمييز بين الكتاين، وأدمج هذا المجمع فى الكتاب المقدس القانونى كل الأسفار الموجودة فى الأبوكريفا ما عدا عزرا وصلاة منسى واعتبرها حجة رسمية فى مسائل العقيدة.

٢- وأما لوثر زعيم الإصلاح فقد فصل فصلا تاما بين الأسفار القانونية وأسفار الأبوكريفا وأدمج هذه الأخيرة فى الكتاب المقدس ولكنه وضعها فى تذييل تحت عنوان "أبو كريفا" أى أسفار لا تحسب فى مستوى واحد مع الأسفار المقدسة ولكنها مع ذلك صالحة للقراءة والتعليم.

فيجود الآن طبعتان متداولتان على الأقل للكتاب المقدس هما الطبعة البروتستانتية والطبعة الكاثوليكية: فعدد الأسفار في الأولى تسعة وثلاثون سفرا - وهى نفس الأسفار التى اختارها الفريق الثالث من أحبار اليهود -، وإن كان رجال الكنيسة البروتستانتية قد اتبعوا فيها يهود الأسكندرية من حيث ترتيبها وتقسيمها اتباعا للنظام اليونانى دون النظام العبرى الفلسطينى.

أما الطبعة الثانية فأنها تزيد عليها سبعة أسفار إذ أن الكنيسة الكاثوليكية قد اعتمدت هذه الأسفار السبعة ضمن أسفار الأبوكريفا - التى أشرت إليها آنفا - متبعة فى ذلك الترجمة السبعينية التى اعتمدها يهود الإسكندرية.

بالإضافة إلى أن إصحاحات البروتستانتية تختلف عن إصحاحات الكاثوليكية، كما أن هناك اختلافا طفيفا فى بعض التسميات<sup>(١)</sup>.

### تحريم تواراة اليهود للقرايين البشرية:

لقد وردت فى الأسفار الخمسة (توراة اليهود الحالية) نصوص صريحة فى تحريم القرايين البشرية ونهى للإسرائيليين عن تقديمها وبيان بأنهم إذا ما قاموا بتقديمها يكونون قد خالفوا الشريعة ويستحقون العقاب على ارتكابهم لهذا الجرم الشنيع.

٣- أخذت الكنيسة الأسقفية بوجهة نظر لوثر، فقررت استعمال أسفار الأيوكرىفا للأغراض الكنسية ولكنها لم تقبل كجزء من القواعد التعليمية العقائدية واحتفظ بها فى العبادات العامة كذات قيمة أدبية تاريخية، ولكن لم تعط أى قيمة عقائدية مستقلة أو أى سلطان فى التعليم.

٤- أما أنصار كالفن فقد رفضوا أسفار الأبوكريفا كلية وقرروا أنه لا يجوز قبولها أو استعمالها إلا ككتابات بشرية، وكان من آثار ذلك أن منعت جمعية التواراة البريطانية والأجنبية بأحكام دستورهما منذ سنة ١٨٢٥ من ادماج أسفار الأبوكريفا فى الكتاب المقدس، وامتنعت عن طبعها.

(راجع المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٨٢ - ١٨٤).

(١) راجع لمعرفة مزيد من التفاصيل حول الفروق بين أسفار العهد القديم لدى الكاثوليك والبروتستانت:

حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٨١ - ١٨٦، الكتاب المقدس: كتب الشريعة الخمسة/ طبعة الرهبان اليسوعيين د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ١٦٣ - ١٦٥، التوراة الهيروغليفية ص ٣٠ - ٣١ - ١٩٢ سهيل ديب: التوراة بين الوثنية والتوحيد ص ١٠٨.



ورد في الإصحاح الثامن عشر من سفر اللاويين أن "الرب كلم موسى قائلا: كلم بنى إسرائيل وقل لهم أنا الرب إلهكم، مثل عمل أرض مصر التى سكنتم فيها لا تعملوا، ومثل عمل أرض كنعان التى آت بكم إليها لا تعملوا، وحسب فرائضهم لا تسلكوا، أحكامى تعملون وفرائضى تحفظون لتسلكوا فيها، أنا الرب إلهكم، فتحفظون فرائضى وأحكامى التى إذا فعلها الإنسان يحيا بها، أنا الرب"<sup>(١)</sup>.

فهنا نجد تحذيرا لبنى إسرائيل من أن يتأثروا بالوثنيين المصريين والكنعانيين أو أن يمارسوا طقوسهم الوثنية ودعوة للالتزام بالشرعية وأحكامها كما وردت من الرب لسيدنا موسى عليه السلام.

وبعد عدد من المحرمات التى عرضها هذا الإصحاح حرم عليهم تقديم القرابين البشرية للإله مولك إله الكنعانيين والعمونيين الذى أشرنا إليه آنفا.

يقول السفر "ولا تعط من زرعك للإجازة لمولك لئلا تدنس اسم إلهك"<sup>(٢)</sup>.

فهنا نهى للآباء أن لا يقدموا من زرعهم أى من أبنائهم وذريتهم إلى هذا الإله الوثنى، وعدم إجازته في النار فإن هذا مخالف للشرعية.

وجاء في كتاب "السنن القويم في تفسير أسفار العهد القديم" أن قوله "لا تعط من زرعك" يعنى لا تتزوج وثنية أو لا تزني بها فتلد منها نسلا تقدمه محرقة للصنم (وفي هذا عدة خطايا: منها الزيجة الوثنية أو الزنى ومنها دفع إنسان إلى الوثنية ومنها قتل ذلك بتقديمه قربانا للصنم) ومعنى للإجازة أى للإجازة النسل في النار حيث كان هؤلاء الوثنيون يضعون الولد على أيدي صنم مولك بعد إحماؤه بالنار.

ومعنى مولك "ملك" وهو إله العمونيين وصنمه هائل وهو ما دعى برجاسات العمونيين وسمى ملكوم أيضا<sup>(٣)</sup>.

(١) لاويين ١٨ : ١ - ٥.

(٢) لاويين ١٨ - ٢١.

(٣) ملوك أول ١١ : ٥.

وجاء في التقليديات اليهودية المتعلقة بذلك الصنم ما ترجمته:

"وقال حكماؤنا المباركو الذكر إنه في أثناء الزمان الذى كان فيه كل الأصنام فى هيكل أورشليم كان (مولوك، أو مولك فى هيكل خارج أورشليم).

وكان ذلك الصنم من النحاس الأجوف وله رأس مثل رأس العجل وكان ممدود اليدين، ويده كأيدي الناس، وتانك اليدان مفتوحتان كأنه يبغى أن يأخذ شيئاً ممن يدنو إليه وكان هيكله سبعة أقسام توزع فيها القرايين المختلفة: فالقسم الأول للقرايين من الطير، والثانى للقرايين ن النعاج، والثالث للقرايين من الحملان، والرابع للقرايين من الكباش، والخامس للقرايين من العجول، والسادس للقرايين من الثيران، والسابع للقرايين من البنين<sup>(١)</sup>.

وكان مقدم القرايين يقبل الصنم أولاً، يدل عليه ما جاء فى هوشع من قوله "يقولون ذابحو الناس يقبلون العجول"<sup>(٢)</sup> "أى الأصنام التى رءوسها كراءوس العجول وهى كأصنام (مولك).

وكان يحمرون ذلك الصنم حتى تحمر يدها من الحرارة وحينئذ يضعون الطفل عليها على ضرب الطبول حتى يمنع فرط الضجيج الوالدين من الانتباه لانفعالات الحنو والشفقة على طفلها<sup>(٣)</sup>.

ثم توعد الإصحاح العشرون من سفر اللاويين أيضاً اليهود بأن من يفعل ذلك متهم أو من غيرهم ممن يقيمون معهم بأن يقدموا أبناءهم قربانا للإله مولك يعاقب بالقتل حيث يرمجه الناس بالحجارة ويغضب عليه الرب ويطرده من رحمته حتى ولو تقاعس الناس عن تنفيذ عقوبة الرجم.

يقول السفر "وكلم الرب موسى قائلاً: وتقول لبنى إسرائيل: كل إنسان من بنى

---

(١) السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ج ٢ ص ١٢٧ مبنى على أراء عدد من اللاهوتيين صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٣ م.

(٢) هوشع ١٣: ٢.

(٣) السنن القويم ج ٢ ص ١٢٧.

إسرائيل ومن الغرباء النازلين في إسرائيل أعطى من زرعه لمولك فإنه يقتل يرجمه شعب الأرض بالحجارة، وأجعل أنا وجهى ضد ذلك الإنسان وأقطعه من شعبه لأنه أعطى من زرعه لمولك لكى ينجس مقدسى ويدنس أسعى القدوس، وإن غمض شعب الأرض أعينهم من ذلك الإنسان عندما يعطى من زرعه لمولك فلم يقتلوه، فإنى أضع وجهى ضد ذلك الإنسان وضد عشيرته وأقطعه وجميع الفاجرين رواء بالزنى وراء مولك من شعبهم<sup>(١)</sup>."

وجاء في الإصحاح الثانى عشر من سفر التثنية "متى قرض الرب إلهك من أمامك الأمم الذين أنت ذاهب إليهم لترثهم وورثتهم وسكنت أرضهم، فاحترز من أن تصاد وراءهم من بعد ما بادوا من أمامك ومن أن تسأل عن آلهتهم قائلاً كيف عبد هؤلاء الأمم آلهتهم فأنا أيضاً أفعل هكذا".

لا تعمل هكذا للرب إلهك لأنهم قد عملوا لآلهتهم كل رجس لدى الرب مما يكرهه إذ أحرقوا حتى بنينهم وبناتهم بالنار لآلهتهم، كل الكلام الذى أوصيكم به احرصوا لتعملوه، لا تزدد عليه ولا تنقص منه<sup>(٢)</sup>."

وجاء في الإصحاح الثامن عشر من نفس السفر "متى دخلت الأرض التى يعطيك الرب إلهك لا تتعلم أن تفعل مثل رجس أولئك الأمم لا يوجد فيك من يميز ابنه أو ابنته فى النار"<sup>(٣)</sup>.

فما ورد فى هذا السفر تحذير لليهود من أن يسلكوا حسلك الوثنيين ويقوموا بممارسة طقوسهم الوثنية التى من أشنعها حرق أبنائهم وبناتهم فى النار قربانا لآلهتهم الوثنية.

وهكذا وجدنا أن التوراة التى بأيدي اليهود لا تزال بها نصوص تحرم على اليهود

(١) لاويين ٢٠: ١-٥.

(٢) تثنية ١٢: ٢٩-٣٢.

(٣) تثنية ١٨: ٩-١٠.

تقديمهم للضحايا البشرية وتحذره من القيام بها، حيث تفرض عليهم عقوبة الرجم وتتوعدهم بغضب الرب وتبين لهم أن هذا العمل تقليد للوثنيين ومباشرته يعنى مباشرة الطقوس الوثنية التى كانت يقوم بها الوثنيون من الأمم القديمة التى عاصرها اليهود وجاوروها.

وبالرغم من ذلك فإننا سنجد اليهود قد ضربوا بهذا التحذير عرض الحائط وقاموا بتقديم القرابين البشرية فذبحوا أبناءهم وبناتهم وأحرقوهم وأجازوهم فى النار قربانا للآلهة الوثنية تأثرا بهم ومحاكاة لهم دون مراعاة لأوامر الرب وتحذيرات الشريعة.

## الفصل الثاني

### ارتكاب اليهود جريمة القرايين البشرية

### وتنديد أنبياء العهد القديم

فى هذا الفصل سنبن كىف أن اليهود لم يلتزموا بما ورد فى شريعتهم من تحريم القرايين البشرية وتركوها وراء ظهورهم وقاموا بتقديم القرايين البشرية إلى آلهة الوثنيين متأثرين بهم ومقلدين لهم ومشاركين معهم فى أداء طقوسهم الوثنية، بل إن بعضهم أخذ يقدم هذه القرايين إلى الله سبحانه وهو فى تصورهم الإله "يهوه" رغم أنه حذرهم من ذلك وتوعدهم بغضبه وسخطه.

ففى عصر القضاة سجد القاضى يفتاح يقدم ابنته إلى الرب "يهود" كذبيحة بشرية.

وفى عصر الانقسام نرى عددا من الملوك يقومون بتقديم القرايين البشرية، وانبرى لهم أنبياء العهد القديم ينددون بهم ويشنعون عليهم ويستنزلون عليهم اللعنات.

#### القاضى يفتاح وتقديم ابنته إلى الرب كقربان بشرى؛

يعد يفتاح أحد القضاة الذين تولوا أمر اليهود بعد موت يشوع فى العصر الذى سُمى باسمهم (عصر القضاة)<sup>(١)</sup> وقد خصص لهم سفر فى العهد القديم سُمى أيضا بسفر القضاة.

---

(١) يمثل عصر القضاة مرحلة هامة من مراحل التاريخ اليهودى يمكن أن نعتبرها مرحلة انتقالية بين عصر موسى ويشوع وما صاحبه من تطورات وبين عصر الملكية التى تمثل نظاما جديداً على الحياة الإسرائيلية وقد حدده بعض المؤرخين بأنه بدأ فى أول القرن الثانى عشر ق. م وانتهى فى الربع الأخير من القرن الحادى عشر ق. م (راجع تفاصيل ذلك فى رسالتى الدكتوراه ص ١٠٦ وما بعدها).

ويحتل القاضى منزلة هامة ويتبوأ مكانة مقدسة فى التاريخ اليهودي<sup>(١)</sup>.

ويفتاح هذا هو القاضى رقم (٩) فى سلسلة القضاة ويسمى (يفتاح بن جلعاد) وقد جاء به أبوه جلعاد من إحدى العاهرات!! وكان لجلعاد أبناء آخرون من زوجته الشرعية، فلما كبروا طردوا يفتاح من بينهم لئلا يقاسمهم الميراث، فهرب وأقام فى أرض طوب التى كانت شرقى الأردن، وجمع له عصابة من قطاع الطريق وراح يعيش على السلب والنهب.

جاء فى سفر القضاة "وكان يفتاح الجلعادى جبار بأس وهو ابن امرأة زانية، وجلعاد ولد يفتاح، ثم ولدت امرأة جلعاد له بنين، فلما كبر بنو المرأة طردوا يفتاح وقالوا له لا ترث فى بيت أبيك لأنك لأنت ابن امرأة أخرى، فهرب يفتاح من وجه إخوته وأقام فى أرض طوب فاجتمع إلى يفتاح رجال بطالون وكانوا يخرجون معه<sup>(٢)</sup>".

وحينما نشبت حرب بين بنى إسرائيل والعمونيين رغب شيوخ اليهود أن يقيموه قائدا عليهم فأبى فى بادئ الأمر لسوء معاملتهم إياه سابقا، ولكنه أذعن أخيرا لطلبهم وتولى القضاء عليهم<sup>(٣)</sup>.

وقبل أن يشرع فى قتال العمونيين، نذر أنه إذا انتصر عليهم سيقدم أول من يلاقيه ويخرج إليه من بيته عند عودته محرقة أو ذبيحة للرب.

جاء فى سفر القضاة: "فكان روح الرب على يفتاح فعبر جلعاد ومنسى وعبر مصفاة جلعاد، ومن جلعاد عبر إلى بنى عمون، ونذر يفتاح نذراً للرب قائلا: إن

---

(١) لم يكن القضاء قضاة بالمعنى المفهوم اليوم، ولم يكونوا مشرعين بالمعنى القديم وإنما كانوا مجموعة من الأبطال المحاربين والمنقذين أقامهم الرب على بنى إسرائيل ليخلصوهم من يد ناهيهم وكانت سلطة القاضى تعتمد أساسا على رضا الله عنهم وتأييده لهم (راجع د/ نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ج ٣ ص ٢٨٧ موسكاتى: الحضارات السامية القديمة ص ١٤١).

(٢) قضاة ١: ١١ - ٣.

(٣) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٨ زكى شنودة: موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ج ٨ ص ٦٧ النهضة المصرية ١٩٧٤ م.

دفعت بنى عمون ليدى فالخارج الذى يخرج من أبواب بيتى للقائى عند رجوعى  
بالسلامة من عند بنى عمون يكون للرب وأصعده محرقة<sup>(١)</sup>."

وانتهت المعركة بانتصار يفتاح على العمونيين ورجوعه ظافراً إلى بيته، وكانت  
ابنته الوحيدة هى أول من قابلته.

يقول السفر "ثم أتى يفتاح إلى المصفاة إلى بيته، وإذا بابنته خارجة للقائه بدفوف  
ورقص، وهى وحيدة لم يكن له ابن ولا ابنة غيرها، وكان لما رآها مزق ثيابه وقال آه  
يا ابنتى قد أحزنتنى حزناً وصرت بين مكدرى لأننى قد فتحت فمى إلى الرب ولا  
يمكننى الرجوع<sup>(٢)</sup>".

وهكذا وجد يفتاح نفسه فى مأزق، فقد مزق ثيابه كما يذكر السفر، وصار مشمت  
الفكر، يعانى صراعاً مريراً بين أن يرضى ربه بأن يذبح ابنته الوحيدة (وهذا فى زعمه  
هو الرضى التام من الرب) وبين ما سيعانيه من ألم وما سيصيبه من حزن على فقدان  
ابنته الوحيدة والقضاة عليها.

جاء فى السنن القويم فى تفسير العهد القديم أن من شروط النذر: أن يكون بعد  
التأمل والمعرفة وحساب الكلفة، وأن يكون فى أمر جائز وقد أخطأ يفتاح من  
الجهتين لأنه لم يفكر (هكذا) أن ابنته المحبوبة تلاقيه وأن تقديمها ذبيحة لا يجوز<sup>(٣)</sup>.  
وقوله (آه يا ابنتى) بيان لشدة توجعه وتألمه لأن مصابه بابنته الوحيدة التى لا  
ولد له سواها.

وكان له أن ينجو من هذا الألم وذلك التوجع بأن لا يفى بذلك النذر لسببين:

١- أن الله منع الذبائح البشرية.

٢- أنه لا حق له فى أن يقتل بريئة.

---

(١) قضاة ١١: ٢٩ - ٣١.

(٢) قضاة ١١: ٣٤ - ٣٥.

(٣) السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ج ٢ ص ٣٣١.

ولكن يظهر من كلامه وجواب ابنته الآتى أنه هو وابنته كانا يتصوران أن الرب كآلهة الأمم (الوثنية) يوجب الوفاء بالنذر على كل حال وأنه يسر بأن يسفك له دم البنين والبنات.

أن يفتاح وابنته ظنا بما أتياه أنها يخلصان الطاعة للرب وما فطنا أن العصيان خير من تلك الطاعة لأنها معصية عدت طاعة وخلاف عد موافقة<sup>(١)</sup>.

وقوله (لأنى قد فتحت فمى إلى الرب) أى أعلنت النذر بالكلام، وكان النذر عند العبرانيين قسمين: أحدهما يفدى فيه المنذور (لاويين ٢٧: ٢٧) والآخر لا يفدى فيه المنذور وهو المحرم فإنه يقتل من الناس والبهائم.

فمن الممكن أن يكون يفتاح حسب نذره من القسم الثانى وهو خطأ فإن ذلك كان مقصورا على الأعداء وغنائمهم فى الحرب وعلى ما يملك (عدد ٢١: ٣٠) ولم يكن فى البنين والبنات<sup>(٢)</sup>.

وقوله (لا يمكننى الرجوع) لعله قال هذا بناء على ما ورد فى سفر العدد "إذا نذر جل نذرا للرب أو أقسم قسما أنى لزم نفسه بلازم فلا ينقض كلامه، حسب كل ما خرج من فمه يفعل"<sup>(٣)</sup>، ولكن هذا قيل فيما هو شرعى لا فى ما هو صاف للشرعية كالتقدمات والمحركات البشرية الوثنية<sup>(٤)</sup>.

وإذا كان هذا هو موقف يفتاح وذلك قوله فما هو موقف ابنته الوحيدة التى خرجت تستقبله بالرقص وتضرب الدفوف فرحة ومبتهجة بانتصار أبيها وهى لا تدرى ماذا ينتظرها، ماذا كان قولها؟ إنها حينما أخبرها أبوها بنذره وما تعهد به

---

(١) المصدر السابق ج ٢ ص ٣٣٢.

(٢) المصدر السابق ص ٣٣٢ - ٣٣٣ راجع أيضا قاموس الكتاب المقدس ص ٩٦٦ - ٩٦٧.

(٣) عدد ٣٠: ٢.

(٤) السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم ج ٢ ص ٣٣٣.



الرب إذا بها تقول له "يا أبى هل فتحت فاك إلى الرب فافعل بى ما خرج من فيك بما أن الرب قد انتقم لك من أعدائك بنى عمون، ثم قالت لأبيها فليفعل لى هذا الأمر<sup>(١)</sup>".

إذن فهى قد قبلت أن تذبح وتقدم محرقة للرب وهى راضية مستسلمة قانعة مما يعنى أن الأمر لم يكن غريبا عليها وأن عادة تقديم القرابين البشرية كانت معلومة لديها أو على الأقل مألوفة لها.

وقد ذكر فى قاموس الكتاب المقدس أن الذبائح البشرية كانت مألوفة وقتئذ ولكنها كانت مغايرة للشريعة الموسوية<sup>(٢)</sup>.

وإذا كانت ابنة يفتاح قد واجهت الأمر بذلك الرضى الكامل والاستسلام التام فإنها قد استسمحت أباهما بأن يدعها شهرين فقط وبعدها يتم تنفيذ ما يريد فقد قالت له "اتركنى شهرين فأذهب وأنزل على الجبال وأبكى عذراويتى أنا وصاحباتى، فقال اذهبي وأرسلها إلى شهرين فذهبت هى وصاحباتها وبكت عذراويتها على الجبال<sup>(٣)</sup>".

وقولها "وأبكى عذراويتى" فسرهُ يوسيفوس بقوله "أبكى صباى" وذهب أكثر المفسرين بأنها كانت تبكى موتها بلا زيجة ولا ولد فإن عدم الولد كان عارا على النساء ومصابا على الاسرائيليات لأن كل واحدة منهن كانت تتوقع أن تلد المسيح الموعود به وإذا كانت وحيدة كان موتها زوالا لبيت أبيها، وزوال بيت من إسرائيل كان يعد عقابا من الله فى نظرهم<sup>(٤)</sup>.

"وكان عند نهاية الشهرين أنها رجعت إلى أبيها ففعل فيها نذره الذى نذر، وهى

(١) قضاة ١١: ٣٦ - ٣٧.

(٢) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٧٨.

(٣) قضاة ١١: ٣٧ - ٣٨.

(٤) السنن القويم ج ٢ ص ٣٣٣.

لم تعرف رجلا، فصارت عادة في إسرائيل أن بنات إسرائيل يذهبن من سنة إلى سنة لينحن على بنت يفتاح الجلعاى أربعة أيام في السنة<sup>(١)</sup>."

وهكذا عادت ابنة يفتاح إلى أبيها بعد فوات الشهرين لينفذ بها ما تعهد به وما نذره للرب وكما قال السفر فإنه فعل بها نذره الذى نذر أى قدمها قربانا بشريا ومحركة للرب كما يفعل الوثنيون.

وإذا كان هذا هو ما يؤخذ ويستفاد مباشرة ودون مباحكة من نصوص السفر فإن هناك من يفسر ما فعله يفتاح بابنته تفسيراً آخر غير الذى وقع.

يذكر ل - توماس هولد كروفت أن مصير ابنة يفتاح كان لمدة طويلة مشكلة لدارسى الكتاب المقدس ويقول أن كان يفتاح ذبح ابنته كتقدمة ليهوه فلاشك أنه

---

(١) قضاة ١٩: ٣٩ - ٤٠.

ومن العجيب أن البعض قد اعتبر استسلام ابنة يفتاح لأبيها وخضوعها لهذه العادة الوثنية نوعا من البطولة: يقول القس الياش مقار: كانت ابنة يفتاح فتاة شجاعة، فذة في شجاعته، قابلت مصيرها بحزم وصبر ويسالة، كان يمكن للضعف النسوى أن يتسرب إليها فيسوقها إلى التردد والتهرب والنكوص، خاصة وهى في قوة الشباب ووفرة الحيوية وميعة الصبا، ولكنها لم تفعل، ثم يذكر أن الحياة المعذبة التى عاشتها هذه الفتاة طوال حياتها هى التى ساعدتها على هذه التضحية فقد كانت تعد من أتعب من عرفت هذه الأرض حيث كانت حياتها بؤسا وشقاء وعذابا متصلا، ولما جاءهم اليوم الذى خيل إليها أنه يومها السعيد جاءها يحمل في طياته كلمة الفزع والموت والنهاية الرهيبة، وأرجع ذلك إلى إحساسها بالذل لكون أبيها ابن زنى وأنها كانت تسير على الأرض خفيفة الرأس كسيرة الطرف، وينتهى القس الياش مقار - بعد حديث مستفيض عن حياة هذه الفتاة وتضحياتها - إلى أنها أضحت الشهيدة الأولى التى احترقت من أجل الله وفي سبيل مجده وأنها ستبقى مدى الأجيال جذوة هائلة مشتة هيهات أن تضعف أو تحمد أو تنطفئ!!!! (نساء الكتاب المقدس ص ١٠٤، ١٠٨، ١١٢ - ١١٣).

ولا ندرى كيف اعتبر هذا القس مخالفة الشريعة وارتكاب الجريمة أو الرضى بها والتسليم لفاعلها والاشتراك معه نوعا من البطولة والمجد والتضحية في سبيل الرب مع أن يفتاح حسب ما ورد في شريعة الأسفار الخمسة - كما سبق أن أشرنا - يستحق أن يقتل ويجب على الناس أن ترجمه، ولا يمكن أن يقبل كلام القس دون أن يقر معنا بها في أسفار الكاب المقدس في تناقض بين شرائعه وحكاياته. وعلى اعتبار أنه غير مقتنع بما ورد في الأسفار الخمسة المقدسة لديه من تحريم للقرايين البشرية.

ارتكب بالفعل جريمة تحت التورط في هوس الوفاء بالعهد، وإن كان قد جعل ابنته عذراء إلى الأبد فإن لغة التورط التي وردت في الكتب المقدسة تبدو مفرطة<sup>(١)</sup>.

ويتساءل د/ صموئيل شواتز "هل قدم يفتاح ابنته ذبيحة وفاة بوعده أولاً؟ وقد وجد في هذا المأزق فإنه لم يكن ليرضى الله بتقديمه ذبيحة بشرية على مذبحه، الأمر الذى لم يصدق عليه الوحي المقدس، وفي الواقع كان مثل هذا الإجراء خطية جسيمة أبيد من أجلها الكنعانيون.

ومن جهة أخرى كيف يمكنه أن ينال رضى الله وهو يحنث بنذره.

وينتهى الدكتور شولتز إلى أن الدليل الصريح في سفر القضاة يشير إلى أن يفتاح وفى بوعده، أما الأسلوب الذى اتبعه في هذا الوفاء فموضع تفسيرات متضاربة<sup>(٢)</sup>.

ذلك أن البعض من مفسرى الكتاب المقدس قالوا أن يفتاح نذر ابنته للعذراوية الدائمة وأن حزنها لم يكن على موتها بل على كونها منذورة للبتولية<sup>(٣)</sup>.

يذكر القس الياس مقار أن كثيرا من المفسرين لنصوص العهد القديم يعتقدون أن يفتاح تم نذره ولكن بصورة غير حرفية، بأنه عزل ابنته وقدها للرب، فظلت عذراء طول حياتها لم تتزوج ولما كانت الحياة العذراوية عاراً وقتئذ فإن الفتاة سعت إلى الجبال لتبكي عذراويتها<sup>(٤)</sup>.

وحجة الأخذين بهذا الفكر، أن الذبيحة البشرية أمر وثنى حرمه الله على إسرائيل تحريماً باتاً، وأن يفتاح رجل حل عليه روح الرب، وعده (الوحي) من أبطال الإيمان الذين ذكروا في الرسالة إلى العبرانيين فمن المحال أن يصنع هذا<sup>(٥)</sup>.

(١) الأسفار التاريخية تعريب أدبية شكرى يعقوب ص ٧٢. نشر دار الجليل للطباعة ١٩٨٥.

(٢) العهد القديم يتكلم ص ١٤٦ - ١٤٧ ترجمة أدبية شكرى نشر معهد المراسلة الدولية في بروكسل.

(٣) راجع السنن القويم ج ٢ ص ٣٣٣.

(٤) نساء الكتاب المقدس ص ١٠٩ نشر دار الثقافة القاهرة الطبع الثالثة.

(٥) المقصود بالوحي المذكور الوحي عند المسيحيين والرسالة إلى العبرانيين هي من رسائل بولس، راجع بطلان الوحي عند المسيحيين سواء كان ممثلاً في الأنجيل أو رسائل بولس وغيرها من الرسائل المقدسة لديهم وبيان تناقضها وانقطاع سندها وزوال قدسيته في رسالة الزميل الدكتور أحمد عجيبة "تأثر المسيحية بالأديان الوضعية" رسالة دكتوراه كلية أصول الدين بطنطا ١٩٨٧ م.

كما أنهم قالوا إن العبارة "فالخارج الذى يخرج" يحتمل فى الأصل أن تكون ذبيحة غير بشرية<sup>(١)</sup>.

ويذكر دوجلاس أن التسليم مدى الحياة من الأبنة الوحيدة لخدمة يهوه هو الذى يفسر كلمات هذا الإصحاح وأن يفتاح حزن على إجبار ابنته لتكون عذراء إلى الأبد بنفس القدر الذى كان يفعلها فى فقدائها لأنه فى كلتا الحالتين أنكر النسل<sup>(٢)</sup>.

لكن هذا رأى - فيما يذكر القس الياس مقار - رغم صحته ومعقوليته وجوازه مردود ومنقوص، ويذكر أنه من أشد الناس اعتقاداً بأن يفتاح أتم نذره حرفياً... ثم يقول: قد يكون هذا خطأ منه، وقد يكون هذا شيء منالوثنية، التى تسربت إليه لطول بعده عن شعب الله والتصاقه بالوثنيين، وقد يكون فاته أيضاً أن الذبيحة البشرية يمكن أن تفتدى، ولكنه مع ذلك أقدم على عمله بكل إخلاص وحمية وروية وتدبر، لأنه من غير المعقول أن الرجل كان يقصد فى نذره إلى مجرد ذبيحة حيوانية كشاة أو ثور أو ما أشبهه، لأن هذه الذبيحة من الضالة بكيفية لا تتفق مع من يريد أن يعبر عن شكره العميق لله، واعترافه بإحسان الله الذى رد سبيه ليقوده فى طريق النصر والمجد<sup>(٣)</sup>.

وجاء فى السنن القويم أن قول يفتاح "فالخارج الذى يخرج من أبواب بيتى للقائى . . . . .) يدل دلالة واضحة على أنه نذر عاقلاً للتقدمة لأن البهيمة لا تخرج للقائه<sup>(٤)</sup>.

ويتهى القس الياس مقار إلى أن يفتاح نفذ نذره حرفياً، وإلا فما الداعى لأن تذهب ابنته على الجبال لتبكى عذراويتها شهرين!؟

وكان أولى بها أن تغنى وتفرح؟ وإذا كان بكاءؤها يرجع لأنها سترحم من الحياة

(١) نساء الكتاب المقدس ص ١٠٩.

(٢) الأسفار التاريخية ص ٧٣.

(٣) نساء الكتاب المقدس ص ١٠٩.

(٤) السنن القويم ج ٢ ص ٣٣١.

الزوجية التى كانت تعد نعمة كبيرة للفتاة وقتئذ فلماذا تبكى شهرين ولا تبكى أكثر؟ وما معنى القول أنها عند نهاية الشهرين رجعت إلى أبيها ففعل بها نذره الذى نذر؟

وكيف يمكن تفسير العادة الرتيبة المنظمة التى ألفتها بنات إسرائيل أن يذهبن من سنة إلى سنة لينحن عليها أربعة أيام فى السنة؟

ولو سلمنا جدلا مع ذلك أن أباهما أبقاها عذراء طوال حياتها مقدسة للرب !! فهل يكون نذره بأكمله قد تم . . . كلا إنه يكون فقط قد تم الشرط الأول فيه "فالخارج الذى يخرج من بيتى يكون للرب . . أما الشرط الثانى "وأقدمه محرقة" فلا يستقيم مع بقائها على قيد الحياة<sup>(١)</sup>.

بالإضافة إلى أن نذر البتولية لم يكن من عادات العبرانيين ولم تعد البتولية عندهم فضيلة مرضية عند الله.

وكذلك فإن حزن يفتاح يدل على صحة التفسير العادى الواضح أى أنه قدمها محرقة<sup>(٢)</sup>.

ثم إننا لو فرضنا - كما جاء فى السنن القويم - أنها لم تقدم محرقة لما كفاها شهران فى الجبال مع صاحباتها بل كانت نذبت سوء حظها كل حياتها<sup>(٣)</sup>.

ويلاحظ أن رأى الأول الذى يدفع عن يفتاح ارتكاب جريمة القرايين البشرية ويذهب أصحابه إلى أنها لم تذبح وإنما صارت عذراء إلى الأبد - هذا رأى إنما هو رأى متأخر ويصدر عن الثقافة المسيحية وبتأثير منها.

يذكر ل. توماس هولدر وفات أنه يعتبر أكثر حرفية أخذ المكتوب على اعتبار أن يفتاح قدم ابنته فعلا ذبيحة بشرية، لكن يبدو أن الأمر أكثر إقناعا لمؤمن العهد الجديد أن يعتبر أن والدها ببساطة كرسها لتكون عذراء مدى الحياة<sup>(٤)</sup>.

(١) نساء الكتاب المقدس ص ١١١.

(٢) السنن القويم ج ٢ ص ٣٣٣.

(٣) المصدر السابق.

(٤) الأسفار التاريخية ص ٧٣.

ويذكر القس الياس مقار أن كل المفسرين اليهود والمسيحيين حتى القرن العاشر الميلادى بما فيهم أوريجانوس والذهبي الفم وثيودور وجيرون وأوغسطينوس أجمعوا على أن يفتح نفذ نذره في ابنته تنفيذاً حرفياً، وأن القرون الطويلة لم تعرف شيئاً عن التفسير الثانى حتى جاء الربى كيمتشى في القرن الحادى عشر وابتدعه، وسار في أعقابه من المفسرين من هالتهم هذه التقدمة البشرية المرهبة<sup>(١)</sup>.

ثم ينتهى القس إلى القول بأنه فيما يعتقد يتفق مع لوثر الذى يقول "يؤكد بعضهم أن هذه التقدمة لم تتم، ولكنى أظن أن بالنص الكتابى من الوضوح ما لا نحتاج معه إلى تساؤل أو جدال أو تفسير"<sup>(٢)</sup>.

وهكذا فإن يفتاح يكون قد قدم ابنته محرقة للرب وقربانا بشريا متبعاً في ذلك دين الكنعانيين ومتأثراً بطقوسهم وساعده على ذلك انحراف اليهود في عصر القضاة وتأثرهم بوثنية الكنعانيين.

جاء في كتاب الأسفار التاريخية<sup>(٣)</sup> "أنه يجب أن نلاحظ أن النظرة العامة في ذلك الوقت (عصر القضاة) إلى تقديس ذبائح بشرية وإلى الميل بتقديم الأطفال إلى "مولك" كان يبدو دائماً إغراء لإسرائيل.

ويذكر جيمس هنرى برستد أن الإسرائيليين كانوا لا يزالون في عصر القضاة متأثرين كل التأثير بحياة القرون الطويلة التى قضوها في الرعى وتلمس الكلاً على حدود الصحراء قبل أن يدخلوا فلسطين فكانوا لا يزالون متمسكين بالعادات الساذجة المتبربرة الشائعة بين قبائل الصحراء، بل ببعض التقاليد القريبة من الوحشية مثل ذبحهم الولد البكر قربانا لإله القبيلة<sup>(٤)</sup>.

---

(١) ويقول دو جلاس "الفكرة العامة في الكنيسة المسيحية، موافقة الآباء في هذا مع يوسفوس ومع بعض السلطات اليهودية القديمة تؤكد أن يفتاح نذر في أن يقدم ليهوه أول من يخرج من بيته تاركاً الأمر للعناية لتقرر إن كان هذا سيكون حيواناً أو ابنته راجياً أن لا تكون الابنة، واستعد لتقديمها ذبيحة إن كانت هى أول من يخرج" (الأسفار التاريخية ص ٧٢).

(٢) نساء الكتاب المقدس ص ١١١ - ١١٢.

(٣) ص ٧٣.

(٤) فجر الضمير ص ٣٧٥ ترجمة د/ سليم حسن نشر مكتبة مصر رقم ١٠٨ من سلسلة الألف كتاب.

وبيين تيودور. هـ. روبنسن أن بنى إسرائيل حينما دخلوا فلسطين وجدوا فيها عبادة مستمرة من قديم تشبه من بعض الوجوه عبادتهم وتختلف عنها من وجوه أخرى اختلافا بينا، ومن هذه العبادة أنهم كانوا يقدمون قربانين من البشر لألهتهم.

ثم يذكر أن الإسرائيليين حينما استوطنوا الأرض الزراعية في كنعان لم يجدوا مناصبا من الأخذ بأسباب الحضارة التي كانت قائمة قبل مجيئهم ومنها الدخول في الدين الكنعانى، وإذا كانوا لم يستطيعوا أن يتنكروا لإلههم القومى (يهوه) فإنهم قد نقلوا إليه كل الشعائر والأفكار التي كانت متصلة بعبادة البعل الكنعانى ومنها تقديم القرابين البشرية إليه<sup>(١)</sup>.

ويقول صموئيل شولتز "يدل البيان الكتابي على أن إسرائيل لم تتمسك بالديانة النقية في عصر القضاة، فتمسك يفتاح غالبا ببعض العادات الوثنية السائدة في كنعان بدلا من تقديمه ابنته قربانا للرب، وذلك لأنه كان ذا خلفية - نصف - كنعانى - ولأن الجبال كانت تعتبر علامة من علامات الخصب - بالنسبة للكنعانيين - فإن ابنته سعدت فوق الجبال وبكت عذراويتها لتفادى أى انقطاع لخصوبة الأرض، وكانت الفتيات الإسرائيليات - على نحو دورى يقضين أربعة أيام يمثلن فيها الحزن والنحيب على الفتاة التي قدمت قربانا على للذبح<sup>(٢)</sup>.

والعجيب أنه ورد في السنن القويم أن يفتاح لم يكن يعلم بأن الذبائح البشرية محظورة في شريعة الله، وأنه رأى الوثنيين يقدمون أبناءهم وبناتهم ذبائح ومحرقات لألهتهم الباطلة<sup>(٣)</sup>.

ووجه العجب أن يكون يفتاح من قضاة إسرائيل الذين كان يتم اختيارهم عن طريق الرب، وكان يحل عليهم روح الرب، فكيف يختار الرب رجلا يتكلم بلسان الرب وتحل عليه روح الرب وهو يجهل ما ورد في شريعة الرب.

---

(١) إسرائيل في ضوء التاريخ ص ١١٤ - ١١٦ بحث يصور الأيام الأولى من تاريخ الأمة اليهودية ضمن المجلد الثانى منكتاب تاريخ العالم نشة مكتبة النهضة المصرية.

(٢) العهد القديم يتكلم ص ١٤٧.

(٣) السنن القويم ج ٢ ص ٣٣١.

لكن العجب يزول حينما نسترجع تاريخ يفتاح الذى سجله عليه السفر من أنه كان ابن زانية، وكان من قطاع الطرق وعاش على السلب والنهب.

فليس بمستغرب إذن من مثل من كانت هذه حياته أن يجهل حكم الشريعة لكن يبقى هذا التناقض المعهود فى أسفار اليهود وأخبارهم فى شخصياتهم المقدسة.

ويحق لنا أن نقول إذا كان يفتاح قد فعل هذا وهو أحد قضاة بنى إسرائيل الذين يتكلمون بلسان الرب وكان روح الرب عليهم كما يعبر سفر القضاة فإن سلوكه هذا لا يعد سلوكا فرديا وإنما يعد سلوكا جماعيا أو بمعنى أوضح يحسب على أنه عمل من أعمال بنى إسرائيل الذين ارتضوه ووافقوه عليه.

وهذا يعنى أن الإسرائيليين فى هذه الفترة قد بلغوا حداً كبيراً فى تأثرهم بالعبادات الوثنية إلى درجة إقدام قاضيتهم على هذا الفعل وخضوع ابنته واستسلامها وقيامها بتلك العادة الوثنية وقيام بنات إسرائيل بالبكاء والنواح عليها أربعة أيام فى كل عام، مما يؤكد اندفاع الإسرائيليين وراء الطقوس الوثنية وعكوفهم عليها وممارستهم لها فى عصر القضاة وغيره من عصورهم التاريخية.

### **تقديم اليهود للقرايين البشرية فى عصر الانقسام:**

يبدأ عصر الانقسام فى التاريخ اليهودى عقب وفاة سيدنا سليمان عليه السلام مباشرة (حوالى ٩٢٠ ق. م) حيث تمزقت المملكة الموحدة<sup>(١)</sup> وانقسمت إلى دولتين: واحدة فى الشمال وسميت "مملكة إسرائيل" وكانت عاصمتها "السامرة"، وأخرى فى الجنوب وسميت "مملكة يهوذا" وكانت عاصمتها "أورشليم".

وتم القضاء على مملكة إسرائيل بسقوط السامرة تحت سلطان الآشوريين وتشريد الإسرائيليين بما يعرف بالسبى الآشورى عام ٧٢٢ ق. م.

---

(١) المملكة الموحدة كان ملوكها (شاوول وسيدنا داود وسيدنا سليمان عليهما السلام)، راجع رسالتى للدكتوراه للتعرف على تاريخ هذه المملكة وأحداثها.



وانتهت مملكة يهوذا بسقوط أورشليم تحت سلطان البابليين بعد تدميرها وتشريد اليهود بما يعرف بالسبي البابلي عام ٥٨٦ ق. م<sup>(١)</sup>.

وفي هذا العصر قام بعض ملوك اليهود بتقديم القرابين البشرية من أشهرهم أحاز، ومنسى، وشاع هذا الانحراف لدى كثير من سكان المملكتين مما جعل أنبياء العهد القديم يندلون بهم ويملوكلهم ويرجعون سقوط المملكتين وسبى أهلها إلى هذا الانحراف وغيره من طقوس الوثنية.

### ارتكاب أحاز ملك يهوذا جريمة القربان البشري:

ورد في قاموس الكتاب المقدس أن أحاز هو الملك الحادى عشر من ملوك يهوذا، تولى حكم مملكة الجنوب فى سنة ٧٣٦ ق. م وقد تعلق قلبه بحب الأصنام من أول حكمه فعبر ابنه فى النار وذبح وأوقد على المرتفعات<sup>(٢)</sup>. وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء<sup>(٣)</sup>.

يقول عنه سفر الملوك الثانى "ولم يعمل المستقيم فى عينى الرب إلهه كداود أبيه، بل سار فى طريق ملوك إسرائيل حتى إنه عبر ابنه فى النار حسب أرجاس الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل، وذبح وأوقد على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء<sup>(٤)</sup>".

---

(١) لمعرفة مزيد من التفاصيل عن عصر الانقسام فى التاريخ اليهودى وتاريخ المملكتين وكيفية القضاء عليها راجع رسالة الدكتوراه "تأثر اليهودية بالأديان القديمة".

(٢) المرتفعات: أماكن مرتفعة على رؤوس الهضاب أو قمم الجبال، كانت فى بداية الأمر تفضل لإقامة المذاحب عليها لعبادة الله قبل أن يبنى الهيكل ويخصص للعبادة، لكن الأمم كانا فى نفس الوقت يبنون المرتفعات لعبادتهم الوثنية ولهذا حذر الله شعبه منها قبل دخولهم أرض كنعان، وبعد أن أقيم الهيكل اعتبرت تلك المرتفعات رجسة لأنها تنجست جميعها بعبادة الأصنام، ولأن العبادة الوثنية على هذه المرتفعات كانت تقتربن بأقبح أنواع الرذائل والفجور، بالإضافة إلى أنها أزاحت الإسرائيليين عن العبادة الحقيقية لله، ولهذا بذل الكثيرون من ملوك يهوذا الصالحين جهدهم لإزالتها، راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٤٠٧ - ٤٠٧ روبنسون: إسرائيل فى ضوء التاريخ ص ١١٨ موسكاتى: الحضارات السامية القديمة ص ١٢٩.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ٢.

(٤) ملوك ثان ١٦: ٢ - ٤.

ويقول عنه أيضا سفر أخبار الأيام الثانى: "ولم يفعل المستقيم فى عينى الرب كداود أبىه بل سار فى طريق ملوك إسرائيل وعمل أيضا تماثيل مسبوكة للبعليم، وهو أوقد فى وادى ابن هنوم وأحرق بنيه بالنار حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل وذبح وأوقع على المرتفعات وعلى التلال وتحت كل شجرة خضراء"<sup>(١)</sup>.

وهكذا وجدنا أن أحد ملوك يهوذا قد انحرف عن الطريق المستقيم الذى سار عليه سيدنا داود عليه السلام، وقام بعبادة الأصنام ومارس الطقوس الوثنية وكان منها تقديم أبنائه فى النار وقيامه بحرقهم وتقديمهم قربان بشرية للآلهة متأثرا فى ذلك بوثنية الشعوب المجاورة كالكنعانيين والمؤابيين والعمونيين وغيرهم من شعوب أرض فلسطين، فالسفر يصرح أنه "أحرق بنيه حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل".

وقد ذكر السفر أيضا أنه كان يحرق أبنائه فى وادى ابن هنوم.

وهذا الوادى - كما جاء فى القاموس - هو الذى يمر إلى الجنوب والغرب من مدينة القدس ويسمى اليوم وادى الربابة، ويطلق عليه فى الأسفار أحيانا وادى هنوم وأحيانا أخرى وادى ابن هنوم ووادى بنى هنوم.

وكان فى الجزء الشرقى من هذا الوادى مكان يسمى "توفة" ومعناها مكان الحريق حيث كان يوجد فيه جحر عميق واسع يجمع فيه الحطب وتشتعل فيه النيران، وقد اعتاد اليهود أن يحرقوا فيه أبنائهم وبناتهم كنوع من القرابين البشرية للآلهة الوثنية<sup>(٢)</sup>.

وإذا كان "آحاز" قد قام بإحراق أبنائه فى هذا المكان فإنه ظل قائما حتى فعل مثل ذلك الملك "منسى" الذى ستحدث عنه الآن.

---

(١) أخبار ثان ٢٨: ٢ - ٤.

(٢) راجع قاموس الكتاب المقدس ص ٢٢٦، ١٠٠٣.

## ارتكاب "منسى" لجريمة القرايين البشرية:

ورد في القاموس أن "منسى" هو أحد ملوك يهوذا وقد تبوأ العرش سنة ٦٩٣ ق. م واشتهر في أول ملكه بأعمال كفرية وقساوة بليغة، وأضل شعبه عن الحق وجعلهم يذبحون لكل جند السماء حتى إنهم عملوا ما هو أقبح من الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل<sup>(١)</sup>.

ويقول عنه سفر الملوك الثانى إنه "عمل الشر فى عينى الرب حسب رجاسات الأمم الذين طردهم الرب من أمام بنى إسرائيل وعاد فبنى المرتفعات. وأقام مذابح للبعل . . . وسجد لكل جند السماء وعبدها، وبنى مذابح فى بيت الرب . . وبنى مذابح لكل جند السماء فى دارى بيت الرب . . . وعبر ابنه فى النار وعاف وتفاءل واستخدم جانا وتوابع وأكثر عمل الشر فى يعين الرب لإغاظته"<sup>(٢)</sup>.

فهذا الملك أيضا قد مارس الطقوس الوثنية ومنها أنه أحرق ابنه فى النار وقدمه قربانا للآلهة الوثنية فهو بذلك يكون قد انحرف عن الشريعة التى دعا إليها سيدنا موسى والطريق الذى رسمه سيدنا داود عليهما السلام.

يذكر زكى شنودة أن منسى عاد إلى عبادة أصنام الكلدانيين وغيرهم وأعاد بناء المعابد الوثنية التى كان أبوه "حزقيا" قد هدمها وسجد لجميع جند السماء أى للكواكب والنجوم، وبنى لها مذابح فى هيكل أورشليم ذاته وأقامه تمثالا للآلهة عشتروت، وأحرق بنيه بالنار فى وادى ابن هنوم ذبيحة لمولوك إله المؤايين واستخدام العرافين والسحرة وأصحاب الجان<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد بقى وادى هنوم تقدم فيه القرايين البشرية من اليهود حتى تولى الملك

(١) قاموس الكتاب المقدس ص ٩٢٥.

(٢) ملوك ثان ٢١: ٢ - ٦.

(٣) موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية ج ٨ الخاص باليهود قبل المسيح ص ١٢٩ مكتبة النهضة المصرية

١٩٧٤ م.

يوشيا حكم يهوذا حوالي ٦٣٨ ق. م<sup>(١)</sup> وقام بحركة الإصلاح التي استهدفت القضاء على الوثنية بجميع مظاهرها، وكان من ضمن الأعمال التي قام بها هدم هذا المكان الذي كان اليهود يحرقون فيه أولادهم.

جاء في سفر الملوك الثاني عن الملك يوشيا "ونجس توفة التي في وادي بنى هنوم لكي لا يعبر أحد ابنه أو ابنته في النار لمولك"<sup>(٢)</sup>.

وورد في القاموس أن الملك يوشيا قام بإبطال عبادة مولك حيث كان الرجل يعبر ابنه أو ابنته في النار في الوادي حينما نجس الوادي والمرتفعات بعظام الأموات وبكسر التماثيل ثم جعل الوادي مزبلة القدس ومكان الضباب بلوعتها<sup>(٣)</sup>.

ويذكر زكي شنودة أن الإله مولك أو "مولوك" كان يعبدته كثير من شعوب الشرق الأوسط ولاسيما الكنعانيون والفينيقيون، وكانوا يعتبرونه إله النار أو إله جهنم، ولذلك كانوا يرهبونه ويعملون على استرضائه بتقديم أطفالهم ضحايا له، فكانوا يقيمون له صنما ضخما من النحاس المجوف ذا ذراعين ممدودين، ويوقدون في داخله النار، حتى إذا اشتد احمرار الذراعين من فرط الحرارة ألقوا عليهما أطفالهم، فتشويهم النار شيا، وهم بينذاك يدقون الطبول ليحجبوا صوت صراخ أولئك الأطفال الأبرياء<sup>(٤)</sup>.

ثم يذكر أن اليهود قد عبدوا هذا الإله ولاسيما في أورشليم، وكانوا يقدمون أطفالهم ضحايا تماثيله النحاسية التي كانوا يقيمونها في مختلف أماكن بلادهم واشهرها مكان يسمى "توفة" ثم أبلط يوشيا عبادة مولك في هذا الوادي وجعله مكانا يحرق فيه أهل أورشليم قمامتهم، فكانت النار لا تفتأ تتصاعد منه بغير انقطاع<sup>(٥)</sup>.

(١) حسب ما ورد في القاموس ص ١١١٩.

(٢) ملوك ثان ٢٣ : ١٠.

(٣) قاموس الكتاب المقدس ص ١٠٠٣.

(٤) اليهود قبل المسيح ص ٤٨٣ - ٤٨٤.

(٥) المصدر السابق ص ٤٨٤.

وقد يظن القارئ أن ممارسة تقديم القرابين البشرية كانت مقصورة على مملكة يهوذا وحدها حيث إن "أحاز ومنسى" من ملوكها، وكان وادي هنوم يقع في أورشليم حيث يقوم سكان يهوذا وحدهم بتقديم القرابين البشرية فيه.

لكن الأمر على خلاف ذلك حيث ورد في سفر الملوك الثانى أن من أسباب غضب الرب على مملكة إسرائيل وملوكها وأهلها وتعرضهم للسبى الأشورى انحرافهم وسلوكهم طريق الوثنيين وممارستهم طقوسهم وعباداتهم لأصنامهم وقيامهم بتقديم القرابين البشرية إليها.

جاء فى الإصحاح السابع عشر بعد الحديث عن السبى الأشورى أن بنى إسرائيل أخطأوا إلى الرب إلههم واتقوا آلهة أخرى وسلوكوا حسب فرائض الأمم الوثنية، وبنوا لأنفسهم مرتفعات وأقاموا لأنفسهم أنصابا وسوارى على كل تل عال تحت كل شجرة خضراء، وأوقدوا هناك على جميع المرتفعات مثل الأمم الذين ساقهم الرب من أمامهم، وعملوا أمورا قبيحة لإغاية الرب، وعبدوا الأصنام التى حذرهم الله منها ونهاهم عنها<sup>(١)</sup>.

"وأشهد الرب على إسرائيل . . . عن يد جميع الأنبياء قائلا: ارجعوا عن طرقكم الردية واحفظوا وصاياى فرائضى حسب كل الشريعة التى أوصيت بها آبائكم والتى أرسلتها إليكم عن يد عبيدى الأنبياء، فلم يسمعوا بل صلبوا أقفيتهم كأقفية آبائهم الذين لم يؤمنوا بالرب إلههم، ورفضوا فرائضه وعهده الذى قطعه مع آبائهم وشهاداته التى شهد بها عليهم وساروا وراء الباطل وصاروا باطلا وراء الأمم الذين حولهم الذين أمرهم الرب أن لا يعملوا مثلهم، وتركوا جميع وصايا الرب إلههم وعملوا لأنفسهم مسبوكات عجلىن وعملوا سوارى وسجدوا لجميع جند السماء وعبدوا البعل، وعبروا بنبيهم وبناتهم فى النار، وعرفوا عرافة وتفاءلوا وباعوا أنفسهم لعمل الشر فى عيني الرب لإغاظته"<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع سفر الملوك الثانى ١٧: ٧ - ١٢.

(٢) ملوك ثان ١٧: ١٣ - ١٧.

من أجل هذا كما يقول السفر "فغضب لارب جدا على إسرائيل ونحاهم من أمامه ولم يبق إلا سبط يهوذا وحده"<sup>(١)</sup>.

"وسلك بنو إسرائيل في جميع خطايا يربعام"<sup>(٢)</sup> التي عمل، لم يحيدوا عنها، حتى محى الرب إسرائيل من أمامه كما تكلم عن يد جميع عبدة الأنبياء، فسبى إسرائيل من أرضه إلى آشور إلى هذا اليوم"<sup>(٣)</sup>.

### **تنديد أنبياء العهد القديم باليهود وملوكهم:**

ولقد وقف أنبياء العهد القديم في وجه اليهود والإسرائيليين في المملكتين وحاولوا إثنائهم عن ممارسة الطقوس الوثنية وحذروهم بوجه خاص من ممارسة القرايين البشرية وتقديمها للآلهة الوثنية متأثرين في ذلك بالشعوب الوثنية المجاورة.

يذكر الأستاذ محمد عزة دروزه أن أسفارا عديدة منسوبة إلى أنبياء عاشوا في أيام بعض ملوك يهوذا وإسرائيل قد احتوت تنديدات وتقريعات وتنبؤات ورؤى متنوعة يبرز من خلالها صور قوية لما كانت عليه الدولتان من انحرافات خلقية ودينية واجتماعية، وما قاساه أهلهما من بلاء شديد معللا بأنه كان نتيجة لهذه الانحرافات"<sup>(٤)</sup>.

ومن هؤلاء الأنبياء الذين سنتحدث عنهم مرتين حسب ورود أسفارهم: اشعيا وارميا وحزقيال.

---

(١) ملوك ثان ١٧: ١٨.

(٢) هو أول ملوك مملكة إسرائيل وكان قدوة سيئة لخلفائه حيث تابعوه في عبادة الأصنام وممارسة طقوس الوثنية (راجع الحديث عن الاتجاه الوثني عند بنى إسرائيل وتأثرهم بالوثنيين في رسالتي للدكتوراه المشار إليها أنفا).

(٣) ملوك ثان ١٧: ٢٢ - ٢٣.

(٤) تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم ص ٢٣٤ منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت ١٩٦٩ م.

## إشعياء:

فهذا هو إشعياء<sup>(١)</sup> يقول في سفره موجهًا خطابه إلى اليهود "أما أنتم فتقدموا إلى هنا يا بنى الساحرة نسل الفاسق والزانية، بمن تسخرون وعلى من تغفرون الفم وتدلعون اللسان، أما أنتم أولاد المعصية نسل الكذب، المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء المقاتلون الأولان في الأودية تحت شقوق المعازل<sup>(٢)</sup>".

وفي طبعة الكاثوليك يقول "المتوهجين إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء الذابحين أولادهم في الأودية تحت كهوف الصخر"<sup>(٣)</sup>.

## إرميا:

وكذلك فإن إرميا<sup>(٤)</sup> يقول في الإصحاح السابع من سفره:

"جزء شعرك واطرحيه وارفعي على الهضاب مرثاة لأن الرب قد رفض ورذل جيل رجزه، لأن بنى يهوذا قد عملوا الشر في عيني يقول الرب. وضعوا مكرهاتهم في البيت الذى دعى باسمى لينجسوه، وبنوا مرتفعات توفة التى فى وادى ابن هنوم ليحرقوا بنيتهم وبناتهم بالنار الذى لم أمر به ولا صعد على قلبى لذلك ها هى أيام تأتى يقول الرب ولا يسمى بعد توفة ولا ولدى لبن هنون بل وادى القتل ويدفنون فى توفة حتى لا يكون موضع وتسير جثث هذا الشعب أكلا لطيور السماء ولوحوش الأرض ولا مزعج. وأبطل من مدن يهوذا ومن شوارع أورشليم صوت الطرب وصوت الفرح صوت العريس وصوت العروس لأن الأرض تصير خرابا"<sup>(٥)</sup>.

---

(١) إشعياء هو أحد الأنبياء الذين ورد ذكرهم في العهد القديم حيث تنبأ كما أورد القاموس في سنة ٧٤٠ ق. م في حياة عدد من ملوك يهوذا (راجع الحديث عنه وعن سفره بالتفصيل في قاموس الكتاب المقدس ص ٨١ - ٨٥).

(٢) إشعياء ٥٧: ٣ - ٥.

(٣) راجع نبوءة أشعياء الفصل ٥٧: ٥.

(٤) إرميا هو أحد أنبياء العهد القديم تنبأ في السنة الثالثة عشرة من ملك يوشيا (وقد تولى يوشيا في عام ٦٣٨ ق. م) وظل يعمل بالنبوة إحدى وأربعين سنة (راجع الحديث عنه وعن سفره بالتفصيل في قاموس الكتاب المقدس ص ٥٢ - ٥٦).

(٥) إرميا ٧: ٢٩ - ٣٤.

وهكذا يعبر ارميا عن ضيقة بما يفعله اليهود في هذا الوادى حيث يقومون بإحراق أبنائهم وبناتهم ويقدمونهم قرابين بشرية للآلهة الوثنية فتنبأ بأن هذا الوادى لن يطلق عليه بعد ذلط "توفة" وإنما سيسمى بوادى القتل والذبح ويصبح مكانا لدفن جثث القتلى والأموات.

وفى الإصحاح التاسع عشر يذكر ارميا أن الرب قال له "اذهب واشتر إبريق فخارى من خزف وخذ من شيوخ الشعب ومن شيوخ الكهنة، واخرج إلى وادى ابن هنوم الذى عند مدخل باب الفخار وناد هناك بالكلمات التى أكلمك بها، وقل اسمعوا كلمة الرب يا ملوك يهوذا وسكان أورشليم، هكذا قال رب الجنود إله إسرائيل. ها أنذا جالب على هذا الموضع شرا كل من سمع به تطن أذناه، من أجل أنهم تركونى وأنكروا هذا الموضع من دم الأوكياء، وبنوا مرتفعات للبعل ليحرقوا أولادهم بالنار محرقات للبعل الذى لم أوص ولا تكلمت به ولا صعت على قلبى، لذلك ها أيام تأتى يقول الرب ولا يعدى بعد هذا الموضع توفة ولا وادى ابن هنوم بل وادى القتل<sup>(١)</sup>.

وأنقض مشورة يهوذا وأورشليم فى هذا الموضع وأجعلهم يسقطون بالسيف أمام أعدائهم ويبد طالبى نفوسهم وأجعل جثثهم أكلا لطيور السماء ولوحوش الأرض وأجعل هذه المدينة للدهش والغصير، كل عابر بها يدهش ويصفر من أجل كل ضرباتها، وأطمهم لحم بنيتهم ولحم بناتهم فيأكلون كل واحد لحم صاحبه فى الحصار والضيق الذى يضايقهم به أعداؤهم وطلبوا نفوسهم<sup>(٢)</sup>.

ثم يقول أرميا إن الرب قال له "ثم تكسر الإبريق أمام أعين القوم الذى يسرون معك وتقول لهم: هكذا قال رب الجنود هكذا أكسر هذا الشعب وهذه المدينة كما يكسر وعاء الفخارى بحيث لا يمكن جبره بعد، وفى توفة يدفنون حتى لا يكون موضع للدفع، هكذا أصنع لهذا الموضع يقول الرب ولسكانه وأجعل هذه المدينة

(١) ارميا ١٩: ١ - ٦.

(٢) ارميا ١٩: ٧ - ٩.



مثل توفة، وتكون بيوت أورشليم وبيوت ملوك يهوذا كموضع توفة نجسة كل البيوت التى بخروا على سطوحها لكل جند السماء وسكبوا سكائب لآلهة أخرى<sup>(١)</sup>."

وهكذا فإن أرميا قاد الكهنة ورؤساء الشعب وذهب بهم إلى وادى هنوم (الذى تحدثنا عنه من قبل) حيث كانت تقدم القرابين البشرية، وكسر الأبريق الفخارى الذى كان قد اشتراه أمام أعين الشعب وأعلن بشجاعة أن أورشليم ستكسر كما كسر هذا الأبريق، وسيعم الخراب جميع أجزاء المدينة، حتى يصير هذا الوادى اللعين موضعاً للدفن<sup>(٢)</sup>.

وجاء فى الإصحاح الثانى والثلاثين من نفس السفر أن كلمة الرب صارت إلى أرميا قائلة: لذلك هكذا قال الرب، ها أنذا أدفع المدينة (ويقصد أورشليم) ليد الكلدانيين وليد نبوخذ راصر ملك بابل فيأخذها، فيأتى الكلدانيون الذين يحاربون هذه المدينة فيشعلون هذه المدينة بالنار ويحرقونها ولابيوت التى نحروا على سطوحها للبعل وسكبوا سكائب لآلهة أخرى ليغيظوني<sup>(٣)</sup> (إشارة إلى السبى البابلى وتدمير أورشليم وحرق المعبد).

ثم يذكر السبب فى ذلك فيقول "لأن بنى إسرائيل يهوذا إنما صنعوا الشر فى عيني منذ صباهم، لأن بنى إسرائيل إنما أغاظونى يعمل أيديهم يقول الرب، لأن هذه المدينة قد صارت لى لغضبى ولغيظى من اليوم الذى فيه بنوها إلى هذا اليوم لأنزعها من أمام وجهى.

من أجل كل شر بنى إسرائيل وبنى يهوذا الذى عملوه ليغيظونى به هم وملوكهم ورؤساءهم وكهنتهم وأنبيأؤهم ورجال يهوذا وسكان أورشليم، وقد

(١) ارميا ١٩: ١٠ - ١٣.

(٢) د/ صموئيل شواتز: العهد القديم يتكلم ص ٣٠٢.

(٣) ارميا ٣٢: ٢٦ - ٢٩.

حولوا الى القفالوا الوجه وقد علمتهم مبكرا ومعلما ولكنهم لم يسمعوا ليقبلوا آدبا، بل وضعوا مكرهاهم في البيت الذي دعى باسمى لينجسوه<sup>(١)</sup>.

ثم يشير إلى قيامهم بتقديم القرابين البشرية كسبب من أبرز الأسباب الداعية إلى هلاكهم فيقول "وبنوا المرتفعات للبعل التي في وادي ابن هنوم ليجيزوا بنهم وبناتهم في النار لمولك الذي لم أوصهم به ولا صعد على قلبى ليعملوا هذا الرجس ليجعلوا يهوذا يخطئ<sup>(٢)</sup>".

وهكذا يعلن إرميا أن الله سينتقم من اليهود حيث يسلط عليهم الكلدانيون حتى يذيقوهم سوء العذاب جزاء وفاقا لما فعلوه من انحراف عن التوحيد واستغراق في مستنقع الوثنية.

جاء في كتاب تاريخ شعب العهد القديم أن الوثنية قد اكتسحت الأرض المقدسة في أيام ارميا على شكل عبادة آلهة عديدة وصار اليهود يعيشون على غرار جيرانهم الوثنيين وصارت أماكن العبادة العالية (المرتفعات) حتى باحات الهيكل ذاته تشهد كل أنواع الفساد والرجاسة والفجور مما أتت به عبادة الأوثان<sup>(٣)</sup>.

ذلك أن مملكة يهوذا لم تتعظ بما حل بأختها مملكة إسرائيل بل إنها سرعان ما انحدرت إلى نفس الطريق لكي يقضى عليها بنفس القصاص، فقد حفل كل جيل بغابة كثيفة من الأشجار الخضراء التي مارس الشعب تحت ظلالها الفرائض الوثنية البغيضة وعبادة الطبيعة القبيحة، وامتلاأت كل أرجاء البلاد بالهياكل التي شيدت لعبادة البعل وعشتاروت وكل جند السماء كما امتلاأت بالأوثان الداعرة، وكان كهنة هذه العبادات الرجسة يغدون ويروحون في المدن بملابسهم القاتمة يعلمون الشعب أن الرذيلة جزء من العبادة وكانوا يغشون البيوت المكرسة للدعارة، وتفشت كل

(١) ارميا ٣٢: ٣٠ - ٣٤.

(٢) ارميا ٣٢: ٣٥.

(٣) الأب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص ٢٨٣ ترجمة الأب جرجس مارديني المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦١ م.

أنواع الشرور دون مقاومة وازداد الجو فسادا والأرض رجسا بسبب انتشار السرقة والقتل والزنى والعبادة الوثنية<sup>(١)</sup>.

ومن أجل ذلك اشتعلت في صدر إرميا - كما يقول ل ديورانت - نيران الغضب حين رأى ما عليه قومه وزعماءهم من انحطاط في الأخلاق وحمق في السياسة، ورأى فرضا عليه أن يدعو بني إسرائيل إلى التوبة والندم، وبين لهم أن كل ما يحدث من انحلال قومي، وضعف سياسى، وخضوع للأجنى قد أنزله الرب باليهود عقابا لهم على ما ارتكبوا من ذنوب.

ثم يقول: وكان هذا النبى يخطب قومه منددا بما كان منتشرًا بينهم من فساد بالفاظ من نار لا يعادها في شدتها إلا خطب القديسين في جنيفا واسكتلندة وانجلترا في عهد الإصلاح الدينى. فكان يسب اليهود أقذع سباب ويصور لهم ما سيحل بمن لا يستمعون إليه من هلاك، وكم من مرة تنبأ لهم بتخريب أورشليم وسبيهم على يد البابليين ورثى لما سيحقيق بالمدينة (التي يسميها ينت صهيون) من قضاء محتوم<sup>(٢)</sup>.

### حزقيال:

أما حزقيال<sup>(٣)</sup> فإنه يذكر في سفره أن كلمة الرب كانت إليه قائلة: يا ابن آدم، عرف أورشليم برجاساتها وقل هكذا قال السيد الرب لأورشليم. مخرجك ومولدك من أرض كنعان، أبوك أمورى وأمك حثية<sup>(٤)</sup>.

---

(١) راجع سفر ارميا ٢: ٢٠، ٢٧، ٣٤/٥: ٧-٨، ٢٦ راجع ف. ب. ماير: حياة ارميا ص ١٥ - ١٦. ترجمة القمص مرقس داود، مكتبة المحبة القاهرة.

(٢) راجع الشرق الأدنى ص ٣٥٩ - ٣٦٠.

(٣) حزقيال هو أحد أنبياء العهد القديم وبدأت دعوته قبل حدوث السبى البابلى وتدمير أورشليم بسبع سنوات وقد تم حرق المعبد وتدمير أورشليم في عام ٥٨٦ ق. م.

راجع الحديث عنه وعن سفره في قاموس الكتاب المقدس ص ٣٠١ - ٣٠٤.

(٤) الأموريون والحثيون من الشعوب الوثنية القديمة التي اختلط بها اليهود وبعبارة السفر هنا تصور مدى تأثير اليهود بهذين الشعبين (راجع رسالتى للدكتوراه (تأثر اليهودية بالأديان القديمة).

ثم أخذ السفر يعدد الانحرافات الخلقية والدينية التي وقع فيها اليهود ومن هذه الإنحرافات تقديمهم القرابين البشرية لآلهة الشعوب الوثنية.

إن الرب - حسب ما ورد في السفر - يخاطب أورشليم قائلاً "أخذت بنيك وبناتك الذين ولدتهم لى ذبحتهم لها طعاماً أهو قليل من زناك، أنك ذبحت بنى وجعلتهم يجوزون فى النار لها<sup>(١)</sup>."

فهنا يبين السفر بوضوح أن اليهود فى أورشليم قاموا بذبح بنيتهم وبناتهم قربانا للآلهة الوثنية وحرقوهم فى نيران أصنامها متأثرين فى ذلك بوثنيتهم مأخوذين بطقوسهم مفتونين بعبادتهم.

جاء فى شرح سفر حزقيال أن أهل أورشليم قد مارسوا كل عبادة الكنعانيين الفاسدة كما مارسوا وثنية غيرهم من الأمم الوثنية كالآشوريين والمصريين والكلدانيين والأموريين والحثيين بل إنهم فاقوهم فى ممارسة هذه الوثنية حيث أخذوا بنيتهم وبناتهم وذبحوهم للآلهة الوثنية طعاما بل وأجازوهم فى النار<sup>(٢)</sup>.

وورد فى الإصحاح العشرين من نفس السفر "كلم بيت إسرائيل يا ابن آدم وقل لهم: هكذا قال السيد للرب، فى هذا أيضا جدف على أبائكم إذ خانونى خيانة، لما أتيت بهم إلى الأرض التى رفعت لهم يدي لأعطيهم إياها فأرأوا كل تل عالٍ وكل شجرة عبياء فذبحوا هناك مذابحهم وقربوا هناك قربانيتهم المغيظة وقدموا هناك روائح سرورهم وسكبوا هناك سكائبهم . . . . ."

لذلك قل لبيت إسرائيل، هكذا قال السيد الرب دل التجستم بطريق آبائكم وزنيتم وراء أرجاسهم، وبتقديم عطاياكم وإجازة أبدلكم فى النار تتجسون بكل أصنامكم إلى اليوم<sup>(٣)</sup>."

(١) حزقيال ١٦: ٢٠ - ٢١.

(٢) رشاد فكرى شرح سفر حزقيال ص ١٣٦ مكتبة كنيسة الأخوة شبرا مصر.

(٣) راجع سفر حزقيال ٢٠: ٢٧ - ٣١.

وجاء في الإصحاح الثالث والعشرين من نفس السفر أيضا أن كلام الرب كان إلى حزقيال قائلاً: يا ابن آدم كان امرأتان ابتتا أم واحدة. وزنتا بمصر، في صباهما زنتا، هناك دغدغت ثديهما وهناك تزغزغت ذرائب عفرتهما، واسمهما أهولة الكبيرة وأهولية أختها وكانتا لى وولدتا بنين وبنات، واسماهما السامرة أهولة وأورشليم أهولية<sup>(١)</sup>.

فالسفر يطلق على مملكة إسرائيل والتي كانت عاصمته السامرة "أهولة" ويسمى مملكة يهوذا والتي كانت عاصمتها أورشليم "أهولية" وأخذ يعدد انحرافات المملكتين أو بالأسلوب الرمزي المرأتين "أهولة" و"أهولية".

ويهمنا هنا أن نشير إلى ما جاء فيه عن قيام أهل المهلكتين بتقديم القرابين البشرية.

"وقال الرب لى يا ابن آدم أتحكم على أهولة وأهولية، بل أخبرهما برجاساتهما ..... وأيضا أجازتا بينهما الذين ولدتاهم لى النار أكلأها، وفعلتا أيضا بى هذا، نجستا مقدسى فى ذلك اليوم، ودستا سبوتى، ولما ذبحتا بينهما لأصناميهما أتتا فى ذلك اليوم إلى مقدسى لتنجساه، فهو ذا هكذا فعلتا فى وسط بيتي<sup>(٢)</sup>".

يذكر ول ديورانت أن حزقيال بدأ خطبه كما بدأها أشعيا الأول وأرميا مندداً أشد التنديد بما شاع فى أورشليم من وثنية فى الدين وانحلال فى الأخلاق، وشبه أورشليم بالزانية، وأخذ يبدئ فى ذلك ويعيد، لأنها باعت عبادتها للآلهة الغريباء، وشبه السامرة وأورشليم بزانيتين توأمين ووضع ثبثاً طويلاً بذنوب أورشليم، ثم قضى عليهما بالتخريب والسقوط فى أيدي الأعداء<sup>(٣)</sup>.

ويذهب غوستاف لوبون إلى أن قدماء اليهود لم يجاوزوا أطوار للحضارة السفلى

(١) حزقيال ٢٣: ١ - ٤.

(٢) حزقيال ٢٣: ٣٦ - ٣٩.

(٣) الشرق الأدنى ص ٣٦١ الجزء الثانى من المجلد الأولى من قصة الحضارة.

التي لا تكاد تميز من طور الوحشية، وعندما خرج هؤلاء البدويون، الذين لا أثر للثقافة فيهم، من باديتهم ليستقروا بفلسطين وجدوا أنفسهم أمام أمم قوية متمدنة منذ زمن طويل، فكان أمرهم كأمر جميع العروق الدنيا التي تكون في أحوال مماثلة، فلم يقتبسوا من تلك الأمم العليا سوى أحسن ما في حضارتها، أى لم يقتبسوا غير عيوبها وعاداتها الضارية ودعارتها وخرافاتها، فقربوا لجميع آلهة آسية، قربوا لعشروت ولبلع ولمولك، من القرابين ما هو أكثر جدا مما قربوا لإلههم، على الرغم من كل إنذار جاء به أنبياءهم، وكانوا يعبدون عجولا معدنية، وكانوا يضعون أبناءهم في ذرعان محمرة من نار مولك، وكانوا يحملون نساءهم على البغاء المقدس في المشارف<sup>(١)</sup>.

ويقول الأستاذ/ زكى شنودة إن اليهود كانوا طوال تاريخهم منذ نشأتهم الأولى إلى مجئ السيد المسيح (عليه السلام) أمة تعبد الأصنام والآلهة الوثنية من دون الله، كغيرهم من الأمم التي كانت تحيط بهم أو تسيطر عليهم، فيما عدا فترات قصيرة كانوا خلالها يعبدون الله جنبا إلى جنب مع تلك الآلهة الوثنية باعتباره واحدا منها، وباعتبار أن طقوسه لا تختلف عن طقوس عبادة الآلهة الوثنية، حتى فيما يتعلق بتقديم الضحايا البشرية وممارسة الدعارة الدينية في هيكله، ولذلك نبذهم الله وغضب عليهم وقضى بهلاكهم وبخراب أمتهم وزوال دولتهم<sup>(٢)</sup>.

---

(١) اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ص ٢٠ - ترجمة صادل زعير - نشر عيسى الحلبي .

(٢) اليهود قبل المسيح ص ٥١٣ .

## الفصل الثالث

### التلمود ودوره فى قيام الذبائح التلمودية

#### التلمود:

كلمة التلمود مستخرجة من كلمة "لامود" التى تعنى بالعبرية "المعرفة" أو "التعليم" وتطلق اليوم على الكتاب الذى يحتوى على التعاليم اليهودية التى تدعى بدورها اليوم ومنذ زمن طويل باسم التلمود أى الكتاب العقائدى الذى وحده يفسر ويبسط كل معارف الشعب اليهودى وتعاليمه<sup>(١)</sup>.

ويرجع التلمود فى نشأته أساس إلى أن رجال الدين اليهودى زعموا أن شريعة موسى لم تكن مقصورة على النصوص المدونة فى الأسفار الخمسة، بل تضمنت أيضا شريعة شفوية. انتقلت من المعلمين إلى تلاميذهم جيلا بعد جيل مع ما كان يضاف إليها من زيادات وتعديلات<sup>(٢)</sup>.

وبعد الخلاف حول ما إذا كانت هذه الشريعة هى الأخرى من عند الله انتهى

---

(١) راجع الأب أى. بى براناتيس: فضائح التلمود: تعاليم الحاخاميين السرية ص ٢١ اعداد زهدى الفائح دار النفائس بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٥ م، ول ديورانت: قصة الحضارة (١٤) الجزء الثالث من المجلد الرابع: عصر الإيمان ص ١٤ طبعة ١٩٧٥ د/ صبرى جرجس: التراث اليهودى الصهيونى ص ٨٨ عالم الكتب القاهرة ١٩٨٠.

(٢) ول ديورانت: المصدر السابق ص ١٠ د/ صبرى جرجس: المصدر السابق ص ٨٨ راجع تفاصيل ذلك: فضائح التلمود ص ٢١ - ٢٢.

الأمر باليهود إلى قبول الرأي الذى كان ينادى به الفريسيون من أنها مع الأسفار الخمسة شريعة مقدسة ينبغى التمسك بها والعمل بمقتضاها<sup>(١)</sup>.

ويحتوى التلمود على قسمين رئيسيين هما:

١ - المشناة: وهو الأصل (المتن) ومعنى المشناة: التكرار أو الشريعة المكررة لأن شريعة موسى - فى زعمهم - المعروفة فى الكتب الخمسة وردت مكررة فى هذه المشناة مع توضيح وتفسير التبس منها.

٢ - الجمارا أو (الجامارة): ومعناها الاستكمال فهى عبارة عما أضيف إلى هذه الشريعة (المشناة) فيما بعد بقصد استكمالها<sup>(٢)</sup>.

### المشناة:

والمشناة هى مجموعة من الشرائع اليهودية المروية على الألسنة، والتى كان اليهود - وما يزالون - يعتبرونها مصدرا من مصادر التشريع يأتى فى المقام الثانى بعد التوراة

(١) انقسم اليهود فى مختلف مراحل تاريخهم إلى فرق دينية وأهم موضوع يدور حوله اختلاف هذه الفرق هو الاعتراف بأسفار العهد القديم وأسفار التلمود أو إنكار بعض هذه الأصول ورفض الأخذ بما فيها من أحكام وتعاليم وترجع أهم فرقهم الباقية والمنقرضة إلى خمس فرق هى: ١ - الفريسيون ٢ - الصدوقيون ٣ - السامريون ٤ - الحسديون ٥ - القراءون (راجع تفاصيل الحديث عن فرق اليهود: د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى ص ٢٤٣ - د/ على عبد الواحد وفى: الأسفار المقدسة ص ٦٢ - ٧٥ اليهودية واليهودية ص ٩٠ - ١٠٩ وكان أهم ما ثار حوله الجدل بين الفريسيين والصدوقيين هو: هل هذه الشريعة الشفوية هى الأخرى من عند الله فهى لذلك واجبة الطاعة؟ ولما أن زال الصدوقيون بعد تشتت اليهود عام ٧٠م وورث رجال الدين تقاليد الفريسيين ورواياتهم قبل جميع اليهود المتسكنين بدينهم الشريعة الشفوية وآمنوا بأنها أوامر من عند الله وأضافوها إلى الأسفار الخمسة فتكونت من هذه وتلك التوراة أو الشريعة اليهودية التى استمسك بها اليهود وعاشوا - بمقتضاها.

(راجع ول ديورانت: قصة الحضارة (١٤) عصر الإيبان ص ١٠ د/ صبرى جرجس: التراث اليهودى والفكرى الصهيونى والفكر الفرويدى الناشر عالم الكتب الطبعة الأولى ١٩٧٠م، وجدير بالذكر أن فرقة القرائين التى نشأت فى أواخر القرن الثامن الميلادى أنكرت التلمود ولم تعترف به وبذلك يكون الصدوقيون والقراءون والسامريون منكرين للتلمود.

(٢) ظفر الإسلام خان: التلمود تاريخه وتعاليمه ص ١١ دار النفائس بيروت الطبعة الثانية د/ صبرى جرجس: التراث اليهودى ص ٨٨.



مباشرة ويزعمون أنها أيضا ترتفع إلى سيدنا موسى عليه السلام لذلك فإنهم يسمونها "التوراة الشفهية"<sup>(١)</sup>.

### مباحث المشناة:

وتنقسم المشناة إلى ستة أقسام وتتكون من ستة مباحث:

- ١- كتاب زيرائيم "أى البذور وتتضمن اللوائح الزراعية".
- ٢- كتاب "موئيد" أى الأيام المقررة ويحتوى على الأحكام الدينية والفرائض الخاصة بالسبت والأعياد والأيام المقدسة.
- ٣- كتاب "ناشيم" أى المرأة أو النساء ويتضمن النظم والأحكام الخاصة بالزواج والطلاق.
- ٤- كتاب "نيزيكين" أو "نزيقين" أى الأضرار ويشتمل على القوانين المدنية والجنائية.
- ٥- كتاب "كوداشيم" أو "قداشيم" أى المقدسات أو الأشياء المقدسة ويحتوى على الشرائع الخاصة بالقرايين وخدمة الهيكل.
- ٦- كتاب "طهاروت" أو "توهاروت" أى الطهارة ويحتوى على قوانين الطهارة، والنجاسة.

هذا ويحتوى كل قسم من هذه الأقسام الستة على عدة فصول بحيث يصل مجموع الفصول للأقسام كلها إلى ثلاثة وستين فصلا<sup>(٢)</sup>.

---

(١) د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٨٧ ظفر الإسلام خان: المصدر السابق ص ١٣ - ١٤. (راجع المحاولات الأولى لرواية شرائع المشناة وبداية تدوينها فى المصدرين السابقين: د. ظاظا ص ٧٨، ٧٩، ظفر الإسلام خان ص ١٣ - ١٤، راجع أيضا ول ديورانت: قصة الحضارة ص ١٠ - ١٥.

وقد أورد د/ حسن ظاظا أسماء طبقات المشناة فى الصفحات من ص ٩١ - ٩٤.

(٢) راجع د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى ص ٨٠ الأب آى . بى . براناتيس: فضائح التلمود ص ٢٦ - ٢٧ دائرة المعارف اليهودية العامة نقلا عن ظفر الإسلام خان: للتلمود تاريخه وتعاليمه ص ١٥ - ١٦. أما الفصول الخاصة بهذه الأقسام الستة فقد عرضها د/ حسن ظاظا بالتفصيل من ص ٨١ - ٨٨ والأب آى . بى . براناتيس: فضائص التلمود ص ٢٨ - ٣٦ راجع أيضا ملحقات المشناة د/ - ٢١٧ -

## ٢- الجمارا:

اعتبرت "المشناة" الجزء الرئيسي والأساسي لـ "التلمود" كله واعتمده اليهود على أنه المرجع الرسمي الموثوق به لقانونهم فوزع على أكاديمياتهم في بابل<sup>(١)</sup> وعلى أكاديمياتهم في فلسطين<sup>(٢)</sup>.

وبدأت طبقات متعاقبة من أحبار اليهودية في الأكاديميتين تشرح نص المشناة شرحا مستفيضا وأودعت في خلاله ما أرادت الاحتفاظ به وإشاعته بين اليهود من شرائع وفتاوى وحكايات وأساطير وخرافات وتفرجات واستطادات في كل علم وفن دون ترتيب أو تخطيط<sup>(٣)</sup>.

ثم أخذوا يدونون هذه الشروح حتى تكون فيما بعد ما يعرف باسم "الجمارا" الذي يشكل القسم الثاني من التلمود<sup>(٤)</sup>.

وبذلك بدأ شرح "الجمارا" في بيئتين مختلفتين هما فلسطين غربا والعراق شرقا وقد أدى هذا إلى ظهور تلمودين اثنين:

## ١- التلمود الأورشليمي:

وسمى بذلك تمسحا في مدينة أورشليم وتبركا بها، وكان يهود العراق يسمونه

---

حسن ظاذا: المصدر السابق ص ٨٩ - ٩٠.

(١) كانت مراكز البحث العلمي والديني في العراق موزعة على ثلاث نقاط:

نهر دعة في إقليم ما بين النهرين شمال العراق إلى الجنوب الشرقي من مدينة الرها وأطلق عليه أكاديمية "نهاديا".

وبلدة سورة القريبة من بغداد في إقليم الجزيرة بوسط العراق وتسمى أكاديمية "سورا" ثم ظهرت أخيرا قاعدة ثالثة للنشاط اليهودي التلمودي في مدينة عانة وسميت بأكاديمية "بوما ديثا".

(راجع فضائع التلمود ص ٢٣ الفكر الديني ص ٩٤).

(٢) أما في فلسطين فكانت هناك ثلاثة مراكز أيضا في شمال البلاد هي: طبرية، وقيسارية وزفورية، وأطلق عليها أكاديميات: تيرياس، أيامينا فدا، المصدران السابقان).

(٣) د/ حسن ظاذا: المصدر السابق ص ٩٥ - ٩٦.

(٤) الأب أي . بي . براناتيس: فضائع التلمود ص ٢٣.

- ٢١٨ -

أيضا بالتمود الغربى بحكم وجود فلسطين فى الناحية الغربية من العراق كما أطلقوا عليه اسم تلمود أرض إسرائيل<sup>(١)</sup>.

هذا ويتفق التلمودان فى النص أى "المشنا" فمشنا التلمود البابلى هى بعينها مشنا التلمود الأورشليمي<sup>(٢)</sup>.

## ٢- التلمود البابلى:

وسمى بذلك الاسم تذكيرا بقوة البحث الدينى فى العراق منذ السبى البابلى، ولأن العراق كانت منذ ذلك الوقت تسمى عند اليهود "بابل" ويطلق على هذا التلمود "التلمود الشرقى".

ولكنهما يختلفان فى الشروح أى "الجمارا" من عدة وجوه:

١- يغطى التلمود البابلى بشرحه كل نص المشنا، بينما ظل التلمود الأورشليمي ناقصا لا يشرح إلا بعض المشنا فقط<sup>(٣)</sup>. فالشروح فى التلمود البابلى تعادل أربعة اضعافها أو أمثالها فى التلمود الأورشليمي<sup>(٤)</sup>.

٢- يكتفى الأورشليمي بالشرح أو التحليل لنص المشنا مع سرد مناقشة غير مطولة بين الأحبار، ويعرض فى نهاية القول المرجع والأمر الفصل فى كل نظرية فقهية ومعاملة تشريعية.

---

(١) راجع د/ إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون: حياته ومصنفاته ص ٤٦ د/ حسن ظاذا الفكر الدينى ص ٩٦ - ٩٧ شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين ص ١١٣ مطبعة المقتطف بمصر ١٩٠٤م. (هذا ومن المعلوم أن التلمود الأورشليمي لم يدون فى أورشليم وإنما فى فلسطين لكنه سمى بذلك تبركا بأورشليم كما قلت ولذلك فإن ول ديورانت وغيره يسمونه بالتلمود الفلسطينى).

(٢) راجع المصادر السابقة.

(٣) د/ حسن ظاذا: المصدر السابق ص ٩٧.

(٤) ول ديورانت: المصدر السابق ص ١٤ - شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين ص ١٤ (وقيل إن مادة التلمود الأورشليمي ثلث مادة التلمود البابلى) محمد صبرى: التلمود شريعة بنى إسرائيل حقائق ووقائع ص ١٠ مكتبة مدبولى بالقاهرة.

أما التلمود البابلي فيفتح الباب على مصراعيه لمناقشات طويلة لا تنتهي إلى قول مرجح ويبدو فيه أن المناقشة جاءت لتمرين عقلي وتدريب منطقي وهو مشتمل على نظريات كثيرة في الفلك والطبيعة وكل ما كان يشغل بال اليهود إلى القرن الخامس الميلادي<sup>(١)</sup>.

٣- كتب التلمود الأورشليمي باللغة العبرية التي تتخللها عبارات بالآرامية الغربية بينما التلمود البابلي كتب أغلبه بالآرامية الشرقية نسجت فيها عبارات بالعبرية ويتضمن كلمات عبرية وسريانية ولاتينية وكلدانية<sup>(٢)</sup>.

٤- كان أحبار اليهود في بابل يحظون بثقة أرسخ من ناحية التبحر والفكر الديني مما كان يحظى به شراح فلسطين بحيث بقي التلمود البابلي بعد ذلك يتمتع بتقدير أعظم في أعين اليهود من التلمود الأورشليمي<sup>(٣)</sup> حتى أصبح التلمود البابلي الكتاب القياسي المعتمد للدين اليهودي<sup>(٤)</sup>.

وبذلك فإن التلمود يتألف من: المشنا والجمارا، والجمارا بدورها تنقسم إلى شرحين مختلفين كونا فيما بعد: الجمارا البابلية، والجمارا الأورشليمية وبإضافة المشنا إليهما يخرج لنا تلمودان:

التلمود الأورشليمي (مشنا وجمارا) التلمود البابلي (مشنا وجمارا).

ويذكر ول ديورانت أن الأمورائيم كانوا يطلقون لفظ التلمود على المشنا فقد لكن في الاستعمال الحديث فإن لفظ التلمود يشتمل على المشنا والجمارا<sup>(٥)</sup>.

(١) إسرائيل ولفنسون: موسى بن ميمون ص ٤٦.

(٢) التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ١٠ ترجمة وإعداد محمد صبرى نشر مؤسسة دار الهلال ظفر الإسلام خان: التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٢٩.

(٣) د/ حسن ظاظا: المصدر السابق ص ٩٧.

(٤) د/ صبرى جرجس: التراث اليهودى الصهيونى ص ٨٩.

(٥) قصة الحضارة (١٤) عصر الإيمان ص ١٤.

وقد مر تدوين التلمود على صورته الراهنة بمراحل ثلاث:

المرحلة الأولى: مرحلة الـ "تنائيم" أى المعلمين الذين دونوا المشناة وبدأت هذه المرحلة بعد تدمير الرومان لأورشليم عام ٧٠م.

المرحلة الثانية: مرحلة "الأمورائيم" أو "العمورائيم" أى للشرائح، وبدأت هذه المرحلة إلى حد ما منذ المرحلة الأولى واستمرت إلى أواخر القرن الخامس الميلادى.

المرحلة الثالثة: مرحلة "المصيورائيم" أى المحققين أو المناطق، وقد امتدت إلى منتصف القرن السابع الميلادى<sup>(١)</sup>.

هذا وتوجد إلى جانب نص التلمود الأورشليمى والبابلى نصوص أخرى تنتمى إلى نفس الأسلوب ولكنها لم تدخل فى صميم التلمود وإنما بقيت خارجة عنه كأنها هى بالنسبة له نصوص برانية أو "أبو كريفا"، ومع ذلك فمعظم هذه النصوص ينشر على أنه ملحق بطبعات التلمود الشائعة<sup>(٢)</sup>.

وقد كثرت الشروح والحواشى والمقدمات المؤلفة على التلمود وقام كثير من علماء اليهود بمحاولات لإعادة ترتيب التلمود<sup>(٣)</sup>. وطبع التلمود طبعات كثيرة، وكان ينشر كاملا فى أول الأمر، لكن كثيرا من عباراته حذفت فى طبعات بعد أن

---

(١) راجع بتوسع تفاصيل هذه المراحل الثلاث: ول ديورانت: قصة الحضارة (١٤) ص ١٠ - ١٥ الأب آى . بى . براناتيس: فضائح التلمود ص ٢٢ - ٢٦، ظفر الإسلام خان: التلمود تاريخه وتعاليمه ص ١٨ - ٢٤، شاهين مكاريوس: تاريخ الإسرائيليين ص ١١١ - ١١٤ د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى ص ٧٨ - ٧٩ - ٩٠ - ٩١ عجاج نويهض: بروتوكولات حكماء صهيون الجزء الرابع من المجلد الثانى ص ١٥٩ - ١٦٣ الطبعة الأولى دار الجليل للنشر - عمان ١٩٨٤م.

(٢) راجع تفاصيل هذه النصوص: د/ حسن ظاظا: الفكر الدينى الإسرائيلى ص ١٠٢ - ١٠٣.

(٣) وأشهرهم موسى بن ميمون (راجع تفاصيل ذلك: إسرائيل ولفنسون: (موسى ابن ميمون) ص ٤٦ - ٤٩ الطبعة الأولى لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٥هـ / ١٩٣٦م، راجع أيضا د/ حسن ظاظا: المصدر السابق ص ١٠٤ - ١٠٦.

تعرض للحرق مرارا<sup>(١)</sup> بسبب ما كان يحتويه من مطاعن بذیئة ضد المسيحية ومن تهجم فاحش على المسيح ونوايا شريرة - بالنسبة للمسيحيين<sup>(٢)</sup>.

وقد ظهرت الطبعة الأولى الكاملة للتلמוד البابلي في اثني عشر مجلدا من القطع الكبير من ١٥٢٠ إلى ١٥٢٣ م.

أما الطبقات اللاحقة بعد ذلك فقد حذفت منها الكثير من العبارات البذیئة وترك مكانها شاغرا<sup>(٣)</sup>.

### أهمية التلمود وخطورته عند اليهود :

ويعتبر التلمود من أندر الكتب الموجودة في عالمنا على الإطلاق<sup>(٤)</sup> ويعد وثيقة من أهم الوثائق في التراث اليهودي، إذ كان لا يزال موضع التبجيل ككتاب مقدس يقف على قدم المساواة في نظر الكثيرين من اليهود مع التوراة بالإضافة إلى أنهم يعتبرونه موسوعة ضخمة لا غنى عنها في دراسة اليهودية، موسوعة تتضمن الدين والشرائع والآداب والتأملات الميتافيزيقية والعلوم الطبيعية، والفلك والقصص الشعبي ممتزجة جميعا بألوان مختلفة من الفكر الخرافي<sup>(٥)</sup>.

بل إن بعض اليهود يرى أن التلمود أعظم من التوراة فهو ليس على قدم المساواة معها في قدسيته فحسب وإنما يفوقها بدرجات وعلى ذلك فإنهم يقدسونه أكثر من

---

(١) وآخر ما عرف من مناسبات حرقه ما حدث في بولندا في أواسط القرن الثامن عشر.

(٢) راجع تعاليم التلمود فيما يتعلق بالمسيح والمسيحيين: الأب آي . بي . براناتيس: فضائع التلمود وتعاليم الخاخامين السرية ص ٥٥ - ١٥١ أعداد زهدى الفائح دار النفائس - بيروت.

(٣) وذلك تطبيقا لقرار المجمع الديني لليهود في بولونيا عام ١٦٣١ من هذه الطبقات: طبعة امستردام ١٦٤٤، وطبعة براغ عام ١٧٣٩، طبعة وأرسو عام ١٧٦٩ م (راجع طبقات التلمود: د/ حسن ظاظا: الفكر الديني ص ١٠٦ - ١٠٨، ظفر الإسلام خان: التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٢٧ - ٢٨ د/ صبرى جرجس التراث اليهودي الصهيوني ص ٩٠ محمد صبرى: التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٩).

(٤) محمد صبرى: التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٥ (راجع حول حرق التلمود واعدامه) ظفر الإسلام خان: التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٤٠ - ٤٩.

(٥) د/ صبرى جرجس: التراث اليهودي ص ٨٨.

تقديسهم للتوراة، ولهم في هذا أقوال واضحة وصریحة فوق ما هی علیه من شطط في الرأى وكفر في الاعتقاد.

**جاء في صحيفة من التلمود ما نصه:** "إن من درس التوراة فعل فضيلة لا يستحق المكافأة عليها، ومن درس (المشنا) فعل فضيلة استحق أن يكافأ عليها، ومن درس (الجامارة) فعل أعظم فضيلة.

**وجاء في كتاب (جاجيجا):** "من احتقر أقوال الحاخامات استحق الموت أكثر ممن احتقر أقوال التوراة، ولا خلاص لمن ترك تعاليم التلمود واشتغل بالتوراة فقط، لأن أقوال علماء التلمود أفضل مما جاء في شريعة موسى".

**وجاءت أقوال الحاخامات مطابقة لهذا المبدأ:** يقول الحاخام "روسكى" المشهور "التفت يا بنى إلى أقوال الحاخامات أكثر من التفتك إلى شريعة موسى".

وذكر في كتاب أحد الحاخامات المؤلف سنة ١٥٠٠م هذا القول "إن من يقرأ التوراة بدون المشنا والجامارا فليس له إله".

فهم يعتقدون أن لكل الحاخامات سلطة إلهية، وكل ما قالوه يعتبرونه صادرا من الله:

يقول الرابى مناحم، كباقي الحاخامات إن الله تعالى عما يقولون علوا كبير يستشير الحاخامات على الأرض عندما توجد مسألة معضلة لا يمين حلها في السماء!!

وذكر في التلمود "أن الحامامات المتوفين مكلفون بتعليم المؤمنين في السماء". وجاء في كتاب يهودى اسمه "كرافت" مطبوع في سنة ١٥٩٠: "اعلم أن أقوال الحاخامات أفضل من أقوال الأنبياء، وزيادة على ذلك يلزمك اعتبار أقوال الحاخامات مثل الشريعة، لأن أقوالهم هي قول الله الحى، فإذا قال لك الحاخام إن يدك اليمنى هي اليسرى وبالعكس فصدق قوله ولا تجادله، فما بالك إذا قال لك إن اليد اليمنى هي اليمنى واليسرى هي اليسرى".

وقال أحد علماء اليهود المسمى ميمونيد المتوفى في أوائل القرن الثالث عشر "مخافة الحاخامات هي مخافة الله".

وجاء في التلمود "أن من يجادل حاخامه أو معلمه فقد أخطأ، وكأنه جادل العزة الإلهية"!! سبحان الله وتعالى عما يقولون علوا كبيرا. بل إن الحاخام مناحم يذكر أن أقوال الحاخامات المناقضة لبعضها إنها كلام الله - تعالى - مهما وجد فيها من التناقض، فمن لم يعتبرها. أو قال إنها ليست أقوال الله فقد أخطأ في حقه تعالى".

وذكر في كثير من اكتب اليهود: "أن أقوال الحاخامات المناقضة لبعضها منزلة من السماء، ومن يحتقرها فمشواه جهنم وبئس المصير".

وجاء في التلمود (صفحة ٧٤) "إن تعاليم الحاخامات لا يمكن نقضها ولا تغييرها ولو بأمر الله! وقد وقع الاختلاف بين البارى (تعالى الله عما يقولون علوا كبيرا) وبين علماء اليهود في مسألة، فبعد أن طال الجدل تقرر إحالة فصل الخلاف إلى أحد الحاخامات الرابيين، واضطر الله (سبحانه وتعالى) أن يعترف بغلطة بعد حكم الحاخام المذكور".

وهذه العصمة المزعومة لا تختص فقط بالحاخامات بل بكل ما يتعلق بهم أيضا كما يقول الدكتور روهلنج حيث يذكر أنهم يقولون "غن حمار الحاخام لا يمكن أن يأكل شيئا محرما"<sup>(١)</sup>!!

---

(١) راجع هذه الأقوال وأمثالها في كتاب "الكنز المرصود في قواعد التلمود ص ٥٠ - ٥٣ وهذا الكتاب ترجمة لكتابين فرنسيين ترجمهما الدكتور يوسف نصر الله إلى العربى أحدهما كتاب للدكتور روهلنج بعنوان "اليهودى على حسب التلمود" وتكلم فيه عن مضامين التلمود ومنشئه وتكوينه ومخطوطاته وطبعاته المتعددة منذ القرن الخامس عشر الميلادى، وما فيه من عقائد خطيرة مذهلة تحير العقول، وخرافات عجيبة لا يكاد يصدق الإنسان أن تكون عقائد تعبدية لولا نصوصها المنقولة عن التلمود، وفي كتاب الدكتور روهلنج هذا من المعلومات الهامة عن التلمود ما يصعب جدا على الباحث أن يستقصيه من مصادر أخرى.

والكتاب الثانى هو كتاب شارل لوران بعنوان (تاريخ سورية لسنة ١٨٤٠م تكلم فيه عن حادثة ذبح اليهود للقسيس الأب توما وخادمه إبراهيم عمار، وستحدث عنه في الفصل الخاص بأهم حوادث الذبح البشرى).

هذا وقد طبع كتاب "الكنز المرصود" بمصر سنة ١٨٩٩م ثم نفدت نسخه ولم يجدد طبعه حتى أصبحت نسخه في حكم المخطوط النادر ثم قامت دار القلم بدمشق بطبعه سنة ١٩٨٧م مع إضافة مقدمتين هامتين لكل من الأستاذ/ مصطفى أحمد الزرقا والدكتور/ حسن ظاظا.



ولعل من نافلة القول أن نشير على أن التلمود بما يحتويه - من عقائد خرافية وشرائع همجية وأساطير شعبية<sup>(١)</sup> - لا يمكن أن يكون من الكتب المنزلة كما يزعم اليهود، لأن ما يحتويه من التعاليم مناف لجميع الديانات والشرائع، وليس من حق الحاخامات أن يزعموا أنهم رسل مكلفون بتبليغ رسالة من قبل الله حتى وكتبوا أقوالا لا علاقة لها بالرسالات السماوية أو بالشرائع السماوية.

**وما أصدق ما قاله الدكتور جوزيف باركلي عن التلمود:**

"بعض أقوال التلمود مغال، وبعضها كرية، وبعضها الآخر كفر، ولكنها تشكل في صورتها "المخلوطة" أثرا غير عادي للجهد الإنساني وللعقل الإنساني، وللحماقة الإنسانية"<sup>(٢)</sup>.

وصدق الله العظيم إذ يقول في قرانه الحكيم ﴿قَوْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا قَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَقَوْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

وقد اخبر سبحانه عن اليهود أنهم اتخذوا أحبارهم أربابا من دون الله وأنهم ما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا شريك له فقال تعالى عنهم وعن النصارى، ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَنَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾<sup>(٤)</sup>.

ولعل اتخاذ اليهود أحبارهم أربابا من دون الله يتجلى أعظم ما يتجلى في تقديسهم

(١) راجع عقائد اليهود وتصوراتهم عن الله سبحانه من خلال التلمود في الفصل الخاص ببيان مظاهر تأثر اليهودية في عقائدهم بالأديان القديمة في خلال رسالتي للدكتوراه.

(٢) راجع محمد صبرى: التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٥ - ٦ - ١٣ ظفر الإسلام خان: التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٩١.

(٣) البقرة: ٧٩.

(٤) التوبة: ٣١.

للتلمود وتفضيلهم ما جاء فيه من أقوال حاخامتهم على أحكام الله إن وجدت لديهم<sup>(١)</sup>.

### دور التلمود في قيام الذبائح التلمودية:

إذا كان قد تبين لنا من خلال أسفار العهد القديم<sup>(٢)</sup> ما وقع فيه اليهود وما قاموا به من ارتكاب جريمة القرابين البشرية وممارستهم لهذه العادة البربرية الوحشية مخالفين بذلك ما تنادى به تواراة نبيهم موسى عليه السلام ومتأثرين في ذلك بجيرانهم من الوثنيين ومندفعين بطبيعتهم الإجرامية وقلوبهم القاسية الصلدة التي هي كالحجارة أو أشد قسوة.

﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾<sup>(٣)</sup>.

حيث قدموا أبناءهم وبناتهم فلذات أكبادهم بعد أن حرقوهم قربانا لآلهة الوثنيين أو قربانا لإلههم (يهوه) الذي تصوره بصورة وثنية.

إذا كان هذا هو ما بينته أسفار العهد القديم فإن أسفار التلمود تبين لنا ما هو أشنع من هذا كله وأشد دلالة على وحشية اليهود وفساد عقائدهم ومدى عداوتهم للأجناس الأخرى من بنى الإنسان على وجه العموم.

فأسفار تلمودهم - كما يذكر الدكتور/ على عبد الواحد وافي - تحثهم على ذبح الآدميين من غير بنى إسرائيل وتقديمهم قربانا لإلههم ومزج دمائهم بعجين الفطائر المقدسة التي يتناولونها في أعيادهم وأفراحهم الدينية، وبخاصة عيد الفصح وعيد

(١) راجع ما كتبه حول تفسير هذه الآية الكريمة، وبيان كيفية عبادة اليهود لأجبارهم في رسالتي للدكتوراه.

(٢) راجع الفصلين الأول والثاني من هذا الباب حيث تحدثنا فيهما عن القرابين البشرية عند اليهود.

(٣) البقرة: ٧٤.

استير ومراسيم ختان الأطفال واستخدام هذه الدماء في طقوس سحرهم وشعوذتهم، وتزعم هذه الأسفار أن ذلك من أفضل ما يتقربه اليهودى إلى ربه وما تقربه عين إلههم<sup>(١)</sup>."

فديانة اليهود - بعد ما تلاعبت بأصولها وحرفتها أيدي أحبارهم - تأمرهم أن يتعبدوا بشرب دماء البشر من غير اليهود ولاسيما المسيحيين والمسلمين وباستباحة أرواحهم وأعراضهم ووجوب خيانتهم والغدر بهم وغشهم واجتناب إغاثة أحد منهم أو إنقاذه أو مداواته إلا للتجربة أو للاضطرار أو سترا للمقاصد والعقائد اليهودية السيرة إلى غير ذلك من العقائد المنكرة الخطيرة القائمة على الحقد العام والامتهان لبنى البشر أجمعين!!

وتبرير ذلك نظريا بأن كل الناس سوى اليهود - فى نظرهم - ليسوا فى الحقيقة سوى بهائم من الحيوان فى صورة بشر فليس لهم حرمة ولا ذمة ولا يلتزم اليهود تجاههم بأى التزام إنسانى أكثر مما يلتزم تجاه بهيمة خلقت لمصلحته يفعل بها ما يشاء ما استطاع إلى ذلك سبيلا<sup>(٢)</sup>.

جاء فى كتاب "بوليميك" أن لحم الأدميين لحم حمير، ونظفتهم نطفة حيوانات غير ناطقة!! أما ليهود فإنهم تطهروا على طور سيناء، والأجانب تلازمهم النجاسة ثالث درجة من نسلهم ولذلك أمرنا بإهلاك من كان غير يهودى!!

ويعامل التلمود الأجانب على أنهم كلاب أيضا بجانب أنهم حمير بل ذكر فى بعض كتب اليهود أن الكلب أفضل من الأجانب، لأنه مصرح لليهودى فى الأعياد أن يطعم الكلب، وليس له أن يطعم الأجانب، وغير مصرح له أيضا أن يعطيهم لحما، بل يعطيه للكلب لأنه أفضل منهم.

وقال الرابى مناحم "أيها اليهود، إنكم من بنى البشر لأن أرواحكم مصدرها روح الله، وأما باقى الأمم فليست كذلك، لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة.

(١) الأسفار المقدسة فى الأديان السابقة للإسلام ص ٣٤ اليهودية واليهود ص ٤٣.

(٢) مصطفى الزرقا: مقدمة كتاب الكنز المرصود ص ٩.

وكان هذا رأى الحاخام (أريل) لأنه كان يعتبر الخارجين عن دين اليهود خنازير تجسة تسكن الغابات، ويلزم المرأة أن تعيد غسلها إذا رأيت عند خروجها من الحمام شيئاً نجساً ككلب، أو حمار، أو مجنون، أو أمى ... يقول والخارج عن دين اليهود حيوان على العموم، فسمه كلباً أو حماراً أو خنزيراً، والنطفة التي هو منها هي نطفة حيوان.

ويقول التلمود: "اقتل الصالح من غير الإسرائيليين، ومحرم على اليهودى أن ينجى أحداً من باقى الأمم من هلاك، أو يخرج من حفرة يقع فيها لأنه بذلك يكون قد حفظ حياة أحد الوثنيين، وجاء فى صحيفة أخرى "إذا وقع أحد الوثنيين فى حفرة يلزمك أن تسدها بحجر، وزاد الحاخام (رشى) أنه يلزم عمل الطرق اللازمة لعدم خلاص الوثنى المذكور فيها"<sup>(١)</sup>.

وقال (ميموند) الشفقة ممنوعة بالنسبة للوثنى، فإذا رأيت واقعا فى نهر أو مهدداً بخطر، فيحرم عليك أن تنقذه منه، لأن السبعة شعوب الذين كانوا فى أرض كنعان المراد قتلهم من اليهود لم يقتلوا عن آخرهم بل هرب بعضهم واختلط بباقى أمم الأرض، ولذلك قال "ميموند" إنه لزم قتل الأجنبى، لأنه من المحتمل أن يكون من نسل السبعة شعوب، وعلى اليهودى أن يقتل من تمكن من قتله، فإذا لم يفعل ذلك يخالف الشرع.

وجاء فى التلمود أن أحد اليهود إذا وجد كافراً (غير اليهودى) فى حفرة فعليه أن لا يخرج منها، حتى لو وجد فيها سلماً يمكن الكافر أن يخرج بواسطته منها وجب على اليهودى نزع محتجاً بأنه أخرجه حتى لا ينزل عليه قطيعه، وإذا وجد حجراً بجانب الحفرة وجب عليه وضعه عليها، وقال التلمود "من العدل أن يقتل اليهودى بيده كل كافر، لأن من يسفك دم الكافر يقرب قرباناً لله"<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع الدكتور روهلنج فى القسم الأول من كتاب الكنز المرصود ص ٦٦ - ٦٧ / ٧٣ - ٧٧ / ٩٠ - ٩٨ وراجع أيضاً حث التلمود على قتل واحتقار المسيحيين فى كتاب فضح التلمود ص ٧٧ - ١٥٥ .

(٢) راجع الكنز المرصود ص ٩١ .

ويذكر الدكتور/ روهلنج أنه إذا ذكر في كتب اليهود أو تعاليمهم الحاخامية أنه مفروض على اليهود قتل الكافر، وأنه له الحق في إهلاكه يكون المقصود من ذلك ليس خصوص الأمم السالفة، وليس المسيحيين على وجه الخصوص،

بل المراد ما يعمهم ويعم الأمم الموجودة الآن الخارجين عن مذهب اليهود<sup>(١)</sup>.

ويذكر الحاخام (أباربانيل) أن المرأة غير اليهودية تعد من الحيوانات، وأن الله خلق الأجني على هيئة الإنسان ليكون لائقاً بخدمة اليهود الذين خلقت الدنيا لأجلهم، لأنه لا يناسب لأمر أن يخدمه ليلاً ونهاراً حيوان وهو على صورته الحيوانية، كلا ثم كلا، فإن ذلك منابذ للذوق والإنسانية كل المنابذة، فإذا مات خادم ليهودي أو خادة، وكانا من المسيحيين فلا يلزمك أن تقدم له التعازي بصفة كونه فقد إنساناً، ولكن بصفة كونه فقد حيواناً من الحيوانات المسخرة له<sup>(٢)</sup>!!

وهكذا ذهب الغرور بالتلموديين كل مذهب في الأعصر الخالية، فتصروا أن أنفسهم من طينة أرفع من طينة باقي العالم، وأن بقية النوع الإنساني الذين لم يعتنقوا الديانة الإسرائيلية خدم لهم كغيرهم من الحيوانات غير العاقلة.

ولما كانوا - كما يقول الدكتور/ يوسف نصر الله - يخفون تعاليمهم ومبادئهم، ولم يروا لهم ضداً ذا بال يردعهم عن أفعالهم الوحشية، طمحووا في تيه ضلالهم حتى خيل لهم أن ما في السماوات والأرض مخلوق لهم ونصبوا أنفسهم آلهة، لأنهم كانوا يعتقدون أن لهم القدرة على تحليل يمين الله وعدم حنثه بها، وأنه أتى أمراً فرياً لما جعل الأمة اليهودية تمسة، وأنه يبكي وينوح حيث صرح بهدم بيت المقدس - سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً<sup>(٣)</sup> - واستبدت الحاخامات فلا شريعة لهم

---

(١) جاء في التلمود أن الكفاء كما قال الحاخام "أليعازر" هم يسوع المسيح ومن اتبعه، وقال الرابي (يهودكيا) إن هذه اللفظة تشتم الوثنيين على العموم ويقصد بهم غير اليهود فكل الشعوب ما عدا اليهود - كما قال حاخاماتهم - وثنيون. راجع ذلك بالتفصيل في الكنز المرصود ص ١٠٣ - ١٠٧.

(٢) د/ روهلنج: اليهودي على حسب التلمود ص ٧٥ من الكنز المرصود.

(٣) راجع عقائد اليهود في الإله من خلال التلمود في رسالتي للدكتوراه.

سوى مرادهم، ولا قانون يرددهم سوى هواهم، فأمرؤا بسوء معاملة باقى الشعوب، وقتل أولادهم، واستنزاف دمهم وثروتهم، واعتبارهم بصفة حيوانات غير متفكرة، وبالجملـة فكانوا يتصرفون فيهم تصرف المالك فى ملكه، وسموهم: الأجانـب والوثنيين<sup>(١)</sup>.

فاتبع بعض اليهود فى ذلك الوقت هذه الخطة الوحيدة، وقست قلوبهم وارتكبوا جملة من الذبائح البشرية ليحصلوا على دم يدعون أنه نافع لهم وتأمر ديانتهم باستعماله.

ولما تكرر منهم هذا الفعل الفظيع، عقدت جلسة حافلة فى سراى الملك لويس التاسع فى باريس فى ٢٤ يونيو ١٢٤٠م تحت رئاسة الملك بلانش، وتم فى هذه الجلسة فحص ما ادعى به على اليهود من الأمور المنكرة، ومن جملتها استنزاف الدم البشرى حملا على اعتقاداتهم الدينية، وعلى ما جاء فى تلمودهم، ولما لم يتمكنوا فى إخفاء حقيقة ما نسب إليهم أقرؤا به، وقد تحصل وقتئذ من ترجمة نصوص تلمودهم ما يعتقدون به وكانوا يخفونه من قبل<sup>(٢)</sup>.

ونقل الدكتور الألمانى إريك بسكوف المتخصص فى دراسة تعاليم اليهود وتمحيصها عن كتاب يهودى ما نصه:

"إن من حكمة الدين وتوصياته قتل الأجانـب الذين لا فرق بينهم وبين الحيوانات، وهذا القتل يجب أن يتم بطريقة شرعية والذين لا يؤمنون بتعاليم الدين اليهودى وشريعة اليهود يجب تقديمهم قرابين إلى إلهنا الأعظم".

واعترف السير ريتشارد بورثون الذى درس التلمود وعلاقته بغير اليهود فى كابه "اليهود، النور والإسلام" الذى نشر سنة ١٨٩٨ بقوله فى ص ٧٣.

"إن أهم نقطة فى المعتقدات اليهودية الحديثة هى أن الأجانـب أى الذين لا

(١) مقدمة الكنز المرصود ص ٢٦ - ٢٧.

(٢) راجع تفاصيل ذلك فى المصدر السابق ص ٢٧ - ٢٨.

- ٢٣٠ -

ينتمون إلى الدين اليهودى ليسوا سوى حيوانات متوحشة حقوقها لا تزيد عن حقوق الحيوانات الهائمة فى الحقول"

وعلى الصفحة رقم ٨١ من الكتاب نفسه يقول أيضا:

"يقول التلمود: عندنا مناسبتان دمويتان ترضيان إلهنا يهوه إحداهما عيد الفطائر الممزوجة بالدماء البشرية والأخرى مراسيم ختان أطفالنا"<sup>(١)</sup>.

وهاتان المناسبتان الدمويتان وغيرهما وما يجرى فيهما من طقوس وما يحدث فيها من مراسيم، كل هذا وغيره موضوع الفصل التالى.

---

(١) راجع عبد الله التل: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص ٧٩ - ٨٠ نشر دار القلم بالقاهرة الطبعة الثانية / راجع أيضا إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل والتلمود: دراسة تحليلية ص ١٠٣ - ١٠٤ نشر مكتبة الوعى العربى بالقاهرة ١٩٨٣ م.  
- ٢٣١ -

## الفصل الرابع

### مراسم وطقوس استنزاف الدم البشري من غير اليهود

لقد سبق أن أشرنا في الفصل السابق إلى ما ورد في التلمود كما يحكى اليهود من أن هناك مناسبتين دمويتين ترضيان إلههم (يهوه) إحداها عيد الفطائر الممزوجة بالدماء البشرية، والأخرى مراسيم ختان أطفالهم.

وفي هذا الفصل سنتحدث عن مراسم وطقوس اليهود في استنزافهم للدماء البشرية من غير اليهود وخصوصا المسيحيين والمسلمين في هاتين المناسبتين وغيرهما من المناسبات الدموية.

أما فيما يتعلق بالمناسبة الدموية الأولى فإن لليهود عيدين مقدسين لا تتم الفرحة بهما، ولا تكتمل السعادة فيهما، إلا بتناول الفطير المعجون والممزوج بدماء البشر وهما عيد الفصح، وعيد البوريم.

وينبغي قبل أن نتحدث عن ارتباط هذين العيدين بالذبائح البشرية أن نتعرف عليهما وعلى جذورهما التاريخية.

#### عيد الفصح:

هذا العيد هو من الأعياد الرئيسية عند اليهود ويحتفلون به في الخامس عشر من شهر تيسان من السنة اليهودية، ويسميه بعض المستعربين من علماء اليهود "الفصح"<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع د/ حسن ظاها: الفكر الدينى الإسرائيلى (أطواره ومذاهبه) ص ٢١٨ نشر معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١ م.

الأب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص ٤٠٧.



وقد اكتسب هذا العيد على مر العصور أكثر من اسم لكل منها معناه ومغزاه وأشهر هذه الأسماء:

١- الفصح، أو الفسح، وأصل معناها القديم باللغة العبرية: الخطو والعبور والمرور، وهذا الاسم يذكر اليهودى بأكثر من شيء:

(أ) مرور ملك العذاب فوق أرض المصريين دون المساس باليهود<sup>(١)</sup>.

(ب) مرور الشتاء ليفسح المجال للربيع.

(ج) عبور اليهودية من العبودية إلى الحرية.

(د) عبور البحر مع موسى<sup>(٢)</sup>.

وبناء على هذه التسمية يرتبط هذا العيد بخروج بنى إسرائيل من مصر فكان الإسرائيليون يحتفلون به إبان إقامتهم في مصر بذبح حمل أو ماعز ودهن الأعتاب وقوائم الأبواب بالدم إيعاداً للأرواح الشريرة النجسة<sup>(٣)</sup>.

وجاء في القاموس أن هذا العيد أنشئ في مصر تذكراً للحادث بلغ فيه خلاص بنى إسرائيل ذروته، حين ضرب الرب ليلاً كل بكر في مصر، وعبر عن بيوت بنى إسرائيل المرشوشة بالدم، والمقيمون فيها واقفون وعصيهم في أيديهم في انتظار الخلاص الموعود فكان المفروض أن تحفظ تلك الليلة للرب<sup>(٤)</sup>.

## ٢- عيد الفطير:

وقد سمي عيد الفصح أيضاً بعيد الفطير، لأن طقوسه توجب على اليهود أن يأكلوا فيه الخبز من عجين فطرى، لا يدخله الملح ولا الخميرة تذكيراً بأنهم عند

---

(١) راجع سفر الخروج ١٢: ١٣ - ١٤.

(٢) الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٢١٨ - ٢١٩.

(٣) د/ فؤاد حسنين على: اليهودية واليهودية المسيحية ص ٦٤. نشر معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٦٨ م.

(٤) قاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٨ - ٦٧٩ راجع أيضاً سفر الخروج الإصحاح الثانى عشر.

فرارهم مع موسى من وجه فرعون لم يكن لديهم الوقت ولا فراغ البال للتأنق في الخبز والانتظار على العجين حتى يخمر، وإن كان فطير الفصح قد أصبح في المجتمعات اليهودية أكثر أناقة بكثير من الخبز العادي.

ويضيف بعض شرائح الدين اليهودي مع ذلك أن خبز الفطير هذا فيه تذكير لليهود بمعيشة البداوة، وبالبؤس وشظف العيش<sup>(١)</sup>.

### ٣- موسم الحرية

ويسمى بذلك كذكرى لخلاص الشعب الإسرائيلي من عبودية المصريين، والخلاص من نير الفراعنة<sup>(٢)</sup>.

### ٤- عيد الربيع

ويسمى بالعبرية "حج ها أيب" وأيب هنا ليس هو الشهر المعروف في التقويم المصري القديم، ولكنها كلمة عبرية معناها الربيع ولذلك وقع هذا العيد عندهم في شهر نيسان اليهودي (مارس - إبريل)<sup>(٣)</sup>.

فهناك رواية في الأسفار الخمسة تقول إن الاحتفال بهذا العيد كان يقع في فصل الربيع إذ يختار يوم اكتمال القمر وتنحرف فيه الضحايا ليلا وتشوى الأضحية وتؤكل لوقتها مع الفطير، أما ما يتبقى من الأضحية فيحرق<sup>(٤)</sup>.

وقد ذكر كثير من العلماء أن عيد الفصح لا يرتبط في نشأته بذكرى الخروج من مصر وإنما جاء لاحقا لتاريخه.

يقول الأب ديلي إن عيد الفصح كان في الأصل هو عيد الرعاة حيث يقدمون فيه من غنمهم بواكير الربيع، إلا أنه قد تضمن فيما بعد معنى تاريخيا هو ذكرى الخروج من مصر<sup>(٥)</sup>.

(١) الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢١٩ راجع القاموس ص ٦٧٩.

(٢) تاريخ شعب العهد القديم ص ٤٠٧ الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢١٩.

(٣) الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢١٩.

(٤) خروج ١٢: ١٦ د/ فؤاد حسنين: اليهودية المسيحية ص ٦٤.

(٥) تاريخ شعب العهد القديم ص ١٥٩، ١٦٠.

ويذكر الدكتور حسن ظاذا أن اليهود قد حرصوا - على غرار الأمم الأخرى - على أن يكون لهم عيد كبير في البيع، وأعياد الربيع عند شتى الأمم تتقارب بالطبع في زمانها، وتختلف في مناسبتها التاريخية إلا أن اليهود يذكرون أن هذا العيد كان للاحتفال بالربيع خاصة.

ثم حدث أن تحدد خروج بنى إسرائيل من مصر مع موسى في هذا الوقت، فأصبح هذا العيد إحياء لذكرى نجاة بنى إسرائيل من فرعون، وخلصهم من العبودية في مصر، ومن هنا جاء اختيار أمثال سعديا الفيومي<sup>(١)</sup> من علماء اليهود أن يسموه "الفسح" أى الفرج بعد الضيق<sup>(٢)</sup>.

ويذهب الدكتور فؤاد حسنين إلى أن العادات المتبعة عند الاحتفال بهذا العيد لا تشير إلى الخروج من مصر بتاتا، كما أن صفات العيد ليست تاريخية بل متصلة بالطبيعة وبخاصة فصل الربيع واكتمال القمر وتضحية بعض أغنام فصل الربيع وقاية للماشية من الأوبئة التى كانت تنتشر فى ذلك الفصل من السنة لذلك تذبح الأضاحى ويؤتى بدمها تهدئة لغضب الأرواح الشريرة<sup>(٣)</sup>.

ويذكر ول ديورانت أن اليهود فى أول يوم من أيام الفصح اليهودى كانوا يذبحون حملا أو جديا ويأكلونه ويرشون دمه على الأبواب إشارة إلى أن هذا الدم هو نصيب الإله، ثم ربط الكهنة فيما بعد هذا العهد بعادة قتل يهوه لأبناء المصريين الأبنكار، وكان الحمل فى أول الأمر طوطما لإحدى القبائل الكنعانية، وكان عيد الفصح عند الكنعانيين عيد تقريب حمل لأحد الآلهة المحليين<sup>(٤)</sup>.

ويذكر الأب ديل أن الأعياد الزراعية التى كان يحتفل بها اليهود قديما قد انقلبت إلى ذكرى خروجهم من مصر<sup>(٥)</sup>.

---

(١) فى ترجمته العربى للتوراة.

(٢) الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٢١٨.

(٣) اليهودية واليهودية المسيحية ص ٦٤.

(٤) الشرق الأدنى الجزء الثانى من المجلد الأول من قصة الحضارة ص ٣٧٣ - ٣٧٤.

(٥) تاريخ شعب العهد القديم ص ١٧٣.

وتبدأ طقوس هذا العيد مساء اليوم الرابع عشر من نيسان وهو الذى يسمونه ليلة التفتيش عن الخميرة، ويجب فيه على اليهودى أن يتأكد من أن أية خبيرة تصلح للخبز قد أبعدت عن البيت تماما.

أما أهم أيام هذا العيد فهى اليومان الأولان واليومان الأخيران، بينما الأيام الأربعة الوسطى تكون أقل أهمية.

وكان يذبح خروف أو جدى بين العشاءين نحو غروب الشمس، ويشوى صحيحا، ثم يؤكل مع فطير وأعشاب مرة، وكان الدم المسفوك يشير إلى التكفير، أما الأعشاب المرة فكانت ترمز إلى مرارة العبودية فى مصر، والفطير إلى الطهارة<sup>(١)</sup>.

ولهذا العيد طقوس أخرى ومتنوعة لكنها معروفة وظاهرة، حيث إنها مدونة فى كثير من نصوص الأسفار الخمسة وبقية أسفار العهد القديم.

لكن الطقوس فى عصر التلمود حدث فيها تعديلات أو على الأقل أضيف إليها طقوس سرية لا يعلمها ولا يقوم بها أحد إلا الحاخامات الكبار الذين يؤتمنون على الأسرار الخطيرة.

### استنزاف الدم البشرى فى عيد الفصح

ومن أهم هذه الطقوس السرية التى ارتبطت بعيد الفصح فى عصر التلمود، هو تناول الفطير المعجون والممزوج بالدماء البشرية، ويشترط أن يكون الدم من غير اليهود، ويستحب أن يكون من المسيحيين أو المسلمين.

يذكر الحاخام ناوفيطوس<sup>(٢)</sup> أن اليهود فى عيد الفصح يصنعون الفطير بهيئات

---

(١) راجع تفاصيل الحديث عن طقوس عيد الفصح فى الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٢١٩ - ٢٢١ وقاموس الكتاب المقدس ص ٦٧٨ - ٦٨٠.

(٢) الحاخام ناوفيطوس هو مؤلف كتاب "إظهار سر الدم المكتوم" فكشف فيه الستار عن طريقة استنزاف دم الأطفال الجارية لدى اليهود، وقد طبع مع كتاب "صراخ البرئ فى بوق الحرية والذبائح التلمودية" لمؤلفه حبيب فارس يونيو ١٨٩١ م.

وسنورد نصه فى نهاية هذا الكتاب وكلمة عن هذا الحاخام وتركه للدين اليهودى.

شيطانية مختلفة الصور، ويصنعون رغيفا خصوصا ملثوثا عجينة بقليل من رماد الكتان المحكى عنه.

وفي الليلة الأولى من ليالى فصحهم لابد لكل يهودى حتى ولو كان حديث السن من أكل قطعة بقدر حبة الزيتون من هذا الرغيف، ويطلقون على الخبز الفطير اسم (أوفيكوايان).

والعدد الغالب منهم يأكلونه بعد أن يكونوا قد ملأوا رءوسهم خموراً (ومشروبات روحية) يغنون عليها بالتجاذيف على المسيح والأمة المسيحية وهم بين جدل وطرب<sup>(١)</sup>.

وذبائح هذا العيد - عيد الفصح - يتم اختيارها عادة من الأولاد الذين لا تزيد أعمارهم كثيرا على عشر سنوات، ويمزج دم الضحية بعجين الفطر قبل تحفيفه أو بعد تحفيفه<sup>(٢)</sup>.

### عيد البوريم أو الفوريم :

يرتبط هذا العيد فى أذهان اليهود ارتباطا وثيقا بالقصة أو الأسطورة المعروفة فى العهد القديم باسم "أسطورة استير ومردوخاي"<sup>(٣)</sup>.

وتقع حوادث هذه القصة أو تلك الأسطورة - حسبما وردت فى سفر استير - فى بلاد فارس القديمة حيث يجلس على عرشها (احشورش) أى (اكسرسيس ٤٨٥ - ٤٦٥ ق. م)<sup>(٤)</sup>.

وتتلخص أحداثها المزعومة فى أن استير هذه كانت فتاة جميلة فأحضرها ابن

---

(١) إظهار سر الدم المكتوم ص ٣٤٤.

(٢) عبد اله التل: خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص ٨١.

(٣) راجع الحديث بالتفصيل عن هذه الأسطورة فى رسالتى للدكتوراه فى الفصل الخاص بمظاهرة تأثير اليهودية بالأديان القديمة فى القصص الدينى والأساطير ص ٦١١ - ٦١٧.

(٤) د/ فؤاد حسنين على: التوراة الميروغليفية ص ١٧٠ - ١٧١ قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣.

عمها مردوخاى - الذى تبناها بعد موت أبيها - إلى شوش العاصمة الفارسية، وقد أقام الملك وليمة لعظمائه.

وإذ كانوا يحتسون الخمر، لعبت الخمر برأسه، فأمر أن يحضر امرأته الملكة (وشتى) كى يرى جمالها الرائع، ولكن "وشتى" رفضت أن تمتهن كرامتها، وأهاج رفضها نائرة الملك فأصدر وفقا لنصيحة مشيريه قرارا بحرمان الملكة "وشتى" من المثلول لديه، وأمر أن يتم البحث فى كل مملكته عن فتاة جميلة لتأخذ مكانة "وشتى".

فاختيرت استير ونصبت ملكة فى القصر، وقد أخفت جنسها ودينها، ونجحت فى إيقاع الشاة فى حبائلها والزواج به. وبذلك استطاعت أن تقدم - كما تحدثنا القصة - أجل الخدمات لأبناء جنسها المقيمين فى فارس.

فبعد أن اعتلت العرش بخمس سنوات، حدث أن ثار غضب هامان (أقرب المقربين إلى الملك) على مردوخاى لأنه رفض أن يقدم له الخضوع والإجلال، وأراد هامان أن ينتقم لنفسه لا بقتله مردوخاى فحسب بل بإبادة كل اليهود فى أنحاء الإمبراطورية الفارسية.

وتمكن هامان من أن يحوز رضا الملك ويأخذ موافقته على ذلك، ولكى يعضده الرعاع فى فعلته بإبادة اليهود زين لهم السلب والنهب وإشباع أطماعهم.

فما كان من استير إلا أن دخلت إلى الملك، وأخذت تحتال عليه حتى أحبطت محاولة هامان، ثم مكنت اليهود بعد ذلك من قتل ما لا يقل عن ثمانين ألف إيرانى.

ولم يطفىء هذا العدد ظمأها فى سفك الدماء بل تفننت فى تقتيل هامان وأولاده<sup>(١)</sup>.

وإذا كان السفر الذى يحمل اسم بطله هذه القصة قد شك فيه النقاد والمؤرخون

---

(١) راجع تفاصيل قصة استير ومردوخاى فى قاموس الكتاب المقدس ص ٦٣ - ٦٤ حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٥٩ - ١٦٠ د/ فؤاد حسنين على: التوراة الهيروغليفية ص ١٧٠ - ١٧١ د/ ظاظا: الفكر الدينى ص ٢٠٨ - ٢١٢.

من اليهود وغيرهم، وطعنوا في قدسيته، فإن العلماء قد انتهوا إلى أن هذه القصة ليست تاريخية<sup>(١)</sup> وإنما هي عبارة عن أسطورة يرسم بها مؤلفها الطريق للنساء الإسرائيليات أن يتخذن من جملهن وسيلة لخدمة بنى إسرائيل وخدمة أغراضهن<sup>(٢)</sup>.

وذكروا أنها وضعت لتشجيع اليهود على المثابرة والمصابرة في وجه العداء الشديد والكرهية البالغة، والاضطهاد المرير الذى كانوا يعانونه في العصر الإغريقي<sup>(٣)</sup>.

فقد تناولت هذه الأسطورة الحديث عن كراهية الفرس لليهود، واضطهادهم، وشحن فيها الكاتب قريحته، واستعمل خياله، وتمنى لو أن ملكة إيران كانت يوما يهودية، وكبير الوزراء أيضا، حتى ينتقم اليهود من منافسيهم انتقاما أشد.

ولهذا فهم يحتفلون ويعيدون في أحلام هذه الخيالات التى تجعل استير الأنثى لا تقتنع بمذبحة واحدة في يوم واحد في شوش، إلى جانب إظهار تعصب اليهود لبعضهم، ومحاولتهم نسبة الخير والفضيلة إليهم فقط، وهذا مظهر من مظاهر الأنانية اليهودية<sup>(٤)</sup>.

ومن أجل ذلك فإن سفر استير - بما يحتوى عليه من هذه الأسطورة - هو كتاب بعيد كل البعد عن الدين، إذ هو درس وضع صفيق عن كيفية دفع سلطة الغويم (الأميين) إلى تحطيم شعبها ثم وضعه تحت إمرة اليهود الماحقة والباطشة<sup>(٥)</sup>.

فهو يقوى نزوع اليهود إلى التعصب الدينى والعنصرى، وينفث روح الحقد والسخيمة على الأمم الأخرى، ويسوغ تأريث الفتن والمذابح فيها، واستئصال شأفة مناوئى اليهود أينما كانوا<sup>(٦)</sup>.

---

(١) راجع الاستدلال على عدم تاريخية القصة وبيان أنها أسطورة في رسالتى للدكتوراه.

(٢) د/ أحمد شلبى: اليهودية ص ٢٤٨.

(٣) حبيب سعيد: المدخل إلى الكتاب المقدس ص ١٦٠ الأب ديل: تاريخ شعب العهد القديم ص ٣٩٢.

(٤) التوراة الهبروغليفية ص ١٧٢.

(٥) التوراة تاريخها وغايتها ص ٤٤. ترجمة وتعليق سهيل ميخائيل ديب.

(٦) عصام الدين حفنى ناصف: محنة التوراة على أيدي اليهود ص ١١.

فهذا العيد لا مرتبط بذلك السفر وتلك القصة - كما يقول الدكتور حسن ظاها - لا يمت بصلة إلى رسول الله موسى عليه السلام ولا إلى شريعته، بل هو احتفال تذكاري متصل بملاسات ممهدة للعودة من السبي البابلي في القرن الخامس ق. م، بناء على وعد صدر من ملك الفرس إلى ممثلي الجالية اليهودية المقيمة عند الكلدانيين بالعراق، بأنه إذا تم له - بمساعدتهم طبعاً - دخول العراق وتدمير الدولة الكلدانية سيعيدهم إلى فلسطين - وبطبيعة الحال كان تقرير الاحتفال بتلك الذكرى وما علق بها من حكايات متأخراً بالنسبة لتلك الحوادث، وهو احتفال أشد التصاقاً بالسياسة منه بالدين فإنه يحظى في ظل الصهيونية الحديثة باهتمام خاص<sup>(١)</sup>.

ويذكر الدكتور حسن حفنى أن هذا العيد هو في الأصل عيد وثنى، ثم أصبح بمثابة عيد شعبي لليهود سمح للأخبار فيه بالخمر والسكر<sup>(٢)</sup>.

فبينما هذا العيد يسمى عيد البوريم أو الفوريم أو عيد النصيب<sup>(٣)</sup>، فإن الكتاب العرب كانوا يسمونه "عيد المسخرة" أو عيد "المساخر" والسبب في ذلك ما جرت به بعض تقاليد يهودية شعبية في هذا العيد من إسراف في شرب الخمر والسكر، ولبس الأقنعة والملابس التنكرية على طريقة المهرجان الكرنفال<sup>(٤)</sup>.

ويذكر الدكتور حسن ظاها أنه بالرغم من أن استير لم تكن غير شخصية قصصية منسج الخيال اليهودي الخصب (إذ لم يرق دليل واحد على وجودها تاريخياً، أو على ممارستها هي وقريبها مردخاي هذا النفوذ الواسع النطاق في القصر الإمبراطوري الفارسي).

بالرغم من ذلك فإن النزعة الصهيونية التي تصيب نفوس اليهود بين الفينة

(١) الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٢) هامش كتاب رسالة في اللاهوت والسياسة ص ٣١٧.

(٣) كلمة فوريم كلمة عبرية معناها "قرع" وسمى بذلك لأن هامان حدد بالقرعة اليوم الذي سيتم فيه

استئصال يهود الفرس قاموس ص ٦٩٩ هامش رسالة في اللاهوت ص ٣١٧.

(٤) الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢٠٧.



والفيئة، منذ السبي البابلي، قد شاءت أن يجعل هؤلاء اليهود من استير وقصتها، لا رمزا للدهاء اليهودي، وما يزعمونه من عناية الله عناية خاصة بهم وحدهم، بل جعلوا هناك ارتباطا بين استير وما كان من غرام الامبراطور (أحشويروش) بها، وبين موضوع العودة من السبي البابلي، وانتشر ذلك في تراثهم الشعبي، وفي الكرنفال الذي يقيمونه احتفالاً بعيد "بوريم"<sup>(١)</sup>.

وهكذا فإن الصهيونية الحديثة تضلل وتخلط وتستغل، حتى الأساطير في إشعال نار العصبية والافتعال العاطفي الأهوج، الذي لا يقوم على دليل صلب من التاريخ بقضية خلقوها من العدم، وأرادوا أن يوهمو الناس جميعاً أنها صورة مكررة من قضايا قديمة ماثلة.

ومهما يكن من شيء فحكاية استير لا تتصل بالعودة القديمة لليهود إلى فلسطين إلا في الخيال الشعبي لتلك المجموعة البشرية المريضة<sup>(٢)</sup>.

### **الطقوس الظاهرة والسرية: (استنزاف الدم البشري)**

وتبدأ طقوس هذا العيد من ليلة الثالث عشر من شهر آذار من السنة اليهودية (مارس من السنة الميلادية) ويصومون في اليوم الثالث عشر صوما يسمى عندهم "صيام استير" وفي اليوم الرابع عشر يكون العيد الذي يستمر طيلة هذا اليوم،

---

(١) يذكر الدكتور حسن ظاظا أن عودة اليهود من السبي قد ارتبطت بالصراع بين الفرس والكلدانيين عندما كان الامبراطور كورش الإيراني يتحفز لاحتلال العراق، وقد تعاون اليهود معه انتقاماً من حادثة السبي ورغبة في الحصول على تصريح منه بالعودة إلى فلسطين. ثم يذكر وجه الشبه بين هذا الوعد ووعد بلفور في العصر الحديث في أن كلا منهما يكرس بصورة قاطعة تعاون الصهيونية مع الاستعمار في منطقة الشرق الأوسط. ثم ذكر بعض الاختلافات بين الوعدين ونشاط الصهيونية الحديثة في استغلال هذه المناسبات والأعياد الدينية سياسياً وعسكرياً.

(راجع تفصيل ذلك في الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢١٤ - ٢١٥). ولمعرفة مزيد من التفاصيل عن علاقة اليهود بالفرس ودورهم في عودتهم من السبي في بابل إلى أورشليم راجع رسالتى للدكتوراه في الفصل الخامس باتصال اليهود بأصحاب الديانات الوثنية القديمة.

(٢) الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢١٤ - ٢١٥.

ويطلق عليه "يوم بوريم" ثم يكون اليوم الذى يليه (الخامس عشر) اليوم  
الصاخب، يوم الكرنفال، ويسمونه "بوريم شوشان" نسبة إلى مدينة "شوشان" أو  
"سوزة" الإيرانية<sup>(١)</sup>.

وإذا كانت هذه الطقوس الظاهرة والمعلنة فإن الطقوس السرية يكشفها الخاخام  
ناوفيطوس فيذكر أنه في عيد البوريم يسعى كل واحد من اليهود في صيد أطفال  
المسيحيين لاستنزاف دمائهم، حيث إن هذا اليوم عندهم هو أبرك الأيام، وحيث إن  
كل مسيحي لديهم هو بمنزلة هامان العماليقى وزير احشوروش ملك الفرس<sup>(٢)</sup>.

وفي ليلة هذا العيد يضع كل واحد من الخاخامات جملة أرغفة معجونة بالعلس  
بصورة مثلثة الزوايا مازجا عجينا بشيء قليل من الدم المسيحي، ويوزع عددا منها  
على كل واحد من اليهود المتعلق هو بخدثهم الدينية، ويوزع كل واحد منهم على  
أصدقائه، ويطلقون على هذا التوزيع اسم (ماسلواياكمونه)<sup>(٣)</sup>.

وتتقى ذبائح هذا العيد ويتم اختيارها عادة من الشباب البالغين حيث يؤخذ دم  
الضيحة، ويحفظ على شكل ذرات تمزج بعجين الفطائر ويحفظ ما يتبقى للعيد  
المقبل<sup>(٤)</sup>.

ويذكر الخاخام ناوفيطوس أن جميع اليهود يعيشون ليلة هذا العيد في حالة من  
الجدل والفرح سكارى بخمرة عهد حقدهم على المسيحيين<sup>(٥)</sup>.

### مراسل ختان الأطفال:

وفيما يتعلق بالمناسبة الدموية الثانية التى أشار إليها التلمود وهى الخاصة  
بمراسم ختان الأطفال فهى مراسم معقدة يقيمها اليهود بمناسبة ختان أبنائهم،

(١) راجع المصدر السابق ص ٢٠٨ قاموس الكتاب المقدس ص ٦٩٩.

(٢) إظهار سر الدم المكتوم ص ٢٤٤.

(٣) المصدر السابق.

(٤) خطر اليهودية العالمية على الإلام والمسيحية ص ٨١.

(٥) إظهار سر الدم المكتوم ص ٢٤٤.

فالختان من أهم شعائر دينهم، بل إنهم ليعتبرونه أكبر مميز بين اليهودى وغير اليهودي<sup>(١)</sup>.

فعند ختانة الطفل فى اليوم الثامن من ولادته يأخذ الحاخام كأس خمر ممزوجة بنقطة من الدم المسيحى، ويضيف إليها نقطة من دمل الطفل المختون، ويمزج الخمرة مزجا قويا ويغمز خنصره فى الكأس ويدخله فى فم الطفل مرتين قائلا لدى كل مرة: قد قلت لك إن حياتك هى بدمك<sup>(٢)</sup>.

ويتم اختيار ضحايا مراسم الختان فى الغالب من الأطفال مثلها فى ذلك مثل ضحايا السحر والشعوذة<sup>(٣)</sup>.

### مراسم وطقوس السحر والشعوذة:

يذكر الحاخام ناوفيطوس أن اليهود يستخدمون الدماء المستنزفة من الأطفال فى الأعمال السحرية كالتعاويذ والرقى، ويعتقد الحاخام أن هذا الدم مقبول جدا لدى الشياطين إذ يقدمون لهم به البشرية لا البهيمة<sup>(٤)</sup>.

كما اعترف المؤرخ اليهودى برنارد لازار فى كتابه "اللاسامية" بأن عادة ذبح الأطفال ترجع إلى استخدام دم الأطفال من قبل السحرة اليهود فى الماضى<sup>(٥)</sup>.

ويرى الجنرال جواد رفعت اتيل خان فى كتابه "البرميل الأبرى"<sup>(٦)</sup> أن حوادث الدم البشرى مفاهيم انتشرت بين عامة الشعب وأنها ليست خرافة، والحقيقة أن جيل الشباب من اليهود يهتم كثيرا بعلوم السحر والشعوذة، والتلمود يبحث عن

(١) د/ على عبد الواحد وافي: اليهودية واليهود ص ٤٤، الأسفار المقدسة ص ٣٥.

راجع الختان عند اليهود فى قاموس الكتاب المقدس ص ٣٣٧ - ٣٣٨. والسيد محمد عاشور: الختان فى الشرائع السماوية والوضعية نشر مؤسسة المصرى للكتاب.

(٢) إظهار سر الدم المكتوم ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

(٣) اليهودية واليهود ص ٤٤، الأسفار المقدسة ص ٣٥.

(٤) إظهار سر الدم المكتوم ص ٢٥٠.

(٥) خطر اليهودية ص ٨٧.

(٦) طبعة استامبول سنة ١٩٥٨ والعبارات من ترجمة المجاهد فاروق محمود نقلا عن خطر اليهودية العالمية للأستاذ عبد الله التل ص ٧٨ راجع إبراهيم خليل أحمد: إسرائيل والتلمود ص ١٠١.

السحر والشياطين بغموض كبير<sup>(١)</sup> ولهذا فإن من الطبيعي أن تستعمل الدماء خلال طقوسهم الدينية.

ويرى أن سحرة اليهود قد ذبحوا أطفالا من غير اليهود وليستفيدوا من دمائهم. ذلك أن هذه العادة المجرمة المتوحشة (عادة استنزاف دم غير اليهود من أجل مزجه بالعجين الذى يصنع منه فطير العيد الذى أكله اليهود) قد سرت إلى اليهود كما يقول الأستاذ عبد الله التل عن طريق ديانتهم المكونة من طقوس تستند إلى شريعة موسى - فى زعمهم - وأنبياء العهد القديم يطلقون عليها "اكسوتاريك" وطقوس تعتمد على السحر والشعوذة وتسمى "إسوتاريك" وهم يعترفون بهذه الأخيرة وي مارسونها أكثر من الأولى وهى التى تدعو إلى المزيد من سفك الدماء<sup>(٢)</sup>.

جاء فى سفر أشعياء أن السحرة من اليهود كانوا يستخدمون دم الإنسان من أجل إتمام طقوسهم وشعوذتهم فقد ورد فى الإصحاح السابع والخمسين من هذا السفر هذا النص:

---

(١) يذكر الدكتور على عبد الواحد وافي أن التلمود قد أفرد الطقوس السحر والشعوذة أبوابا كثيرة (اليهودية واليهود ص ٤٤).

وقد عقد الدكتور روهلنج فصلا خاصا عن الشياطين والسحر عن اليهود وذكر فى نهايته أن اليهود يعتقدون أن التلمود من كتب السحر، وقال معلم السحر (إيفاس ليفي) اليهودى: إن التلمود أول كتاب سحري<sup>٢</sup>.

ثم نقل عن التلمود (سنيدين ص ٢ / ما) زعمهم أن أحد مؤسسى ديانة التلمود كان فى إمكانية أن يخلق رجلا بعد أن يقتل آخر، وأنه كان يخلق - حسب زعمهم - كل ليلة عجلا عمره ثلاث سنوات بمساعدة حاخام آخر، وكانا يأكلان منه معا، وكان أحد الحاخامات أيضا - فيما يزعمون - يحيل القرع والشمام إلى غزلان ومعيذ (سنيدين ص ٧٠).

ثم يذكر أن الرايى (نيابى) كان يحول الماء إلى عقارب، وأنه سحر يوما امرأة وجعلها حمارة، وركبها ووصل عليها إلى السوق (سنيدين ٢ / ٦٧) وأن أحد الحاخامات قطع مرة رأس حية ثم لمسها بالحجر - الذى يزعمون - زورا بهتانا - أنه كان لإبراهيم الخليل ويشفى بواطته جميع الأمراض - فإذا هى حية تسعى، وقد لمس به أيضا جملة أسماك مملحة فدبت فيها الروح بقوة السحر !!! (الكنز المرصود ص ٦٠ - ٦٣).

(٢) خطر اليهودية العالمية ص ٧٧.

"أما أنتم فتقدموا إلى هنا يا بنى الساحرة نسل الفاسق والزانية، بمن تسخرون وعلى من تغفرون الفم وتدلعون اللسان، أما أنتم أولاد المعصية نسل الكذب، المتوقدون إلى الأصنام تحت كل شجرة خضراء القاتلون الأولاد في الأودية تحت شقوق المعازل"<sup>(١)</sup>.

### مراسم الزواج:

وهناك مناسبات دموية أخرى يستنزف فيها اليهود دماء المسيحيين:

فمن طقوسهم الدينية في الزواج يصوم العروسان من المساء إلى المساء عن كل شيء وبعد عقد الزيجة يناولهما الحاخام بيضة مسلوقة فيأكلانها بعد أن يغمسانها برماد الكتاب المشرب قبلا من الدم المسيحي<sup>(٢)</sup>.

أما هذا الرماد فهو محفوظ عند الحاخامات وهو الذي يحفظون فيه الدم المسيحي لأنه بعد استنزاف هذا الدم تبل به قطعة من الكتان حتى تتشربه وتحرق بعد ذلك ويحفظ رمادها في حقائق ترسل من بلاد إلى بلاد حيث لا يمكن لليهود في كثير من الجهات أن يستنزفوا هذا الدم فيستعين بعضهم ببعض على اقتنائهم الشديد للزوم في الطقوس الدينية<sup>(٣)</sup>.

وعندما يأكل العروسان البيضة المغموسة بالدم المسيحي يتلو عليهما الحاخام بعض آيات مألها أن العروسين يكتسبان بمجرد هذه البيضة الملوثة بالدم القوة على إيقاع المسيحيين في فخاخ الغش ومصائد الخداع ويتمكنان بواسطة مزج هذا الدم بدمهم من الظهور بمظهر الإخاء مكرا وخديعة في سبيل اجتناء ثمار الأغراس المغروسة بقوة إيمانهم والمسقة بعرق جبهاتهم<sup>(٤)</sup>.

### مراسم الاحتضار:

وبجانب مناسبة الزواج يستنزف اليهود دم المسيحيين عند الاحتضار فحينما

(١) أشعيا ٥٧: ٣ - ٥.

(٢) إظهار سر الدم المكتوم ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٧.

(٤) المصدر السابق ص ٢٣٧.

يدنو اليهودى من ورود حياض المنية يأتيه الحاخام ويده بيضة فيستخرج زلالها ويمزجه إما بنقطة من الدم المسيحى أو بقليل من رماد الكتان المصبوغ بهذا الدم وينضحه على قلب الميت<sup>(١)</sup>.

### طرق استنزاف دم الضحايا :

ويتم استنزاف دم الضحايا بعدة طرق:

منها أن يكون بواسطة البرميل الإبرى وهو عبارة عن برميل يتسع لجسم الضحية مثبت على جميع جوانبه الإبرى حادة تغرز فى جسم الضحية عند وضعها بالبرميل لتسيل الدماء ببطء من كل جزء من أجزاء الجسم مقرونة بالعذاب الشديد الذى يعود باللذة على اليهود الذين ينتشون برؤية الدم ينزف من الضحية ويسيل من أسفل البرميل إلى إناء معد لجمعه<sup>(٢)</sup>.

ومنها أيضا أن يتم ذبح الضحية كما تذبح الشاة وتصفى دماؤها فى وعاء ومنها كذلك أن تقطع شرايين الضحية فى مواضع عدة لتدفع الدم من الجروح ويجمع فى وعاء ويسلم إلى الحاخام الذى يقوم بإعداد الفطير المقدس ممزوجا بدم البشر إرضاء لإله اليهود يهوه المتعطش لسفك الدماء ولا تتم أفراح اليهود فى أعيادهم إذا لم يأكلوا الفطير الممزوج بدم غير اليهود<sup>(٣)</sup>.

ويقول الحاخام ناوفيطوس "إن الدم الذى يسفكه اليهود على نوعين:

الأول يسفك بين العذابات بطريقة الاستنزاف بموجب طقس دينى وذلك فى عيد الفصح.

والثانى بأى طريقة كانت وبدون طقوس دينية وذلك فى عيد البوريم وهو تذكار نجاة اليهود من شر هامان.

---

(١) المصدر السابق ٢٤٤.

(٢) البرميل الإبرى (إيفلى فيجى) للجنرال جوادرف رفته اتيل خان: استانبول ١٩٥٨ نقلا عن خطر اليهودية العالمية ص ٨١.

(٣) المصدر السابق.

ثم أن استعمال هذا الدم على نوعين:

الأول أن يكون صرفا بذاته وذلك يكون بعد سفكه أو استنزافه فقط أى قبل أن يبيس ويفسد.

والثانى رماده أى رماد الكتان الذى يشربونه من الدم قبل ييوسته وهذا الرماد يرسل فى حقاق من بلد إلى بلد حيث إن اليهود فى كثير من البلاد لا يقدرّون على الحصول على الدم<sup>(١)</sup>.

ويذكر حبيب فارس أن يهود حلب لهم طريقة خاصة فى استنزاف الدم البشرى تقشعر منها الأبدان وهى أنهم يأتون بالولد المقبوض عليه لأجل الذبيحة، ويضعونه فى إحدى المغارات العميقة حيث لا يدرى به سواهم، ويقدمون له من المأكّل الناشفة كالقسطاط واللوز والبندق والقضامى (حمص محمص ومجفف) إلى أن تأتى ساعة الاستنزاف، فيخلعون عنه ثيابه ويسدون فمه بقطعة من القماش الأبيض ويأخذون بهز السرير<sup>(٢)</sup> رويدا رويدا فيسيل الدم من جروحات الولد فيستلقطونه بأوان حتى آخر نقطة، والدم المستنزف على هذه الصورة من العذاب هو الدم الأفضل فى إتمام فروضهم الدينية<sup>(٣)</sup>.

ويذكر الأستاذ/ عبد الله التل أن اليهود يفرحون إذا كان الضحية من أصدقائهم، ويتلذذون بذبح الإنسان البرئ لأنهم يعتقدون أنهم يؤدون واجبا دينيا مقدسا، ويعتقدون أيضا أن البركة تحل عليهم بشكل أوفى إذا أتيح لهم أن يعذبوا الضحية قبل موتها، وخاصة الأطفال من الضحايا، وبقدر ما يتعذب الطفل ويستنزف دمه ببطء بقدر ما يرضى إله اليهود - فى زعمهم - وبارك أبناءه المخلصين لدينهم<sup>(٤)</sup>!!

---

(١) إظهار السر المكتوم ص ٢٤٩.

(٢) يبدو أن الإبر الحادة كانت مثبتة فوق السرير، فكلما حركوا السرير غرزت هذه الإبر فى جسد الطفل فأصابته الجروح.

(٣) صراخ البرئ ص ١٤٤ - ١٤٥.

(٤) خطر اليهودية العالمية ص ١٠٤ - ١٠٥.

## الفصل الخامس

### أشنع حوادث وأبشع جرائم استنزاف الدم البشري

لقد تبين لنا في الفصل الثالث من هذا الباب دور التلمود في قيام الذبائح التلمودية، وتعرفنا في الفصل الرابع على مراسم وطقوس استنزاف اليهود لدماء غيرهم من البشر، ومزج هذه الدماء بعجينة فطيرهم (المقدس) الذى يتناولونه في أعيادهم ومناسباتهم الدينية.

ونريد في هذا الفصل أن نطلع على أشنع جرائم وأبشع حوادث الذبح البشرى واستنزاف الدم الإنسانى التى ارتكبتها اليهود وسجلها التاريخ.

وتدل شواهد كثيرة على أنهم لم ينفكوا منذ عهد بعيد ولا ينفكون في العصر الحاضر يزاولون هذه الجرائم في كثير من بلاد العالم باسم دينهم ووصايا تلمودهم.

ولقد عنى الأستاذ أرنولد لويز - وهو المجاهد البريطانى ضد الإجرام اليهودى والسيطرة اليهودية على العالم - يجمع أهم حوادث الذبح البشرى المشهورة أو أهم ما ثبت اقتراف اليهود له من هذه الجرائم في مختلف بلاد أوروبا وآسيا منذ منتصف القرن الثانى عشر إلى بداية العقد الرابع من القرن العشرين ودونها في كتاب نشره سنة ١٩٣٨م تحت عنوان "طقوس الاغتيال اليهودية" فذكر نحو ستين حادثا ثبتت الجريمة في كثير منها بأدلة قاطعة وباعتراف المتهمين أنفسهم أمام القضاء، وحكم في بعضها على المجرمين بالإعدام ونفذ فيهم الحكم<sup>(١)</sup>.

---

(١) عبد الله التل: خطر اليهودية العالمية ص ٨٢، اليهودية واليهود ص ٤٥ - ٤٦، الأسفار المقدسة ص ٣٦.



وقد سجل هذه الحوادث الأستاذ عبد الله التل بحسب تسلسلها التاريخي كما وردت في كتاب أرنولد ليز بدءاً من سنة ١١٤٤م إلى ١٩٣٢.

وقد جمع هذه الحوادث وتلك الجرائم أيضاً الأستاذ حبيب فارس ونقلها مفصلة بعد التعليق عليها في كتابه "صراخ البرئ في بوق الحرية والذبائح التلمودية" وقسمها إلى قسمين: قسم يتعلق بذبائح الشرق والقسم الآخر يتعلق بذبائح الغرب.

وسنحاول أن نطلع القارئ على بعض هذه الحوادث باختصار، ثم نركز على أشنع جريمتين وأبشع حادثتين من جرائم وحوادث الذبح البشري وهما جريمة مقتل الطفل هنري عبد النور (١٨٩٠م) وجريمة مقتل الأب توما وخادمه إبراهيم عمار (١٨٤٠م).

وكانت الجريمة الأولى سبباً في تأليف حبيب فارس لكتابه "صراخ البرئ" وأما الجريمة الثانية فقد خصص لها "شارل لوران" كتابه "المسائل التاريخية عما جرى في سورية سنة ١٨٤٠م" وهو الجزء الثاني من كتاب "الكنز المرصود في قواعد التلمود" الذي اشتمل على قضية الأب توما وخادمه إبراهيم عمار، وما جرى فيها من تحقيقات، وما انتهت إليه هذه التحقيقات.

**أولاً: أشهر الذبائح التي وقعت في الغرب (الذبائح الغربية)<sup>(١)</sup>:**

وهي بحسب التسلسل التاريخي:

١١٤٤م في Norwich ببريطانيا. وجدت جثة صبي عمره ١٢ سنة في كيس ملقى

---

(١) إذا كان أرنولد ليز قد بدأ تاريخ هذه الذبائح التلمودية من سنة ١١١٤م فإن حبيب فارس يذكر أن القديس لاوون الكبير نقل أنه في عصره (أى نحو السنة ٤٤٠م إلى ٤٦١م) كان يهود ألمانيا يقتلون الأولاد الأبرياء ويعذبونهم واتباعوا أقوال حاخاماتهم في استنزاف دمائهم واستخدامها في فطائرهم المقدسة (صراخ البرئ ص ٢٧٠-٢٧١).

ولمعرفة مزيد من التفاصيل عن هذه الذبائح الغربية راجع صراخ البرئ ص ٢٧٠ وما بعدها حيث ذكر نفس الحوادث التي أشار إليها برنارد ليز لكنه أضاف إليها وعلق عليها راجع أيضاً الدكتور/ حسن ظاذا الفكر الديني الإسرائيلي ص ٢٣٣-٢٣٧، وقصة الحضارة (٢٦) ص ١٣٢، ١٤٢-١٤٣، ١٤٧-١٤٨ وقصة الحضارة (٤١) ص ٣٧٢.

تحت شجرة مستنزف دمه من جراح عديدة، أيام عيد الفصح اليهودى. ارتشى عمدة البلدة ولم يقدم اليهود للمحاكمة، ومنحت الضحية لقب القديس وليام.

١١٦٠م فى Gloucester ببريطانيا. وجدت جثة صبى اسمه هارولد مستنزف بواسطة جروح فى المواضع المعتادة لعملية الصلب.

١١٧١م فى Blois بفرنسا. وجدت جثة صبرى مسيحى أيام عيد الفصح اليهودى ملقاة فى النهر، مستنزف دمه لأغراض دينية. ثبتت الجريمة على اليهود وأعدم فيها عدد منهم.

١١٧٩م فى Pontoise بفرنسا. وجدت جثة صبى اسمه ريتشارد مستنزف دمه لآخر قطره. فنقلت الجثة إلى الكنيسة (الشهداء) فى باريس ومنح صاحبها لقب قديس.

١١٨١م Burg st. Edmunds بريطانيا. وجدت جثة صبى مستنزف دمه فى عيد الفصح اليهودى. دفنت الجثة فى كنيسة البلدة مع (الشهداء) الأبرياء.

١١٩٢م فى Winchester بريطانيا. وجدة جثة صبى مصلوبة ومستنزف دمه فى عيد الفصح اليهودى.

١١٩٢م فى Braisne بفرنسا. بيع شاب مسيحى إلى اليهود من قبل الكونتس أوف درو بتهمة السرقة. فذبحه اليهود واستنزفوا دمه. حضر الملك فيليب أغسطس المحاكمة بنفسه وأمر بحرق المذنبين من اليهود.

١٢٣٢م فى Winchester بريطانيا. عثر على جثة صبى مسيحى مصلوبة ومستنزف دمه لأغراض دينية. وقد وردت هذه الحادثة فى كتب تاريخية عديدة.

١٢٣٥م فى Norwich بريطانيا. سرق اليهود طفلا وأخفوه بقصد ذبحه واستنزاف دمه، عثر عليه أثناء قيامهم بعملية الختان له تمهيدا لذبحه. حوكم المجرمون وغرموا ٢٠ ألف مارك.

١٢٣٥م في Fulda بألمانيا. عثر على خمسة أطفال مذبحين. اعترف اليهود باستنزاف دمائهم لأغراض طبية ومعالجة بعض الأمراض.. ! انتقم الشعب من الهيود وقتل عددا كبيرا منهم.

١٢٤٤م في London بريطانيا. عثر على جثة صبي في مقبرة القديس بندكت، خالية من قطرة واحدة من الدم الذي استنزف بواسطة جروح خاصة بهذه العلمية الإجرامية.

١٢٤٧م في Valreas بفرنسا. عثر على جثة طفلة في الثانية من عمرها، مستنزف دمها من جروح في عنقها ومعصمها وقدمها، اعترف اليهود بحاجتهم لدمها، ولم يفصحوا عن طريقة استخدامه في طقوسهم الدينية.

قال البابا أنو سنث الرابع: إن ثلاثة من اليهود أعدموا في هذه القضية، كما اعترفت دائرة المعارف اليهودية في الجزء الثالث صفحة ٢٦١ بأن إعدامهم تم بعد اعترافهم بالجريمة.

١٢٥٠م في Saragossa بأسبانيا. عثر على طفل مصلوب ومستنزف دمه: عدته الكنيسة قديساً.

١٢٥٥م في Lincoln بريطانيا. خطف اليهود طفلاً مسيحياً يدعى Hugh أيام عيد الفصح، وغذبوه وصلبوه واستنزفوا دمه. عثر والده على جثته في بئر بالقرب من منزل يهودى يدعى Joppin، أثناء التحقيق اعترف هذا اليهودى على شركائه بعد أن وعده القاضي أن يعده شاهد ملك. وجرت محاكمة ٩١ يهودياً أعدم منهم ١٨، ورفض الملك هنرى الثالث العفو عن اليهودى الذى اعترف، ووعدته القاضي بالعفو، وأعدم مع الآخرين. كرمت الكنيسة الضحية البريئة وعدت الطفل من الشهداء ودفنه في كاتدرائية لنكولن.

١٢٥٧م في London بريطانيا. عثر على جثة طفل مستنزف دمه من جروح في عنقه ومعصمه.

١٢٦١م في Baden بألمانيا. باعت سيدة عجوز طفلة عمرها ٧ سنوات إلى اليهود الذين استنزفوا دمها وألقوا الجثة في النهر، أدينوا العجوز بشهادة ابنتها وحكم بالإعدام على عدد من اليهود وانتحر اثنان منهم، ومنحت الطفلة لقب قديسة.

١٢٧٦م في London بريطانيا. عثر على جثة طفل مستنزف دمه من جروح فنية لم تترك في الجسم قطرة دم واحدة.

١٢٧٩م في Northampton بريطانيا. عثر على جثة طفل مستنزف دمه. حوكم اليهود وسحب خمسون منهم بذيول الخيول ثم شنقوا.

١٢٨٦م في Oberwesel بألمانيا. عذب اليهود في عيدهم طفلا مسيحيا يدعى Werner لمدة ثلاثة أيام ثم علقوه من رجليه واستنزفوا دمه لآخر قطرة. عثر على الجثة في النهر وعد الطفل قديسا، واتخذت المدينة من يوم صلبه ١٩ أبريل ذكرى سنوية لتلك الجريمة البشعة.

١٢٧٨م في Berne سويسرا. ذبح اليهود الطفل رودلف في عيد الفصح وفي منزل يهودي ثرى اسمه Matir. اعترف اليهود بجريمتهم وأعدم عديد كبير منهم. عدت الكنيسة الطفل من الشهداء والقديسين، وصنعت المدينة تمثالا على شكل يهودي يأكل طفلا صغيرا، ونصب التمثال في الحب اليهودي ليذكرهم بجرائمهم الوحشية.

١٢٨٨م في Troyes بفرنسا. عثر على جثة طفل مذبح على طريقة اليهود الدينية. حوكم اليهود وأعدم ١٣ منهم حرقا. اعترفت بذلك دائرة المعارف اليهودية ج ١٢ صفحة ٢٦٧.

١٢٩٠م في Oxford بريطانيا. ذبح اليهود طفلا مسيحيا واستنزفوا دمه في ٢١ يونيو من تلك السنة، وبعد شهر من ذلك التاريخ أصدر الملك إدوارد الأول أمره التاريخي بطرد اليهود من بريطانيا نهائيا، ويبدو أن هذه الحادثة كانت القشة التي قصمت ظهر البعير وأدت إلى نفاذ صبر الإنجليز فقرروا التخلص من اليهود وجرائمهم الوحشية.

١٤٦٢م في Innsbruck بالنمسا. بيع صبي يدعى Andreas إلى اليهود فذبحوه على صخرة داخل الغابة، واستعملوا دمه في عيدهم. وحينما اكتشفت الجريمة هرب اليهود تخرج البلاد ولم تجر محاكمة أحد. عدت الضحية من القديسين.

١٤٦٨م في Segovia بأسبانيا. صلب اليهود طفلا مسيحيا واستنزفوا دمه قبل عيد الفصح. حقق المطران في القضية وقضت المحكمة بإعدام عدد من اليهود.

١٤٧٥م في Trent بإيطاليا. اختفى طفل عمره ثلاث سنوات يدعى سيمون. وحينما اتجهت الأنظار إلى اليهود أحضروا الجثة من ترعة ليبعدوا الشبهة. وبعد التحقيق ثبت أن الطفل لم يمت غرقاً بل من استنزاف دمه بواسطة جروح في العنق والمعصم والقدم. اعترف اليهود بالجريمة وبرروا ذلك بحاجتهم للدم من أجل إتمام طقوسهم الدينية وعجن خبز العيد بالدم البشري والنبذ. أعدم سبعة من اليهود في تلك القضية كما عد سيمون قديسا.

١٤٨٠م في Venice بإيطاليا. أعدم ثلاثة من اليهود في قضية ذبح طفل مسيحي واستنزاف دمه.

١٤٨٥م في Padua بإيطاليا. ذبح اليهود طفلا يدعى Lorenzion واستنزفوا دمه. منحه البابا بندكت الرابع عشر لقب قديس.

١٤٩٠م في Toledo بأسبانيا. اعترف اليهودى Yuce بعد أن وعد بإعفائه من العقوبة على زملائه الذين اشتركوا معه في ذبح الطفل كرسنوفر وأخذ دمه لأغراض دينية. أعدم ثمانية من اليهود في هذه القضية وعد الطفل كرسنوفر قديسا.

ويبدو أن جرائم اليهود هذه كانت العامل الأكبر في القرار الذى اتخذته ملك أسبانيا وملكتها لطرده اليهود من أسبانيا سنة ١٤٩٢م كما فعل ملك بريطانيا من قبل.

١٤٩٤م في Tyranau بهنغاريا. صلب اليهود طفلا واستنزفوا دمه. واعترفت عليهم سيدة عجوز. وفي أثناء المحاكمة اعترفوا أنهم ذبحوا أربعة أطفال آخرين وجمعوا الدماء لاستعمالها في أغراض طبية!!

١٥١٠م في Brandenburg بألمانيا. اشترى اليهود طفلا وصلبوه واستنزفوا دمه. اعترفوا في أثناء المحاكمة وحكم على ٤١ منهم بالإعدام.

١٦٠٣م في Verona بإيطاليا. عثر على جثة طفل مستنزف دمه من جروح فنية. وحوكم يهودى برأته المحكمة بعد أن استطاع اليهود شراء ذمه القاضى بالمال.

١٦٧٠م في Metz بألمانيا. فقد طفل في الثالثة من عمره كان يسير خلف أمة في طريقها إلى البئر وحينما حامت الشبهة حول اليهود أشاعوا أن ذئبا قد افترس الطفل في الغابة وحين فتش القوم الغابة عثروا على أجزاء الطفل مبعثرة هنا وهناك وثيابه غير ممزقة وغير ملطخة بالدم، فتأكد رجال الشرطة من أن قصة ذئب الغابة مختلفة للتغطية على الجريمة. وشهد أحد سكان المدينة أنه شاهد اليهودى رفائيل ليفى يختطف الطفل من على الطريق. واعترف اليهودى بذبح الطفل واستنزف دمه فحكم عليه برلمان المدينة بالإعدام حرقا.

١٦٩٨ في Sandomir ببولندا. حكم على يهودى بالإعدام بتهمة استنزاف دم طفل مسيحى.

١٧٤٨م في Dumagrod ببولندا. حكم على عدد من اليهود بالإعدام بتهمة قتل طفل واستنزاف دمه.

١٧٥٣م في Pavalochi ببولندا. حكمت محكمة Episcopal بإعدام عدد من اليهود بتهمة ذبح طفل مسيحى واستنزاف دمه لأغراض دينية.

وحكم في العام نفسه على عدد من اليهود بالإعدام بتهمة قتل طفل في الثالثة من عمره واستنزاف دمه.

١٨٢٣م في Valisob روسيا. فقد في عيد الفصح اليهودى طفل في الثانية والنصف من عمره. وبعد أسبوع عثر على جثته في مستنقع قرب المدينة. وعند فحص الجثة وجدت بها جروح عديدة من وخز مسامير حادة في جميع أنحاء الجسم، ولم يعثر على قطرة دم احده لأن الجثة قد غسلت قبل إعادة الثياب إليها. اعترفت

ثلاث سيدات روسيات اعتنقن اليهودية حديثا، أن اليهود أغروهن لرقعة الطفل لأغراض دينية مقدسة. ووصفن أمام المحققين الطريقة المجرمة التي عذب بها الطفل حيا حينما وضعه الأساتذة اليهود على منضدة وأخذوا يتلذذون بوخزه بالمسامير الحادة حتى سال دمه كله في قوارير ثلاث سلمت إلى رجال الدين اليهود. وعند المحاكمة أدانت المحكمة الابتدائية اليهود.

وفي المحكمة العليا عملت الرشوة عملها فاكثفت المحكمة بنفى السيدات الروسيات إلى سيبيريا.

١٨٣١م في St. Petersburg روسيا. عثر على جثة طفلة والدها ضابط صف، مصلوبة ومستنزف دمها. حوكم عدد من اليهود وأبعدوا إلى سيبيريا لأن أربعة قضاة أدانوهم والخامس لم يقتنع بالأدلة فلم يحكم عليهم بالإعدام.

١٨٥٢م في Sarstov روسيا. في ديسمبر ١٨٥٢م اختفى غلام في العاشرة من عمره، وفي يناير ١٨٥٣م اختفى غلام في الحادية عشرة من العمر. عثر على الجثتين على ضفاف نهر الفولجا وفيهما جروح لاستنزاف الدم. وليس فيهما قطرة دم واحدة. حوكم يهوديان هما شيفرمان وزورلوف. وحكم عليهما بالأشغال الشاقة لمدة ٢٨ سنة، ومات الاثنان في المناجم أثناء مدة السجن.

١٨٨٠م في Smyrna بإيطاليا. ذبح الشعب عددا من اليهود بسبب فقد طفل في عيد الفصح اليهودى والعثور على جثته على الشاطئ وبها جروح عديدة ومستنزف دمها.

١٨٨٢م في Tisza Eszlar هنغاريا. اختطف اليهود فتاة مسيحية عمرها ١٤ سنة. وعند التحقيق اعترفت طفلة يهودية أنها شاهدت أمها تدعو الفتاة المسيحية إلى منزلها، ومن هناك اقتادها عدد من اليهود إلى الكنيس واعترف غلام يهودى أنه شاهد من ثقب باب الكنيس عملية ذبح الفتاة وجمع دمها في "فازة" كبيرة. واعترف عدد من اليهود باشتراكهم في عملية استنزاف دم الفتاة من أجل عيد الفصح

اليهودى. بيد أن قوة المال اليهودى لجأت إلى جميع الوسائل القذرة لطمس الجريمة ومن تلك الوسائل:

- ١- تسديد ديون رجال الشرطة وتقديم رشوة لهم.
  - ٢- محاولة سرقة سجلات المحكمة.
  - ٣- تقديم رشوة كبيرة إلى والد الفتاة الضحية لتغيير أقوالها.
  - ٤- تغيير قفل الكنيسة والمفتاح لتكذيب أقوال اليهوديين الصغيرين.
  - ٥- نشر الإشاعات عن هرب الفتاة المسيحية ثم غرقها.
  - ٦- إحضار جثة فتاة يهودية ألبسوها ثياب الضحية وادعوا أنها هى الفتاة المفقودة التى غرقت فى التربة.
  - ٧- تدخل اليهودى جولد سمث ممثل المليونير اليهودى روتشليد فى القضية، ومقابلته لوزير العدل الهنغارى لطمس القضية وحفظ الأوراق.
- ونجح المال اليهودى ولم تتم المحاكمة ونجا المجرمون اليهود من القصاص العادل.

١٨٩١م فى Xantev ببرسيا. عثر على طفل هيجمان مذبوحا، ولم يعثر على قطرة دم واحدة مما يدل على استنزاف دمه لأغراض دينية. وحين ألقى القبض على بعض اليهود تدخل وزير العدل Schelling وكان يهوديا، كما تدخل المال اليهودى فلم تتم المحاكمة.

١٨٩٩م فى Polna بوهيميا. عثر على الفتاة هروزا "١٨ سنة" مذبوحة ولا أثر للدم فى جسمها أو من حول جثتها. وشهد ثلاثة أشخاص أنهم رأوا اليهودى هلسنر مع اثنين من اليهود فى المكان الذى عثر فيه على الجثة، وجرت المحاكمة واعترف هلسنر على رفيقيه، فحكم عليهم بالإعدام. وتدخل المال اليهودى لدى الإمبراطور وتغير الحكم إلى السجن المؤبد.

١٩٠٠م فى Konitz غرب بروسيا. عثر على الشاب ونتر "١٩ سنة" مذبوحا



وأجزاء جسمه منتشرة في أماكن مختلفة. وثبت بالتحقيق أن الوفاة نجمت عن استنزاف الدم من الضحية، وثبت كذلك أن عددا من اليهود قد زاروا البلدة ليلة الحادث واختفوا صباحا. أثارت هذه الجريمة سكان المنطقة على اليهود وجرت حوادث انتقامية ذكرتها دائرة المعارف اليهودية في صفحتين ونصف.

١٩١١م في Kiev روسيا. عثر على جثر الغلام جوثنسي "١٣ سنة" بالقرب من مصنع يهودي، وبها جروح عديدة، ولا أثر للدم في الجثة أو دم حولها. أثبت التقرير الطبي أن جروح العنق والصدغين كانت تصل إلى العروق بقصد إحداث النزيف، وأن جرحا عميقا قد وصل إلى الرئتين والكبد بقصد استنزاف البقية الباقية من الدم. اعتقل بعض اليهود ومنهم Beliss صاحب المصنع.

وطالت أيام المحاكمة ثم ماتت الطفلتان الشاهدتان الرئيسيتان في القضية نتيجة تناولهما حلوى مسمومة قدمها لهما اليهودي كراسوفسكي.

وحاول اليهود أن يقدموا الرشوة لأُم الطفلتين، وظل بيليس في السجن إلى أن قامت الثورة الشيوعية فأطلق اليهود سراحه وهرب إلى أمريكا ومات فيها سنة ١٩٣٤ وشيعت جنازته كبطل من أبطال اليهود ... أما القاضي والمدعى العام والأطباء والراهب وجميع من كان لهم علاقة بالقضية فقد قتلهم اليهود في الأيام الأولى للثورة الشيوعية ١٩١٧.

١٩٢٨م في Gladbeck ألمانيا. عثر على شاب في العشرين من عمره مذبوحا وبه جروح فنية لاستنزاف الدم، ولم يعثر على أثر الدم في جسمه أو في مكان الجثة. أثبت التحقيق أن الجروح دينية وأن المناسبة هي عيد البوريم اليهودي. اعتقل بعض اليهود، بيد أن نفوذ مدير البوليس اليهودي أبعد الجريمة عنهم.

١٩٢٩م في Manau ألمانيا. عثر في ١٧ مارس على الغلام كسلر مذبوحا بطريقة فنية وفي عنقه جرح عميق بقطع الشريان الرئسي. شهد الأطباء بأن الجريمة دينية من أجل عيد البوريم اليهودي. وحينما تدخل المال اليهودي غير الأطباء شهادتهم وادعوا أن الذبح قد يكون نتيجة اصطدام الغلام بجذع شجرة أو بقرن ثور...!!

١٩٣٢م في Paderborn ألمانيا. كانت الفتاة المسيحية كاسبر تخدم في منزل الجزار اليهودي مايير. فحدثت علاقة جنسية بينها وبين كيرث تجل الجزار، فحملت الفتاة وطلبت أن يتزوجها الشاب اليهودي.

وفي عيد البوريم اختفت الفتاة ثم عثر على أجزاء جسمها في أماكن متفرقة. وحينما ألقى القبض على الجزار ونجله اعترفا بالجريمة وعللها الابن بأنه خشى من الفيضى، بيد أن التقرير الطبى أثبت أن الدم قد سحب من الفتاة قبل تقطيع أجزائها. وأخيرا استطاع المال اليهودى أن يدفع المحكمة إلى إرسال الجزار إلى مستشفى المجانين والحكم بالسجن ١٥ سنة على نجله.

**ثانيا: أهم الجرائم اليهودية التى سجلها التاريخ فى الشرق (ذبائح الشرق)<sup>(١)</sup>:**

١٨١٠م حلب - سورية. فقدت سيدة نصرانية، وبعد التحرى عثر على جثتها مذبوحة ومستنزف دمها. وقد اتهم اليهودى رفول أنكونا بذبحها وأخذ دمها لاستعماله فى عيد الفصح. ١٨١٢م فى جزيرة كورنو - اليونان. ذبح اليهود طفلين واستنزفوا دمهما وحكم على ثلاثة من اليهود بالإعدام. ثم خطفوا ابن رجل يونانى اسمه ريكا وذبحوه وأخذوا دمه لفطير العيد.

١٨٣٤م بيروت - لبنان. ذبح اليهود المدعو فتح الله الصائع وأخذوا دمه لاستعماله فى عيد الفصح.

١٨٢٦م أنطاكية.

١٨٢٩م حماة.

١٨٣٤م طرابلس الشامس.

ارتدت اليهودية "بنود" عن ديننا واعتنقت المسيحية بعد أن رأى بعينها جرائم اليهود المروعة وذبحهم الأطفال الأبرياء من أجل خلط دمهم بفطير العيد.

---

(١) راجع كتاب صراخ البرئ ص ١٤٤ - ١٩٧ لمعرفة مزيد من التفاصيل عن حوادث الشرق التى ذكرها أرنولد ليز والتى نقلناها باختصار من كتاب "خطر اليهودية العالمية" حيث إنه علق عليها وأضاف إليها عدة حوادث أخرى لم يذكرها ليز.

ودخلت الرهينة وماتت باسم الراهبة كاترينا. وتركت مذكرات خطيرة عن جرائم اليهود وتعطشهم لسفك الدماء وسردت في مذكراتها الحوادث التي شهدتها بنفسها وهى التى وقعت فى أنطاكية وحماة وطرابلس الشام وفيها ذبح اليهود طفلين مسيحيين وفتاة مسلمة، واستنزفوا دماءهم واستعملوها فى فطير العيد.

١٨٤٠م فى Rhodes رودس. اختفى طفل يونانى فى عيد البوريم اليهودى، وشوهد الطفل يدخل الحى اليهودى فى الجزيرة.

وحينما هاج اليونان وطالبوا بالبحث عن الطفل اضطر الحاكم التركى يوسف باشا إلى تطويق الحى اليهودى وحبس رؤساء اليهود. وتعترف دائرة المعارف اليهودية طبعة ١٩٠٥ الجزء العاشر صفحة ٤١٠ أن وساطة المليونير اليهودى مونتفيورى أدت إلى إصدار فرمان من سلطان تركيا برأ فيه اليهود من جريمة قتل الطفل. وساعد مونتفيورى فى تقديم الرشوة للباب العالى الكونت كاموند Camondo الذى كان مديرا لأعمال البنوك فى الحكومة العثمانية. وهكذا استطاعت قوة المال اليهودى أن تطمس الحق فى هذه الجريمة كما فعلت فى جرائم عديدة غيرها<sup>(١)</sup>.

#### ثالثا : حادثة مقتل الطفل (هنرى عبد النور) ١٨٩٠ بدمشق :

يذكر ليز أنه فى دمشق سنة ١٨٩٠م اختفى الطفل المسيحى (هنرى عبد النور) وعمره ست سنوات فى السابع من أبريل قبل عيد الفصح اليهودى، ثم عثرت عليه السلطات فى بئر بالقرب من حارة اليهود، وعند الفحص تبين أن دمه قد استنزف من جرح فى المعصم قطع الشريان، ادعى ليهود أن الطفل قد سقط فى البئر، ولعب المال اليهودى دوره الخطير فطمس الجريمة التى كتبت عنها صحف أوروبا وكانت الأدلة فيها قوية ناصعة، ولم تجر محاكمة اليهود المجرمين لينالوا جزاء وحشيتهم<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع خطر اليهودية العالمية ص ٨٢-٩٧ صراخ البرئ ص ١٤٤ - ١٩٧.

(٢) نقلا عن خطر اليهودية العالمية ص ٩٧.

ويقول حبيب فارس في كتابه "صراخ البرئ": إنه في دمشق الشام في ٣ يونيو ١٨٩٠:

علم الناس أجمع ما جرى في هذه الأيام من قتل (غلام) على يد بعض اليهود وقد كتبت بعض الجرائد ولاسيما الأوربية منها طرفا من هذه الواقعة غير أنني ألقيت في بعضها مما انتهى إلينا نقصا وإيجازا لا يكاد يكشف الحجاب عن وجه الحقيقة، وألقيت وفي البعض الآخر مباينة وخلافا.

ولما كانت ممن عنده علم شاف بالواقعة واطلاع عليها، أحببت أن أرفع الأشكال عما أغمض عنها، وأعرض القصة على الوجه الذي صدرت عليه من النزاهة عن الهوى والتحرى عن الحقيقة ليحكم الناس بيننا وبين البعض من هذه الأمة المنكودة الحظ كما وصفها بذلك أحد أبنائها اليهودى التلمودى سليم كوهين في أحد أعداد لسان الحال وسأخص بالذكر من هذه الحادثة ما كان أعلق بالجواهر وأمس أهمية، وأدع الإطالة إلى فرصة أخرى إن شاء الله<sup>(١)</sup>.

ففى نهار الاثنين فى سابع نيسان الساعة التاسعة والنصف بعد الظهر هنرى عبد النور أحد أولاد الطائفة النصرانية من الأرمن الكاثوليك فى دمشق وله من العمر ست سنوات وفى الحال أرسل أهله فى التفتيش عليه فى بيوت الأقارب والمعارف وبعثوا من نشده فى جميع أحياء المدينة سواد ليلتهم فلم يقفوا له على أثر.

وفى الغداة توجهت أم الغلام ووالدتها إلى منزل وإلى الولاية مصطفى عاصم باشا واتهمت عنده بعض اليهود فأنكروا أن يكونوا فعلوا ذلك وأمر معاونه فसार إلى رئيس الشحنة وتقدم إليه فى التفتيش على الغلام المفقود<sup>(٢)</sup>.

وبعد مضى أحد عشر يوما زعموا أنهم قضوها فى البحث والتنقيب أمر رئيس الشحنة معاونه أن يفتش فى منزل الفقيد (كذا) ففعل وأنزل إلى بئر كان هناك من

(١) صراخ البرئ ص ١٢.

(٢) المصدر السابق ص ١٣.

بحث فيه وفي بئر أحد المنازل المجاورة، ثم انتقل فجأة وتخطى عدة بيوت إلى بئر مجهول في مأوى عجلات إلى جانب الثكنة الشاهانية عند فوهة حارة اليهود ولما دخلوه تقدم أحد الشحنة إلى فهم البئر وكان مغطى بلوح خشب عليه حجارة ضخمة لا يقوى الرجل الواحد على حملها واستروح رائحته وقال يغلب على ظني أن الغلام في هذا البئر ثم جاءوا بمن نزل إليه ولما وصل إلى نصفه صرخ فأطلعوه واستخبروه فقال في البئر شيء لا أدرى أعلام هو أم "هرة".

فطيروا الخبر بذلك إلى طيار باشا وفوزى باشا رئيس الشحنة ومعاون المدعى العمومى وكانوا في انتظارهم رجما بالغيب وأخذوا بالوحى فحضروا وأمروا بإخراج "تلك الهرة المنتنة" من البئر وأرسلوا فأخبروا والده الفقيد وسألوها أولا وثانيا هل تعلم أن هذا الغلام غلامها ثم أحضروا معاون طبيب البلدة وقالوا له أن يدقق ليعلم إن كان الغلام وجد في البئر محتثقا على أثر سقوطه فيه أم لا: قالوا والدليل على ذلك أنه كان إلى جانب البئر عجلة صغيرة ففى غالب الظن أنه أراد ركوبها فسقط عنها في البئر (ولو كان مغطى كما ذكرنا).

ولما استفاض الخبر بوجدان الولد اجتمع خمسون رجلا من اليهود وذهبوا ليبشروا الوالى ثم عادوا وأمروا فى المساء أن تزين منازلهم وألقى القبض على أصحاب مأوى العجلات فأقروا بعد الاستنطاق أنه حضر إليهم ليلتهم البارحة الساعة الثامنة نفر من اليهود معهم كيس زعموا أن فيه زادا لهم طلبوا إليهم عجلتين إلى دمر (منتزه بعيد عن المدينة) قالوا ولما ذهبنا لإعداد العجلتين دخل بعضهم إلى حيث كان البئر ثم خرجوا ورجعوا من حيث أتوا ادعاء أننا تأخرنا فى الإعداد.

فلما رأى أولياء الحكم أن فى هذا الإقرار دليلا كافيا لتأثير بعض اليهود تهددوهم إن لم ينكروا الأمر خيفة القلق حينما تتصل الحكومة لمعرفة الصحيح تأكيدا ففعلوا خشية ورهبة.

وكان أهل الفقيد قد طلبوا أن تستدعى الأطباء إلى تشريح الجثة فحضر منهم من

نظر فيها وأمر بحفظها في المستشفى العسكرى تحت الختم وأجلت ساعة التشريح إلى الغد حيث قرئ على الأطباء أسماء من عين منهم للتشريح وهم نحو العشرين طبيا بين عسكريين وملكيين وانصرف الباقون ولما شرعوا في فحص الثياب وجدوا أن الحذاء اليمين كان في الرجال اليسرى وبالعكس والرداء ناقصا قبة العنق والأكمام، ووجدوا السروال مقلوبا أمامه إلى الوراء وبالعكس وكذا الصدرية والتكة من فتيل المصباح وقد كانت من نسيج مطرز، ورباط الجوربين أحدهما تحت الركبة والآخر متدليا إلى أسفل وكلاهما من نسيج أسود حال كونهما كانا من الأربطة ذوات الأبريم، وهذه الفروقات ظهرت أيضا عند مقابلة حلة الذبيح بحلة أمثاله من تلامذة الراهبات العازريات لأن الغلام كان من أولاد مدرستهن<sup>(١)</sup>.

وأما ما لوحظ في الجثة عند التشريح فقد وجد عند الصدغ وجانب الرأس جلف ممتد إلى قرب العين، وكانت العضلات التى تحته رخوة مملوءة دمًا، وكان على الأسنان تراب وطين وكذلك على طرف اللسان وكان بارزاً من بين الثنايا قليلاً، ورؤى على العضدين والفخذين بقع منتفخة محمرة احمراراً خفيفاً وهى ناشئة عن العصب لما قبض على الولد ليمنع من الحركة عند الاستنزاف، وكان على طرف اليد اليمنى عند موصل الكف بالساعد جرح صغير عرضى بجانب ثقب واصل إلى العرق المعروف بالاسيلم ومنه استنزف الدم.

ولما وقع خلاف بين يهودى من الأطباء وسائرهم في شأن الجروح وزعم أنه "نخسة فارة" (كذا) حقن بمحقنة فيها ماء ملون فسرى الماء في العرق صاعداً. وعند فتح الجمجمة لم يوجد فيها دم البتة ولا أثر يقضى بخلاف الاستنزاف وكذا الرئتين والقلب وكانت المعدة مملوءة بأكمل مختلف معه قطع قضاوى وهذه وجد مثلها في الحلق وفي الرئة أيضاً وكانت خالية من الماء<sup>(٢)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ١٣ - ١٥.

(٢) لقد أثبت حبيب فارس نص تقرير الأطباء بعد تشريحهم لجثة الطفل هنرى عبد النور، مع ذكر أسمائهم وأقوالهم بالتفصيل، راجع صراخ البرئ ص ٩١ - ١٠٣.

ولما علمت الحكومة بنتيجة هذا الفحص وتأكد عندها أن الولد مستنزف دمه كما كانت تعلم، أمرت بكنم هذا الأمر وأخفت أوراق الفحص، وقيل للأطباء أن يقولوا إنهم لم يثبتوا الاستنزاف في التشريح واطلقوا بعد أن أوجبوا قطع اليد وحفظها للغد مراعاة "للخلاف الذي ذكرته في الجرح".

وفي الغد اجتمع العسكريون وحدهم وفتحوا الختم، وبعد أن تحققوا ثانية أن الاستنزاف من اليد طلبت أم الذبيح أن يدفعوها لها فأبوا، وبادر صاحب نخسة الفأرة المتطبب اليهودي وقطعها بالسكين إرباً وضمت إلى الجثة، ودفن الكل غلس يوم الخميس في ٢٤ نيسان خفية من الأهل والناس، وأقيم على القبر الخفر: ستة في النهار واثنا عشر في الليل حذار أن تسرق اليد. وكفى بهذه الخفارة دليلاً قاضياً بصحة الاستنزاف إذا وهت بقية الدلائل.

وفي هذا اليوم بعينه أرسل الوالى فى طلب الأطباء أيده الله، وقام فيهم خطيباً يذكرهم بما كتب على العلماء من وجوب إسعاف أولياء الحكم فى كبح جمال الجهال، وبث الراحة والسكينة، ثم نقم عليهم ما عزاه إليهم من إشاعة الاستنزاف وأنكر انتدابهم للتشريح بعد أن كان قد دعاهم رسمياً، وتهدهم أن عادوا إلى مثل أقوالهم الملفقة، وهكذا انتهت هذه المذبحة البشرية وفصلت تلك الدعوى<sup>(١)</sup>.

ثم يقول حبيب فقارس: ما زالت الأخبار ترد علينا من دمشق الشام بما يزيد أولى الفهم تعجباً وأولى العد اشتمئزاً وأولى الحمية حماسة ومحبة البشرية غيره، والكل يأسفون لبلوغهم بأنه مازال الذهب والفضة لجاما كابحا للعدل وللحرية، حتى صار يصح القول بأن المال أساس الملك، بدلا من أن يكون العدل أساساً له، فهذه من جملة الأمور التى تجعل العاقل يكره الحياة إذ ما فائدة الحياة أن كانت بأيدي الممولين، والممولون سائرون اتباعا لغيهم وغايتهم لا يقيد أعمالهم العقل ولا يردعهم عن مطامعهم العدل.

---

(١) صراخ البرئ ص ١٥ - ١٧.

ثم يتوجه إلى أولى الأمر والمسؤولين عن تنفيذ العدالة بسؤال يقول إنه يلقيه في محكمة الضمير والإنسانية، والعدل والحرية:

ما هي النتيجة التي توصلتكم إليها بعد الفحص عن ولد صغير وجد فاقد الحياة مطروحا في بئر، وقد نظرت أعينكم إلى هيكل الروح التي ادخلها الله الخالق فيه، فنزعتها منه الأيدي الشريرة ظلماً وعدواناً بوسائط بربرية اظلمت لها شمس الانسانية، واكفهر لها وجه الشعائر البشرية، وقد نظر أطباؤكم في الجثة علامات الاستنزاف فلم يبق سوى معرفة اليد البربرية ومعاقبة الجاني ورفع التهمة عن غيره. لماذا وقفتم سريان هذه الدعوى ولماذا تغاضيتهم عن اتباع الفحص والتدقيق على جناية نسبت لأمة لا يتصور العقل البشرى أن يتفق عقلاؤها وعلمائها على اتخاذ القتل (المنهى عنه في الوصايا العشر) قاعدة لدياناتهم وأساسا لها.

الأجل المحاماة عن هذه الأمة اليهودية فعلتم ما فعلتم واغتضتم الطرف عن هذه الدعوى؟ ألأنكم اعتمزتم على كلام أم الولد المسفوك دمه، إذ نسبتم لها القول بأنها لا تتمكن "نظرا لحاتا" من قيام دعواها الشخصية، وعلى ذلك ألقيتم الدعوى في قبر الخفاء مع أن القوانين لديكم تصرح بأن الجناية من الحقوق العمومية، وعلى الحكومة إجلاء الحقيقة وعقاب الجاني سواء أقام المدعى الشخصي دعواه أم لم يقيمها<sup>(١)</sup>.

**ثم ينقل ما ورد إليه في رسالة دمشق بتاريخ ٩ يونيو:**

أولاً تقرر منع الدعوى استناداً على كون الأم الثاكلة سئلت إذا كانت تود رفع دعوى خصوصية وأنها أثبت (والحال أنه عند سؤالها في وقتها أجابت بأن انحطاط قواها والمرض الذي استولى عليها من شدة مصيبتها لا يسمحان لها بالجواب القطعي وأنه عند شفائها ترى بالإيجاب وأنها تاركة الأمر لعدالة الحكومة).

ثانياً أن المال المدفوع لصاحب الأصل (كنا نود أن تكون الأذن بليت الصمم ولا

(١) المصدر السابق ص ١٩ - ٢٢.



تسمع هذا) على سبيل الرشوة هو ألف ليره ما خلا ما دفع لغيره ممن يقدمون ويؤخرون في الأمر.

وقال البعض إنهم مستعدون لبذل كل ما تصل إليه أيديهم من المال إخفاء للحادثة وسترا للكشف ولو كلفهم ذلك صفر اليد . . . فمن ينظر لحالة هذه الأم الحزينة ولا يقول.

أفأى عين لا ترف وتدمع      أم أى قلب لا يرق ويفجع  
لمصائب الدهر الخؤون وبأهله      فكأنه سهم ونحق المصرع

ثالثا: أن دولتو مصطفى عاصم باشا كان واليا على بغداد فمنع يوما ما اليهود من دفن أحد موتاهم في مقبرة كانت قريبة من بيوت السكنى محافظة على الصحة العمومية فهاجوا وماجوا وأخذوا يكتبون ضده فصار فصله من مركزه فخاف أن يجرى به في دمشق الشام ما جرى له في بغداد ولما كانت الرشوة تعمى البصيرة فقد زلت به القدم<sup>(١)</sup>.

رابعا: لقد قال بعض الإسرائيليين وقولهم حق أن العدل لا يجعلهم أن يكونوا مسئولين عما يفعله غيرهم من أبناء ملتهم، الذين مازال برقع الجهل على أعينهم والذين لعمارة قلوبهم يظنون أن استنزاف دم المسيحى فرض من فروض الدين، وذبيحة مقبولة لديه تعالى، إنما المسئولية بهذا الأمر الفظيع تعود على نفس الفاعل<sup>(٢)</sup>.

فإن كان الأمر والحالة هذه كما ذكر أليس الأجدر بالحكومة المحلية أن ترفع من عقلها التصور بأنها بفحص القضية تمس أمة وتوقعها تحت طائلة الغضب، وتأخذ

---

(١) يذكر الأستاذ/ مصطفى أحمد الزرقا أن هذا الوالى قد ارتشى من اليهود رشوة أعمته وقادته إلى تغطية القضية وقلب الحقائق وخيانة أمانته على حقوق الناس!! وأن وجود أمثال هذا الوالى بين الحكام المسئولين هو الذى يشجع اليهود على الاستمرار فى جرائمهم اعتمادا على الرشوة (من مقدمته لكتاب الكنز المرصود ص ٣٢).

(٢) راجع المصدر السابق ص ٢٣ - ٢٤.

على عاتقها التدقيق بالأمر وأخذ المعلومات سرّاً وعلانية للوصول إلى معرفة الفاعل، وإجراء تأديبه على رؤوس الأَشهاد، وخابرة رؤساء الملة الإسرائيلية الذين لا بد أن يروا كما يرى كل عاقل أشرقت على ذهنه شمس التمدن أن في استنزاف دم الإنسان عملاً وحشياً وفعلاً بربرياً، لا يمكن أن ينطبق على قوانين الدين الذي إذا وجدت فيه هذه المبادئ لا يصلح أن يكون ديناً، بل يجب اعتباره بمنزلة شيعة مضرّة بالهيئة المتمدنة وبالحقوق العمومية ومن الواجب على ذمة الحكومة وعلى كل فرد من أفراد الأمة السعى لاستئصالها أو نزع ما كان فاسداً فيها<sup>(١)</sup>.

ثم يذكر حبيب فارس أن ما رآه من إقدام العموم على قراءة صراخ البرى في بوق الحرية، وحبهم الاطلاع على حقائق الأمور وما بلغه عن لسان عقلاء الإسرائيليين أيضاً من استحسانهم ما أتى بذكره، وربغتهم في انجلاء الحقيقة وإشهار العدالة كيلا يبقى في الزوايا خبايا.

كل ذلك يؤكد لنا بأن حكومة دمشق الشام ستبشر من تلقاء نفسها وقبل أن ترد عليها الأوامر من مصدر العدل مركز السلطنة العظمى إلى مراجعة الفحص والتدقيق بالدعوى المار ذكرها، وأن تشهر المحاكمة التي تجزئ بها علناً لتعرف عند الجميع تفصيلاتها كما عرفت عندهم ظروف الواقعة، وتكون إجراءات الحكومة بهذا الخصوص باعثة على رفع ألوية الثناء عليها لسلوكها على خطة العدل منزهة عن كل غاية وفقاً لمشرّب مولانا أمير المؤمنين.

ونحن نعلم بأن حضرة دولتو مصطفى عاصم باشا وحضرة المدعى العمومى وأعضاء حكومة الشام المحلية يهتم جداً بالألا تكون هذه الحادثة نقطة سوداء في أعمالهم تخلد في الأذهان، ومن بعد الأذهان تبقى في بطون الأوراق فتداولها الأيدي على طول الزمان.

وقد اعتمدنا على مداومة إطلاق قرائنا الكرام على كل ما يجد بهذه الحادثة. وإن

---

(١) راجع المصدر السابق ص ٢٤ - ٢٥.

نجعل لها مجموعة على حدة (باللغة العربية واللغة الفرنسية) تتضمن كل ما جرى ويجرى بها، على أننا لا نتوقف عن إشهار الأسماء والألقاب كما هي، وإيضاح الحقائق بقلم الحرية، وإعطاء كل ذي حق حقه بما يستحقه عمله خيراً كان أو شراً.

وبودنا أن تتصل دعوى قتل هذا الولد البرى (الذى ما زال صوته يصرخ نحو العدالة طالباً الانتقام من قدموه ذبيحة على هياكل الترفض والجهالة والقساوة البربرية) إلى نهاية منطبعة على روح العدالة وأن نعود لمبادئنا بما كنا نعتقده بدولتو مصطفى عاصم باشا وإلى ولاية الشام من النزاهة وعفة النفس والعدالة، وإقدامه على إجراء العدل اتباعاً لأوامر سلطاننا عبد الحميد، لا زالت أنوار عدالته شاملة كافة رعاياه وقاطنى مملكه المحروسة<sup>(١)</sup>.

ثم يقول حبيب فارس: وإننا إيجاباً لطلب الكثيرين نضع هنا رثاء الأم الحزينة لولدها الذبيح<sup>(٢)</sup>.

### رثاء الذبيح

ولداه يا ولداه بعدك بلوتى	ما العيش غير تحسر وتندم
أخذ اليهود وحيد أحشائى وقد	سفكوا دماء بجنح ليل مظلم
ولداه لما صرت تصرخ باكيًا	أهل القلوب عليك لم تتألم
ولداه لما صحت ويلي قائلاً	أماه كيف ندا البرى لم يعلم
يا ظالمون أما سمعتم قوله	أماه لولا الظلم لم أنظلم

(١) صراخ البرى ص ٢٦ - ٢٨.

هذا وقد أخذ حبيب فارس يتابع أحداث هذه القضية ويكشف خباياها، ويفضح أسرارها، وأثبت كل هذا مع ما تعرض له من ونقد هجوم وتهديد فى كتابه "صراخ البرى" - راجع من ص ٤٤ إلى ١٤٣ أى حوالى مائة صفحة كاملة بجانب ما كان يذكره عن هذه الحادثة أثناء عرضه للذبايح التلمودية فى الشرق وفى الغرب والتي سبق أن تحدثنا عنها وأشارنا إليها.

(٢) ها الرثاء من تأليف صاحب صراخ البرى.

يا ظالمون أما نظرتم خوفه  
إن الصخور إذا رأت وجه البرى  
كى يندب المذبوح ندب تحسر  
ولده كأس الموت ذقت معذبا  
أماه ما من سامع لتضرعي  
فصرخت لما رأيت دمي سائلا  
يا أيها الحاخام رجعنى إلي  
لم يسمع القاسى الصراخ وإنما  
وتقدموا مثل الذئاب إلى خرو  
ناديت يا ربى أزل عنى عذا  
سأموت يا ولدى عليك كآبة  
هنرى حبيى أين أنت لعلني  
قد غبت يا ولده عن عينى فما  
هل ألقى الحزن الذى ألقى على  
لا ذاقت الحيات مثل مصيبتى

وسقوط أدمعه بلون المندم  
يتحول الصخر الأصم إلى فم  
ويقول يا ربى لما لم تنقم  
فلما بعدل حميدنا لم تحتم<sup>(١)</sup>  
وخذوا يدي بألة لم ترحم  
ولتى<sup>(٢)</sup> القساوة علة لم أعلم  
أمى وأهلى وليس ينفعكم دمي  
زاد العذاب بضرب سوط مؤلم  
ف منهم قد ذاق طعم العلقم  
بهم فمن قولى لقد سدوا فمي  
فالله يعلم حسرتى وتألبي  
أطفى غليلي ساعة بتكلم  
لى بالحياة ومن يزيل تظلمي  
رأسى على جبال ولم يتحطم  
كلا ولا فهم وما لم يفهم<sup>(٣)</sup>

---

(١) هذا كما وردت فى صراخ البرئ ولعلها محرفة وصحتا (بُحكم) بالبناء للمجهول. أى فلماذا لم يحكم بالعدل على القتلة المجرمين؟ هذا ما ذكره الدكتور/ يوسف نصر الله فى تقديمه لكتاب الكنز المرصود ص ٣٢.

(٢) تى إسم إشارة بمعنى هذه أى لم أعلم علة وسببا لهذه القساوة.

(٣) صراخ البرئ ص ٢٨ - ٢٩.

ومعنى الشطر الثانى فى البيت الأخير أنه يقول: ولا ذاق مثل مصيبتى من يفهم ولا يفهم، فتأمل: شعر ركيك، ولكنه نفثات (د/ يوسف نصر الله - مقدمة الكنز المرصود ص ٣٣).

#### رابعاً: قضية مقتل الأب توما وخادمه إبراهيم عمار:

وقبل أن نعرض لوقائع محاكمة أخطر حادثة من حوادث الذبح البشري، وأشهر قضية من قضايا القرايين البشرية، وأفظع جريمة من جرائم استنزاف الدم الإنساني، ينبغي أولاً أن نلم بأشخاص وأطراف القضية وملابسات وقوعها:

ورد في كتاب صراخ البرئ ومقدمة الكنز المرصود وكتاب خطر اليهودية العالمية أن الأب توما لود في (كجلياري) من جزيرة (سردينيا) في إيطاليا نحو سنة ١٧٨٠ م وسمى فرانسوا أنطوان، ودخل رهبنة الكبوشية سنة ١٨٠٧ م وانتقل إلى دمشق للخدمة في أديرتها، وعمل طوال ثلاث وثلاثين سنة بإخلاص وغيرة وحنان خادمة لجميع الطوائف، لا يفرق بين دين ودين، يعالج المرضى مجاناً ويطعم الناس ضد الأوبئة، وعرف في دمشق مثالا للنبل والخلق الكريم.

وفي مساء يوم الأربعاء ٢ ذو الحجة ١٢٥٥ هـ الموافق ٥ فبراير ١٨٤٠ طلب الأب توما لحارة اليهود بقصد تطعيم ولد ضد الجدري، فلبى الدعوة في الحال، لكن الأب توما اختفى ولم يخرج من حارة اليهود، فقد وقعت في ذلك اليوم أبشع جرائم استنزاف الدم البشري، واعتبرت الجريمة أهم ما وقع من نوعها في القرن التاسع عشر.

والذي حدث أن الأب توما بعد عودته من زيارة الطفل المريض مر بصديقه الحميم اليهودي داود هراري فاستدعاه إلى داره فلبى الدعوة. وحينما دخل الدار وجد شقيقى داود هراري وعمه واثنين من حاخامات اليهود. فلما صار في إحدى الغرف أغلق الباب، وانقض جميع الحاضرين عليه كالذئاب الكاسرة، ووضعوا على فمه منديلاً، وقيدوه من قدميه ويديه، ثم نقلوه إلى غرفة بعيدة عن مظل الشارع، وألقوه هناك إلى أن أظلم الليل، وأخذوا في الاستعدادات اللازمة لذبحه!!!

ثم قاموا باستدعاء حلاق يهودي اسمه سليمان وأمروه أن يذبح القسيس، فخاف هذا الرجل وامتنع عن الإقدام على هذا العمل، فما كان من داود هراري الرجل

(التقى) بين اليهود وصديق الأب توما، إلا أن تناول السكين بنفسه ونحر الضحية، ولكن يد هذا الصديق أخذت ترتجف فتوقف عن إكمال العمل، فجاء في الحال أخوه هارون لمساعدته فأتم عملية الذبح، وجمعوا الدم في وعاء ثم نقلوه إلى قارورة كبيرة، وسلم إلى الحاخام باشا يعقوب العنتابى الذى تمت العملية بناء على أوامره نظرا لحاجته إلى الدم لاستعماله بفطير عيد البوريم الذى كان يصادف ١٤ فبراير.

وبعد أن تم تصفية دم الذبح على هذه الحالة نزعوا ثيابه عن جثته وأحرقوها، ثم قطعوا الجسد قطعاً، وسحقوا العظام بيد الهاون، طرحوا الجميع في أحد المصارف المجاورة لمنزل الحاخام موسى أبى العافية، وظنوا أنهم بهذه الطريقة قد دفنوا الحادثة في بئر عميق.

ولكن حينما طال وقت رجوع الأب توما إلى ديره قلقت أفكار خادمه إبراهيم عمار، وبما أنه كان عالماً بتوجهه لحارة اليهود فإنه جاء إليها يسأل عنه، فدخل دار داود هراوى وسأل من كان فيها عن سيده، فأدخلوه منزل اليهودى يحيى ماهر فارحى، وذبحوه كما ذبحوا معلمه وأخذوا دمه إلى الحاخام باشا<sup>(١)</sup>.

وكان كشف الحادثة على هذه الصورة التى وردت في صراخ البرئ.

"إنه في صباح اليوم الثانى ٦ فبراير جاء الذين كان لهم عادة أن يحضروا للدير لاستماع قداس البادرى (الأب) توما، وبما أنهم قرعوا الباب ولم يجابوهم أحد تحيروا، وكان بعضهم قد شاهدوا البادرى توما عشية أمس متوجها لحارة اليهود، فقلقت أفكارهم فأعلموا الباقين بالأمر فوقع بين الشعب هيجان، وسار البعض إلى سراى الحكومة، وطلبوا الفحص والتدقيق عن هذا الأمر".

(١) راجع صراخ البرئ ص ١٤٨ - ١٥٢ ومقدمة الكنز المرصود ص ٣٣ - ٣٦ وخطر اليهودية ص ٩٧ - ٩٨.

واهتم قنصل فرنسا<sup>(١)</sup> بالحادث وعمل مع السلطات التركية الحاكمة للكشف عن أسرارته حتى أخذ التحقيق مجراه وكشف عن هذه الجريمة المروعة التي تردد صداها في جميع أنحاء العالم.

ففى يوم ٤ من ذى الحجة سنة ١٢٥٥ هـ الموافق ٧ فبراير ١٨٤٠م حضر قنصل فرنسا بدمشق إلى ديوان الوالى العمومى، وقدم تقريراً عن وقوع الحادث وحكى ما سبق أن وردناه من تغيب واختفاء الأب توما وخادمه إبراهيم عمار وانزعاج الناس وقلقهم من هذا الأمر.

وأمر قنصل فرنسا بإرسال ذلك التقرير إلى سعادة شريف باشا وإلى دمشق لأجل أن تجرى الحكومة اللازمة فى التفتيش على الأب توما وخادمه، وتتكشف كيفية فقدهما<sup>(٢)</sup>.

وقد اتهم ستة عشر شخصاً فى هذه القضية وقدموا للمحاكمة.

ثمانية منهم اتهموا فى قتل الأب توما، وهم: داود هرارى، وهارون هرارى، وإسحاق هرارى، ويوسف هرارى، ويوسف لينيدوه، والخابام موسى أبو العافية، والخابام موسى بخوريودا المشهور بسلونكى، وسليمان الحلاق.

والثمانية الباقون اتهموا فى قتل الخادم إبراهيم عمار وهم: ماهر فارحى، ومراد فارحى، وهارون اسلامبولى، وإسحاق بتشوتو، وأصلان فارحى، ويعقوب أبو العافية، ويوسف مناحم فارحى، ومراد الفتال<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد نشرت التحقيقات والمحاكمة فى عدة كتب أوربية وهى ما زالت محفوظة فى سجلات العدل بدمشق<sup>(٤)</sup> ونشرت بالتفصيل فى كتاب (شارل لوران)

---

(١) سبب ذلك أن الأب توما كان فرنسى التبعية (الجنسية) مقدمة الكنز المرصود ص ٣٧.

(٢) صراخ البرئ فى بوق الحرية ص ١٥٢ - ١٥٣ شارل لوران فى القسم الثانى من الكنز المرصود فى قواعد التلمود ص ١١٥ - ١١٨ خطر اليهودية العالمية ص ٩٨.

(٣) صراخ البرئ ص ١٥٢ شارل لوران فى القسم الثانى من الكنز المرصود ص ٢١٦.

(٤) خطر اليهودية العالمية ص ٩٩.

وهو القسم الثانى لكتاب الكنز المرصود فى قواعد التلمود<sup>(١)</sup>، ونقل حبيب فارس مقتطفات طويلة من هذه المحاكمة فى كتابه "صراخ البرئ"<sup>(٢)</sup>.

ومن العسير علينا وعلى القارئ أن ننقل له فى كتابنا هذا نصوص هذه المحاكمة التى استغرقت من ص ١١٣ إلى ص ٢١٩ من كتاب الكنز المرصود فى طبعته الجديدة ١٩٨٧م أى أكثر من مائة صفحة ولكن يمكننا أن نطلعه على مقتطفات من اعترافات وتقارير عدد من المتهمين:

#### **اعتراف واستجواب سليمان الحلاق:**

بعد أكثر من عشرين يوماً مت التحقيقات، وفى يوم الجمعة / ٢٥ / ذى الحجة ١٢٥٥هـ حدث ما يلى:

حيث إن الشبهة قوية ضد سليمان الحلاق، وإنها تتقوى من وقت إلى آخر، وإنه يظهر عليه أن يخفى الحقيقة فى مسألة قتل الأب توما، وإن باقى المتهمين مصممون على الإنكار، رؤى أنه من الضرورى استرجاع سليمان المذكور والتضييق عليه فى الأسئلة، وأنه يسامح من العقاب إذ قال الحق فى مسألة القتل. فعبد ما توقف قليلاً وأبدى حججاً باطلة اعترف بها يأتى:

"إن داود هرارى أرسل بعد المغرب بنصف ساعة خادمه ليدعونى من الحانوت، فحضرت عنده، ووجدت هارون هرارى، وإسحاق هرارى، ويوسف هرارى، ويوسف لينيوده، والخابام موسى أبا العافية، والخابام موسى بخور يودا سلونكى، وداود هرارى صاحب المنزل، والأب توما مربوطاً.

فقال لى داود هرارى وأخوه هارون: قم فاذبح هذا القسيس، فقلت لهما: لا أقدر. فقالا لى: أصبر، وقاما فأحضرا السكين. وألقيته أنا على الأرض، وأمسكت به

---

(١) من ص ١١٣ - ٢١٩.

(٢) من ص ١٤٨ - ١٧٣. وردت هذه المحاكمة أيضاً فى كتاب محمد صبرى: التلمود شريعة بنى إسرائيل حقائق .. وقائع ص ٣٨ - ١٢٣ نشر مكتبة مدبولى القاهرة.



مع البقية، ووضعت رقبته على طشت كبير، وأخذ داود السكين الكبير، وذبحه وأجهز عليه هارون أخوه. وحافظ على عدم سقوط نقطة من دمه خارج الطشت!!.

وبعد ذلك جررناه من الأوضة (الغرفة) الذى ذبحناه فيها إلى التى فيها الخشب، ثم نزعنا ثيابه وأحرقوها.

ثم حضر الخادم مراد الفتال ونظره عرياناً فى المربع الذى فيه الخشب، فقال لى للخادم السبعة المذكورون: قطعاً القسيس إرباً إرباً، فسألناهم أين ترمونه؟ قالوا ارمياه فى المصارف. فصرنا نقطعه إرباً، ونضعه فى الكيس مرة بعد أخرى، ونحمله إلى المصرف. والمصرف الذى رميناه فيه عند أول حارة اليهود بجانب منزل الحاخام موسى أبى العافية. ثم رجعنا إلى بيت داود هراى.

وعند انتهاء المأمورية قالوا للخادم أن يكتم السر، ووعوده بأنهم يزوجه من ما لهم مكافأة له على ذلك، وقالوا لى إنهم سيعطونى دراهم. وتوجهت إلى منزلنا.

ثم سئل سليمان الحلاق عدة أسئلة وأجاب عنها:

س- كيف عملتم بعظامه؟

ج- كسرناها بين الهاون.

س- ورأسه كيف عملتم به؟

ج- كسرناه بيد الهاون أيضاً.

س- هل دفعوا لك شيئاً من النقود؟

ج- وعدونى بأن يدفعوا لى دراهم إذا كتمت السر. وإذا بحث به يتهمونى القتل.

وأما الخادم فوعده بالزواج كما ذكرت.

س- كيف كان الكيس الذى وضعتم فيه الجثة، وهل كان كيساً واحداً أو اثنين، وإذا كان واحداً فهل حملته بمفردك؟ وإذا كان يوجد اثنان فهل كنت تحمل واحداً والخادم يحمل الآخر؟ وماذا كان لون الكيس؟

ج- الكيس كان مصنوعاً من القماش المستعمل عادة لتحزيم البضائع، وهو مثل

أكياس البن، ولونه سنجابي وكان يوجد كيف واحد، وكنا نحمله أنا والخادم بمساعدة بعضنا.

س- كيف كانت تلك المساعدة؟

ج- كنا تارة نحمله معاً، وطوراً كل منا يحمله بمفرده.

س- وماذا فعلتم بذلك الكيس بعد نقل الجثة؟

ج- تركناه عند داود هرارى.

س- من تقريرك ظهر أنكم حين ذبحتم الأب توما وضعتم دمه ف طشت، ولم يذهب من دمه نقطة واحدة، فبعد أن جررتموه إلى المربع الثانى هل خرج منه دم وأنتم تقطعوناه؟

ج- بسبب اضطرابى لم أنتبه لذلك.

س- المربع الذى قطعتموه فيه بأى شيء هو مفروش، وهل هو مبلط أو لا؟

ج- المربع خراب وفيه تراب وخشب فقط، والتقطيع كان على التراب.

س- كيف عملتم بأحشائه وهل قطعتموها؟ وماذا صنعتن بها فى داخلها، وكيف حملتموها؟

ج- أحشاؤه قطعناها وأخذناها فى الكيس أيضاً وألقيناها فى أحد المصارف.

س- هل كانت المواد التى وجدت داخل الأحشاء تنقط من الكيس؟

ج- لا، لأن أكياس البن لما تكون مبلولة لا ينقط منها شيء.

س- وقت تقطيع الأب توما كم كان عدد الذين قطعوه، وكم سكين كان معكم، وما هى أجناسها؟

ج- كنت أنا والخادم نقطعه، والسبعة الذين ذكرتهم كانوا يعلموننا كيف نقطعه، وكان معنا سكين واحد أقطع بها أنا والخادم، فكلما تعب الواحد أخذها الآخر وجنسها من جنس السكين التى يستعملها الجزارون.

س- وماذا فعلتم بهذا السكين؟

ج- تركناه فى المنزل.

س- على أى بلاطة كسرتم العظام بعد تقطيع الأب توما؟

ج- على بلاطة موجودة بين المربعين.

س- هل المحل الذى بين الأوضتين مغطى؟

ج- إنه مكشوف.

س- لما كسرتم لارأس بالطبع كيون قد خرج المخ منه، فماذا فعلتم به؟

ج- نقلنا المخ مع العظام.

س- لما ذبح الأب توما هل كان الخادم مراد الفتال حاضراً؟ وإذا كان غير حاضر

فهل حضر فيما بعد، ومن الذى فتح له الباب؟

ج- وقت الذبح لم يكن حاضراً، إنما وقت نقل الأب توما من المربع الثانى، ونزع

ملابسه عنه. والذى فتح له الباب أحد المتهمين.

س- هل كان يوجد فى المنزل غير المتهمين كنساء أو خلافهن؟

ج- لم أنظر غير هؤلاء السبعة والخادم.

س- فى أى ساعة حصل القتل بالتقريب؟ وتصفى الدم فى كم من الزمن؟ وفى أى

وقت نقلتموه فى المربع الثانى؟ وفى أى وقت رجع الخادم؟ وفى كم ساعة

حصل القتل؟ وبعد أخذ الدم ماذا فعلتم؟

ج- أظن أن القتل حصل فى العشاء أو بعد العشاء بقليل، واستمر القسيس على

الطشت مدة نصف ساعة أو ثلثى ساعة لغاية ما تصفى الدم بالكلية، ثم نقلناه

فى المربع الثانى بعد العشاء بساعة ونصف، وحضر الخادم وقتما كانت الجثة فى

الأوضة التى فيها الخشب. ولما تم كل شيء كانت الساعة ثمانية<sup>(١)</sup> تقريباً، أما

الدم فإنه بقى فى الطشت فى الأوضة المفروشة، ولا أعرف ما صنعوا به وعند

خروجى تركت الخادم فى المنزل.

س- فى أى محل نزعت الملابس ومن الذى نزعها؟

ج- نزعت الملابس فى المربع الذى حصل فيه التقطيع، والذين نزعوها هم داود

وهارون هراى، وباقى الحاضرين.

(١) أى بعد غروب الشمس بثمانى ساعات بالتقويم العربى، هامش الكنز المرصود ص ١٣٠.

س- ما هو لون الملابس التي كانت على القسيس؟ وما نوع ولون الحزام؟

ج- الملابس كانت سوداء والحزام حبل أبيض كالعادة.

س- المصرف الذي ألقيت فيه الجثة مغطى أو مكشوف؟ وإذا كان مغطى فكيف صنعتم في كشفه؟

ج- المصرف يوجد في أول سوق الفراخ بالقرب من منزل الحاخام (موسى أبو العافية). ويوجد هناك حجر مغطى به. فرفعناه وألقينا الجثة فيه<sup>(١)</sup>.

استجواب واعتراف مراد الفتال خادم سليمان الحلاق:

بعد استجواب الحلاق أرسل إلى حبس منفرد، واستحضر مراد الفتال، وسئل عما حصل وقت قتل الأب توما، ووعد أن ينال العفو إذا قال الحق، فأجاب بأنه ما كان حاضراً وقت القتل بل حضر بعده، ووجد الجثة عارية من الملابس في المربع الخراب الموجود فيه التراب والخشب، وأنه قطعه بمساعدة الحلاق، وبحضور داود وهارون هراى، وإسحاق هراى، ويوسف هراى، ويوسف لينوده، والحاخام موسى أبى العافية، والحاخام موسى بخور يودا المشهور بسالونكى، وأن الجثة قطعت إرباً إرباً، وأنها رميت بمساعدة الحلاق في أحد المصارف، وأنها نقلها في كيس بن.

س- وماذا فعلتم بعظامه؟

ج- سحقناها على البلاط بين الهاون.

س- والرأس؟

ج- كسرناه على البلاط أيضاً بالكيفية نفسها.

س- هل أخذتم أجرة على ذلك؟

ج- وعدوني أن يزوجوني من مالههم، وقالوا للحلاق إنهم سيعطونه دراهم.

س- ما نوع القماش الذى كان مصنوعاً منه الكيس الذى نقلت فيه الجثة، وهل كان

---

(١) راجع القسم الثانى من الكنز المرصود ص ١٢٦ - ١٣٠ صراخ البرئ ص ١٥٤ - ١٥٧ التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٤٥ - ٤٩.

يوجد كيف واحد أو أكثر، وهل حملتموه معاً، أو كان الحلاق يحمل واحداً وأنت تحمل الآخر، وما لون هذا الكيس؟

ج- كان معنا كيس واحد، وكنا نتساعد في حمله، وأحياناً كل منا بمفرده. أما لونه فكان سنجابياً فاتحاً.

س- وماذا فعلتم بالكيس بعد النقل؟

ج- لا أعرف ماذا صنعوا به؟

س- ظهر في تقرير الحلاق أنه وقت ذبح الأب توما وضعتهم دمه في طشت، ولم تذهب نقطة واحدة، ولكن هل وقت تقطيع الجثة في المربع الثاني خرج منها دم؟

ج- نعم قد بل الدم الأرض وقتئذ، ولكن لم يؤخذ ذلك الدم في آنية من الأواني.  
س- كيف عملتم بالأحشاء وهل قطعتموها، وماذا صنعتُم بها في داخلها، وكيف حملتموها؟

ج- قطعنا الأحشاء بما فيها، ووضعنا الكل داخل الكيس، ورميناه في المصرف.

س- هل كان ينقط شيء من الكيس؟

ج- لا، لأن الكيس كان من القماش المتين القوي.

س- كم كان عدد الذين قطعوا الجثة، وكم سكين كان معكم، وما هي أجناسها؟

ج- كان معنا سكين واحد، وجنسها من جنس سكاكين الجزائريين. وكنت أنا وسليمان نقطعه والقون كانوا حاضرين فقط.

س- لما حضرت ووجدت الجثة عريانة هل سألت عن الملابس؟

ج- سألت فقبل لي إنها حرقت.

س- بعد تقطيع القسيس كسرتم عظامه على أي بلاطة؟

ج- على بلاطة بين المربعين وأمام أبوابهما، وهو محل مغطى بسقف في هذه النقطة.

س- لما كسر الرأس بالطبع خرج منه المخ فماذا صنعتُم به؟

ج- جمعنا العظام والمخ ورميناهما معاً.

- س- فى أى وقت ابتدأتم فى التقطيع ومتى انتهيتم؟
- ج- ابتدأنا تقريبا الساعة ثلاثة ليلاً، وانتهينا الساعة سبعة على الأكثر.
- س- هل كان المصرف الذى ألقىتم فيه البقايا مكشوفاً أو لا، وإذا كان مغطى فكيف صنعتم.
- ج- هذا المصرف هو بالقرب من منزل الحاخام موسى أبى العافية، وكان مغطى بحجر فرعنائه ورمينا ما كان معنا فيه.
- س- وأين توجه الحلاق بعد ذلك؟
- ج- الحلاق ذهب إلى منزله.
- س- وأنت إلى متى بقيت عند سيدك بعد ذلك. واستيقظ هؤلاء الأشخاص فى أى ساعة، وما الذى صنعوه، وأين نمت تلك الليلة؟
- ج- مكث ساعة أو ساعة ونصفاً بعد خروج الحلاق، ولما خرجت من المنزل تركت فيه أناساً لا أعرف أمضوا ليلتهم هناك أم ذهب كل منهم إلى منزله، ولا أعلم ما فعلوه لأنى ذهبت لأنام فى منزلى بعدما قدمت لهم بعض نرجيلات ملائمة من التناك.

#### سؤال من قنصل فرنسا : ما منفعة الدم عندهم؟

- ج- يستعملونه فى الفطير.
- س- كيف تعلم ذلك؟
- ج- سمعت منهم أن الدم يستعمل للفطير.
- سؤال من الأمير ألاى حسن بك : بما أنك ما نظرت الدم فمن أين علمت أنه يستعمل للفطير؟
- ج- سألتهم لأى سبب أخذتم الدم؟ فقالوا لى لأجل عيد الفطير !! .
- س- هل حصل قتل الأب توما لمسألة دينية، أو كان يوجد بينه وبين القاتلين ضغائن، وهل كانوا يريدون أن يسلبوا دراهمه؟
- ج- أنا لا أعلم السبب الحقيقى بالضبط<sup>(١)</sup>.

(١) راجع الكنز المرصود ص ١٣٠ - ١٣٣ صراخ البرئ ص ١٥٧ - ١٥٩ التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٤٩ - ٥١.

## معاينة مكان الحادث، وإعادة استجواب الحلاق وخادمه :

(ملحوظة) من الأمير ألاى حسن بك: حيث إن اعتراف المتهمين لا يوجد فيه اختلاف فلنذهب مع الخواجة بودين والدكتور مسارى لمعاينة المحل الذى حصل فيه تكسير العظام، لأنه من الجائز أن نجد آثارا على البلاط، ثم نعاين ذلك لامربع الذى صار تقطيع القسيس فيه، والمصرف الذى ألقى فيه الجثة، ولنأخذ معنا المتهمين ليدلونا على هذه المحلات كل منهم على حدته، ولنبحث عن إمكان تحويل المياه الجارية فى ذلك المصرف عن مجراها الأصلى بسهولة حتى يمكننا أن نجد البقايا التى رميت فيه.

بناء على ذلك توجه المذكورون وصلوا إلى منزل داود هراى، وسئل سليمان الحلاق:

س- فى أى محل ذبحتموه؟

ج- فى هذه الأوضة المفروشة، وكان مسطحا فى وسطها، ووضع الطشت تحت رقبته وذبح.

س- وأين صار تقطيعه؟

ج- فى هذا المربع الخراب الموجود فيه الخشب (هنا أشار سليمان أن التقطيع حصل تحت القبوة) بالقرب من باب المربع من جهة الغرب (شاهد وقت المعاينة آثار دم على حائط المربع المذكور).

س- أين صار تكسير العظام؟

ج- فى هذا المحل بين الأوضتين أمام الليوان (وجد البلاط منخفضا فى الجهة المعينة عن البلاط الموجود فى باقى الأوضة). ثم صار استحضار يد الهاون، وعرفها المتهمون أنها هى التى استعملت فى التكسير. ثم طلبت السكاكين فاستحضر ثلاثة منها، وعندما نظرها الحلاق قال: إن التى استعملت ليست بينها لأنها أكبر من هؤلاء وأحسن، فطلبت سكاكين أخرى، وقيل إنه لا يوجد غير ما استحضر.

وبعد ذلك بحس الحلاق فى الأوضة التى حصل فيها القتل، واستحضر الخادم وسئل عن المحل الذى كان فيه القسيس عرياناً؟ فعين المحل السابق تعيينه من الحلاق.

س- أين صار تكسير العظام؟

ج- (عين المحل الذى عينه الحلاق).

ثم طلبت يد الهاون ونظرها فقال إنها هى نفسها التى استعملت، وعندما نظر السكاكين قال: إن السكين الذى استعمل فى القتل ليس ضمن هؤلاء. ولما أرادوا معرفة المحل الذى ألقيت فيه الجثة دل المتهم على سوق الجمعة المسمى أيضا بسوق الفراح أمام منزل موسى أبى العافية، وعين المحل الذى فتح لرمى البقايا.

عند ذلك أخذ مراد القتال وأرسل إلى السارى، واستحضر الحلاق سليمان من منزل داود هراى، وعند وصوله إلى النقطة التى عينها المتهم الأول قال: ها هى وأشار بيده نحوها.

ثم فتح المصرف فوجد فيه آثار دم، وقطع لحم. واستحضر بعض الشغالة نزلوا فى المصرف، واستخرجوا منه جملة قطع لحم، ورفضه (فلكة الركبة)، وقطعة من القلب، والجمجمة، وبعض عظام، وقطعان من طاقية القسيس. ووضع كل ذلك فى سلة، وسلم إلى قنصل فرنسا لتوقيع الكشف عليه بمعرفة الأطباء بعدما نظره شريف باشا، واطلع المتهمون عليه<sup>(١)</sup>.

---

(١) راجع الكنز المرصود ص ١٣٣ - ١٣٥ التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٥١.

ويذكر حبيب فارس أن عظام البادرى تنوما قد وجدت فى ٣ مارس ١٨٤٠ فى حاوتهم، ونقلت باحتفال عظيم إلى كنية الأباء الكبوشيين حيث دفنت وكتب على حجر القبر باللغتين العربى والإيطالية ما يأتى: "هنا موجودة عظام البادرى توما ده سردينيا المرسل الكيوشى المقتول من اليهود فى ٥ فبراير (شباط، سنة ١٨٤٠)، وقد بذل اليهود جهدهم برفع هذه الكتابة، وإخفاء الحجر المكتوبة عليه إلى أن عرضوا أن يدفعوا ثقل هذا الحجر نقودا إخفاء لذكر هذه الذبيحة الذى سيقى حيا إلى انتهاء الدهر، ويذكر أنه فى ٦ مارس من السنة نفسها وجدت بقايا جثة إبراهيم عمار الخادم فى النهر المالح، ووجدت هناك عظام خلافا كثيرة مما يدل على أن ذبيحة البادرى توما وخادمه كان لها سوابق عديدة والله أعلم بالخفايا (صراخ البرئ ص ١٧٢ - ١٧٣)، والبادرى بمعنى الأب باللغة اللاتينية.



استجواب واعتراف عائلة هرارى: إسحاق وهارون وداود:

ثم استحضر إسحاق هرارى، وسئل عن كيفية حصول قتل الأب توما، ولأى سبب قتل، فقال:

ج- حقيقة أحضرنا الأب توما عند داود باتفاقنا معاً، وقتلناه لأخذ دمه. وبعد أن وضعنا الدم فى قنينة أرسلناه إلى الحاخام موسى أبى العافية، وكنا نصنع ذلك اعتقاداً بأن الدم ضرورى لإتمام فروض ديانتنا.

س- هل الزجاجة التى كان فيها الدم سوداء أو بيضاء؟

ج- الزجاجة كانت بيضاء.

س- من سلم الزجاجة للحاخام موسى أبى العافية؟

ج- الحاخام موسى سلونكى.

س- لماذا يستعمل الدم فى ديانتكم؟

ج- يصير استعماله لأجل خبر الفطير.

س- هل يوزع الدم على جميع اليهود.

ج- كلا، إن ذلك غير ضرورى، إما يحفظ عند الحاخام الكبير.

س- كيف فعلتم لما استحضرتم الأب توما؟

ج- موسى سلونكى، وموسى أبو العافية، هما اللذان دبّرا هذه الحيلة.

س- أين قتلتموه؟

ج- فى الأوضة المفروشة على المصطبة.

س- من ذبحه.

ج- موسى أبو العافية وداود هرارى.

س- وبعد الذبح أخذتم الدم فى أى شيء؟

ج- فى طشت من نحاس.

س- وهل بقى بعد ذلك مدة طويلة فى الأوضة.

ج- بقى نصف ساعة تقريباً.

س- فى أى محل صار تقطيعه؟

ج- فى المربع الخراب.

س- من قطعه؟

ج- كلنا تقريباً، وخصوصاً سليمان ومراد الفتال.

س- من رمى البقايا وفى أى شيء صار نقلها؟

ج- نقلها الحلاق والخادم، ووضعت فى كيس سنجابى من القماش العد لحزم البضائع.

س- فى أى ساعة حصل القتل وفى أى وقت تم؟

ج- حصل الساعة واحدة ونصف، وانتهى الساعة الرابعة.

س- هل نمت فى المنزل أو كل واحد ذهب إلى منزله؟

ج- بعد انتهاء المسألة كل منا ذهب إلى منزله.

س- هل أن أحداً من الحريم فى المنزل؟ وإذا كن حاضرات ففى أى أوضة؟

ج- أظن أنهن كن فى أوضة بحرية ولكنى لم أنظرهن.

س- بالطبع اتفقتم على هذه المسألة قبل وقوعها بأيام، فقل لنا كيف حصل ذلك بينكم؟!

س- اعتمدنا أن يستحضر القسيس موسى أبو العافية وموسى سلونكى، بدعوى أنه يطعم لهما طفلاً بالجدرى، وقد اتفقنا على استحضاره بهذه الحيلة فى منزلة موسى أبى العافية من يومين أو ثلاثة قبل حصول الواقعة، ثم استحضرناه عند أخى داود هراوى وذبحناه.

س- قلت إن الزجاجة موجودة عند موسى أبى العافية، فإذا استحضرناه أمامك وأنكر فهل لديك ما يثبت وجودها عنده؟

ج- أنا متأكد أن موسى أبا العافية هو الذى أخذ الزجاجة، ولكنى لا أعرف أين وضعها، فإذا أنكر أجادله.

س- عندما أخذ موسى أبو العافية الزجاجة هل وضعها فى علبة أو فى شيء آخر؟.

ج- لا، لم يضعها داخل شيء، بل أخفاها تحت جيبته وخرج بها<sup>(١)</sup>. يوم السبت / ٢٦ / ذى الحجة.

استحضر الحاخام موسى أبو العافية وسئل<sup>(٢)</sup>:

س- عند من دم الأب توما الذى وضع فى الزجاجة؟

ج- الدم بقى عند داود هرارى.

س- هل نظرت به عينك؟

ج- نعم نظرت به بعينى.

س- هل هارون هرارى عنده علم بذلك؟

ج- نعم إنه يعرف ذلك بالطبع، لأن الدم عند هارون هرارى

سئل هارون هرارى بخصوص هذا الدم فقال:

ج- موسى أبو العافية أخذ الدم عنده.

س- أخذه فى أى شيء؟

ج- فى زجاجة بيضاء.

س- هل كان موسى سلونكى معكم؟

ج- نعم كان معنا وكنا سبعة.

س- قل لنا عن أسمائهم؟

ج- الأسماء هى التى ذكرتها سابقاً.

سئل موسى أبو العافية عما يختص بموسى سلونكى، فقال:

ج- نعم كان معنا وكنا سبعة.

سؤال - إلى هارون هرارى: ما الذى تم فى الدم؟

ج- اتفقنا نحن السبعة على أن موسى أبا العافية يأخذه، وقد سلمه إليه بالفعل

موسى سلونكى.

---

(١) راجع الكنز المرصود ص ١٣٥ - ١٣٧ صراخ البرئ ص ١٥٩ - ١٦٠ التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٥١ - ٥٤.

(٢) اعتراف الحاخام موسى أبى العافية سنطلع عليه إن شاء الله فى الفصل السادس من هذا الباب.

سؤال إلى داود هراى: أين دم الأب؟

ج- أخذه موسى سلونكى وسلمه إلى موسى أبى العافىة بحضورنا، وكان داخل زجاجة بيضاء يمكن وضع أربع أقات فيها (١).

سؤال إلى هارون هراى: كان الدم فى أى شىء قبل وضعه فى الزجاجة؟  
ج- كان فى طشت.

(داود هراى صادق على ذلك).

سؤال إلى داود هراى: فى أى محل سلمته الدم؟

ج- فى المربع الخراب.

س- لماذا لم تحف الدم عندك فى البيت؟

ج- لأن العادة توجب وجود الدم عند الحاخام.

سؤال إلى داود هراى: هل موسى سلونكى كان موجوداً وقت القتل.

ج- نعم كنا جميعاً حاضرين وقت ذبح الأب توما.

سؤال إلى موسى أبى العافىة: موسى سلونكى كان معكم؟

ج- نعم كان معنا.

سئل موسى سلونكى عن الدم فقال:

ج- أنا لا أعلم شيئاً بخصوص ذلك، ولا سمعت عنه.

سؤال إلى إسحاق هراى: أين زجاجة الدم؟

ج- عند الحاخام موسى أبى العافىة.

س- لأى سبب ينكر إخوتك هذا الأمر؟

ج- ينكرون ذلك مخافة من الضرب أو القتل.

س- أأستم أنتم السبعة الذى قتلتم الأب توما؟

---

(١) الأفة (بتشديد القاف) مقياس وزنى يعادل بالفرامات ألفاً وثلثمائة وأربعين غراماً تقريباً (هامش الكنز المرصود ص ١٣٨).

ج- نعم قتلناه سوياً.

س- مثبت أن القتل حصل بدون شك، ولكن قل لنا أين الدم؟

ج- عند موسى أبى العافية، والذى سلمه إليه موسى سلونكى داخل زجاجة.

سؤال إلى داود هرارى: لماذا قتلتموه؟

ج- لأخذ دمه، وكنا فى اضطراب لهذا الدم إتماماً لفروض طقس ديانتنا<sup>(١)</sup>!!

سؤال إلى هارون هرارى: لماذا عوضاً عن إرسالكم الدم إلى الخاخام لم تحفظوه فى

منزل أخيك داود، خصوصاً وأن القتل حصل هناك؟

ج- صار تسليم الدم إلى الخاخام موسى أبى العافية بواسطة موسى سلونكى، لأن

العادة عندنا أن يصبر حفظ الدم عن الخاخام<sup>(٢)</sup>!!.

### صدور الحكم والحيولة دون تنفيذه:

هذا وقد قدم جميع المتهمين فى تلك المذبحة اعترافات كاملة ومذهلة<sup>(٣)</sup> وعثرت

السلطات على أجزاء جثتى الأب توما وخادمه<sup>(٤)</sup>، ثم جرت المحاكمة التاريخية، وفى

أثناء التحقيق توفى من المتهمين اثنان: وهما: يوسف هرارى، ويوسف لينيوذه.

وانتهت المحاكمة بصدور الحكم على عشرة من المتهمين بالإعدام وهم: داودى

هرارى، هارون هرارى، إسحاق هرارى، الخاخام موسى بخوريودا المشهور

بسلونكى، ماهر فارحى، فارون اسلامبولى، إسحاق بتشوتر، يعقوب أبو العافية،

يوسف مناحم فارحى.

ونال العفو من المحكمة أربعة متهمين لأنهم أقروا بالحقيقة وكشفوا الستار عن

---

(١) أجاب إسحاق هرارى بمثل هذه الإجابة أيضاً.

(٢) راجع كتاب شارل لوران فى الكنز المرصود ص ١٣٨ - ١٤٠ صراخ البرئ ص ١٦٠ - ١٦٢

التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٥٤ - ٥٦.

(٣) راجع تفاصيل المحاكمة فى الكتب المشار إليها سابقاً.

(٤) تحدث شارل لوران عن التحقيقات التى جرت فى مقتل الخادم إبراهيم عمار من ص ١٧٣ - ٢١٥

من الكنز المرصود.

المذبحة وهم: موسى أبو العافية الذى اعتنق الدين الإسلامى وتلقب بمحمد أفندي<sup>(١)</sup>، وأرشد التحقيق إلى جميع أسرار القضية وخبايا التلمود، وأصلان فارحى وسليمان الحلاق ومراد الفتال لأنهم اعترفوا وساعدوا التحقيق على كشف الجريمة المروعة<sup>(٢)</sup>.

وكاد ذلك الحكم أن ينفذ لو لم يفكر قنصل فرنسا فى أنى عرض الحكم على دولتلو إبراهيم لكى يجرى المصادقة عليه.

ففى اثناء تلك المدة اغتتم اليهود الفرصة، ووكلوا اثنين من عظمائهم فى فرنسا وهما: كراميو، وموييز موتيفيورى، فجاء كلاهما من فرنسا إلى الإسكندرية، مرسلين من قبل الاتحاد الإسرائيلى، وقدا عريضة لصاحب الدولة محمد على باشا يلتمسان بموجبها إعادة النظر فى الدعوى: فقال لهما: إنى أفعل معكما أحسن من ذلك وهو:

"أنى أخلى سبيل المحبوسين، وأمر بإرجاع الهاربين إلى أوطانهم، وأظن أن ذلك أفضل من إعادة النظر فى القضية، لأن إعادة النظر مما يتسبب عنها استمرار الضغائن بين المسيحيين واليهود، وهذا أمر لا أوده، وسأخبر القناصل بإرادتى، وأرسل أوامرى الليلة إلى شريف باشا، وإنى أحب اليهود، لأنهم شعب مطيع يحب الشغل، وإنى سأظهر لكن ما يفيد ميلى إليه بكل ممنونية.

ثم سلمهما فرمان العفو، فكتب هذا فرمان وذكر فيه هذه الألفاظ لشريف باشا، وهى: اعف عن المسجونين.

فذهب المندوبان حيثئذ إلى سمو الوالى محمد على وأظهرا له تأثرهما من كلمة (اعف) التى تضمنتها عبارة فرمان، لأن كلمة "اعف" تثبت الذنب، مع أن المتهمين بريئون مما نسب إلهم !! فأمر الوالى بحذف هذه الكلمة وسلم لهما فرمانا آخر هذه نصه:

(١) يذكر الأستاذ عبد الله التل أن اسرة محمد أفندى المسلمة مازالت منتشرة فى الأردن ومصر.

(٢) راجع شارل لوران فى الكنز المرصود ص ٢١٦.

"إنه من التقرير المرفوع لدينا من الخواجات موبيز مونتيفيورى، وكراميو اللذين أتيا لطرفنا مرسلين من قبل عموم الأورباويين التابعين لشريعة موسى، اتضح لنا أنهم يرغبون الحرية والأمان للذين صار سجنهم من اليهود وللذين ولوا الأدبار هربا من تهمة حادثة الاب توما الراهب الذى اختفى فى دمشق الشام فى شهر ذى الحجة سنة ١٢٥٥ للهجرة مع خادمه إبراهيم.

وبما أنه بالنظر لعدد هذا الشعب الوفير لا يوافق رفض طلبهما، فنحن نأمر بالإفراج عن المسجونين، وبالأمان للهاربين من القصاص عند رجوعهم، ويترك أصحاب الصنائع فى أشغالهم، والتجار فى تجارتهم، بحيث إن كل إنسان يشتغل فى حرفته الاعتيادية، وعليكم أن تتخذوا كل الطرق المؤدية لعدم تعدى أحد عليهم أينما كانوا، وليتركوا وشأنهم من كل الوجوه.

(هذه هى إرادتنا) !!! بصمة ختم محمد على

هذا هو تصوير شارل لوران<sup>(١)</sup> لهذه النهاية المؤسفة لتلك المحاكمة التاريخية والتي يدين فيها محمد على إدانة صريحة، ويبين أنه أَرْضَى اليهود بكل السبل وتغاضى عن جريمتهم، بل وصل الأمر إلى أن يحذف من فرمان كلمة "اعف" حتى لا تشبر إلى أنهم كانوا يستحقون العقاب ثم خفف عنهم، مراعاة لشعورهم وحفاظا على كرامتهم.

وإذا كان هذا هو تصوير شارل لوران فإن حبيب فارس يعرض لهذه النهاية المثيرة للأسى لكن دون أن يدين بها (محمد على) بل إنك تجده يبرر ما فعله تبريرا حسنا ويعتذر له عما وقع منه.

يقول "وكاد الحكم أن ينفذ لو لم يفكر فنصل فرنسا بأن يعرض إعلام الحكم على دولتلو المغفور له إبراهيم باشا الذى كان وقتئذ قائدا للجيش العثمانية لكى يجرى المصادقة عليه. فبأثناء تلك المدة استغنى اليهود الفرصة فضاغفوا الوسائط وقد

(١) ص ٢١٦-٢١٨ من الكنز المرصود.

ساعدتهم الجرائد اليهودية إذ أخذت تندد بأعمال قنصل فرنسا والحكومة المحلية وبصاحب الدولة شريف باشا<sup>(١)</sup>.

وقصارى القول بأن اليهود جميعهم وجهوا الأفكار لإنقاذ القتلة ف عقدوا الجمعيات السرية والعلنية وجمعوا من المال مبالغ وافرة ووكلوا فى الأمر اثنين من عظمائهم هما كراميو ومويز مونتيفيورى فجاء كلاهما من فرنسا إلى الشرق مرسلين من قبل الاتحاد الإسرائيلى قاصدين إخفاء مذبحة البادرى توما بأية طريقة كانت وإلقاء ستر الخفاء عليها.

فوصلا مصر ورفعوا أول عريضة لصاحب الدولة المغفور له محمد على باشا التماسا بموجبها مراجعة الدعوى وتخليص القتلة فرفض دولته التماستهما هذا لكونه رحمه الله كان متيقنا باستماتة وزيره شريف باشا وبعدالة الحكم الذى صدر على المجريين، لكنه ارتأى مراعاة للظروف وإجابة لاسترحام عموم الشعب الإسرائيلى أن يمنح عفوا كان له أن يمنحه بصفته حاكم البلاد ولذلك أصدر أمرا بكتابة فرمان العفو، فكتب كما أمر.

أما كراميو ومويز مونتيفيورى فلم يتمالكا من إظهار تأثرهما من كلمة صفح التى تضمنتها عبارة فرمان لأن كلمة صفح تثبت الذنب ولا تبرئ المذنبين من عبارات الاسترحام حتى نالا رفع هذه الكلمة على أنهما لم يتمكننا من إبدال المعنى المقصود من عبارات فرمان.

ثم يقول "رحمة الله على المغفور له ساكن الخيان محمد على باشا الذى رغما عن الظروف الغير اعتيادية التى طرأت أثناء حادثه البادرى توما لم يرتض بإعادة النظر بالدعوى خوف ستر الحقيقة لما علم به من الحيل والوسائط التى كان يستعملها اليهود، ومع صدور أمره بالصفح لم يسمح بوضع كلمة فى

---

(١) لقد تحدث حبيب فارس عن صاحب الدولة شريف باشا فأشاد بنزاهته وأثنى على حكمه وبين أنه كان واليا شريفا عادلا لديه المال كالتراب . . . راجع ص ١٦٩ - ١٧٠ من صراخ البرئ.



فرمانه تشير إلى براءة المحكوم عليهم بل جعل العفو مبنيا على استراحات عموم الأمة اليهودية فقط<sup>(١)</sup>.

والحقيقة التي تخرج صاحب "صراخ البرئ" من قولها أن المال اليهودي هو الذى تدخل فى النهاية.

فقد سافر المليونير اليهودي مونتفيورى واليهودى كراميو إلى مصر وقدموا الرشوة - كما يقول الأستاذ عبد الله التل - إلى محمد على باشا فأصدر فرمانا عجيبا ألغى فيه حكم القضاء وعفا عن المجرمين الذى يأكلون دم الناس الأبرياء.

ويذكر الأستاذ مصطفى أحمد الزرقا فى تقديمه لكتاب "الكنز المرصود" طبعة ١٩٨٧م أن مؤلف صراخ البرئ قد تحفظ هنا فى انتقاد هذا العفو الصادر بناء على رشوة يهودية ضخمة، لأنه كتب كتابه هذا فى ظل سلطان أسرة محمد على باشا وحكمها<sup>(٢)</sup>.

وينقل الدكتور حسن ظاظا عن الكاتب الصهيونى ميخائيل أساف أن محمد على لم يستطع معارضة رغبة الوفد الذى أرسل إليه، نظرا لما كان للوفد لدى قناصل دول أوروبا فى مصر من النفوذ العظيم<sup>(٣)</sup>.

وعلى أى حال فإنه عند وصول فرمان المذكور إلى شريف باشا أخلى سبيل المتهمين فى ٥ سبتمبر (أيلول) ١٨٤٠م<sup>(٤)</sup>.

هذا ولم تنقطع جرائم اليهود هذه على مر الأزمنة والقرون رغم ما كانوا يلاقونه من عذاب وأخطار وانتقام، فالجرائم التى اقترفوها لا تعد ولا تحصى، وكان آخرها ذبح طفل روسى من قبل اليهودى نيكولا تحموفيتش فى مقاطعة جوزبنيه السوفيتية واستعمال دمه فى فطير العيد فى عام ١٩٦٣م<sup>(٥)</sup>.

(١) صراخ البرئ ص ١٦٩ - ١٧١.

(٢) الكنز المرصود ص ٣٨.

(٣) الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٢٢٧.

(٤) الكنز المرصود ص ٢١٨.

(٥) جريدة أخبار فلسطين بتاريخ ٢١/٥/١٩٦٣م.

راجع عبد الله التل: خطر اليهودية العالمية ص ١٠٥.

وفي نفس العام نشرت جريدة "ها ارتس اليهودية في الجزء المحتل من فلسطين أن اليهود في منطقة طشقند في روسيا متهمون باختطاف أطفال المسلمين لعجن فطائر عيد الفصح اليهودي بدمايهم، وقد طالبت سيدة، هي عضو في مجلس الاتحاد الأعلى في طشقند بطرد جميع اليهود الموجودين في هذه المدينة، وعددهم يزيد على خمسين ألفا بعد أن صارت ابتها ضحية لليهود الذي استنزفوا الدم من أذنيها ليعجنوا به فطائر عيد الفصح<sup>(١)</sup>.

وفي سنة ١٩٦٤ ذبح عدد من الأطفال في جمهورية كولومبيا بأمريكا اللاتينية لاستنزاف دمايهم<sup>(٢)</sup>.

وسوف تطل جرائم استنزاف دم غير اليهود تماس ما بقى اليهود وما بقيت ديانتهم المجرمة المتوحشة<sup>(٣)</sup>.

وينبغي أن نشير في نهاية هذا الفصل إلى أن الجرائم التي عرفت في التاريخ وجرى فيها تحقيق، ووصلت إلى المحاكم، لا تساوى شيئاً بالنسبة إلى جرائم اليهود التي لم يعلم بها أحد

فما سجل من حوادث ذبح غير اليهود لاستخدام دمايهم في فطير أعياد اليهود قليل، إذا قيس بالحوادث التي لم تسجل إما لجعل الشعوب المضيفة لليهود، أو لضعف التحريات البوليسية عن مئات الأطفال المفقودين في كل بلد من بلاد العالم وفي كل عام من أعوام التاريخ.

فآلاف الأطفال وغير الأطفال الذين يختفون في جميع أنحاء العالم هم في الغالب ضحايا الطقوس الدينية اليهودية، ودماؤهم لا بد أن تكون قد استقرت في بطون اليهود مع فطير أعيادهم القذرة<sup>(٤)</sup>.

---

(١) جريدة الشرق التي تصدر في بيروت عددها ٢/٢/١٩٦٣م راجع عجاج نويهض: بروتوكولات حكماء صهيون المجلد الثاني ص ٢٣٨ نشر دار الجليل عمان ١٩٨٤م.

(٢) نشرت مجلة المصور في عددها ١٤/٢/١٩٦٤ قصة مصاص الدماء في كولومبيا، ولم تظن المجلة ولا المحققون في كولومبيا - كما يقول عبد الله التل - إلى أن المصاصين هم اليهود وليسوا بائعي الدم للمستشفيات.

(٣) خطر اليهودية العالمية ص ١٠٥.

(٤) المصدر السابق ص ٨٢، ١٠٤.

## الفصل السادس

### محاولة اليهود إنكار هذه الجرائم ومدى ثبوتها عليهم

هذا وقد حاول اليهود ومازالوا يحاولون إنكار استنزاف دم غير اليهود واستعماله مع فطير العيد.

بيد أن الحوادث التي أخذ التحقيق فيها مجراها، وثبتت ضدهم كثيرة وكافية لكشف حقيقة ديانتهم، فقد جرى بحث هذا الموضوع الإجرامى وثبتت حقيقته وممارسة اليهود له في جميع مراحل التاريخ، حتى إنه كان من أهم العوامل التي أدت إلى ذبح اليهود واضطهادهم وطردهم من جميع بلاد أوروبا وآسيا في أزمنة مختلفة<sup>(١)</sup>.

وبالرغم من ذلك فإن ول ديورانت قد أشار أكثر من مرة في كتابه قصة الحضارة إلى عدد من المذابح التي ارتكبتها اليهود لكنه يميل إلى أنها تهم وجهت إلى اليهود ولا ندرى الباعث على هذا التواطؤ !!.

فهو يذكر أن المسيحيين أخذوا في القرن الثاني عشر يتهمون اليهود باختطاف أطفال المسيحيين ليقدموهم قربانا إلى يهوه، أو ليتخذوا دماءهم دواء، أو يستعملوه في صنع الخبز الفطير لعيد الفصح<sup>(٢)</sup>.

---

(١) خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية ص ١٠٥، ٧٧.

راجع أيضا من ص ١٠٦ إلى ١٢٠ الفصل الذي كتبه الأستاذ عبد الله التل بعنوان "الجزء الأول في" لبيان كيف انتقم الأوروبيون من اليهود وأذاقوه سوء العذاب جزاء وفاقا لجرائمهم التي ارتكبوها.

(٢) قصة الحضارة (١٤) الجزء الثالث من المجلد الرابع عصر الإيمان ترجمة محمد بدران ص ٨٠.

ويقول إنه في عام ١٢٨٣ أثرت في مينز فكرة ذبح أطفال المسيحيين في بعض الشعائر اليهودية، وقتل عشرة من اليهود ونهبت البيوت اليهودية على الرغم مما بذله ورنر كبيرة الأساقفة من جهود، وفي عام ١٢٨٥ أهاجت مثل هذه الشائعة أهل ميونخ ولجأ ١٨٠ يهوديا إلى كنيس لهم، فأشعل فيه الغوغاء النار، احترق المائة والثمانون بأجمعهم، وبعد عام من ذلك الوقت قتل أربعون يهوديا في أبرويزل بحجة أنهم امتصوا دماء مسيحي<sup>(١)</sup>.

وقد أشار الدكتور حسن ظاظا إلى عدد من الحوادث والجرائم التي ارتكبتها اليهود<sup>(٢)</sup> وذكر أنه لا يستطيع باحث في الفكر الإسرائيلي أن يذكر عجينة الفطير المفروضة في عيد الفصح دون أن يقف عند تهمة توجه إلى اليهود من كثير من أعدائهم في هذا العيد بالذات، هي التي اشتهرت في العالم باسم تهمة الدم، وخلاصتها أن خبز الفطير المفروض على اليهود في فصيحهم قد جرت العادة أن يدخلوا في عجينة دما بشريا يأخذونه من ضحية يقتلونها من أمة أخرى غير اليهود، ويستحسن أن تكون الضحية من المسيحيين أو المسلمين<sup>(٣)</sup>.

وبين الدكتور ظاظا أن هذه التهمة التي يوصم بها اليهود قد بدأت من عهد مبكر في التاريخ وأنها جلبت على أماكن التجمع اليهودي في الشرق والغرب مشاكل كثيرة فقد كان الحى الذى يسكنون فيه يهاجم، ويتنشر فيه القتل والتنكيل بمجرد اختفاء طفل أو شخص من مجتمع غير يهودى مجاور في فترة عيد الفصح<sup>(٤)</sup>.

وقد دافع عن اليهود البابا أنوسنت الرابع في المرسوم البابوى الذى أصدره من الفاتيكان فى الخامس والعشرين من سبتمبر ١٢٥٣م، ويقول فيه "إننا نحرم أيضا

---

(١) المصدر السابق ص ٨٩.

(٢) الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٢٢٣ - ٢٢٨.

(٣) يذكر الأستاذ عبد الله التل أن حقد اليهود على المسيحية قد سرى فيما بعد على الإسلام والمسلمين وأصبح اليهودى يجد من العبادة أن يسفك دم الكفار فى نظره (المسلمين والمسيحيين وغيرهم من غير اليهود (خطر اليهودية ص ٨٢).

(٤) الفكر الدينى ص ٢٢٢ - ٢٢٣.

اتهام اليهود باسعمال الدم البشرى فى طقوسهم، لأنهم مأمورون فى العهد القديم بألا ينجسوا أنفسهم بأى دم على وجه العموم فضلا عن الدم البشرى<sup>(١)</sup>".

ويعقب الدكتور ظاظا على ما أشار إليه البابا فى هذا المرسوم من تحريم الدم عموما - فضلا عن الدم البشرى - على اليهود بأنه حق من وجهة النظر الشرعية البحتة. لكن يحدث كثيرا بسبب الجهل وبسبب أن يخرق أى إنسان حدود القانون والشرع يهوديا كان أم غير يهودى، كم من مرة إلى هذا العصر الحديث دخلت قوات عسكرية أرضا مغلوبة على أمرها فراح جنود هذه القوة يقتلون السكان العزل الضعفاء الخائفين<sup>(٢)</sup> ويسلبون ما يقع تحت أيديهم، ويتهكون الأعراض، مع أن التوراة تقول فى الوصايا العشر: لا تقتل، لا تسرق، لا تزنى.

لكن جوهر الشريعة شيء، واحترام أهلها لها شيء آخر.

ويرى الدكتور ظاظا أن جهلة اليهود فى جهات متفرقة من العالم، بتأثير قرون طويلة من الاضطهاد، والاحتقار والفقر، والجهل والمرض، والخوف، وبتوجيه خاطئ من بعض القادة الروحيين، الذين برعوا فى التأويلات والاستنباطات الغريبة، من التوراة والتلمود والقبالة وغيرها من الكتابات الصوفية الباطنية، هؤلاء الهلة قد استحدثوا هذه البدعة الوحشية إشباعا لما فى نفوسهم من حقد على أبناء الملل الأخرى والمسيحيين بوجه خاص<sup>(٣)</sup>.

ويرى أن سيل هذه التهم الذى يغطى كل العصور الوسطى والجزء الأكبر من العصر الحديث لا يمكن أن يكون مجرد إشاعات، فليس من الممكن أن تنشأ إشاعة

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٣ راجع أيضا ول وإيريل ديورانت - قصة الحضارة (٤١) الجزء الثالث من المجلد العاشر ص ٣٧٢ القاهرة ١٩٨٦ م.

(٢) هل يمكن أن ينسى العالم ذبحة دير ياسين لمناحم بيجين، ومذبحة صابرا وشاتيلا لشارون، ومجازر القمع التى يقوم بها شامير الآن ليووقف انتفاضة الشعب الفلسطينى ويجهض ثورة الحجارة المسلحة بالإيمان والتى دخلت عامها الثالث فى ديسمبر ١٩٨٩ م.

(٣) الفكر الدينى الإسرائيلى ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

وتهمة ووصمة عار لها كل هذه الضخامة، فتغطي رقعة العالم كله، على مدى عشرات من الأجيال، دون أن يكون لها أدنى نصيب من الواقع<sup>(١)</sup>.

وفي تقديمه للطبعة الجديدة من كتاب "الكنز المرصود"<sup>(٢)</sup>. يذكر الدكتور ظاها أن التحقيق في مقتل الأب توما وخادمه المسلم إبراهيم عمار قد أسفر عن أن فرقة متطرفة من أولئك الذين يعبدون التلمود من دون الله، هي التي أولت وافترت وسفكت الدم البرئ للرجلين المسيحي والمسلم، غير عابئة بنص التوراة في الوصايا العشر إذ تقول بلا مواربة: لا تقتل، ولا متحرجة من التحريم الصريح للدم بكل صورته، حتى دم الذبائح من الماشية والطيور، فضلا عن الدم البشري.

ويقول حبيب فارس "وأما القول بأنه لا يمكن لليهود ارتكاب سفك الدم لكونه منهيًا عنه في التوراة وبالوصايا العشر فجوابه وهل كل ما تنهى عنه الشريعة يستحيل وقوعه فلو كان اليهود لم يأتوا بمثل هذه الفظائع لما سنت لهم الشريعة الناهية عن ارتكابها، عدا عن كون قسم من اليهود لم يكتفوا بأقوال التوراة بل تبعوا التلمود والتقليدات وعملوا بحسب ما قيل لهم بها وأمروا بها من وجوب الغش والقتل كلما لاحت الفرص<sup>(٣)</sup>.

### **اعتراف حاخاماتهم بهذه الجرائم وإظهار أسرارهم:**

ومما يؤكد إدانة اليهود بجرائم سفك الدماء البشرية وثبوتها عليهم إقرارها من عدد كبير من كبار وحاخامات اليهود الذين خرجوا عن اليهودية في فترات متقطعة من التاريخ حيث أدلوا باعترافات كاملة من جرائم الذبح البشرية واستعمال دماء غير اليهود في فطير أعياد اليهود<sup>(٤)</sup>.

---

(١) المصدر السابق ص ٢٢٥.

(٢) ص ٢١.

(٣) صراخ البرئ ص ٢٥٩.

(٤) خطر اليهودية العالمية ص ١٠٥.

## الحاخام سيرا فينوفتس:

ففى سنة ١٧١٦م نشر عبرانى دخل المسيحية يدعى سيرا فينوفتش كتابا سماه "فضح الشعائر اليهودية" اتهم فيه اليهود باستعمال دم المسيحيين لشتى الأغراض السحرية: لتلطيف أبواب المسيحيين ولمزجه بالفطير الذى يأكلونه فى الفصح ولغمس قطعة قماش فيه محتوية على تعزيمة يقصد بها حماية بيت أو إنجاح تجارة<sup>(١)</sup>.

الحاخام موسى أبو العافية:

ومن أهم أولئك اليهود الحاخام موسى أبو العافية الذى أسلم أثناء التحقيق فى قضية الأب توما فنجا من العقاب، وأدلى باعترافات خطيرة عن التلمود وما ورد فيه من تعاليم، تعد رمزا للإجرام والوحشية والهمجية<sup>(٢)</sup>.

فحينما استدعى الحاخام موسى أبو العافية للتحقيق معه فى هذه القضية اعترف قائلا:

"الحاخام يعقوب العنتابى كان قد اتفق مع عائلة هرارى وغيرهم لأجل الحصول على قناني دم بشرى له، وكان الهرايون وعدوه بأنهم يأخذون له ذلك الدم ولو كلفهم مائة كيس، ثم مررت بعد ذلك على منزل داود هرارى، فأخبرت أنهم استحضروا شخصا لقتله وأخذ دمه، وقالوا لى خذ هذا الدم وسلمه إلى الحاخام يعقوب العنتابى، لأنك أعقلنا، فأجبته: كلفوا موسى سلونكى بهذه المأمورية، فأبوا وسلموه لى لأنى الأعقل، وحصل الذبح حقيقة عند داود هرارى.

وحينما سئل لماذا ينفع الدم، وهل يوضع فى الفطير، وهل يعطى لكل الشعب؟ أجاب أن الدم ينفع لوضعه فى الفطير الذى لا يعطى عادة إلا للأتقياء من اليهود!!

(١) قصة الحضارة (٤١) ص ٣٧١ ترجمة فؤاد أندراوس.

(٢) خطر اليهودية ص ١٠٥.

وكان يرسل بعض اليهود دقيقاً إلى الحاخام يعقوب العنتابى وهو يعجنه بنفسه، ويضع فيه من الدم سرا بدون أن يعلم أحد بالأمر، ثم يرسل من الفطير لكل الذين كانوا يرسلون له الدقيق!!<sup>(١)</sup>.

وحينما سئل: هل سألت الحاخام يعقوب العنتابى عما إذا كان يرسل من هذا الدم إلى الحاخامات، أو يقيه لأهل الشام فقط؟

أجاب: قال لى الحاخام يعقوب العنتابى إنه ملزوم أن يرسل من هذا الدم إلى بغداد.

وسئل: هل جاءت كتابات من بغداد بطلب ذلك الفطير؟  
فأجاب: الحاخام يعقوب قال لى بأنه حضر له كتابات بذلك.

وسئل: أحقيق بأنكم قطعتم الأب توما إربا إربا؟

فأجاب: أنا أخذت الزجاجة وخرجت ولم أعلم أن قصدهم يقطعونه، بل كان قصدهم أن يدفنوه، وقال لى داود هرارى إنه يوجد مخبأ تحت سلاّم منزله، وإنه يمكن أن يدفنه هناك وأظن أنهم كسروا العظام وألقوها فى المصرف لما وجدوا أن خبر القتل قد انتشر.

وسئل: لما سلمت الزجاجة إلى الحاخام يعقوب، هل كان معه أحد نظرك لما سلمتها إليه؟

فأجاب: لم يعلم بحصول ذلك إلا شركائى فى الجريمة، لأنى أخذت الزجاجة ليلا، وسلمتها إليه حالما كان فى المكتبة تعلقه ثم ذهبت إلى منزلى.

وحينما سئل: هل كان القصد قتل راهب مخصوص، أو قتل أى مسيحى كان؟

أجاب: كانوا قاصدين أخذ دم أى مسيحى كان، ولكنهم قد انتخبوا الأب توما

---

(١) شارل لوران فى القسم منالكنز المرصود ص ١٤٠ محمد صبرى التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٥٦ - ٥٧ نشر مكتبة مذبولى بالقاهرة.



لأنه هو الذى وقع بين أيديهم بالصدفة وقبل أن يذبحوه قلت: اتركوه يذهب لأنه يصير التفتيش عليه، فما سمعوا قولى وذبحوه<sup>(١)</sup>.

ثم سئل: لأى سبب قلت أمس<sup>(٢)</sup> إن الدم عندك فى أحد الدواليب، ولما ذهبنا عندك ولم تجدك قلت اليوم إنك سلمت إلى الحاخام يعقوب العنتابى فأجاب: لم أقل الحقيقة أمس لأنى كنت خائفاً من اليهود وقصدى من توجهى معكم فى الحارة هو لأجل أن أريهم حالة انحطاطى وذلى، حتى يعذرونى إذا اعترفت بالحقيقة فى هذه المسألة المختصة بالدين !! على أنى ما كنت أقدر أن أعترف بشيء فى أول الأمر، لأن الاعتراف فى مثل هذه الأحوال خطيئة عظيمة إن لم يحصل بعد العذاب الآليم<sup>(٣)</sup>.

ويذكر حبيب فارس أن الحاخام أبا العافية طلب أن يعتنق الديانة الإسلامية خوفاً من أن يقتله اليهود لكن دولتو المغفور له شريف باشا رفض فى البداية طلبه، وأمره أن يعطى تقريره قبل أن يقبله فى الدين الإسلامى، غير أن الحاخام بقى مصرأً على طلبه، وحينئذ أمر دولة الوالى بأن يضع على رأسه العمة البيضاء وأشهره مسلماً وأخذته تحت حماية جلالة السلطان<sup>(٤)</sup>.

وأتشرف بأن أبدى لسعادتكم تفصيل واقعة قتل الأب توما، وحيث إنى الآن أمنت على حياتى بمعونة الله والنبي محمد صلى الله عليه وسلم فإننى ملزم بأن أقر بالحقيقة.

وفى يوم الأربعاء أول مارس عند اليهود كنت خارجاً من منزلى للتوجه إلى الكنيس، فتقابلت فى الطريق مع داود هرارى، فقال لى: أحضر لأنى محتاج إليك، فأجبت بأنى ذاهب للصلاة أولاً، وأنى سأحضر بعد ذلك عنده. فقال لى تعالى معى لأقص عليك مسألة، ثم أخبرنى بأن الأب توما عنده، وأنهم سيقتلونه عندما يرخى

(١) الكنز المرصود ص ١٤١ التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٥٧ - ٥٨.

(٢) سئل الحاخام موسى أبو العافية هذه الأسئلة يوم الاثنين ٢٨ من ذى الحجة ١٢٥٥ هـ وكان قد استدعى للتحقيق معه فى يوم السبت ٢٦ من نفس الشهر.

(٣) الكنز المرصود ص ١٤٢ التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٥٨.

(٤) صراخ البرئ ص ١٦٢ راجع الكنز المرصود ص ١٤٣.

- ٢٩٧ -

الليل سدوله، فسألته: هل الحاخام أمر بقتل هذا الرجل، أو قال فقط إنه محتاج لدم بشري لإتمام ما تأمر به الديانة؟ فأجابني بأن هذا الرجل هو الذى أوقعه القدر بين أيديهم.

واستطرد فى تقريره قائلا: ذهبت معه ووجدتهم جالسين فى المربع المفروش، ووجدت الأب توما مشدود الوثاق، ونقلوه فى أوضة أخرى غير مفروشة بين المغرب والعشاء، وذبحه داود، وأجهز عليه هارون، ثم استنزف الدم فى طشت من نحاس، ووضع داخل زجاجة بيضاء، أخذتها فأوصلتها إلى الحاخام يعقوب العنتابى الذى كان ينتظرنى فى منزله فى الحوش الخارجى، ولما نظرنى توجه نحو المكتبة فأعطيته الزجاجة، فوضعها خلف الكتب وتركته وذهبت إلى منزلى.

أما الجثة والأشياء التى تختص بالأب توما فلا أعلم ما تم فيها، لأننى لما خرجت من عندهم، كانوا ما فعلوا بها شيئا، ولما تقابلت بعد ذلك مع داود هرارى وإخوته، وأخبرتهم بأننا ارتكبنا الشطط بقتلنا هذا الرجل لأنهم سيبحثون عنه، ويتسبب لنا ضرر من ذلك، أجابونى أنه لا يمكن اكتشاف شيء مما حصل، لأن الملابس أحرقت، والبقايا سترمى فى المصرف بمعرفة الحاخام حتى لا يبقى منها أثر يذكر<sup>(١)</sup>.

ويواصل محمد أفندى الحاخام السابق تقريره قائلا:

"أما منفعة الدم عند اليهود فإنه يستعمل لوضعه فى الفطير، كما أخبرت سعادتك شفاهيا (وكم من المرات ضبطتهم الحكومات يرتكبون هذه الأفعال!!).

ومما يثبت حقيقة ذلك عبارة مرصودة فى أحد كتبهم المسى (سادات أدارهوت) فهذه العبارة يؤخذ منها صريحا أن اليهود يرتكبون أفعالا مثل التى ذكرتها واختتم تقريره بقوله: هذا ما أعلمه بخصوص الأب توما، وما تم نحوه، وعبدكم الآن يصلى لله ونبيه سيدنا محمد، ويرجو العفو عنه.

الإمضاء

محمد أفندى (أبو العافية)

(١) الكنز المرصود ص ١٤٣ - ١٤٤ التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٥٦ - ٦١.

يتبع ذلك إقرار من المعلم روفائيل فارحى يشهد فيه: أن محمد أفندى الذى أسلم قرر أن الخط المحرر به اعترافه هو خطه، وللمعلومية وضع روفائيل المذكور إمضاءه وختمه<sup>(١)</sup>.

وفي يوم الثلاثاء ١٤ / محرم سنة ١٢٥٦ هـ استحضر محمد أفندى أبو العافية وصار سؤاله بحضرة صاحب الدولة شريف باشا، وقنصل فرنسا، والمسيو بودين، وشلبى، ويعقوب العنتابى.

س - ماذا يوجب التلمود فيما يتعلق بمن ليسوا من اليهود؟

ج - يقولون إن جميع الخارجين عن اليهود هم حيوانات ووحوش، لأن إبراهيم عندما أخذ ولده (إسحاق)<sup>(٢)</sup> ليقدّمه ذبيحة، وكان يصحبه خدمه، قال لهم: أمكثوا هنا أنتم والحمار، بينما أنا وولدى نذهب إلى الأمام، فمن هذه العبارة استنتج التلمود بأن كل من لا يكونون يهودا حميرا!!

وسئل الحامام يعقوب عن هذه العبارة إذا كانت صحيحة فأجاب أنها صحيحة ودعم كلام محمد أفندى<sup>(٣)</sup>.

هنا قال محمد أفندى: ومسموح أيضا قتل من لم يكونوا يهودا، لأنهم معتبرون نظير حيوانات غير ناطقة، فلا يلزم أن يستريحوا يوم السبت، وعليهم أن يشتغلوا ليلا ونهارا، وهذا مذكور في التلمود في فصل سنهدين صفحة ٥٨: "من لم يكن يهوديا، ويقدس يوم الأحد يلزم قتله بدون استجوابه، والتوراة تختص باليهود فقط، وأما كتب الأمم الأخرى فيلزم إتلافها وإحراقها ولو كان فيها ذكر اسم الله، وإذا

---

(١) الكنز المرصود ص ١٤٥ التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٦٢.

(٢) يزعم اليهود والنصارى ومعهم بعض المسلمين أن الذبيح هو إسحاق ويرى جمهور علماء المسلمين أن الذبيح هو إسماعيل اعتمادا على حجج قوية، وبراهين ساطعة، مع إبطال ودحض لحجج الفريق الأول. ولقد عاجلت هذا باختصار في رسالتى للدكتوراه، وأقوم الآن بعون من الله وتوفيقه بكتابة بحث شامل يعالج الموضوع من جميع جوانبه.

(٣) الكنز المرصود ص ١٤٥ - ١٤٦ التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٦٢.

كتب الأُمى لفظ الجلالة على التوراة يلزم إحراقها، لأنه كتب فيها بيد غير يهودية<sup>(١)</sup>."

ثم سئل محمد أفندي: قلت إنهم أخذوا الدم لأجل الفطير، مع أن الدم عند اليهود محرم، وهو رجس ولو كان دم حيوان، فكيف هذا التناقض؟ فسر لنا ذلك إن كنت من الصادقين.

وأجاب: بموجب التلمود: دمان مقبولان عنده تعالى: دم الفصح، ودم الطهور (فصادق الحاخام يعقوب العنتابي على هذا التفسير).

ثم قيل لمحمد أفندي إن جوابك لا يظهر جليا كيف يحل استعمال الدم البشري؟ فقال: هذا من أسرار الحاخامات الكبار، كما أن كيفية استعمال الدم هي من أسرارهم أيضًا<sup>(٢)</sup>!!

ثم وجه دولتو شريف باشا السؤال إلى محمد أفندي وقال له بماذا تحكم الشريعة على اليهودى الذى يقول شيئا يضر بطائفته؟ فأجاب أنه يستحق الإعدام لأنه إذا تكلم أحد اليهود باطلا بحق يهودى آخر فمن الواجب قتله ولا صفح له لأن التلمود لا يصفح عنه والتلمود هو أساس الديانة وعليه لم يكن قط بإمكانى أن أوضح الحقيقة حتى صرت مسلما<sup>(٣)</sup>.

هذا وقد اعتنى المرحوم شريف باشا بترجمة كثير من كتب محمد أفندي أبى العافية فأمره بتعريبها من العبرية وكان الحاخام يعقوب يصادق على التعريب<sup>(٤)</sup>.

وقد أمره شريف باشا أن يكتب بخطه بأنه يشهد بصحة هذه الترجمة فأجاب بأنه

(١) الكنز المرصود ص ١٤٧ صراخ البرئ ص ١٦٣ - ١٦٤.

(٢) الكنز المرصود ص ١٤٨، صراخ البرئ ص ١٦٤ التلمود شريعة بنى إسرائيل ص ٦٥.

(٣) صراخ البرئ ص ١٦٦.

(٤) المصدر السابق وقد ورد فى الكنز المرصود ترجمة عبارات من التلمود بمعرفة محمد أفندي والتي صادق عليها يعقوب العنتابى فى ص ١٥١-١٥٦-١٦٠-١٦٤.

لا يعرف أن يكتب باللغة العربية فأمره بكتابة ذلك باللغة العبرانية فأبى قائلاً: لماذا أكتب بيدى؟ إذا أنكر أحد شيئاً فالكتب موجودة تكذبه، وهى أهم من شهادتى<sup>(١)</sup>.

وقد أحس اليهود بخطورة هذه الترجمة التى قام بها محمد أفندى:

يقول حبيب فارس "أما يهود دمشق فقد اعتراهم عند معرفتهم على الخصوص ترجمة عبارات كتبهم الدينية خوف عظيم واضطربوا اضطراباً شديداً، وهذا يظهر من تقرير رفعه وقتئذ قنصل فرنسا إلى الحكومة المحلية باسم المرحوم شريف باشا وهو معلق بجورنال (دوسيه) القضية ومؤرخ فى ٢٢ نيسان (إبريل) سنة ١٨٤٠<sup>(٢)</sup>.

وقد ورد فى هذا التقرير أن اليهود قد طالبوا بالتوقف عن ترجمة الكتب العبرية، لأن ذلك خلل بحقوق الأمة اليهودية!! وأن لا يتم وضع هذه الترجمة، أو أى شىء آخر يختص باليهود فى دوسيه القضية، بل يلزم إعدام أو إتلاف كل ما ترجمه موسى أبو العافية<sup>(٣)</sup>.

#### الحاخام ناوفيطوس:

ومن الحاخامات الذين فروا من اليهودية أيضاً الحاخام ناوفيطوس والذى تحول إلى المسيحية وألف كتباً صغيراً كشف فيه عن طريقة استنزاف دم الأطفال الجارية لدى اليهود وسماه "إظهار سر الدم المكتوم"<sup>(٤)</sup>.

يذكر هذا الحاخام أن كثيراً من الحاخامات الكبار والعلماء المشهورين من اليهود رفضوا الديانة اليهودية، وألفوا كتباً مختلفة عن عقائد الأمة اليهودية ومبادئها وعوائدها، لكن أحد منهم لم يكتب شيئاً فى إظهار سر الدم المكتوم عند اليهود المحفوظ فى خفايا صدورهم والمحرم على أقلامهم وألسنتهم النطق به، وإن اضطروا

(١) الكنز المرصود ص ١٦٤.

(٢) صراخ البرىء ص ١٦٦-١٦٧.

(٣) راجع الكنز المرصود ص ١٦٥ صراخ البرىء ص ١٦٧.

(٤) سنتحدث عن هذا الحاخام وعن كتابه هذا فى نهاية كتابنا إن شاء الله.

أحد منهم إلى ذكره في مؤلف فيكون ذلك تحت إشارات رمزية وعبارات اصطلاحية لا يمكن أن يفهمها أحد سواهم حيث إنها بعيدة المرمى خفية المقصد<sup>(١)</sup>.

ثم يقول الحاخام عن نفسه بعد أن بين خوف هؤلاء من أذى اليهود إذا أفسوا السر "أما أنا الذى تركت معتقد اليهود بعد إذ كنت معلما كبارهم ومربيا صغارهم وحاخاما لطقوسهم الدينية، فقد عزمت على إشهار سر الدم الذى طويت عليه أعشار صدرى إلى الحين الذى صبغت فيه بصيغة العهاد المقدس، ومارست طقوسه بذاتى أكثر من مرة ولا أظن أحدا عالما بكل خطايا وأسبابه حق العلم مثلى.

وبين أنه بإشهار هذا السر يريد تنبيه المسيحيين حتى لا يقعوا فى الفخاخ التى ينصبها لهم اليهود، ليلقوهم فى الحجب التى لا تحترقها الأبصار وهناك حيث لا يسمع لهم صوت أنين ولا تستجاب لهم استغاثة، يستنزفون دماء عروقهم بصورة لا يستطيع أن يراها إنسان ولا حيوان إلا من تكون المبادئ التلمودية جرت فى عروقه.

وها أنا بعد اطراحي وتبذى هذه المبادئ تنبض فريصتى، وتأخذنى القشعريرة من مجرد مرور صورة تلك المشاهد فى وهمى مع أنى حين كانت مبادئ التلمود راسخة فى فكرى ومقبولة لدى حكى، كنت أمارس بيدى هذه الراجفة الآن والقوية حينئذ طريقة استنزاف الدم، فهذه اليد التى كانت تحمل المدية وتتدنس بسفك الدم الزكى لا تتطهر إلا بأخذ القلم وإظهار هذا السر<sup>(٢)</sup>.

ثم يقول: وبهذه الاعتبار أفسى هذا السر متمنيا أن يقع ما أكتبه تحت كل نظر وينزل فى كل سمع ويدركه كل فكر، وملتزما فى سبيل السذاجة والصدق مؤيدا قولى بإثباتات ظاهرة وبراهين واضحة فأقول:

(١) إظهار سر الدم المكتوم ص ٢٢٩ من صراخ البرىء.

(٢) المصدر السابق ص ٢٣٠-٢٣١.

ليعلم أن هذا السر لا يعلمه إلا الرؤساء والحاخامات والكتبة والفريسيون المعروفون باسم خاسيدوم وهؤلاء يكتُمونه في أخفى طيات صدورهم عن سواهم من اليهود ومن كل بنى الإنسانية، وهم ذواتهم لا يستمله أحد منهم إلا بعد الأيمان المغلظة مكتوما كل الكتان حتى ولو فوق رءوسهم السيف وتحت أقدامهم القطع<sup>(١)</sup>.

ثم يقول عن بداية عهده بهذا السر وكيفية انتقاله إليه من أبيه:

"وأنا الفقير إلى عفو مولاي قد استلمت هذا السر في الثامنة عشرة من عمري من أبى، ووضع على رأسى قرنا يسميه اليهود (تافيلسم) أى علامة القوة.

وعند وضعه هذا القرن على رأسى قال لى هذه العبارة: إنى أعتمدك واتكل عليك ثم استحلقتنى بقوى العناصر السماوية والأرضية بكتمه عن كل بشر حتى عن إخوتى، وأخذ على الموائيق والعهود بعدم تسليمه إلى غير واحد من أولادى وهو من أرى فيه الرشد وأهلية الاعتماد والاتكال عليه والحكمة والمودة والفهم والثبات والرسوخ فى الدين والرزانة فى التصرف، ثم نهانى عن إظهاره لأى امرأة كانت على وجه الإطلاق، وتهددنى بعدم قبول الأرض إياى فى مدافنها والسماء فى جنانها، إن أحشت يمينى وأبوح بهذا السر ثم باح لى بى<sup>(٢)</sup>.

أما أنا فحافظت على وصية أبى وحفظت السر المكتوم حتى تلاًلاً أمام عيني نور الهدى فرأيت أن كتمانها يجلب على دعوات أبى لا إظهاره، ولذلك فأنا أذيعه بدون خوف ولا أجهل أنى دائماً تحت خطر انتقام اليهود لإفشائى هذا السر المكتوم، ثم يقول إنى مستعد لكل ما ألقاه من شر اليهود والله يقينى حيث إنى خدمت الحق والحرية والإنسانية<sup>(٣)</sup>.

(١) المصدر السابق ص ٢٣١-٢٣٢.

(٢) صراخ البرىء، ص ٢٤٨.

(٣) المصدر السابق ص ٢٤٨-٢٤٩.

هذا بالإضافة إلى أنه قد شهد شاهد من أهلهم ومؤرخ من أقدم مؤرخيهم وأشهرهم وهو المؤرخ اليهودي يوسفوس (فلافيوس يوسفوس المولود سنة ٣٧م والمتوفى في رومية سنة ٩٥م) بأنهم ما كانوا يقتصرون على شرب دماء ضحاياهم ومزجها بعجين فطائرهم بل كانوا يأكلون كذلك قطعاً من لحومهم.

فقد تحدث هذا المؤرخ عن أنطيوخوس الرابع الملقب بأبيغان فاتح مدينة أورشليم والذي تبوأ عرش الملك سنة ١٧٤ ق.م فقال:

إن هذا الملك اليوناني حينما دخل المدينة المقدسة وجد في أحد محلات الهيكل رجلاً يونانياً كان اليهود قد ضبطوه وسجنوه في هذا المكان، وقدموا له أفخر المأكولات حتى يأتي يوم يخرجون به إلى إحدى الغابات حيث يذبحونه ويشربون من دمه، ويأكلون شيئاً من لحمه، ويحرقون باقيه وينثرون رماده في الصحراء.

ويذكر أنهم فعلوا ذلك عملاً بشرية لا يجوز لهم مخالفتها ولا يسعهم عصيانها، وهى أن يأخذوا في كل سنة يونانياً، وبعد أن يطعموه أفخر المأكولات ليسمن يعدونه لإتمام هذه الوصية الدينية، وأن هذا السجين قد استرحم الملك أن ينقذه فأنقذه<sup>(١)</sup>.

ويقول جـ. كيتو في كتابه "مجموعة الكتاب المقدس" الذى نشر سنة ١٨٩٥م عن اليهود:

"إن محاريبهم ملطخة بالدماء التى سفكت من عهد إبراهيم حتى سقوط مملكة إسرائيل ويهوذا".

ويقول جـ. ا. دورزى "إن معابدهم فى القدس مخيفة بشكل يفوق معابد الهنود والأزتاك السحرة، وهى المراكز التى تقع داخلها جرائم القرايين البشرية".

وجاء فى صفحة ٦٥٣ من الجزء الثامن من دائرة المعارف اليهودية طبعة ١٩٠٤ "وإذا كان هناك من أساس أقر من قبل الحكماء فهو حقيقة القرايين البشرية التى تقدم للإله يهوه ملك الأمة التى بوشر فى تقديمها أواخر عهد الملكية اليهودية"<sup>(٢)</sup>.

(١) راجع صراخ البرىء ص ٢٠٤-٢٠٥ الكنز المرصود ص ٢٨.

(٢) عبد الله التل: خطر اليهودية ص ٧٨-٧٩.



ويذكر عجاج نويهض أن في دائرة المعارف اليهودية (المطبعة ١٩٠٤ - ١٩٠٥) ذكراً لأكثر من أربعين حادثة في أوربا ولا شرق، فالننصل الكاذب لا يغير من الواقع شيئاً<sup>(١)</sup>.

وفي نشرة عن "اليهود وأكاذيبهم" هاجم مارتن لوثر اليهود في عام ١٥٤٢م، وقد أفرغ لوثر في هذه النشرة وابلا من الحجج ضد اليهود، وبين أن ما عانوه طوال حياتهم أثبت غضب الله عليهم، وأنهم دخلاء على أراضي المسيحيين، وأنهم كانوا وقحين في ثرائهم القائم على الربا.

وذكر لوثر أن التلمود أجاز الخداع والسرقة والسلب وقتل المسيحيين، وأن اليهود سموا العيون والآبار، وذبحوا أطفال المسيحيين ليستخدموا دماءهم في الطقوس الإسرائيلية<sup>(٢)</sup>.

فقد سبق أن اطلعنا من خلال نصوص أسفارهم المقدسة لديهم، وباعتراف أنبيائهم المذكورية في عهدهم القديم، أنهم كانوا يقدمون أبناءهم وبناتهم، فلذات أكبادهم، إلى نيران الوثنيين، قربانا لألهتهم، وتبين لنا أن يفتاح القاضي كان أول من قدم ابنته منهم قربانا للإله "يهوه" اعتقاداً منه أنه بذلك يرضيه.

فبجانب ما ثبت من التحقيقات، وما سجل من الاعترافات، وما نقل من الشهادات، المدونة في الكتب التي رجعت إليها، فإن المرء يوقن تماماً بأن اليهود بقلوبهم القاسية، ونفوسهم الشريرة، وطبيعتهم الإجرامية، لا يستنكفون عن ممارسة هذه الذبائح التلمودية، ولا يترددون في ارتكاب تلك الجرائم الوحشية، التي تحدثنا عنها في هذا الكتاب.

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون - المجلد الثاني ص ٢٣٧.

(٢) ول ديورانت: قصة الحضارة (٢٦) الزء الخامس من المجلد السادس (الإصلاح الديني) ص ١٤٢ - ١٤٣ ترجمة الأستاذ محمد على أبو درة لجنة التأليف والترجمة ١٩٧٢م.

ويذكر ول ديورانت أن مارتن لوثر نصح الألمان بإحراق بيوت اليهود، وإغلاق معابدهم، ومدارسهم، ومصادرة ثرواتهم، وتجنيد رجالهم ونسائهم في أعمال السخرة، وأن يخير جميع اليهود بين اعتناق المسيحية أو قطع ألسنتهم، وفي خطبة ألقاها قبل موته بوقت قصير، أضاف أن الأطباء اليهود كانوا يتعمدون تسميم المسيحيين" ص ١٤٣ من المصدر السابق.

فاليهود - كما يقول الأستاذ زكى شنودة - تجرى في عروقهم مع دمائهم وحشية بشعة شنيعة، متأصلة فيهم، متغلغلة في كيانهم، وفي أعماق وجدانهم، وقد كانت هذه الوحشية من أبرز صفاتهم منذ نشأتهم، وظلت تلازمهم في كل أطوار تاريخهم، وفي كل مظاهر حياتهم.

فهم تسيطر عليهم على الدوام نزعة عنيفة مخيفة إلى القسوة الجنونية، وولع حقوق مضطرم بالقتل والذبح والشنق والخنق والحرق والرجم والتنكيل والتعذيب وتقطيع الأوصال، وإبادة الناس بالجملة، وإشعال النار في المدن، وإشاعة الدمار في كل مكان يقع في قبضتهم.

لا يعرفون في ذلك رحمة، ولا يدفعهم عنه شعور، ولا يمنعهم عن ارتكابه دين ولا عقيدة ولا ضمير كأنهم ذئاب جائعة، أو كلاب مسعورة، أو خنازير أصابها الجنون، وأعمالها الغضب، فهي لا تفتأ تنشب أنيابها، وتضرب مخالباها في كل ما يصادفها من أحياء، وهي أبدا لا يروى عطشها غير الدماء، ولا يشفى غليلها إلا أن ترى الأرض حوالها مفروشة بالجثث والأشلاء<sup>(١)</sup>.

---

(١) المجتمع اليهودي ص ٣٣٩ وراجع ما أورده في الصفحات التالية عن وحشية اليهود من خلال ما تزخر به أسفارهم من صور فظيعة ومروعة.

## نص كتاب

إظهار سر الدم المكتوم

أو

طريقة استنزاف دم الأطفال الجارية عند اليهود

وهو كتاب قديم نسجت عليه الأيام عناكب الخفا

في إحدى مكاتب تونس الخضراء

مؤلفه

الحاخام ناوفييطوس التارك المذهب العبرانى

والداخل فى الدين المسيحى

ومترجمه توماس بنجادى البغدادى<sup>(١)</sup>.

---

(١) نقلا عن ص ٢٢٦ من كتاب "صراخ البرىء" ويبدو أن هذا الكلام كان مكتوبا على غلاف الكتاب المذكور "إظهار سر الدم المكتوم".



## كلمة عن الحاخام ناويفيطوس :

يقول حبيب فارس "ولد هذا الرجل في أواخر جيل (القرن) الثامن عشر نحو السنة ١٧٦٤م في بلاد المولداف، وهى البلاد المسماة باللغة التركية بغدان، وقد فتحتها الدولة العلية العثمانية سنة ١٧١٥م وحدودها من جهة الشرق روسيا.

وكانت ولادته من أبوين يهوديين، فنبغ منذ صغر سنه بالعلوم، وتعمق فى اللغة العبرية، وطالع التوراة وكتب التلمود إلى أن رقى إلى درجة حاخام على الأمة اليهودية<sup>(١)</sup>.

ثم يقول عن تركه لليهودية ودخوله فى المسيحية.

ولما كان من جملة الذين خصصتهم (الطبيعة) بقوة الفهم والإدراك وحب البحث عن حقائق الأمور، فإنه ما بلغ هذا الحاخام السن الذى يصل الإنسان فيه عادة لوزن الأمور بأوزانها الصحيحة، دون أن يبقى خاضعا لأفكار الجهل والحدة، حتى اهتدى بنور العقل لمعرفة كون القواعد المتبعة من الحاخامات، وعلى الخصوص فى ما يعلمونه من وجوب بغض الأمم السائرة، ومن وجوب استعمال الدم البشرى إنما هى قواعد مبنية على أساس التعصب الذميم والجهالة العمياء.

فطلب حينئذ وهو فى سن الثمانية وثلاثين سنة اعتناق الدين المسيحى، وكان طلبه ذلك وفى هذه السن لا عن غاية دنيوية كما يحصل غالب الأحيان عند من يتركون مذهبهم، بل عن غاية حميدة أكدها لبس هذا الحاخام للاسكيم الرهبانى فى

---

(١) صراخ البرىء فى بوق الحرية والذبائح التلمودية ص ٢٥٤.

أحد أديرة نوبلي رومانيا، وهى بعيدة نحو أربعين كيلو مترا عن قرطجنة للجهة الجنوبية<sup>(١)</sup>.

### كلمة عن كتاب "إظهار سر الدم المكتوم"

وعن قصة تأليف هذا الحاخام لذلك الكتاب وظهوره وانتشاره يقول حبيب فارس "بقى ناو فيطوس طول حياته فى النسك والزهد بعيدا عن العالم وبعد تنصره كتب كتابا تحت عنوان "انهدام الديانة العبرانية".

وكانت كتابته له فى اللغة المولدافية، ثم ترجم إلى اليونانية، فالعربية، فالإيطالية، وكان ظهوره سنة ١٨٨٣ م.

وقد ذكره أحد المؤرخين (اشيل لوران) فى تأليفه سنة ١٨٤٠ م عن حادثة البادري توما وخادمه إبراهيم<sup>(٢)</sup>، ثم ذكره (كوجانوا داموسو) فى تأليفه المطبوع سنة ١٨٦٧ المعنون "اليهودى واليهودية وتهود الشعوب النصرانية".

وذكر أن جميع الذين ذكروا كتاب ناو فيطوس بقله وجوده وما ذلك إلا لأن اليهود المتعصبين يجدون فى إخفائه وقد تأكدنا حقيقة ذلك بما كان من الألفى نسخة التى طبعت مؤخرًا فى القاهرة<sup>(٣)</sup>، حيث كانت بداية نشر الكتاب بعد ترجمته إلى اللغة العربية، ولتلك البداية قصة يرويها صاحب كتاب "صراخ البرىء" فيقول:

"وشاع خبر لم يمض بضعة أيام حتى تحققناه وهو أن بعض الأفاضل الأدباء اعتنى بطبع كراسة عنوانها"

### (إظهار سر الدم المكتوم)

وبعد أن وضع منها فى إحدى مكاتب العاصمة برسم المبيع خمسين نسخة استرجعت إلا خمسًا منها، ثلاث نسخ كان قد ابتاعها بعض اليهود، والرابعة لم

(١) المصدر السابق ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

(٢) وهو القسم الثانى من كتاب الكنز المرصود.

(٣) صراخ البرىء ص ٢٥٥ - ٢٥٦.

يعرف من أخذها، والخامسة وقعت في يدنا، وقد بلغنا عن ثقة بأن العدد المطبوع ألفا نسخة، وروى البعض أن هذا العدد وقع كله بيد أحد أغنياء اليهود فأتلفه، وقال البعض لا بل هو محفوظ للآن، وكيفما كانت الحال فلا بد لما تقدم جميعه من ظروف وأسباب لا نحب البحث عنها ولا الحكم بها<sup>(١)</sup>.

ثم يقول حبيب أفندى فارس "وقد طالعنا النسخة الموجودة بيدنا فوجدناها إلى بعض أشياء غير جوهرية، مطابقة للنسخ التي وردت إلينا من جهات مختلفة بعضها خط يد وبعضها طبع حجر، وهي تعلن أسرار استنزاف الدم عند الأمة اليهودية، ولما كان القصد إشعار هذه الحقائق وإثبات وجود سعى ووسائل مستمرة لإيقاعها تحت ستر الخفاء فإننا نحى ما قصد دفنه ونأتى بذكر (إظهار سر الدم المكتوم)<sup>(٢)</sup>.

ويقول عجاج نويهض "في سنة ١٨٦٩م ظهر كراس صغير الحجم بقدر الكف أو ما هو أصغر، في العربية في سوريا ولبنان، مطبوع بحرف (جسم ٢٤) يشبه كل الشبه حرف المطبعة الأميركية في بيروت في ذلك الوقت. وكان عنوان هذا الكراس "الصحيفة الرضية اللماعية في انهدام الديانة العبرانية".

وهذا العنوان لا يدل على حقيقة المحتوى، لا تغطية وبعدا من التصريح، بل اعتقادا من مؤلفه أن الذى بسطه في الكراس يقع تحت فلك الديانة اليهودية، فأضاف الموضوع إلى الدين العبرانى، وهذا صحيح، واقعا وشكلا، أما الموضوع نفسه ومن حيث هو، فأخطر وأكبر وأعظم وهو ما عبر عنه المؤلف في أول عبارته بعد صفحة الوسمة فقال إن الكراس يبحث في:

"السر المكتوم من اليهود عن الدم الذى يسفكونه من المسيحيين وأسبابه الثلاثة".

(١) المصدر السابق ص ٢٢٥.

(٢) المصدر السابق ص ٢٢٥-٢٢٦.

ثم يمضى المؤلف فى شرح هذا وأسبابه والغاية منه، ومن يمارس هذه الجناية من اليهود<sup>(١)</sup>.

ويواصل عجاج نوييىض كلامه عن هذا الكتاب فىقول:

"ويكاد شعر الرأس يقف من فطاعة ما هو مبسوط فى هذا الكراس الواقع فى (٥٥) صفحة من ممارسة هذه الجناية الوحشية، ويظهر أن هذا الكراس لما طبع سنة ١٨٦٩م كانت الأذهان فى بيروت أخذت تتفكك من قيود الجمود، تطلب الخروج إلى النور.

وكانت حركة المعلم بطرس البستانى فى التنوير قد قامت على سوقها، والجامعة الأمريكية (الكلية السورية الانجيلية) فى سنواتها الأولى، وحركة نقل الكتاب المقدس إلى العربية تنمو وتلتمع.

وبناء على ذلك فهو لا يعتقد أن هذا الكتيب طبع سرا، ومطبعة الجامعة الأمريكية - إذا صدق الظن أن هذا الحرف الطباعى هو حرفها - لا ترى سببا لكى تتولى طباعة أى شىء بطريقة خفية ولاسيما فى الكشف عن فضائح لها صلة بالدين اليهودى".

بالإضافة إلى أن فى آخر صفحة توجد هذه العبارة "وكان الفراغ من طبعها سنة ١٨٦٩م ثمنها ثلاث غروس ٣" فهذا يدل على أن هذا الكراس كان يباع فى الأسواق"<sup>(٢)</sup>.

وقد كان لظهور هذا الكتيب علاقة بحادثة دمشق (مقتل الأب توما وخادمه إبراهيم عمار).

يقول حبيب فارس "كان هذا الكتاب موجودًا فى إدراج إحدى المكاتب الكبرى

(١) بروتوكولات حكماء صهيون المجلد الثانى ص ٢٣٤.

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون ص ٢٣٤ - ٢٣٥.



القديمة بمدينة تونس الخضراء، مطويا في مطاوى الستر والخفا، فلما وقعت حادثة الشام في هذه الأيام، وكثر تحدث الخاص والعام في مسألة استنزاف الدم الجارية طريقته عند اليهود، وتساءل الناس عن هذه الطريقة وأسرارها وأسبابها، فبعث ذلك أحد أصحاب الغيرة على الحقائق وأنصار الإنسانية، فسعى في الحصول على هذا الكتاب وأمكنه ذلك، ولكن بعد إفراغ الجهد وبذل النفيس في هذا السبيل وأقبل على نشره غير زائد عليه حرفا ولا معقب عليه بشرح ولا تفصيل ولا مبد بجانبه رأيا"<sup>(١)</sup>.

معنى ذلك أن هذا الكتيب قد طبع ونشر أكثر من مرة بعد ترجمته إلى اللغة العربية، فهو قد طبع ونشر ولكنه كان مطمورا في إحدى مكاتب تونس، ثم طبع في غضون حادثة دمشق الشهيرة وقد وقعت هذه الحادثة سنة ١٨٤٠م ثم طبع بعد ذلك حسب رواية عجاج نويهض سنة ١٨٦٩م حيث يقول "لكن يجب أن لا يغيب عنا قبل ظهور هذا الكراس بنحو ٣٠ سنة كانت قد وقعت في دمشق الحادثة المروعة التي حتى اليوم كلما ذكرت جمد الدم في العروق".

ثم يذكر أن هذا الكراس لعل نسخا منه موجودة في بعض البيوت في سوريا ولبنان وغيرهما، أما هو فقد اطلع على نسخة منه في دمشق سنة ١٩٥٥م وقام بدراستها والتعليق عليها لكنه لم يخرجها للنشر"<sup>(٢)</sup>.

وما يذكر أن هذا الكتاب قد كتب أولا باللغة الملدافية سنة ١٨٠٣م، ثم ترجم إلى كثير من اللغات، حيث ترجم إلى اللغة اليونانية، ثم إلى اللغة الإيطالية سنة ١٨٣٤م في مدينة نابولي ثم إقليم برومانيا في مطبعة يوحنا جاور جيوس تحت تسمية "انهدام الديانة العبرانية"<sup>(٣)</sup>.

---

(١) صراخ البريء ص ٢٢٧.

(٢) بروتوكولات حكماء صهيون ص ٢٣٥.

(٣) المصدر السابق ص ٢٣٦.

ثم قام بترجمته إلى اللغة العربية - كما يقول حبيب فارس - العبد الفقير إلى عفو مولاه توماس بنجادي من أهالى مدينة بغداد، لكن لا يعلم تاريخ هذه الترجمة، حيث إن آخر ورقة من الكتاب فى طبعته العربية الأولى قد أبلغها السنين<sup>(١)</sup>.

ويذكر هذا المترجم أن الكتاب قد سُمى فى بعض اللغات التى ترجم إليها باسم "انهدام الديانة العبرانية" وسمى فى غيرها "طريقة استنزاف الدم" أما هو فاختار له اسم "سر الدم"<sup>(٢)</sup>.

ومما يزيد هذا الكتاب أهمية وخطرا - فيما يقول حبيب فارس - كونه مؤلفا من حاخام يهودى، ترك الديانة اليهودية، ودخل فى الدين المسيحى، وأفشى سر الدم، ولذلك لا يقال إن هذا الكتاب أوهاام باطلة تصورها أعداء اليهود، أو افتراءات بحتة، واختلافات زورية، ادعاها عليهم محبو الانتقام منهم، وحاسدوهم. فهو مكتوب من الحاخام الكبير والمعلم الشهير، قدوة علماء الأمة اليهودية وأول مفسر العقائد التلمودية، الحاخام نافيطوس الرافض معتقد اليهود، والمعتنق إيمان المسيح بن مريم، وهو فى السنة الثامنة والثلاثين من عمره، والمتشع بالاسكيم الرهبانى، منقطعاً إلى الله فى مناسك القنوت والتعب<sup>(٣)</sup>.

وتدعيما لما ذكرناه فى الباب الثانى من هذا الكتاب عن الذبائح التلمودية عند اليهود، والجرائم التى ارتكبوها، والحوادث التى استنزفوا فيها الدماء البشرية من غيرهم. وأشهر هذه الحوادث وتلك الجرائم حادثة قتل الأب توما وخادمه إبراهيم عمار، وحادثة مقتل الطفل هنرى عبد النور.

---

(١) صراخ البرىء ص ٢٢٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) المصدر السابق ص ٢٢٧ - ٢٢٨.

راجع أيضا عجاج نويض فى البروتوكولات ص ٢٣٦.

تدعيماً لهذا كله وجدت أن أثبت في نهاية هذا الكتاب نص كتاب هذا الحاخام ليطلع عليه القارئ كما هو دون نقص أو زيادة، وبلا تعليق أو تنقيح<sup>(١)</sup>، ونحن ننقله من كتاب "صراخ البريء في بوق الحرية والذبائح التلمودية لصاحبه حبيب أفندي فارس والذي طبع في القاهرة سنة ١٨٩١ م"<sup>(٢)</sup>.

---

(١) لقد قمت بالتعليق في الهامش على ما يستوجب التوضيح فيما يتعلق بموقف الإسلام من بعض العقائد المسيحية التي وردت في النص ثم نقلت النص كما هو حتى العبارات الركيكة والجمل السقيمة.

(٢) ويقع نصه من ص ٢٢٩ إلى ص ٢٥٤ أى حوالى ٢٥ صفحة.

وهذا نص الكتاب بالحرف الواحد

## الرأس الأول

فى السر المكتوم عند اليهود

أريد بهذا السر المكتوم سر الدم الذى يستنزفه اليهود من عروق المسيحيين بالطريقة وللأسباب المنصوص عليها فى كتبهم الدينية والتى ستجىء.

وقد سبقنى إلى رفض ديانة اليهود كثيرون من الحاخامات الكبار والعلماء المشهورين من اليهود، وأكثرهم ألفوا كتباً مختلفة عن عقائد الأمة اليهودية ومبادئها وعوائدها وقرروا كلهم حقيقة مجيء المسيح المنتظر وصلبه كما هو معلوم<sup>(١)</sup> وغير ذلك من الحقائق التاريخية والمسيحية.

ومع كل هذا فلم أر أحداً منهم كتب شيئاً فى إظهار سر الدم المكتوم عند اليهود المحفوظ فى خفايا صدورهم، والمحرم على أقلامهم وألسنتهم النطق به. وإن اضطرب أحد منهم إلى ذكره فى مؤلف فىكون ذلك تحت إشارات رمزية وعبارات اصطلاحية لا يمكن أن يفهمها أحد سواهم، حيث إنها بعيدة المرمى خفية المقصد. مثلاً يقولون ديكا ويقصدون طفلاً إلى غير ذلك مما لا يخطر المقصود منه على بال أحد.

واكتفى الحاخامات الذين رفضوا المعتقد التلمودى أن يقولوا إن اليهود يستنزفون دماء المسيحيين ولكن لم يقل أحد منهم لماذا وكيف، ولا أزال حائراً فى

---

(١) يقرر القرآن الكريم أن المسيح عليه السلام لم يصلب ولم يقتل يقول تعالى (وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم) وقد بين زميلنا الدكتور أحمد عجيبة أن عقيدة الصلب والفداء عند المسيحيين مأخوذة من الأديان الوضعية (راجع رسالته للدكتوراه المشار إليها آنفاً).

أمر إهمالهم هذا الإيضاح ولم أستطع تأويله إلا إلى كونهم خافوا أن ينالهم أذى اليهود إذا أفشوا هذا السر، أو أنهم أرادوا إخفائه حتى لا يشتهر بين المسيحيين فيقومون على اليهود الذين بينهم ذوو قرباهم والمتصلة معهم صلة رحمهم، إذ لا يخفى أن الذى كان يهتدى مثلى كان يترك أباه وأمه وأخاه وسائر ذوى أقرباء باقين على معتقدهم، أو أنهم خافوا من المسيحيين إذا عرفوا هذا السر يمتنعون بعد ذلك عن قبول من يريد اعتناق الديانة المسيحية من اليهود.

أما أنا الذى تركت معتقد اليهود، بعد إذ كنت معلما كبارهم ومربيا صغارهم وحاخاما لطقوسهم الدينية، ودخلت ظلال السكينة تحت راية القانون الرهبانى بعد قبولى بالميلاد الثانى فى سر العماد المقدس الذى نقانى وطهرنى فأرانى مصيبا لعدم مراعاة ما راعاه سابقى إلى رفض المعتقد اليهودى، ولذلك فقد عزمت على إشهار سر الدم الذى طويت عليه أعشار صدرى إلى الحين الذى صبغت فيه بصبغة العماد المقدس، ومارست طقوسه بذاتى أكثر من مرة ولا أظن أحدا عالما بكل خفاياه وأسبابه حق العلم مثلى. ولا أقصد خدمة الدين المسيحى فى إشهاره بل أريد تنبيه المسيحيين حتى لا يقعوا فى الفخاخ التى ينصبها لهم اليهود ليلقوهم فى الحجب التى لا تخرقها الأبصار، وهناك حيث لا يسمع لهم صوت أنين ولا تستجاب لهم استغاثته، يستنزفون دماء عروقهم بصورة لا يستطيع أن يراها إنسان ولا حيوان إلا من تكون المبادئ التلمودية جرت فى عروقه.

وها أنا الآن بعد إطراحي ونبذى هذه المبادئ تنبض فريصتى وتأخذنى القشعريرة من مجرد مرور صورة تلك المشاهد فى وهمى، مع أنى حين كانت مبادئ التلمود راسخة فى فكرى ومقبولة لدى حكمى كانت أمارس بيدى هذه الراجفة الآن والقوية حينئذ طريقة استنزاف الدم، أى نعم إن هذه اليد التى كانت تحمل المديه وتندنس بسفك الدم الزكى لا تتطهر إلا بأخذ القلم وإظهار هذا السر.

وبهذه الاعتبارات أفشى هذا السر متمنيا أن يقع ما أكتبه تحت كل نظر، وينزل فى

كل سمع، ويدركه كل فكر، وملتزمًا سبيل السداجة والصدق مؤيدا قولى بإثباتات ظاهرة وبراهين واضحة فأقول:

ليعلم أن هذا السر لا يعلمه إلا الرؤساء والحاخامات والكتبة والفريسيون المعروفون باسم خاسيدوم وهؤلاء يكتمونونه في أخفى طيات صدورهم عن سواهم من اليهود ومن كل بنى الإنسانية، وهم ذواتهم لا يستلمه أحد منهم إلا بعد الإيمان المغلظة بحفظه مكتوما كل الكتمان حتى ولو كان فوق رؤوسهم السيف وتحت أقدامهم النطع<sup>(١)</sup>.

وأما الأسباب التى من أجلها يستنزف اليهود دم المسيحيين فهى ثلاثة.

الأول: البغض الشديد الذى يربو في صدور اليهود ضد المسيحيين قبل أن ترفع عنهم لفائفهم وهم يدرجون ويلعبون في أزقة حاراتهم المنقطعة على حدة في الغالب.

ولذلك فهم يعتبرون دم أحد المسيحيين مسفوكا في أيديهم ضحية لله وقربانا كما سبق المسيح وأعلن ذلك لتلاميذه حيث قال إنه ستأتى ساعة يظن فيها كل من يقتلكم أنه يقرب قربانا لله (يوحنا ص ١٨ عدد ٢).

السبب الثانى هو اعتقادات اليهود المبنية على الوهم والباطل التى تصور لهم أن الدم المسيحى ذو فعل فى بعض أعمال سحرية يعملها رؤسائهم وحاخاماتهم متخذين هذا الدم فيها بمقام التعاويذ والرقى وغير ذلك من الجهالات التى لم يبدد ظلماتها إلى الآن نور التمدن العصرى بل قدر هؤلاء الحاخامات أن يبقوها فى قوتها القديمة توصلا إلى حفظ العصبية القومية بين اليهود المبنية على مبادئ حب الذات والانفراد بجمع المقتنيات كما يشاهد فى أسرار هيئة اجتماعهم.

السبب الثالث: هو اعتقاد الرؤساء والحاخامات الداخلى بأن المسيح بن مريم

---

(١) النَّطْعُ، والنَّطْعُ: بساط من الجلد، كثيرا ما كان يقتل فوّه المحكوم عليه بالقتل يقال: على بالسيف والنطع (المعجم الوسيط ج ٢ ص ٩٣٠ مجمع اللغة العربية الطبعة الثانية ١٩٧٣ م).

الذى صلبه اليهود<sup>(١)</sup> هو ماسيا الحقيقى المنتظر وإنما لا يوافق وجود هيئة اجتماعهم الاقرار بهذه الحقيقة ولذلك فهم يجمعون رأيا على وجوب إحراز الدم المسيحى لاستعماله فى بعض الطقوس الدينية على أفراد الأمة والنجاة من الهلاك بذلك بواسطة تطهرهم به.

ثم إن للحاخامات مبدأ آخر وهو أن مقتنيات المسيحيين حلال لهم كدمهم وذلك لا اعتقادهم أنه سيصبحهم يوم يكونون فيه أرباب هذه الأموال.

وهنا يمكننى أن أقول مجاهرا بأن اليهود قد عرفوا الطريق المؤدى إلى هذه الغاية التى هى أمام أعين كل واحد منهم ولا أرى الحجة لتأييد هذا القول بعيدة. فإن من تأمل فى أسرار هيئة اجتماعهم ورمى بطرف الامعان فى طرائق أعمالهم فى عالم المالية عرف أنهم اهتموا سبيلهم لحصر القوة فى أيديهم وأيقن أن عجل هارون<sup>(٢)</sup> الذهبى لا يزال عندهم معبودا عبادة تهيئ لديها كل عبادة ولا أظن الشفاه التى تلفظ كلمة جاهوفا لها صلة بالقلوب التى وقف هواها عند حب الأصفر الذى عقدت عليه الآمال لبلوغ غايتها الأصلية.

وإنى أذكر من الكلام الذى يقولونه فى طقوسهم عبارة مملوءة رموزا وإشارات لا تسهل على أسمى المدارك هم يذكرونها فى طقوسهم المقصود منها إحياء بغض المسيحيين وإن لم يمت وإيقاد نار الحقد عليهم وإن لم تنطفئ وهى الآية المذكورة فى سفر الخروج (ص ١٤ : عدد ٧)، ونصها: فعد فرعون مركبا وجميع فرسانه وشعبه كافة وأخذ معه ستمائة مركبة منتجة وسائر أهل مصر وخيولهم وعليها رجال مجتبون كل واحد منهم بثلاث حراب لكى يجرى فى أثر الشعب العبرانى.

---

(١) لقد سبق أن أكدنا على أن الإسلام يرفض عقيدة صلب المسيح عليه السلام وعلى أن هذه العقيدة باطلة وقد تأثر فيها المسيحيون بالأديان الوضعية.

(٢) اتهم اليهود سيدنا هارون عليه السلام وافتروا عليه زورا وبهتاناً أنه هو الذى صنع لهم العجل فعبدوه فى غيبة موسى عليه السلام وذهابه للقاء ربه، ويقرر القرآن الكريم أن الذى فعل هذا هو السامرى، راجع تفصيل القول فى ذلك فى رسالتى للدكتوراه المشار إليها آنفا.

فعند هذه العبارة يسأل الحاخام سلمون قائلا: ترى من أين كان يوجد عند المصريين خيول يركبها الفرسان ليسيروا خلف الإسرائيليين، مع أن البرد كان قبلا أمات كل بهائمهم كما في سفر الخروج (ص ٩: عدد ١٩). ثم يجيب ذاته قائلا إنه كتب أيضا إنه من المصريين من كان آمن أن البرد عتيد أن ينحدر على الأرض ولذلك أخفى بعضهم أعز بهائمهم داخل بيوتهم فلم تمت من البر وعلى هذه الخيول جروا على أثر الإسرائيليين ثم يقول للسامعين.

إننا نفهم من هذه العبارة أنه لا بد من استخراج النخاع من رأس الحية الأكثر وداعة، ونفهم أن المسيحيين يخفون أعز أولادهم في منازلهم كما أخفى المصريون أنجب خيولهم في بيوتهم، فعلينا إذا أن نسعى في طلب أجود الأولاد وأزكى الدم.

وكل يهودى منا عليه واجب قتل مسيحي بالطريقة التى يقدر عليها أما الذى يقدر منا على قتل المسيحي بطريقة استصفاء دمه فذلك له الأجر الأوفر، وأما الطريقة الأخرى فهى إقلاق راحة المسيحيين واستصفاء أموالهم ورمى الشقاق بينهم توصلا إلى تقصير أيامهم وهذه الطرائق درجات وأجودها تختلف بحسب درجاتها.

وماذا عساي أن أقول فى وصفى بغض اليهود للمسيحيين أولا ولسائر الأمم ثانيا أن ذلك يفهم من ملاحظة سيرهم فى أعمالهم الاجتماعية أكثر من كل وصف ومن كل تقرير وشرح.

ولهم فى تفسير أقوال الأنبياء الواردة فى التوراة<sup>(١)</sup> فنون لا أعجب إلا من كونها يمكن اتفاقها مع العقل البشرى فإنهم يحرفون الأقوال ويفسرونها بضد مفاهيمها ويصرفونها على غير مواضعها.

---

(١) المقصود بالتوراة هنا توراة اليهود وليس التوراة المنزلة على سيدنا موسى عليه السلام، وتطلق كلمة توراة على الأسفار الخمسة وتطلق أحيانا على كل أسفار العهد القديم، راجع ما كتبناه فى الفصل الأول من الباب الثانى عن العهد القديم.



من ذلك تفسيرهم للوصية المفروضة من موسى في سفر الخروج (ص ٢٢: عدد ٣١)، وهي كونوا أناسا متقديسين. وحيوانا مفترسا في الصحراء لا تأكلوه بل اطرحوه للكلاب. فيزعمون في تفسيرها أن موسى أراد ليس فقط طرح هذا اللحم للكلاب بل للنصارى حيث إن الكلاب أفضل من المسيحيين لأنه مكتوب ولجميع بنى إسرائيل لا ينبح كلب بفيه من ناسهم إلى بهائمهم لكي تعلموا ما يميز به الله بنى إسرائيل عن المصريين سفر الخروج (ص ١١: عدد ٧).

ولا أدري كيف أصم اليهود أسماهم عما جاء في سفر الأمثال (ص ٥: عدد ٨) من أن قرايين المنافقين هي رذالة لدى الله فهل يا ترى تكون ضحيتهم للدم الزكى في غير سبيل المناقفة، ولا أظن أن شريعة أو قانونا أو عادة تعتبر فعل سفك الدم فضيلة إلا إذا كان بين عوائد وأخلاق البرابرة والمتوحشين ما لا نعرفه، ولكن قوما أضواء لهم نور التوراة لا يزالون على هذا السبيل لا نرى أمكن منهم في الغباوة والجهالة فما أليق حالتهم بالرثاء ووجودهم بالندب والبكار وإن ظنوا بأنفسهم أنهم سعداء فقد جاء في مزامير النبی والملک داود أن الجاهل يظن في نفسه أنه حكيم.

ومن شاء أن يقف على شدة كراهة اليهود للمسيحيين وعلى ما يكتمون لهم بنوع خاص وللأمم السائرة عموماً فعليه بمطالعة الرأس الثالث والثلاثين من تأليف بولس الطبيب ففيه الكفاية في هذا الشأن.

أما الدم الزكى المستنزف من عروق المسيحيين فيستعمله اليهود في كثير من طقوسهم الدينية منها الزيجة وذلك بأن يصوم العروسان من المساء إلى المساء عن كل شيء وبعد عقد الزيجة يناولهما الخاخام بيضة مسلوقة فيأكلانها بعد أن يغمسانها برماد الكتان المشرب قبلاً من الدم المسيحي.

أما هذا الرماد فهو محفوظ عند الخاخامات وهو الذى يحفظون فيه الدم المسيحي، لأنه بعد استنزاف هذا الدم تبل به قطعة من الكتان حتى تتشربه وتحرق بعد ذلك ويحفظ رمادها في حقائق ترسل من بلاد إلى بلاد، حيث لا يمكن لليهود في

كثير من الجهات أن يستنزفوا هذا الدم فيستعين بعضهم ببعض على اقتنائه الشديد اللزوم في الطقوس الدينية.

وعندما يأكل العروسان البيضة ملوثة بالدم المسيحى يتلو عليهما الحاخام بعض آيات مآلها أن العروسين يكتسبان بمجرد هذه البيضة الملوثة بالدم القوة على إيقاع المسيحيين في فخاخ الغش ومصائد الخداع ويتمكنان بواسطة مزج هذا الدم بدمهم من الظهور بمظهر الإخاء مكرًا وخديعة في سبيل اجتناء ثمار الأغراس المغروسة بقوة إيمانهم والمسقة بعرق جبهاتهم.

هذا المظهر الإخائي الذى يتردى اليهود به أمام النصارى هو السلاح الذى يتخذونه لبلوغ وطهرهم من استنزاف الدم ولا اعتماد لهم على القوة حيث أنها لا أثر لها في أعصابهم وعروقهم وعددهم القليل، وحيث إن مسألة استنزافهم الدم المسيحى صار ملهيج كل الألسنة لظهوره في الأماكن من خبايا الخفاء ووضوحها على علم الجهلاء، فهم يسلكون سبلاً في التستر والتخفى والمكر لا يقدر على سلوكها إلا من كانت فيهم فطرتهم التى أكسبهم إياها ذلهم الملازم لهم على عنق الدهر.

وقد جر بغض اليهود للمسيحيين إلى اعتبار كل مقدس لديهم نجسا رجسا ولذلك اصطلحوا على تسمية الكنيسة طوما ومعناها دنسه أو محل الدنس ولها اسم آخر عند الحاخامات وهو ميرخاخ أى مرحاض. ويطلقون على المسيحيين (غوى) اسمًا لا يفسر لفظه بغير عباد أصنام أو منافقين، ويطلقون على الطفل المسيحى اسم (شان جيش) ومعناه الدودة الجامدة وعلى الطفلة المسيحية اسم (سيكلا) ومعناه العلقه. وأما اسم الاكليروس فهو (جاليس) ومعناه مقدمون ضحايا للأصنام.

ثم إنه عندما يحتفل المسيحيون بتذكار عيد ميلاد المسيح في ٢٥ كانون أول فاليهود في الليلتين السابقتين للعيد والتالية له، لا يلمسون كتبهم الدينية ويصرفون هاتين الليلتين في الألعاب والمذاكرة في سبب المسيحيين وشتهم والتدمير على المسيح

وعلى مريم أمه، وفي البحث عن الطرق الموصلة إلى غاياتهم من استنزاف دماء أطفالهم وأكل أتعابهم هاجرين في هذا الشأن لذة الوسن مجدفين على البابا والاكليروس والقديسين المعترين عند المسيحيين في مقام الرعاية والاحترام، ويطلقون على هاتين الليلتين اسم ليلتى العمى.

ولا يمكن للقلم أن يأتي على ذكر التجاديف وكلمات النفاق التى تخرج من أفواههم فى تلك الليلتين لما فيها من الرذالة والحباثة بحيث تؤثر الآذان الصمم على سماعها والهواء يؤثر السكوت على حملها وتدنيس مهاب الآفاق بتناثها.

واليهود يشربون بغض المسيحيين والشوق إلى شرب دمائهم مع لبن أمهاتهم، وتراهم عندما يبتدىء أولادهم بإفهام حروف الهجاء يأخذون فى تعليمهم كلمات السب والشتم الموجهة ضد المسيحيين.

وأول ما يوجبون عليهم هو أن يلفظوا عند مرورهم أمام إحدى الكنائس هذه الكلمات (ساكيس نادانسيد بيادان نادى بينيخى شرابريم إلى ايم) ومعناها فليكن محروما المكان المدنس الذى هو للدنسين، والرجس الذى هو للرجسين النجسين. وقد ورد بهذا الشأن فى نصوص التلمود ما مؤداه.

إنه حينما يمر اليهود بجانب إحدى كنائس النصرارى عليه أن يلفظ الكلمات المار ذكرها، وإذا نسى أن يلفظها ثم انتبه بعد ابتعاده نحو عشر خطوات فيجب أن يرجع ويلفظها، ولكن إذا نسى أن يلفظها ثم انتبه بعد ابتعاده مسافة أكثر من عشر خطوات فلا يجب عليه الرجوع بل يكفى لفظها وهو فى المكان الذى انتبه فيه لنسيانه، ومن هذا القبيل إذا مر يهودى ببنى نعش مسيحيين حاملين ميتهم إلى الكنيسة أو إلى المدفن فعليه أن يلفظ هذه الكلمات (صليوم كاش لامورخرس تزل) ومعناه أننى اليوم نظرت ميتا منافقاً فعسانى أنظر فى الغد اثنين مثله.

وكل هذه الشواهد مهما قويت فلا أراها قادرة على وصف بغض اليهود للمسيحيين كما هو، ولا يقف بغض اليهود عند المسيحيين، بل يتصل إلى سائر

الأمم، وفي مذهبهم أنه إذا لم يمكن الحصول على الدم المسمى قدم المسلم يقوم مقامه. وأما دم الوثني فلا رغبة لهم فيه ويؤثرون الدم المسمى وذلك لما بينهم وبين المسيحيين من صلات الاختلاف والعداوة المبنية على مبادئ الديانتين المسيحية والعبرانية.

وحيث إن الديانة الإسلامية تعتبر المسيح عيسى روح الله فلذلك لا تروق لليهود، بل هي في الدرجة الثانية في الكراهة لديهم بعد الديانة المسيحية.

وقد حمل بغض اليهود للأمم السائرة إلى اعتبار نسبة البشرية غير لائقة إلا بهم وهم وحدهم في زعمهم المستحقون بأن يسموا بشرًا.

ولا يظن أحد أني أذكر ما أذكر عن اليهود تشفيًا من أحقاد أو توصلاً إلى غايات بل إنني أصرخ من أجلهم مع النبي أرميا القائل من يعطى لرأسى ماء ولعيني ينايع دموع فاندب شعبي نهارًا وليلاً (ص ٨: عدد ١).

الشعب الذي كان مختارًا من الرب مملوءًا نعمًا وقداسة متمتعًا بملك أيضا هو الآن منفي متبدد في أربعة أقطار الأرض حسبما سبق أرميا النبي فقال عنهم أنا أفسدتهم مثل المشاقة المحمولة على الريح إلى موضع خراب (ص ١٣: عدد ٢٤).

ويكفي اليهود شيئًا وعارًا لو لم يكن لهم منقصة إلا هذه وهي إذا دخل المسيحي إلى بيت يهودي يستقبله كعادة البلاد التي هو فيها، ولكن عند خروجه توجب عليه ديانتته أن يقول هذه الكلمات فليحل على رأس هذا المسيحي الخارج من بيتي كل نوع من أنواع الأمراض وجميع المحزنات والأحلام المفزعة والرديئة العاقبة المزمعة أن تحل بي وبأهلي، وهذه الكلمات وإن كانت لا تتجاوز أفواه اليهود إلى غير غرف بيته إلا أنها مع ذلك تستوجب العار والذل والشين.

أما الفوائد التي أرجو صدورها عن إظهارى سر الدم المكتوم عند اليهود فهي أولا حذر المسيحيين واحتراسهم على أطفالهم، وعدم الوثوق بظواهر اليهود في معاملاتهم.

ثانيًا إن عامة اليهود تجهل حقيقة هذا السر ولا يعرفه كما هو إلا الحاخامات أو الرؤساء وأركان الديانة والأمة الكبار، فإذا العامة وقفت على ما أقول عن شناعة هذا السر فلا بد من حدوث انفعال وتأثر في نفوسهم يعقبه الاعتدال في سيرها ورذل مثل هذه المبادئ التي لا تليق بالإنسانية ولا تأتلف معها مهما كانت منحنطة إلى درجات الهمجية والبربرية.

وطالما قرأت في كتابات بعض كتاب المسيحيين والمسلمين وغيرهم عن ذم اليهود وعدم قابليتهم التنور بأنوار التمدن، إلا أنني أنكر على هؤلاء الكتاب الإصابة، فإن اليهود وإن كانوا ذهبوا شهداء خداع الحاخامات فهم أصحاب مدارك سامية تندر في رؤوس كثير من الأمم وهم في مذهبي أقبل الأمم للمدنية ولقبول المعارف إلا أنهم يحتاجون إلى وقت أطول.

أما السبب الثالث لسفك اليهود دماء المسيحيين هو اعتقاد الحاخامات والرؤساء الداخلي أو بالحرى ارتيابهم في حقيقة يسوع بن مريم الذي صلبه أجدادهم<sup>(١)</sup> وخصوصا حين يراجعون أقوال الأنبياء ويجدونها مطابقة للحوادث التي جرت عند مجيء المسيح وحين يقرأون هذه الآية الواردة: ذهلت السماء من هذا ورهبت جدًا يقول الرب لأن شعبي صنع شرين عظيمتين تركوني أنا ينبوع الماء الحى وحفروا لذواتهم آبارًا مشقة لا تستطيع أن تجمع لهم المياه (ص ٣: عدد ١٣)، أى نعم إن هذه النبوة يفهمها جيدًا الحاخامات كما عرفها حانان وقيافا ولكن لا يوافق الإقرار بذلك وجود هيئتهم الاجتماعية إذ لو عرف أفراد الأمة اليهودية ذلك لانحت عرى عصبيتهم القومية وباءوا بخسارة المقتنيات والموجودات التي اقتنوها ولهذا السبب عينه اختلقوا وسائل اعتبروها مطهرة لهم من دنس الرجس الذي اقترفوه وهى:

أولاً: إنهم عند ختانة الطفل في اليوم الثامن من ولادته يأخذ الحاخام كأس خمر

---

(١) لا يزال هذا الحاخام السابق مصرا على القول يصلب المسيح انطلاقا من عقيدته المسيحية التي تحول إليها، وقد سبق أن أشرنا إلى بطلان عقيدة الصلب، وفساد القول به.

ممزوجة بنقطة من الدم المسيحى الزكى. ويضيف إليها نقطة من دم الطفل المختون ويمزج الخمرة مزجاً قوياً ويغمس خنصره فى الكأس ويدخله فى فم الطفل مرتين قائلاً لدى كل مرة قد قلت لك إن حياتك هى بدمك (زخريا ٩: ١١). وسر هذا الطقس ظاهر وهو خلط دم الطفل اليهودى بالدم المسيحى ليظهر به معتبرين أن النبى زكريا أراد بقوله دم المسيح الذى خرجت به من الينبوس أنفس الأبرار التى لم تكن معمده بالماء المقدس مثل الطفل اليهودى ثم ومن علائق الشبه أيضاً كون دم المسيح سفك بين العذابات الأليمة<sup>(١)</sup> ودم المسيحيين يستنزف بين العذابات أيضاً.

ثانياً: فى اليوم التاسع من شهر تموز وهو اليوم الذى فيه يقيم اليهود مظاهر الحزن على خراب أورشليم كل يهودى ملزوم بدهن جبهته من جهة الصدغين برماد الكتاب المحروق بعد تلويثه بالدم المسيحى كما تقدم لنا القول وبأكل بيضة ملثثة بقليل من هذا الرماد وهذا الأكل يطلقون عليه اسم "سابادا مافاليس".

ثالثاً: أن اليهود فى عيد فصحهم يصنعون الفطير بهيئات شيطانية مختلفة الصور يصنعون رغيفاً خصوصياً ملثوثاً عجينه بقليل من رماد الكتان المحكى عنه، وفى الليلة الأولى من ليلى فصحهم لابد لكل يهودى حتى ولو كان حدث السن من أكل قطعة بقدر حبة الزيتون من هذا الرغيف، وهذا الخبز الفطير يطلقون عليه اسم (أوفيكو إيمان) والعدد الغالب منهم يأكلونه بعد إذ يكونوا ملأوا رؤوسهم خوراً ومشروبات روحية يغنون عليها بالتجاديف على المسيح والأمة المسيحية وهم بين جدل وطرب.

رابعاً: حينما يدنو اليهودى من ورود حياض المنية يأتية الحاخام ويده بيضة فيستخرج زلالها ويمزجه إما بنقطة من الدم المسيحى أو بقليل من رماد الكتان المصبوغ بهذا الدم وينضح على قلب الميت قائلاً ألفاظ النبى حزقيال. انضح عليكم دمًا نقيًا وتطهرون من جميع نجاساتكم.

(١) لم يسفك دم المسيح وإنما نجاه الله وأنقذه من أيدي أعدائه كما سبق أن أشرنا إلى ذلك.

خامسًا: إنه في العيد الذى يحتفل اليهود فيه بتذكار إنقاذ آبائهم من شر هامان عن يد استير ابنة أخى مردخاى وهو الموافق ١٤ شباط يسعى كل واحد فى صيد أطفال المسيحيين لاستنزاف دمائهم حيث إن هذا اليوم عندهم هو أبرك الأيام. لذلك وحيث أن كل مسيحى لديهم هو بمنزلة هامان العمالقى وزير احشوروش ملك الفرس.

والحاحامات فى ليلة هذا العيد يضع كل منهم جملة أرغفة معجونة بالعلسل بصورة مثلثة الزوايا مازجًا عجيناها بشئ قليل من الدم المسيحى، ويوزع عددًا منها على كل من اليهود المتعلق هو بخدمتهم الدينية ولك واحد منهم يوزع على أصدقائه وهذا التوزيع يطلقون عليه اسم (ماسلوا يا كمونه).

وعن هذا اليوم قد تنبأ أرميا النبى قائلاً. وفى يدك وجد دم نفوس الأنبياء (ص ٢: عدد ٣٤) وتنبأ أيضا حزقيال النبى قائلاً: لأجل هذا قل لهم هكذا يقولون تأكلون على الدم (ص ٣٣: عدد ٢٥).

وفى ليلة هذا العيد الذى يطلقون عليه اسم بوريم يكون جميع اليهود فى الجذل والفرح سكارى بخمرة عهد حقدهم على المسيحيين.

ثم والمسيحى الذى يقع بين أيديهم فى هذا العيد لا يجب أن يستنزف دمه بين العذابات حيث إنه رمز عن دم هامان بخلاف المسيحى الذى يقع بين أيديهم فى عيد الفصح فاستنزاف دمه بواسطة العذابات أمر واجب دينا حيث إنه رمز عن دم المسيح<sup>(١)</sup>.

---

(١) لا يزال الحاحام السابق مصرا على ترديد العقائد المسيحية التى تحول إليها فيذكر دم المسيح على أنه قتل والحق أنه لم يقتل ولم يصلب ولم يسفك دمه كما أخبرنا بذلك القرآن الكريم.

## الرأس الثانى

إن الأحوال التى يجزى فيها اليهود استنزاف الدم المسيحى، والعذابات المنقطعة المتنوعة التى يستعملونها فى سبيل ذلك تترجف لها أعصاب الإنسانية وإلى هذا أشار أرميا النبى قائلاً لأن النفاق وجد بهذا الشعب. أقاموا فخاخاً يفسدون رجالاً وأخذوهم فى مثل فخ منصوب مملوء طيوراً وهكذا بيوتهم مملوءة غشاً ص ٥ عدد ٢٦. ويلزم أن يكون الدم الذى يستنزفونه فى عيد الفصح دم بكر حيث إن المسيح الذى هو رمز عن دمه كان بكراً.

وماذا أقول فى وصف ما يلاقى اليهود من الصعوبات فى سبيل استنزاف هذا الدم لأنهم لم يمكنهم إخفاء أمره بل توجهت إليهم الظنون أو انتبعت إلى أعمالهم الأفكار ومع ذلك فلم يقلعوا عن سبيله بل هم كما كان أجدادهم من قبل شديدي الحرص عليه.

ولا أقدر على إحصاء الاضطهادات التى لقيها اليهود بسبب سر الدم من حين ما قويت شوكة المسيحيين وامتلاأت منهم عروش الممالك خصوصاً فى أسبانيا وروسيا، ولولا وجود هذا السر لما كان ينالهم أذى فإن الاختلاف موجود بين جميع الطوائف والأمم ومع ذلك فلا نجد بغض الشديد الممتزج بالنفوس بين بعضها وبعض.

وليس المسيحيون يبغضون اليهود فقط بل إن المسلمين يكرهونهم أيضاً شر الكره، وذلك لأن اليهود إذا عز عليهم الحصول على الدم المسيحى وأمکنهم



الحصول على مسلم يستنزفون دمه لا يقصرون لأنهم يعتقدون أن عددًا كثيرًا من المسيحيين دخلوا في الديانة الإسلامية عند ظهورها ولذلك فالدّم المسلم ممزوج بالدّم المسيحي في معتقدهم هذا، عدا ما يلزمهم من دم المسلم القاتل كالمسيحي بظهور المسيح بن مريم روح الله<sup>(١)</sup>.

وقد تقدم القول بأن الحاخامات يصطنعون في عيد تذكّار نجاتهم من شر هامان العمّالقي خبزًا معجونًا بالعسل والدّم المسيحي بصورة مثلثة الزوايا فهذا يقصدون به الهزء والسخرية بالمسيحيين القائلين بالثالوث الأقدس<sup>(٢)</sup>، وإنّي لمعتقد بأن الدعوات التي نزلت على الشعب اليهودي بلسان أنبياء الله بلسانهم كلها موجهة إلى سفكهم دم المسيح أولاً<sup>(٣)</sup> ومراجعتهم هذا الفعل ثانيًا في استنزاف الأبقار المسيحيين.

أما إخفاء السر فقد وقفت على أقوال كثير من الكتاب أثبتوا كونه موجودًا في كتب اليهود إلا أنّي أرى هذا القول ضعيف السند إذ لم يجيء في كتب اليهود عنه إلا إشارات ورموز لا يعرفها إلا حاخاماتهم ورؤساؤهم والعلماء الكبار فيهم ولا يسلم أحد من هؤلاء هذا السر إلا بعد زيجته، وبعد الإيمان المغلظة متهددينهم بأعظم العقابات كما أشرت قبلاً بعدم إفشائه للمسيحيين ولا لسواهم ولو كانوا في أشد المضايق والأخطار والنكبات.

---

(١) لاشك أن نظرة المسلم إلى المسيح عليه السلام تختلف عن نظرة المسيحي إليه كل الاختلافات، فبينما يؤمن المسلم بأنه كلمة الله وروح منه، على أنه رسول منه، وعبد له، خلقه بدون أب. كما خلق آدم بدون أب ولا أم.

بينما المسلم يؤمن بذلك نجد أن المسيحي ينظر إلى المسيح على أنه الله أو ابن الله أو أنه ثالث ثلاثة وقد بين القرآن الكريم فساد ذلك.

راجع تفصيل القول في إبطال عقيدة المسيحيين في ألوهية المسيح في رسالتي للمجستير (غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام: اليهودية، المسيحية، المجوسية، الفصل الثالث من الباب الثاني وقد طبعت في كتاب بنفس العنوان نشر في عام ١٩٨٨ م.

(٢) راجع بطلان القول بالتثليث وفساد الاعتقاد به عند المسيحيين في رسالة الدكتوراه لزميلنا الدكتور أحمد عجبية (تأثر المسيحية بالأديان الوضعية).

(٣) نكرر أن المسيح لم يسفك دمه أحد.

وأنا الفقير إلى عفو مولاي قد استلمت هذا السر في الثامنة عشرة من عمرى من أبى ووضع على رأسى قرناً يسميه اليهود (تافيلسم) أى علامة القوة وعند وضعه هذا القرن على رأسى قال لى هذه العبارة إنى أعتمدك وأتكل عليك ثم استحلقتنى بقوى العناصر السماوية والأرضية بكتمه عن كل بشر حتى عن إخوتى وأخذ على المواثيق والعهود بعدم تسليمه إلى غير واحد من أولادى وهو من أرى فيه الرشد وأهلية الاعتماد والاتكال عليه والحكمة والمودة والفهم والثبات والرسوخ فى الدين والرزانة فى التصرف، ثم نهانى عن إظهاره لأى امرأة كانت على وجه الإطلاق وتهددنى بعدم قبول الأرض إياى فى مدافنها والسماء فى جناها إن كنت أحت بيمينى وأبيع بهذا السر ثم أباح لى به.

أما أنا فحافظت على وصية أبى وحفظت السر المكتوم حتى تلاًلاً أمام عيني نور الهدى فرأيت أن كتمانها يجلب على دعوات أبى لا إظهاره ولذلك فأنا أذيعه بدون خوف ولا أجهل إنى دائماً تحت خطر انتقام اليهود لإفشائى هذا السر المكتوم ولكنى متمسك بقول ابن سيراخ الحكيم (حارب عن الحق إلى الموت) (ص ٤: عدد ٨) وهاتف مع بولس الرسول<sup>(١)</sup> من يقدر أن يفصلنى عن حب المسيح أحزان أم ضيق أم خطر أم سيف رومية (ص ٨: عدد ٣٥) أى نعم أنى مستعد لكل ما ألقاه من شر اليهود والله يقينى حيث إنى خدمت الحق والحرية والإنسانية.

---

(١) راجع الحديث عن بولس نشأته وثقافته وإفساده لدين المسيح عليه السلام فى رسالتى للماجستير (غلاة الشيعة) ورسالة الدكتوراه "تأثر المسيحية بالأديان الوضعية" للزميل الدكتور أحمد عجيبة وشارل جينيبيير فى كتابه المسيحية نشأتها وتطورها ص ٨٧ - ١٤١ ترجمة الإمام الأكبر الدكتور/ عبد الحليم محمود - نشر دار المعارف ١٩٨١ م.

## الرأس الثالث

تقدم لنا أن الدم الذى يسفكه اليهود على نوعين:

الأول يسفك بين العذابات بطريقة الاستنزاف بموجب طقس دينى وذلك فى عيد الفصح والثانى بأى طريقة كانت وبدون طقوس دينية وذلك فى عيد البوريم وهو تذكار نجاة اليهود من شر هامان.

ثم إن استعمال هذا الدم على نوعين:

الأول أن يكون صرفاً بذاته وذلك يكون بعد سفكه أو استنزافه فقط أى قبل أن ييبس ويفسد.

والثانى رماده أى رماد الكتان الذى يشربونه من الدم قبل ييوسته وهذا الرماد يرسل فى حقاق من بلد إلى بلد كما ذكرنا فى أول الكلام حيث إن اليهود فى كثير من البلاد لا يقدرّون على الحصول على الدم.

ويكون استعمال هذا الدم فى تسعة أمور:

الأول فى الأعمال السحرية كالتعاويذ والرقى وفى معتقد الحاخامات أن هذا الدم مقبول جداً لدى الشياطين إذ يقدمون لهم به البشرية لا البهيمية.

الثانى استعمال الحاخامات والرؤساء إياه فى شفاء أسقام أجسادهم وعللهم وأمراض من يلوذ بهم.

الثالث لث البيض المسلوق به وإطعامه للعروسين فى ليلة القران ليقويا به.

الرابع مزجهم إياه بدم الطفل المختون ودهن حلقه به ليظهر.

الخامس دهن اصداغ اليهود به في كل سنة في اليوم التاسع من شهر تموز وهو يوم حزنهم على خراب أورشليم.

السادس رش كتانه في هذا اليوم على بيض مسلوق وكل واحد يتناول بيضة ملثوثة بكمية جزئية منه.

السابع وضعه في عيد الفصح ضمن أرغفة الفطير الخصوصية وكل واحد منهم يأكل قطعة من هذا الفطير بقدر حبة الزيتون.

الثامن إضافته إلى زلال البيض ودهنهم به صدور الموتى مع تلاوة بعض الألفاظ الرمزية.

التاسع مزج الخبز الذى يصنعونه في عيد البوريم به وتوزيعه على أصدقائهم من النصرارى بقصد إطعامهم دمهم بأيديهم.

وقد جاء في الصفحة ٢٩٧ من المجلد الثالث من تأليف المعلم الشهير فراجيس تفسير لما ورد في التلمود الذى هو كتاب اليهود ونحن نورده هنا تأييداً لما قلناه.

إن التلمود يوجب على كل يهودى أن يلعن في كل يوم النصرارى ثلاث مرات ويطلب من الله أن يبيدهم ويفنى ملوكهم، وحكامهم، ويوجب عليهم سلب ما استطاعوا من مقتنياتهم بأية طريقة كانت سفر ٦ فصل ٨ بند ٩.

وتفسير كلامه الوارد بهذا الصدد هو إما مع الوثنيين فلا تفعلوا لا خيراً ولا شراً وإما مع النصرارى فابذلوا كل جهدكم في سفك دمهم وإذا شاهد يهودى مسيحياً على حافة هوة فليرم به إلى أسفل سفر ٢ فصل ٩ بند ٦ لأن ممالك النصرارى هى أكثر نجاسة من جميع الممالك. وحرام على اليهودى الخدمة عند الحاكم الوثنى وأما عند الحاكم النصرانى فغير جائزة أصلاً وجريمة لا تغفر ٩ فصل ١ بند ٩ وكنائس النصرارى كبيوت الضالين ومعابد الأصنام يجب على اليهود خرابها وأناجيل النصرارى عين الضلال والنقص ويجب على اليهود إحراقها ولو كان اسم الله مدوناً فيها.

ولا يستعظم هذا من اليهود فإن اعتقادهم بالله نفسه قد فسد وقد قال العالم الشهير يوحنا كلاوريوس إن الاعتقاد اليهودي وإن يكن مسلماً إليهم من الله فقد أفسده حاخاماتهم ورؤساؤهم، وبعد ما كان هو الكمال بعينه جعلوه النقص بعينه إذ خلط الحاخامات به الخرافات الكثيرة الباطلة وأولوا معانيه ومضامينه بالأضاليل والتلفيقات العارية عن الصحة.

فمن ذلك أنهم يعتقدون أن الله يبكي وتجري دموعه في البحر كلما تذكر شقاء الشعب اليهودي، وأنه يدرس في كل يوم في كتاب التلمود ثلاث ساعات وأنه أوصى بتقدمة ذبيحة في أول كل شهر لأجل التي هو ارتكابها لما أنقص ضوء القمر عن ضوء الشمس، وأن الله كذب ليحفظ الصلح بين إبراهيم وساره إلى غير ذلك من التلفيق والتضليل الذي تعدوا به على شرف العناية الإلهية التي ترفع عن البكاء وعن الدرس في التلمود مهما علا في أعين اليهود قدره وظنوه مقدساً، وعن الخطأ والنقص والكذب في أعماله وتدابيراته الإلهية، إذ أنه هو الكمال والقدرة والإرادة والحق لا تلحقه وصمة النقص الإنساني بشيء البتة وعبداء الأصنام أنفسهم لم يصلوا إلى نسبة النقائص إلى آلهتهم كالهوى والحزن والضعف والجهل والخطأ والكذب<sup>(١)</sup>.

ومن اليهود من يعتقد أن المسيح لم يأت للآن إلى الأرض ولكنه سيجيء وهم في انتظاره.

ومنهم من يعتقد أنه عدل عن المجيء لكثرة الخطايا التي ملأت الأرض وهو يقصد محو الخطايا كما قال أشعيا النبي:

"حمل خطايانا وتوجع لأجلها وجرح بعد تجاوزنا الشريعة وهو يأتي إلى الموت باختياره وأعطى للأشرار بدلاً والله يريد أن يطهره من جراحاته إذ يبذل نفسه من

---

(١) راجع تصور اليهود للإله سبحانه ووصفهم له بصفات لا تليق بذاته المقدسة في أسفار العهد القديم وأسفار التلمود، واتجاههم الوثني وتأثرهم بالوثنيين في هذا الشأن من خلال رسالتي للدكتوراه "تأثر اليهودية بالأديان القديمة".

أجل الخطية" فكيف يهرب المسيح من الأرض لوجودها منجسة بالخطايا والخطا منذ وجد الإنسان ملازم لأعماله قبل الأنبياء والتوراة وبعدهم.

كيف يتنبأ الأنبياء إذا على مجيء المسيح ويوردون الآيات الدالة على علائم هذا المجيء إذا كان لا يجي والخطايا على الأرض.

وإنى أتوسل إلى الله بالخضوع والذل والرضوخ أن يلين قلب اليهود ويرفع برقع الظلام عن عيونهم، حتى يروا أنوار الحق وصمام الصمم عن أسماعهم ليسمعوا صوت العقل الداعي إياهم إلى الإيمان بالمسيح الحقيقي الذى جاء لافتداء العالم بالصلب<sup>(١)</sup> ونشر الإنجيل فى أقطار العالم نورًا للأمم اهتدى للشعوب على يد اثني عشر رسولاً انتخبهم من الصيادين المعدومى الجاه والاقتدار وقلدهم بسلاح نعمته فتسلطوا على أفكار الملوك القياصرة الوثنيين وثبتوا إيمانهم بدماء الشهداء المسفوكة بين أشد العذابات. وهذا الإيمان منذ ثلاثة عشر جيلا ممارس بجميع اللغات وفى جميع أقاليم الأرض إلا اليهود فلا يزالون معرضين عنه.

ألهمهم الله إلى الاستنارة به<sup>(٢)</sup> بشفاعة آبائنا إبراهيم وإسحاق ويعقوب وسائر الأنبياء والقديسين ومريم العذراء. آمين.

(تم كتاب)

(سر الدم المكتوم)<sup>(٣)</sup>

---

(١) عقيدة الصلب والفداء عند المسيحيين مأخوذة من عقائد الوثنيين وقد سبق أن أشرنا إلى ذلك.

(٢) يرى المؤلف أن إيمان النصارى بالمسيح نوع من الهدى والنور، ويدعو اليهود إلى الاستنارة به، ونحن المسلمين نرى أن كلا من اليهود والنصارى قد ضلوا فى عقائدهم وانحرفوا عن الدين الحق الذى جاء به كل من سيدنا موسى وسيدنا عيسى عليهما وعلى نبينا وعلى جميع الأنبياء أفضل الصلوات وأزكى التسليمات، راجع مدخل رسالتى للدكتوراه حيث بينت أن الإسلام هو دين الأنبياء جميعاً.

(٣) لا يزال هذا الكتاب كما يرى القارئ يحتاج إلى تصحيح وتنقيح ونأمل أن يتم ذلك فى الطبعة القادمة إن شاء الله.

## المصادر والمراجع<sup>(١)</sup>

أولاً: القرآن الكريم:

ثانياً: السنة النبوية الشريفة:

البخارى (الإمام أبو عبد الله محمد بن إسماعيل إبراهيم):

١ - صحيح البخارى نشر دار الريان للتراث - القاهرة ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٦ .

مسلم (الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري):

٢ - صحيح مسلم: المطبعة المصرية ومكتبتها - القاهرة

٣ - الموطأ: صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقي كتاب الشعب.

المنذرى (الإمام زكى الدين عبد العظيم بن عبد القوى):

٤ - الترغيب والترهيب - نشر دار الحديث بالقاهرة بدون تاريخ.

ثالثاً: كتب التفسير:

الألوسى (خاتمة المحققين وعمدة المدققين العلامة أبو الفضل شهاب الدين

السيد محمود الألوسى):

---

(١) اعتمدت في ترتيب المصادر والمراجع ترتيباً هجائياً على ما اشتهر به المؤلف سواء كانت هذه الشهرة راجعة إلى اسمه أو لقبه أو كنيته.

وقد قسمتها بعد القرآن الكريم إلى كتب السنة النبوية الشريفة وكتب التفسير والكتب الشارحة للسنة وكتب الفقه وتفسير آيات الأحكام وكتب أصول الفقه وكتب التاريخ الإسلامى والسيرة النبوية وكتب علم الاجتماع والفكر الإسلامى وكتب الأديان والمذاهب وكتب التاريخ القديم والحضارة الإنسانية وكتب المعاجم ودوائر المعارف والكتاب المقدس عند اليهود والنصارى وشروحه.

٥ - روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى - نشر مكتبة دار التراث القاهرة.

البضاوى (ناصر الدين أبو الخير عبد الله بن عمر البضاوى):

٦ - أنوار التنزيل وأسرار التأويل نشر مكتبة مصطفى البابى الحلبي القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٨هـ / ١٩٦٨م.

الرازى (الإمام العلامة فخر الدين الرازى أبو عبد الله محمد بن عمر بن حسين):

٧ - التفسير الكبير المسمى بمفاتيح الغيب دار إحياء التراث العربى بيروت الطبعة الثالثة.

رشيد رضا (الإمام السيد محمد رشيد رضا):

٨ - تفسير القرآن الحكيم المسمى تفسير المنار نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٢م.

الزمخشري (أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي):

٩ - الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل نشر مكتبة ومطبعة الحلبي القاهرة ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

أبو السعود (قاضى القضاة الإمام أبو السعود محمد بن محمد العمادى):

١٠ - إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، نشر دار المصحف القاهرة. الأستاذ/ سيد قطب.

١١ - فى ظلال القرآن: الطبعة الشرعية العاشرة ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م نشر دار الشروق بيروت والقاهرة.

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى):

١٢ - جامع البيان عن تأويل القرآن حقه وعلق حواشيه محمود محمد شاكر راجعه وخرج أحاديثه أحمد محمد شاكر الطبعة الثانية دار المعارف بمصر (تراث الإسلام).

عبد الجبار (القاضى عماد الدين أبو الحسن عبد الجبار أحمد الهمذاني):

١٣ - تنزيه القرآن عن المطاعن نشر دار النهضة الحديثة بيروت لبنان.



١٤ - متشابه القرآن تحقيق د/ عدنان محمد زرزور نشر دار التراث القاهرة.

القرطبي (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي):

١٥ - الجامع لأحكام القرآن نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية نشر دار

الكاتب العربي للطباعة والنشر ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م الطبعة الثالثة.

القشيري (زين الإسلام عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك):

١٦ - لطائف الإشارات (تفسير صوفي كامل للقرآن الكريم تقديم وتحقيق

وتعليق الدكتور إبراهيم بسيوني الطبعة الثانية نشر الهيئة المصرية العامة

للكتاب ١٩٨٣م.

ابن كثير (الإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبو الفداء إسماعيل ابن كثير):

١٧ - تفسير القرآن العظيم نشر مكتبة دار التراث القاهرة.

**رابعاً: الكتب الشارحة للسنة النبوية:**

ابن حجر (الإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني):

١٨ - فتح الباري بشرح صحيح البخاري نشر دار الريان للتراث القاهرة الطبعة

الأولى ١٤٠٧هـ / ١٩٨٦م.

النووي (الإمام الحافظ شيخ الإسلام محيي الدين أبو زكريا يحيى ابن شرف):

١٩ - شرح صحيح مسلم طبع ونشر المطبعة المصرية ومكتبتها القاهرة.

**خامساً: كتب الفقه وتفسير آيات الأحكام:**

الخصاص (أبو بكر أحمد بن علي الرازي الحنفي):

٢٠ - أحكام القرآن نشر دار الكتاب العربي بيروت.

ابن حزم (الإمام المحدث، الفقيه، الأصولي أبو محمد علي بن أحمد بن حزم):

٢١ - المحلى: تحقيق أحمد محمد شاكر دار التراث القاهرة.

ابن رشد (الشيخ الإمام الحافظ الناقد أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد

القرطبي):

٢٢ - بداية المجتهد ونهاية المقتصد: نشر المكتبة التجارية الكبرى بمصر.

السرخسي (شمس الأئمة الإمام الأجل أبو بكر محمد بن أبي سهل):

٢٣ - المبسوط نشر دار المعرفة بيروت ١٩٧٨ م.

ابن العربي (أبو بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربي):

٢٤ - أحكام القرآن تحقيق محمد على البجاوى نشر دار الجيل بيروت ١٩٨٧ م.

ابن قدامة (الشيخ الإمام العلامة شيخ الإسلام أبو محمد عبد الله ابن أحمد بن أحمد):

٢٥ - المغنى ويليهِ الشرح الكبير دار الكتاب العربى بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م دار الريان للتراث القاهرة.

٢٦ - الفتاوى الإسلامية المجلد العاشر رقم ٣٠ الصادرة من دار الافتاء المصرية بالتعاون مع المجلس الأعلى للشئون الإسلامية بالقاهرة ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

**سادساً: كتب أصول الفقه:**

الآمدى (سيف الدين أبو الحسن على بن أبى محمد):

٢٧ - الإحكام فى أصول الأحكام: نشر دار الحديث القاهرة.

ابن حزم (الحافظ أبو محمد على بن حزم الأندلسى الظاهرى):

٢٨ - الإحكام فى أصول الأحكام: نشر دار الجيل بيروت ١٤٠٧هـ / ١٩٨٧م.

أبو الحسين البصرى (محمد بن على بن الطيب البصرى المعتزلى):

٢٩ - المعتمد فى أصول الفقه: نشر دار الكتب العلمية بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

الغزالى (الإمام حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالى):

٣٠ - المستصفى من علم الأصول: نسخة مصورة عن الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق سنة ١٣٢٢هـ نشر دار صادر بيروت.

الإمام المحقق الشيخ محب الله بن عبد الشكور:

٣١ - مسلم الثبوت فى أصول الفقه طبع مع المستصفى للإمام الغزالى.

العلامة عبد العلى محمد بن نظام الدين الأنصارى:

٣٢ - فواتح الرحموت بشرح مسلم الثبوت فى أصول الفقه طبع مع المستصفى من علم الأصول للإمام الغزالى.

**سابعاً: كتب التاريخ الإسلامى والسيرة النبوية:**

ابن الاثير (الإمام العلامة عمدة المؤرخين أبو الحسن على بن أبى الكرم محمد بن محمد الشيبانى):

٣٣ - الكامل فى التاريخ نشر دار الكتاب العربى بيروت الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى):

٣٤ - تاريخ الرسل والملوك تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم نشر دار المعارف رقم ٣٠ من سلسلة ذخائر العرب الطبعة الرابعة ١٩٧٩م.

ابن كثير (أبو الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقى):

٣٥ - البداية والنهاية دقق أصوله وحققه د/ أحمد أبو ملحم وآخرون نشر دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.

المسعودى (الرحالة الكبير والمؤرخ الجليل أبو الحسن على بن الحسين بن على):

٣٦ - مروج الذهب ومعادن الجوهر بتحقيق محمد محبى الدين عبد الحميد نشر دار الفكر الطبعة الخامسة ١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م.

ابن هشام:

٣٧ - السيرة النبوية حققها وضبطها وشرحها ووضع فهرسها مصطفى السقا وآخرون ملتزم الطبع والنشر مكتبة مصطفى الحلبى الطبعة الثانية ١٣٧٥هـ / ١٩٥٥م.

محمد كمال السيد محمد:

٣٨ - الأزهر جامعا وجامعة أو مصر فى ألف عام سلسلة البحوث الإسلامية ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.

**ثامناً: كتب علم الاجتماع والفكر الإسلامى:**

العقاد (الأستاذ عباس محمود العقاد):

٣٩ - حقائق الإسلام وأباطيل خصومه: دار نهضة مصر للطبع والنشر.

المودودى (العلامة أبو الأعلى المودودى):

٤٠ - الحجاب: دار العدالة للطباعة والنشر بالقاهرة.

الندوى (الإمام أبو الحسن الندوى):

٤١ - ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين: نشر دار الأنصار بالقاهرة الطبعة العاشرة ١٩٧٧م.

وافى (الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي):

٤٢ - بحوث في الإسلام والاجتماع دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

٤٣ - غرائب النظم والتقاليد والعادات دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

**تاسعاً: كتب الأديان والمذاهب:**

إبراهيم خليل أحمد:

٤٤ - إسرائيل والتلمود دراسة تحليلية نشر مكتبة الوعى العربى القاهرة ١٩٨٣م.

أبكار السقاف:

٤٥ - إسرائيل وعقيدة الأرض الموعودة: نشر عالم الكتب القاهرة الطبعة الأولى ١٩٦٧م.

دكتور/ أحمد شلبى:

٤٦ - اليهودية سلسلة مقارنة الأديان مكتبة النهضة المصرية القاهرة الطبعة الخامسة ١٩٧٨م.

أحمد عبد المنصف محمود:

٤٧ - فى بلاد البقرة المقدسة دار الكاتب العربى للطباعة والنشر.

دكتور/ أحمد على عجبية:

٤٨ - تأثر المسيحية بالأديان الوضعية: رسالة دكتوراه فى كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا ١٩٨٧م.

٤٩ - الخلاص المسيحى ونظرة الإسلام إليه: رسالة ماجستير فى كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا ١٩٨٥م.

احمد بن محمد بن المنير المعروف بالإمام ناصر الدين:

٥٠ - الإنصاف فيما تضمنه الكشف من الاعتزال طبع مع تفسير الكشف للزحشرى شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي بمصر.  
ارمان (أدولف ارمان):

٥١ - ديانة مصر القديمة: نشأتها وتطورها ونهايتها فى أربعة آلاف سنة ترجمة ومراجعة د/ عبد المنعم أبو بكر ود/ محمد أنور شكرى ملتزم الطبع والنشر شركة ومطبعة مصطفى الحلبي بإشراف وزارة المعارف العمومية: إدارة الثقافة العامة.

القس إلياس مقار:

٥٢ - نساء الكتاب المقدس: صدر عن دار الثقافة الطبعة الثالثة ١٩٨٨م طبع بمطبعة دار الجيل للطباعة.  
براناتيس (الأب. آى. بى براناتيس):

٥٣ - فضائح التلمود (تعاليم الحاخاميين السرية: إعداد زهدى الفاتح دار النفائس بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٥م.

الأستاذ الدكتور/ بركات عبد الفتاح دويدار:

٥٤ - دراسة فى الأديان الطبعة الثانية ١٤٠١هـ / ١٩٨١م.

البيرونى (أبو الريحان محمد بن أحمد البيرونى):

٥٥ - تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة فى العقل أو مزدولة طبع بمطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ١٣٧٧هـ / ١٩٥٨م نشر عالم الكتب بيروت.

ل. توماس هولدر كروفت:

٥٦ - الأسفار التاريخية: تعريب أدبية شكرى يعقوب دار الجيل للطباعة ١٩٨٥م.

جينير (شارل جينير):

٥٧ - المسيحية نشأتها وتطورها ترجمة الإمام الأكبر الدكتور/ عبد الحلیم محمود نشر دار المعارف بمصر ١٩٨١م.

حبيب سعيد:

- ٥٨ - خليل الله في اليهودية والمسيحية والإسلام صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية ١٩٥٩م.
- ٥٩ - المدخل إلى الكتاب المقدس صدر عن دار التأليف والنشر للكنيسة الأسقفية بالقاهرة مع مجمع الكنائس في الشرق الأدنى المطبعة الفنية الحديثة. حبيب فارس:
- ٦٠ - صراخ البريء في بوق الحرية والذبائح التلمودية: طبع بالمطبعة الجامعة بمصر، القاهرة ١٨٩١م ثلاثة أجزاء في مجلد واحد. د/ حسن حنفي:
- ٦١ - تعليق على كتاب اسبينوزا: رسالة في اللاهوت والسياسة دار وهدان للطباعة والنشر طبعة مصورة عن طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب. حسين ذو الفقار صبرى:
- ٦٢ - تورا اليهود بين أصول متشعبة وسعى إلى انعقاد: بحث في مجلة المجلة العدد ١٥٧ من السنة الرابعة عشر يناير ١٩٧٠م. دراز (الأستاذ الدكتور/ محمد عبد الله دراز):
- ٦٣ - الدين: بحوث ممهدة لدراسة تاريخ الأديان مطبعة السعادة ١٣٨٩هـ/ ١٩٦٩م. دروزة (الأستاذ محمد عزة دروزة):
- ٦٤ - تاريخ بنى إسرائيل من أسفارهم منشورات المكتبة العصرية صيدا بيروت ١٩٦٩م. ديلي (الأب ديلي: الأستاذ في جامعة باريس الكاثوليكية):
- ٦٥ - تاريخ شعب العهد القديم: ترجمة الأب جرجس ماردينى المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٦١م. رشاد فكرى:
- ٦٦ - شرح سفر حزقيال مكتبة كنيسة الأخوة شبرا مصر. روهلنج (الدكتور الفرنسى روهلنج):
- ٦٧ - اليهود على حسب التلمود القسم الأول من كتاب الكنز المرصود في قواعد - ٣٤٢ -

التلمود ترجمة د/ يوسف نصر الله تقديم مصطفى أحمد الزرقا ود/ حسن ظا  
الطبعة الأولى لدار القلم دمشق ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.

الأستاذ/ زكى شنوده المحامى:

٦٨ - اليهود قبل المسيح: الجزء الثامن من موسوعة تاريخ الأقباط والمسيحية نشر  
مكتبة النهضة المصرية ١٩٧٤ م.

٦٩ - المجتمع اليهودى: الجزء التاسع من الموسوعة السابقة نشر مكتبة الخانجي  
القاهرة.

سليمان مظهر:

٧٠ - قصة الديانات: نشر دار الوطن العربى بيروت.

سهيل ميخائيل ديب:

٧١ - التوراة بين الوثنية والتوحيد دار النفائس بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٥ هـ/  
١٩٨٥ م.

٧٢ - التوراة تاريخها وغايتها (ترجمة وتعليق لمؤلف أمريكى) دار النفائس بيروت  
الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ / ١٩٧٧ م.

سونيرون (سير. ج. سونيرون):

٧٣ - كهان مصر القديمة: ترجمة زينب الكردى مراجعة د. أحمد بدوى الهيئة  
المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥ م.

شارل لوران (المؤرخ الفرنسى):

٧٤ - تاريخ سوريا لسنة ١٨٤٠ م (حادثة قتل الأب توما وخادمه إبراهيم عمار)  
القسم الثانى من كتاب الكنز المرصود المشار إليه عند ذكرنا (روهلنج) طبعة  
دار القلم الأولى بدمشق ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٧ م.

شاهين مكاريوس:

٧٥ - تاريخ الإسرائيليين: مطبعة المقتطف بمصر ١٩٠٤ م.

دكتور/ صبرى جرجس:

٧٦ - التراث اليهودى الصهيونى والفكر الفرويدى نشر عالم الكتب القاهرة الطبعة  
الأولى ١٩٧٠ م مطبعة مخيمر.

دكتور/ صموئيل شولتز:

٧٧ - العهد القديم يتكلم ترجمة أدبية شكرى نشر معهد المراسلة الدولى فى بروكسل.

ظاظا (الأستاذ الدكتور حسن ظاظا):

٧٨ - الفكر الدينى الإسرائيلى (أطواره ومذاهبه) نشر معهد البحوث والدراسات العربية ١٩٧١، وطبعة ثانية نشر مكتبة سعيد رأفت ١٩٧٥ م.

٧٩ - مقدمة كتاب الكنز المرصود فى قواعد التلمود طبعة دار القلم الأولى بدمشق ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧ م.

ظفر الإسلام خان:

٨٠ - التلمود تاريخه وتعاليمه دار النفائس بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٢ م.

القس عاموس عبد المسيح:

٨١ - دراسة فى عاموس نشر دار الثقافة ١٩٧٩ م.

الأستاذ/ عباس محمود العقاد:

٨٢ - الله: كتاب فى نشأة العقيدة الإلهية دار المعارف بمصر الطبعة السادسة ١٩٦٩ م.

٨٣ - إبراهيم أبو الأنبياء منشورات المكتبة العصرية بيروت ١٩٨١ م.

٨٤ - الضحية فى مقارنة الأديان: بحث منشور بمجلة منبر الإسلام عدد ذى الحجة ١٣٨٢هـ مايو ١٩٦٣ م.

الأستاذ/ عبد الله التل:

٨٥ - خطر اليهودية العالمية على الإسلام والمسيحية نشر دار القلم الطبعة الثانية.

عجاج نويهض:

٨٦ - بروتوكولات حكماء صهيون: أربعة أجزاء فى مجلدين نشر دار الجليل عمان ١٩٨٤ م.

عصام الدين حفى ناصف:

٨٧ - محنة التوراة على أيدي اليهود مطبعة الرسالة الطبعة الأولى ١٣٨٥هـ / ١٩٦٥ م.



د/ فؤاد حسنين على:

٨٨ - التوراة الهيروغليفية: نشر دار الكاتب العربى للطباعة والنشر بالقاهرة.

٨٩ - اليهودية واليهودية المسيحية: نشر معهد البحوث والدراسات العربية  
١٩٦٨م.

دكتور/ فتحى محمد الزغبى:

٩٠ - تأثر اليهودية بالأديان الوثنية رسالة دكتوراه فى كلية أصول الدين والدعوة  
الإسلامية بطنطا ١٩٨٧م. وطبعت فى كتاب عام ١٩٩٤.

٩١ - غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام: اليهودية، المسيحية، المجوسية  
"رسالة ماجستير بكلية أصول الدين والدعوة بطنطا" وطبعت فى كتاب نشر  
عام ١٩٨٨م مطابع غباشى بطنطا.

فريرز (سير جيمس فريرز):

٩٢ - الغصن الذهبى دراسة فى السحر والدين الجزء الأول ترجم بإشراف د/ أحمد  
أبوزيد نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧١م.

٩٣ - الفولكلور فى العهد القديم ترجمة د/ نبيلة إبراهيم نشر دار المعارف الطبعة  
الثانية ١٩٨٢م.

ف. ب. ماير:

٩٤ - حياة ارميا: ترجمة القمص داود مكتبة المحبة القاهرة.

د/ مراد كامل:

٩٥ - الكتب التاريخية فى العهد القديم نشر معهد البحوث والدراسات العربية  
١٩٦٨م.

د/ محمد بحر عبد المجيد:

٩٦ - اليهودية ملتزم الطبع والنشر مكتبة سعيد رأفت القاهرة ١٩٧٨م.

د/ محمد صبرى:

٩٧ - التلمود شريعة بنى إسرائيل: حقائق ووقائع نشر مؤسسة دار الهلال ١٩٧٤م  
وطبعة أخرى نشر مكتبة مدبولى القاهرة.

مصطفى أحمد الزرقا:

٩٨ - مقدمه كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود طبعة دار القلم الأولى بدمشق ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

ناوفيطوس (الحاخام اليهودي الذي تحول إلى المسيحية):

٩٩ - إظهار سر الدم المكتوم نشر ضمن كتاب صراخ البريء لحبيب أفندي فارس سنة ١٨٩١م.

وافي (الأستاذ الدكتور على عبد الواحد وافي):

١٠٠ - الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام دار نهضة مصر للطباعة والنشر القاهرة.

١٠١ - اليهودية واليهود دار نهضة مصر للطباعة والنشر.

د/ يوسف نصر الله:

١٠٢ - مقدمة كتاب الكنز المرصود في قواعد التلمود طبعة دار القلم الأولى بدمشق ١٤٠٨هـ / ١٩٨٧م.

عاشراً: كتب التاريخ القديم والحضارة الإنسانية<sup>(١)</sup>:

مهندس أحمد عبد الوهاب

١٠٣ - فلسطين بين الحقائق والأباطيل: نشر مكتبة وهبة القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م.

دكتور/ أحمد فخري:

١٠٤ - دراسات في تاريخ الشرق القديم نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٤م.

١٠٥ - مصر الفرعونية: نشر مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٨٣م.

أندريه إيمار وجانين أوبواية:

١٠٦ - روما وامبراطوريتها: المجلد الثاني من تاريخ الحضارات العام بإشراف

موريس كروزيه نقله إلى العربية فريد م. داعر، وفؤاد ج. أبو ريجان منشورات

عويدات بيروت ١٩٨٦م.

---

(١) مع ملاحظة أن كتب التاريخ القديم والحضارة الإنسانية يحتوي معظمها على دراسات في الأديان القديمة، فهي من هذه الناحية تعد كتب أديان بجانب كونها كتب تاريخ وحضارة، لكننا وضعناها هنا على أساس أنها في الأصل كتب تاريخ وحضارة.

د/ إيفار ليسنر:

١٠٧ - الماضي الحى: ترجمة شاكرا إبراهيم سعيد نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨١م.

برستيد (جيمس هنرى برستيد):

١٠٨ - فجر الضمير: ترجمة د/ سليم حسن نشر مكتبة مصر رقم ١٠٨ من سلسلة الألف كتاب.

حبيب سعيد:

١٠٩ - التاريخ فى الكتاب وهو خلاصة كتابين باللغة الإنجليزية تلخيص حبيب سعيد دار التأليف والترجمة والنشر للكنيسة الأسقفية بمصر.

د/ جواد على:

١١٠ - الفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام نشر دار العلم للملايين بيروت ومكتبة النهضة ببغداد، الطبعة الثانية ١٩٧٦م وساعدت جامعة بغداد على نشره.

د/ رشيد الناضورى:

١١١ - المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى: مصر، سومر، فلسطين، عيلام، المغرب دار مكتبة الجامعة العربية بيروت ١٣٨٨هـ / ١٩٦٩م.  
روبنسن (تيودور. هـ. روبنسون "دكتوراه فى اللاهوت وأستاذ اللغات السامية فى كلية الجامعة بكارديف":

١١٢ - إسرائيل فى ضوء التاريخ: بحث يصور الأيام الأولى من تاريخ الأمة اليهودية مستقاة من الكتاب المقدس والمصادر المعاصرة نشر ضمن المجلد الثانى من كتاب تاريخ العالم بإشراف جون هامرتون.

د/ عبد الحميد زايد:

١١٣ - الشرق الخالد: مقدمة فى تاريخ وحضارة الشرق الأدنى من أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ ق.م نشر دار النهضة العربية القاهرة ١٩٦٧م.

د/ عبد العزيز صالح:

١١٤ - الشرق الأدنى القديم: الجزء الأول: مصر والعراق نشر مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثالثة ١٩٨٢م.

د/ عبد المنعم أبو بكر:

١١٥ - العراق القديم: تاريخه وحضارته ضمن كتاب حضارة مصر والشرق القديم نشر مكتبة مصر، القاهرة بدون تاريخ.

غلاب (الدكتور محمد غلاب):

١١٦ - الفلسفة الشرقية: مكتبة الأنجلو المصرية الطبعة الثانية. غوستاف لوبون:

١١٧ - اليهود في تاريخ الحضارات الأولى ترجمة عادل زعيتر نشر عيسى الحلبي بمصر ١٩٧٠م.

كوننتو (ج. كوننتو):

١١٨ - الحضارة الفينيقية: ترجمة د/ محمد عبد الهادي شعيرة راجعه د/ طه حسين من سلسلة المراجع الجامعية إدارة الثقافة بوزارة التربية والتعليم بمعاونة المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب نشر شركة مركز الشرق الأوسط القاهرة.

ليواوينهايم:

١١٩ - بلاد ما بين النهرين: ترجمة سعدى فيضى عبد الرازق دار الشؤون الثقافية العامة بغداد ١٩٨٦م.

دكتور/ مصطفى كمال عبد العليم:

١٢٠ - اليهود في مصر في عصرى البطالة والرومان الطبعة الأولى ١٩٦٨ مكتبة القاهرة الحديثة.

دكتور/ محمد بيومى مهران:

١٢١ - دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم الجزء التاسع ضمن الكتاب الرابع الخاص بحضارة إسرائيل الاسكندرية ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

- ١٢٢ - مركز المرأة في الحضارات العربية القديمة: بحث منشور بمجلة كلية العلوم الاجتماعية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.  
موسكاتى (سبتينو موسكاتى):
- ١٢٣ - الحضارات السامية القديمة ترجمة د/ السيد يعقوب بكر نشر دار الرقى بيروت ١٩٨٦ ضمن سلسلة روائع الفكر الإنسانى.  
دكتور/ نجيب ميخائيل إبراهيم:
- ١٢٤ - حضارات الشرق القديم (العراق وفارس) الجزء الخامس من كتاب مصر والشرق الأدنى القديم دار المعارف الطبعة الثانية ١٩٦٧م.
- ١٢٥ - الشرق الأدنى القديم: سورية (الفينيقيون والكنعانيون، الإسرائيليون والفلسطينيون والآراميون) الجزء الثالث من كتاب مصر والشرق الأدنى القديم دار المعارف بمصر الطبعة الثانية ١٩٦٤م.  
ول ديورانت:
- ١٢٦ - نشأة الحضارة: الجزء الأول من المجلد الأول من قصة الحضارة ترجمة د/ زكى نجيب محمود لجنة التأليف والترجمة والنشر الطبعة الرابعة ١٩٧٣م.
- ١٢٧ - الشرق الأدنى: الجزء الثانى من المجلد الأول من قصة الحضارة ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧١م.
- ١٢٨ - الهند وجيرانها: الجزء الثالث من المجلد الأول من قصة الحضارة ترجمة ترجمة د. زكى نجيب محمود لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٨م.
- ١٢٩ - حياة اليونان: الجزء الأول من المجلد الثانى من قصة الحضارة ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٩م.
- ١٣٠ - قيصر والمسيح أو الحضارة الرومانية: الجزء الأول من المجلد الثالث ترجمة محمد بدران الطبعة الثالثة ١٩٧٢م.
- ١٣١ - عصر الإيمان: الجزء الثالث من المجلد الرابع من قصة الحضارة ترجمة محمد بدران لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧٥م.
- ١٣٢ - الإصلاح الدينى: الجزء الخامس من المجلد السادس من قصة الحضارة (٢٦) ترجمة الأستاذ محمد على أبو درة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٧٢م.

١٣٣ - قصة الحضارة (٤١) الجزء الثالث من المجلد العاشر ترجمة فؤاد أندراوس  
لجنة التأليف والترجمة والنشر القاهرة ١٩٨٦م وهذا الجزء من تأليف ول  
وايريل ديورانت.

ولز (هـ. ج. ولز):

١٣٤ - نشأة الكون والإنسان والحضارات: المجلد الأول من كتاب معالم تاريخ  
الإنسانية ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد الطبعة الثالثة ١٩٦٧م لجنة التأليف  
والترجمة والنشر.

١٣٥ - موجز تاريخ العالم: ترجمة عبد العزيز توفيق جاويد مراجعة محمد مأمون نجا  
طبع ونشر مكتبة النهضة المصرية مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٨م.  
ولفنسون (إسرائيل ولفنسون):

١٣٦ - تاريخ اللغات السامية: طبعة دار القلم بيروت الطبعة الأولى ١٩٨٠م.

**حادى عشر: كتب المعاجم ودوائر المعارف:**

١٣٧ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم: وضعه محمد فؤاد عبد الباقي كتاب  
الشعب.

١٣٨ - معجم ألفاظ القرآن الكريم: نشر مجمع اللغة العربية بالقاهرة سلسلة  
(التراث للجميع).

١٣٩ - المفردات في غريب القرآن لأبى القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب  
الأصفهاني تحقيق وضبط محمد سيد كيلاني مطبعة مصطفى الحلبي  
١٣٨١هـ / ١٩٦١م.

١٤٠ - مفتاح كنوز السنة، وضعه بالإنجليزية الدكتور. أى. فنسك - ترجمة محمد  
فؤاد عبد الباقي نشر دار إحياء التراث العربى بيروت ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

١٤١ - القاموس المحيط: تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادى شركة  
مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي الطبعة الثانية ١٣٧١هـ / ١٩٥٢م.

١٤٢ - لسان العرب لابن منظور: طبعة جديدة نشرتها دار المعارف حديثا فى ست  
مجلدات.

١٤٣ - المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية الطبعة الثانية ١٩٧٣ م بإشراف الدكتور إبراهيم مدكور وآخرين.

١٤٤ - دائرة المعارف للمعلم بطرس البستاني (قاموس عام لكل فن وطلب نشر دار المعرفة بيروت بدون تاريخ).

### ثانى عشر: الكتاب المقدس عند اليهود والنصارى وشروحه :

١٤٥ - الكتاب المقدس: أى كتب العهد القديم والعهد الجديد طبعة البروتستانت التى أصدرتها دار الكتاب المقدس فى العالم العربى - بدون تاريخ.

١٤٦ - الكتاب المقدس: العهد العتيق والعهد الجديد: طبعة الأساقفة الكاثوليك منشورات دار المشرق توزيع المكتبة الشرقية بيروت ١٩٨٦ م.

١٤٧ - مدخل إلى التوراة (كتب الشريعة الخمسة) مقدمة الكتاب المقدس طبعة الرهبانية اليسوعية توزيع المكتبة الشرقية بيروت بإشراف جمعيات الكتاب المقدس فى المشرق سنة ١٩٨٦ م.

١٤٨ - مقدمة أسفار الشريعة الخمسة: المجلد الأول من كتب العهد العتيق منشورات دار المشرق بيروت ١٩٨٣ م.

١٤٩ - التوراة السامرية (النص الكامل للتوراة السامرية باللغة العربية) ترجمة الكاهن السامرى: أبو الحسن إسحاق الصورى، نشرها وعرف بها د/ أحمد حجازى السقا الناشر: دار الأنصار القاهرة الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ/ ١٩٧٨ م.

١٥٠ - قاموس الكتاب المقدس: تأليف نخبة من الأساتذة ذوى الاختصاص ومن اللاهوتيين، هيئة التحرير: د/ بطرس عبد الملك ود/ جون الكساندر طمس، والأستاذ/ إبراهيم مطر من منشورات مكتبة المشعل فى بيروت بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية فى الشرق الأوسط الطبعة السادسة ١٩٨١ م.

١٥١ - السنن القويم فى تفسير أسفار العهد القديم: مبنى على آراء عدد من اللاهوتيين صدر عن مجمع الكنائس فى الشرق الأدنى بيروت ١٩٧٣ م.

## تعريف بالمؤلف

- ١ - ولد في ٢/٩/١٩٥٧ م بقرية شونى مركز طنطا محافظة الغربية - ج. م. ع.
- ٢ - تلقى تعليمه الابتدائى وحفظ القرآن الكريم بالقرية ثم التحق بالأزهر بطنطا في العام الدراسى ١٩٦٩ / ١٩٧٠ م.
- ٣ - حصل على الشهادة الثانوية الأزهرية من معهد طنطا الثانوى في العام الدراسى ١٩٧٥ / ١٩٧٦ م وجاء ترتيبه الثانى - بتوفيق الله - على مستوى الجمهورية.
- ٤ - فاز بلقب الطالب المثالى الأول على مستوى الكلية والثالث على مستوى الجامعة عام ١٩٨٠ م.
- ٥ - حصل على الشهادة العالية (الليسانس) من كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا في العام الدراسى ١٩٧٩ / ١٩٨٠ م بتقدير ممتاز مع مرتبة الشرف وكان ترتيبه الأول (بتقدير ممتاز) - بفضل الله - طوال سنوات الدراسة الأربع.
- ٦ - صدر قرار بتكليفه معيدا في قسم مقارنة الأديان بالكلية بتاريخ ١٧ / ٩ / ١٩٨٠ م.
- ٧ - حصل على تقدير جيد جدا في مرحلة الدراسات العليا وكان ترتيبه الأول في السنة الأولى عام ١٩٨١ م وفي السنة الثانية عام ١٩٨٢ م.
- ٨ - حصل على درجة التخصّص (الماجستير) بقسم مقارنة الأديان من كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا في ٢٥ يناير ١٩٨٥ م بتقدير (ممتاز) وكان له شرف الحصول على أو ماجستير تمنحه الكلية.
- ٩ - صدر قرار رئيس الجامعة بتعيينه مدرسا مساعدا بقسم مقارنة الأديان بالكلية في ١٦ / ٢ / ١٩٨٥ م.



- ١٠ - حصل على درجة العالمية (الدكتوراه) بقسم العقيدة والفلسفة وكان له شرف الحصول على أول دكتوراه تمنحها الكلية.
- ١١ - صدر قرار مجلس الجامعة بتعيينه مدرسا بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا في ١٧ / ١٠ / ١٩٨٧ م.
- ١٢ - يقوم - بتوفيق الله - بأداء خطبة الجمعة في مسجد المعمورة الجامع بالاسكندرية منذ شهر سبتمبر عام ١٩٨١ م إلى سبتمبر ١٩٩٠ م.
- ١٣ - أعير إلى قسم الثقافة الإسلامية بكلية الشريعة بالرياض جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية بالمملكة العربية السعودية في سبتمبر ١٩٩٠ م.
- ١٤ - حصل على درجة "أستاذ مساعد" بقسم العقيدة والفلسفة بكلية أصول الدين بطنطا في ٦ / ١١ / ١٩٩١ م.
- ١٥ - وافقت اللجنة العلمية الدائمة لقسم العقيدة والفلسفة بجامعة الأزهر على ترقيته إلى درجة "أستاذ" في ٢٦ نوفمبر ١٩٩٦ ثم وافق مجلس الجامعة على ذلك في ١ / ١ / ١٩٩٧.
- ١٦ - أعير إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بدولة الكويت في الفترة من ٢٠٠٠ إلى ٢٠٠٣ م.
- ١٧ - أعير إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية جامعة الشارقة بدولة الإمارات العربية المتحدة عام ٢٠٠٣ م.
- ١٨ - تولى رئاسة قسم أصول الدين بجامعة الشارقة مع بداية عام ٢٠٠٦ / ٢٠٠٧ م.

## كتب وبحوث للمؤلف

### أولاً: الكتب:

- ١- غلاة الشيعة وتأثرهم بالأديان المغايرة للإسلام (اليهودية، المسيحية، المجوسية) أول رسالة ماجستير بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا (يناير ١٩٨٥) ثم طبعت في كتاب بنفس العنوان عام ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٨ م.
- ٢- تأثر اليهودية بالأديان الوثنية: أول دكتوراه بكلية أصول الدين والدعوة الإسلامية بطنطا (أغسطس ١٩٨٧ م) ثم طبعت في كتاب بنفس العنوان في عام ١٤١٤ هـ / ١٩٩٤ م نشر دار البشير بطنطا.
- ٣- القرابين البشرية والذبائح التلمودية عند الوثنيين واليهود، ومعه نص كتاب "إظهار سر الدم المكتوم" أو طريقة استنزاف دم الأطفال الجارية عند اليهود "للحاحام ناوفيطوس، مطابع غباشى بطنطا ١٤١٠ هـ / ١٩٩٠ م.
- ٤- تنزيه نبي الله داود عن مطاعن وأكاذيب اليهود في العهد القديم والإسرائيليات ١٤١٢ هـ / ١٩٩١ م.
- ٥- قصة الذبيح عند أهل الكتاب والمسلمين "عرض ونقد" دار البشير بطنطا ١٤١٥ هـ / ١٩٩٤ م.
- ٦- (فلسفة الأخلاق عند مسكويه: دراسة تحليلية مقارنة لأهم مصادرها وأبرز جوانبها ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥).
- ٧- دراسات ونصوص في العقيدة الإسلامية ١٤١٦ هـ / ١٩٩٥ م.
- ٨- ملل ونحل قديمة ومعاصرة ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.
- ٩- مباحث ونصوص في الفلسفة الإسلامية: الجزء الأول مكتبة الأزهر الحديثة

بطنطا الطبعة الأولى ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م - بحوث في العقيدة الإسلامية  
١٤١٨هـ / ١٩٩٨ن.

١٠- دراسات في التصوف الإسلامي: الجزء الأول: المقدمات والمراحل ١٤١٨هـ /  
١٩٩٨م.

١١- دراسات في العقيدة الإسلامية: الجزء الأول المقدمات الطبعة الأولى  
١٤١٩هـ / ١٩٩٩م.

١٢- دراسات ونصوص في العقيدة الإسلامية: الجزء الرابع (السمعيات) ٢٠٠٠م.

١٣- الثقافة الإسلامية (تعريفها - مصادرها - مجالاتها - تحدياتها) كتاب شاركت في  
تأليفه الأستاذ الدكتور مصطفى مسلم، نشر مؤسسة الرسالة بيروت دار البشير  
- الشارقة (الطبعة الأولى) ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

### ثانيًا: البحوث:

١- خلق النبي العظيم: من دلائل نبوته وبراهين رسالته، بحث منشور بحولية كلية  
أصول الدين بطنطا جامعة الأزهر العدد الثاني (١٤١٠ / ١٩٩٠).

٢- بشرية الرسل بين شبهات المنكرين للنبوة وضرورتها والرسالة (بحث منشور  
بحولية كلية أصول الدين بطنطا العدد السادس: (١٤١٥ / ١٩٩٥).

٣- عصمة النبي سليمان بن داود مما رماه به اليهود، بحث منشور بحولية كلية  
أصول الدين بطنطا العدد السابع (١٤١٦ / ١٩٩٦).

٤- شبهات حول عصمة الملائكة والرد عليها، بحث منشور بحولية كلية أصول  
الدين بطنطا العدد السابع (١٤١٦ / ١٩٩٦).

٥- رياضة الصبيان وتهذيب أخلاقهم بين الفيلسوفين: بروسن اليوناني ومسكويه  
المسلم، بحث منشور في العدد الثامن من حولية كلية أصول الدين بطنطا  
(١٤١٧ / ١٩٩٧).

٦- شبهات حول عصمة الخليل إبراهيم عليه السلام والرد عليها (الشبهتان: الأولى  
والثانية) العدد التاسع من حولية كلية أصول الدين (١٤١٨ / ١٩٩٨).

- ٧- شبهات حول عصمة الخليل إبراهيم عليه السلام والرد عليها (الشبهة الثالثة)  
العدد العاشر من حولية كلية أصول الدين (١٤٢٠ / ١٩٩٠).
- ٨ - مقدمات في علم العقيدة بحث منشور بحولية كلية أصول الدين بطنطا العدد  
الحادى عشر (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
- ٩- تاريخ علم العقيدة: نشأته وتطوره، بحث منشور بحولية كلية أصول الدين  
بطنطا العدد الحادى عشر (١٤٢١هـ / ٢٠٠٠م).
- ١٠- أهم مصادر مسكويه في فلسفة الأخلاق (المصدر الأول: فلاسفة اليونان:  
أفلاطون/ أرسطو/ جالينوس) نشر كلية الآداب جامعة المنوفية العدد الثانى  
فبراير ٢٠٠٢ - مركز الخدمة للاستشارات البحثية.
- ١١- مسكويه ودوره في علم الأخلاق: نشر كلية الآداب جامعة المنوفية العدد  
الأول يناير ٢٠٠٢م، مركز الخدمة للاستشارات البحثية.
- ١٢- قوى النفس وفضائلها عند مسكويه ومدى تأثيره في ذلك بفلاسفة اليونان،  
بحث منشور بحولية كلية أصول الدين بالمنصورة (العدد الثامن ٢٠٠٢م).
- ١٣- خصائص التصوف في القرنين: الثالث والرابع الهجريين من خلال المحاسبى  
والجنيد، حولية كلية أصول الدين بالمنصورة (العدد الثامن ٢٠٠٢م).
- ١٤- مدى تأثير مسكويه بالشرعية الإسلامية في فلسفته الأخلاقية، بحث منشور  
بحولية كلية أصول الدين بالزقازيق (العدد الرابع عشر ٢٠٠٢م).
- ١٥- الذبيح عند اليهود والنصارى (عرض ونقد) حولية كلية أصول الدين بطنطا  
(العدد الثالث عشر ٢٠٠٢م).
- ١٦- الذبيح عند المسلمين (عرض ونقد) حولية كلية أصول الدين بطنطا (العدد  
الثالث عشر ٢٠٠٢م).
- ١٧- دور العقاد في الدفاع عن الإسلام وإظهار حقائقه (بحث مقدم إلى مؤتمر  
الفلسفة الإسلامية الدولى السادس ٢٠٠١ كلية دار العلوم جامعة القاهرة).
- ١٨- تصحيح الصورة المشوهة للمرأة المسلمية في الغرب (بحث مقدم إلى مؤتمر  
الفلسفة الإسلامية الدولى السابع ٢٠٠٤ كلية دار العلوم جامعة القاهرة).

١٩- دور الاستعمار الغربى فى تحلف العالم الإسلامى (بحث مقدم إلى مؤتمر الفلسفة الإسلامية الثامن ٢٠٠٣ كلية دار العلوم جامعة القاهرة).

٢٠- بحث بعنوان: "أهداف علم الكلام بين الدفاع عن العقائد وإثباتها فى القديم والجديد" وشاركت به باسم جامعة الشارقة فى المؤتمر الدولى التاسع للفلسفة الذى عقد بكلية دار العلوم - جامعة القاهرة - بمصر فى الفترة من ٢٠-٢١ إبريل ٢٠٠٤م، وقد شاركت فى أعمال المؤتمر بالحضور والمناقشة وإلقاء البحث ومناقشته وتم نشره فى الكتاب الخاص بأعمال المؤتمر (٢٠٠٥).

٢١- بحث بعنوان "دور الغزالى فى إحياء وتجديد التصوف السنى" بحث مقدم إلى مؤتمر الفلسفة الإسلامية الدولى العاشر ٢٠٠٥ كلية دار العلوم جامعة القاهرة.

٢٢- منزلة الغزالى فى علم الأخلاق من خلال كتابه "إحياء علوم الدين" حولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية جامعة الأزهر فرع طنطا العدد الخامس عشر ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٢٣- "مدى تأثير مسكويه بالأدب الفارسى فى حكمته الأخلاقية" بحث منشور بحولية كلية أصول الدين والدعوة الإسلامية جامعة الأزهر فرع طنطا العدد الخامس عشر ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.

٢٤- "جهود العلماء المعاصرين فى نقض مزاعم المستشرقين والمنصرين حول زواج النبى صلى الله عليه وسلم بالسيدة زينب بنت جحش" بحث مقدم للمؤتمر السنوى كلية الشريعة - جامعة الشارقة بعنوان (الجهود المبذولة فى خدمة السنة النبوية) مايو ٢٠٠٥. وتم طبعه ونشره ضمن أعمال المؤتمر فى كتاب أصدره مركز البحوث والدراسات بجامعة الشارقة (١٤٢٧ / ٢٠٠٦) سلسلة النشر العلمى (٣٦).

٢٥- الصلة بين الفلسفة الإسلامية وبين علم الكلام والأصول: بحث منشور بحولية كلية أصول الدين جامعة الأزهر فرع طنطا العدد السادس عشر (٢٠٠٦ / ١٤٢٦).

٢٦- مرحلة الزهد في التصوف الإسلامى خلال القرنين الأول والثانى مركز أبحاث جامعة المنوفية ٢٠٠٧.

٢٧- من استدلالات القرآن الكريم على البعث والرد على منكريه حولية كلية أصول الدين جامعة الأزهر طنطا ٢٠٠٧.

٢٨- الصداقة والسعادة عند مسكويه ومدى تأثيره فى ذلك بأفلاطون وأرسطو حولية كلية الآداب جامعة المنوفية ٢٠٠٦.

٢٩- جهود الدكتور دراز فى الحوار مع الآخر (مؤتمر كلية الشريعة جامعة الشارقة إبريل ٢٠٠٧).

٣٠- منهج الغزالي فى البحث عن الحقيقة والوصول إلى اليقين بحث مقدم لمؤتمر كلية دار العلوم جامعة القاهرة إبريل ٢٠٠٧.

٣١- مشكلات أولية حول الفلسفة الإسلامية: دراسة تحليلية نقدية (بحث مقبول للنشر بمركز أبحاث جامعة المنوفية).

٣٢- دور الغزالي الفيلسوف فى أسلمة العلوم الفلسفية بحث مقدم إلى المؤتمر الدولى الأول لتاريخ العلوم عند العرب والمسلمين المنعقد بكلية الآداب والعلوم بالاشتراك مع كلية الشريعة جامعة الشارقة فى الفترة من ٢٤ إلى ٢٧ مارس ٢٠٠٨م.

٣٣- دور الإمام الغزالي فى النهوض بالأمة ومناقشة دعوى مسؤوليته عما أصابها من تخلف وجهود. بحث مقدم إلى المؤتمر الدولى الثالث عشر للفلسفة الإسلامية بكلية دار العلوم جامعة القاهرة ٢٩ / ٣٠ إبريل ٢٠٠٨.

#### **كتب وبحوث تحت الطبع . بعون الله توفيقه :**

- موقف الإمام ابن تيمية من التصور الفلسفى للملائكة.
- حواء من جور الأديان إلى عدل الإسلام.
- الأخلاق عند الإمام الغزالي بين الفلسفة والتصوف.
- البشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم فى الكتب السابقة واعتبارها من دلائل نبوته.

- موسوعة "أنبياء الله بين أهواء العهد القديم وحقائق القرآن الكريم".
- النبی آیوب - علیه السلام - بین العهد القديم والقرآن الكريم.
- رياضة الصبيان وتهذيب أخلاقهم عند الإمام الغزالي (دراسة مقارنة).
- حقيقة الملائكة والإيمان بهم وأصنافهم والتفاضل بينهم وبين الأنبياء.
- التحقيق التام في ملة الخليل عليه السلام.

## الفهرس

٩	المقدمة
١٧	المدخل
١٩	معنى القربان فى اللغة والمقصود بها ورد منه فى القرآن الكريم
٢٥	القرايين عند اليهود
٣٠	اعتقاد الوثنيين أن الآلهة تنال وتتغذى من قرايينهم
٣٠	فى بلاد الرافدين
٣٣	فى مصر القديمة
٣٥	اعتقاد اليهود أن الله ينال من قرايينهم
٣٨	قضاء الإسلام على معتقدات الوثنيين واليهود
	<b>الباب الأول (نشأة القرايين البشرية ومظاهر تقديهما عند الوثنيين وموقف الإسلام منها )</b>
٤٥	
٤٧	<b>الفصل الأول : نشأة القرايين البشرية ومظاهر تقديهما</b>
٤٨	نشأة القرايين البشرية وبداية تقديمها
٤٩	رأى من يربطون بن هذه العادة وبين عادة أكل لحوم البشر
	رأى من يربطون بين هذه العادة وبين طقوس الزراعة أو ما يعرف بـ
٤٩	"البذار"
	رأى من يعتقد أن الإنسان بدأ بتقديم القرايين البشرية ثم تطورت
٥٣	هذه القرايين إلى الحيوانية والنباتية



٥٧	إبطال هذا الرأي والرد على القائلين به
٦١	رأى المؤلف
٦١	مظاهر تقديم القرابين البشرية
٦٣	كيفية اختيار الضحايا من البشر
٦٥	ما جرت به القرابين البشرية على بنى الإنسان
٦٦	اختلاف مراسم التضحية البشرية
٦٦	تقديم القرابين البشرية إلى الآلهة البشرية
٦٩	<b>الفصل الثانى: القرابين البشرية عند السومريين والبابليين</b>
٧٠	قدم القرابين البشرية فى العراق القديم
٧١	اكتشاف مقابر الدفن الجماعية فى سومر
٧٣	القرابين البشرية عند البابليين
٧٤	<b>الفصل الثالث: القرابين البشرية عند المصريين القدماء</b>
٧٤	تقديم القرابين البشرية إلى الآلهة المصرية
٧٦	تقديم القرابين البشرية إلى " النيل " أكبر الآلهة عند المصريين
	عمرو بن العاص وقيام المصريين بتقديم فتاة عذرا إلى النيل (عروس النيل)
٧٧	
	قضاء الإسلام على هذه العادة من خلال موقف أمير المؤمنين عمر بن الخطاب
٧٨	
٧٨	رواسب هذه العادة عند المصريين فى العصر الحاضر
	نقد فضيلة الشيخ جاد الحق على جاد الحق للاحتفال بوفاء النيل واختيار ملكة جمال النيل
٧٨	
	ارتباط ظاهرة تقديم فتاة إلى النيل بظاهرة تزويج الآلهة عند الشعوب الوثنية القديمة
٨٣	

٨٥	<b>الفصل الرابع: القرايين البشرية عند الهنود القدماء</b>
٨٥	تقديم القرايين البشرية إلى الإلهة "كالى"
٨٧	إحراق الأرملة والانتحار المقدس
٨٧	قيام الأرملة بحرق نفسها كان نوعاً من تقديم القرايين البشرية
٩٣	الانتحار المقدس
١٠٠	<b>الفصل الخامس: القرايين البشرية عند الكنعانيين والعمونيين والمؤابيين</b>
١٠٠	أولاً: عند الكنعانيين
١٠٧	ثانياً: عند العمونيين والمؤابيين
١١٠	<b>الفصل السادس: القرايين البشرية عند اليونانيين والرومانيين</b>
١١٠	أولاً: عند اليونانيين
١١٣	ثانياً: عند الرومانيين
١١٦	<b>الفصل السابع: القرايين البشرية عند العرب فى الجاهلية</b>
١١٦	قيامهم بقتل أولادهم ووأد بناتهم
	اتجاهات المفسرين فى بيان المراد بنهى القرآن الكريم لهم عن قتل
١١٧	أولادهم
١١٧	الاتجاه الأول
١١٨	الاتجاه الثانى
١١٩	الاتجاه الثالث
١٢٣	الاتجاه الرابع
١٢٣	قصة نذر عبد المطلب ذبح أحد أولاده
	<b>الفصل الثامن: موقف الإسلام من نذر وتقديم القرايين البشرية والتحقيق فى رؤيا الخليل</b>
١٢٦	بذبح إسماعيل عليهما السلام
١٢٦	حادث المرأة التى نذرت أن تنحر ابنها عند الكعبة

- ١٢٧ موقف الفقهاء من الصحابة والتابعين من هذا النذر
- ١٢٩ رأى الإمامين ابن عباس رضى الله عنهم جميعا
- ١٣٠ رأى الإمام أبى حنيفة
- ١٣١ رأى القاضى أبى بكر بن العربى
- ١٣١ رأى الإمام مالك
- ١٣١ مذهب الإمام أحمد بن حنبل
- ١٣٣ رأى الإمام الشافعى
- ١٣٤ ترجيح هذا رأى
- ١٣٤ غلط تحريم قتل الإنسان لنفسه
- ١٣٧ الأحاديث النبوية فى نهى المسلم عن قتل نفسه
- ١٤٢ النهى عن قتل النفس المحرمة إلا بالحق
- استدلال الفقهاء بقصة الخليل ورؤياه بذبح ابنه إسماعيل عليهما السلام
- ١٤٣
- ١٤٧ التحقيق فى أمر الله لإبراهيم بذبح ولده
- ١٥٠ الحكمة فى ورود هذا الأمر فى المنام
- ١٥٥ مسألة نسخ الحكم قبل التمكن من فعله
- ١٥٥ رأى القائلين بجواز ذلك من الأشاعرة وغيرهم
- ١٥٥ رأى المخالفين والقائلين بعدم الجواز من المعتزلة وغيرهم
- ١٥٥ ردود كل من الغزالى والرازى والآمدى على المعتزلة
- الحكمة من تكليف الله سبحانه للخليل بذبح ابنه ثم نسخه عنه قبل أن يتمكن من فعله
- ١٥٨
- ١٥٩ الله أمره بالذبح ولم يرد وقوعه
- مدى ارتباط هذا الأمر بالقضاء على ظاهرة القرابين البشرية، ورأى

١٧١	المؤلف في ذلك
١٧١	آراء بعض العلماء
	<b>الباب الثاني (القرايين البشرية والذبايح التلمودية عند اليهود في العهد القديم وعصر التلمود)</b>
١٧٣	
١٧٥	<b>الفصل الأول: العهد القديم وتحريم القرايين البشرية</b>
١٧٥	المراد بالعهد القديم وبداية إطلاقه
	اختلاف أحبار اليهود في تقسيم وترتيب وعدد أسفار العهد القديم
١٧٥	وذكر الفرق بين يهود فلسطين ويهود الاسكندرية
١٨٤	تحريم تورااة اليهود للقرايين البشرية
١٨٩	<b>الفصل الثاني: ارتكاب اليهود جريمة القرايين البشرية وتنديد أنبياء العهد القديم بهم</b>
١٨٩	القاضي يفتاح وتقديم ابنته إلى الرب كقربان بشري
١٨٩	من هو يفتاح
١٩٠	نذر يفتاح ذبح ابنته عندما ينصره الرب
١٩٣	موقف ابنته من هذا النذر
	اختلاف مفسري العهد القديم في كيفية تنفيذ هذا النذر وذكر الرأي الصحيح
١٩٣	
١٩٨	تأثر يفتاح في ذبح ابنته بوثنية الكنعانيين
٢٠٠	تقديم اليهود للقرايين البشرية في عصر الانقسام
٢٠١	ارتكاب "أحاز" ملك يهوذا جريمة القرايين البشرية
٢٠٣	ارتكاب "منسى" جريمة القرايين البشرية
٢٠٦	تنديد أنبياء العهد القديم باليهود وملوكهم
٢٠٧	أشعيا
٢٠٧	إرميا



٢١١	حزقيال
٢١٥	الفصل الثالث: التلمود ودوره في قيام الذبائح التلمودية
٢١٥	المراد بالتلمود
٢١٦	المشناه ومباحثها
٢١٨	الجمارا
٢١٨	التلمود الأورشليمي
٢١٩	والتلمود البابلي والفرق بينهما
٢٢١	مراحل تدوين التلمود وشروحه وطبعاته
٢٢٢	أهمية التلمود وخطورته عند اليهود
٢٢٦	دور التلمود في قيام الذبائح التلمودية
	حث أسفار التلمود اليهود على ذبح الأدميين من غيرهم وتقديمهم
٢٢٦	قربانا لإلهم حسب تصوير التلمود
٢٣٢	الفصل الرابع: مراسم وطقوس استنزاف الدم البشري من غير اليهود
	المناسبات الدموية:
٢٣٢	١ - عيد الفصح: وجذوره التاريخية وأصله الوثني
٢٣٦	طقوس هذا العيد
٢٣٦	استنزاف الدم البشري في عيد الفصح
٢٣٧	٢ - عيد البوريم أو الفوريم
٢٣٧	ارتباطه بأسطورة استيرومردخاي وبيان أسطوريتها
٢٤٠	استغلال الصهاينة لهذا العيد
٢٤١	الطقوس الظاهرة والسرية لهذا العيد (استنزاف الدم البشري)
٢٤٢	٣ - مراسم ختان الأطفال
٢٤٣	٤ - مراسم وطقوس السحر والشعوذة

٢٤٥	٥ - مراسم الزواج
٢٤٥	٦ - مراسم الاحتضار
٢٤٦	٧ - طرق استنزاف دم الضحايا
٢٤٨	الفصل الخامس : أشنع حوادث وأبشع جرائم استنزاف الدم البشري
٢٤٩	تسجيل أهم حوادث الذبح البشري في التاريخ
	أولا: أشهر الذبائح التي وقعت في الغرب
٢٤٩	(الذبائح الغربية) من سنة ١١٤٤ إلى سنة ١٩٣٢
	ثانيا: أهم الجرائم اليهودية التي سجلها التاريخ في الشرق (ذبائح الشرق)
٢٥٨	
٢٥٩	ثالثا: حادثة مقتل الطفل (هنرى عبد النور) ١٨٩٠م.
٢٦٧	رثاء الذبيح
٢٦٩	رابعا: قضية مقتل الأب توما وخادمه إبراهيم عمار
	نص اعتراف واستجواب سليمان الحلاق من وقائع المحاكمة الشهيرة
٢٧٢	
٢٧٣	نص استجواب واعتراف مراد القتال (خادم الحلاق)
٢٧٩	معاينة مكان الحادث وإعادة استجواب الحلاق وخادمه
٢٨١	استجواب واعتراف عائلة هرارى (إسحاق وهارون وداود)
٢٨٥	صدور الحكم والحيلولة دون تنفيذه ودور محمد على باشا في ذلك
٢٩١	الفصل السادس : محاولة اليهود إنكار هذه الجرائم ومدى ثبوتها عليهم
٢٩١	رأى ول ديورانت
٢٩٢	رأى الدكتور/ حسن ظاظا
٢٩٤	اعتراف حاخاماتهم بهذه الجرائم وإظهار أسرارهم
٢٩٥	الحاخام سيرافينو فتش

٢٩٥	الحاخام موسى أبو العافية وقضية الأب توما
٢٩٧	دخول هذا الحاخام في الإسلام وإعلان إسلامه
٢٩٨	تقرير خطي من هذا الحاخام واعترافات منه بأسرار استنزاف الدم البشري
٣٠١	الحاخام فاويفطوس
٣٠٤	شهادة المؤرخ اليهودي يوسيفوس
	شهادة جـ. كيتو، جـ. أ. دوزي ودائرة المعارف اليهودية ومارتن لوثر
٣٠٤	لور
٣٠٦	رأى وتعقيب المؤلف
٣٠٦	الوحشية المتأصلة في اليهود
	نص كتاب "إظهار سر الدم المكنوم" أو طريقة استنزاف دم الأطفال الجارية لدى اليهود للحاخام اليهودي ناويفطوس
٣٠٧	
٣٠٩	كلمة عن هذا الكتاب وعن مؤلفه
٣١٦	نص الكتاب بالحرف الواحد
٣٣٥	المصادر والمراجع
٣٥٢	تعريف بالمؤلف
٣٥٤	كتب وبحوث للمؤلف
٣٦٠	الفهرس